

قوائد الاختصاص ونتائج السفرة

۲

الخطبة القرون الحادية عشر

تَأْلِيفُ

العلامة مصطفى بن قشج الله الحسوي

التوفي سنة ١١٤٣ هـ
رحمة الله تعالى

تحقیق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الثالث

كتاب التعليل

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>



فوائد الأثر ثجا ونتاج السيف

في

أخبار القرون الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الثالث

محقق

عبدالله محمد الكندي

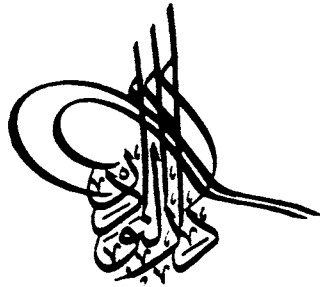
دار النوازل®

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ردمك : ٦ - ٩٤ - ٩١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ - ISBN



9789933418946



سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النواذر، ف. سورية • شركة دار النواذر اللبنانية ش.م.م. - لبنان • شركة دار النواذر الكويتية ذ.م.م. - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب. : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

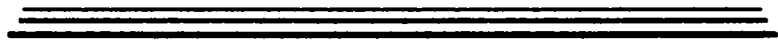
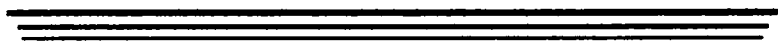
لبنان - بيروت - ص. ب. : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب. : ٤٣١٦ - حولي - الرمز البريدي : ٣٢٠٤٦

هاتف : ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس : ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسست سنة ١٩٤٦ م - نور الدين طرابلسي
المرشد العام والرئيس التنفيذي





وَبِهِ ثَقِيٌّ حَرْفُ الْهَمْزَةِ

[٦٣٦] إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدي السالمي المكي^(١).

كان شاعراً ماهراً، له القصائد الطويلة، يمتدح بها الشريف حسن بن أبي نمي أمير مكة، وغيره من أكابر الأشراف الحسينيين، وغيرهم.

ومن شعره في ملبح يهوى الراح، وهو يهواه قوله:

شمس الطلا بدر غدا لم يصح من تعليلها
فالراح قتلته قاتلي وأنا قتل قتلها

ومثله قول الأديب محمد البوني المكي، وسبكه في قالب آخر وأجاد:

يا لقومي إنني قتيلٌ بيدرٍ هو أضحى قتيلَ شمسِ العقارِ
علمَ الله أن قتلي حرامٌ فشغله بها لتأخذ ثاري

ومن شعره - أيضاً - قوله:

لا أَرْقَ الله مَنْ بالسُّقْمِ أَرَّقَنِي ولا شفى سُقْمَ لحظٍ منه أسَقَمَنِي

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٧)، «نفحة

الريحانة» للمحبي (٤ / ٢١٩) (٣٠٢).

ولا طفى جمرَ خدٍّ منه ملتهباً
وزادَ في ضيقِ خصرٍ منه ضقتُ به
ولا غدا ألعس هاتيك الشفاه لما
ولا اختفت من ثنياه بوارقها
وشدَّ أقواسَ تلكَ الحاجبين وإنْ
ولم تزل شمسُ ذاكَ الحسنِ مشرقةً
ودام أهيف ذاكَ القدِّ في ميدِ
وضاعفَ الله ذاكَ الحسنَ أجمعه
وأبقاه في دولة بالحسنِ زاهرةٍ
وزاد ذاكَ المحيا بهجةً وسناً
يا من جميعُ معانيه فُتنتُ بها
بوجهك الحسن أحسن فيَّ يا أُملي

توفي سنة أربع وعشرين بعد الألف بالطائف، وقد جاوز السبعين - رحمه

الله - .

ومن شعره - أيضاً - قوله :

كم مهجةٍ بالغرام مُنسِبةٍ
فليحذرِ الحبُّ كلَّ محترسٍ
وفي رُبى شعبٍ عامرٍ رَشاً
في حسنه والجمال منتهياً
وما لمن يُقتل بالغرام ديةً
به ففيه الحتوفُ مُنطويةً
له عيونٌ بالسحر مُمتليّة
وعشقتي فيه غيرُ مُنتهية

كم حسنِ شمسٍ عليه مشرقةٌ
إذا بدا مقبلاً ولاحَ ليه
ما قلتُ فيه انتهتُ صبابتيه
لي مهجةٌ غرّها بغرّتهِ
وما هَداني بِصبحِ طَلعتِه
فحبذا ذاكَ الضلالُ به
أهُمُّ بالانثناسِ عنه إلى أن
ويرجعُ الوجدُ لي بأجمعهِ
وأغيدُ ذُبْتُ من مَحَبَّتِه
لُجِنِي اللَّوْنِ أَحورُ تَرِفُ
عيونُ بالجلالِ مكحَّلةُ
قد اعتنى بالها وروحي عن
للحسنِ في وجنتيه كلُّ حلى
فلم أنلُ ماءَ وردٍ وجنتِه
لا تعجبوا إن فنيْتُ فيه هَوَى
ووجنة بالجمالِ زاهرة
وربَّ خدرٍ طرقتُ بِيضَتُه
وحولها من حُماتها أُسْدُ
فانتبهتُ من لذيذِ نومتها

منها بدورُ التمامِ مُختَفِيه
جعلتُ منه الجبينَ قِبْلَتِيه
إلا وعادتُ إليَّ وَهْيَ مُبتدِيه
أهاله عن صيادِ غُرَّتِيه
إلا بليلى الشعورِ ضَلَّتِيه
لمهجةٍ بالضلالِ مُهتدِيه
تبَدَّى بعُظْفِيه مُشْتَبِيه
أضلُّ في صَبوتي وخَيْرَتِيه
ونفسُه بالجمالِ مُنتَهِيه
خَلَقْتُهُ بالجمالِ مُستَوِيه
وذاتُه بالجمالِ مُكْتَسِيه
وصالهِ الحلوِ غيرُ مُعتَبِيه
ماءٌ ونازٌ أحرارُ فِكْرَتِيه
ومن لَظاها حشايَ ملْتَظِيه
فذاثُه بالغرامِ مُقتَضِيه
بنرجسِ المقلتينِ مُخْتَمِيه
والليلُ ظَلَماءُ غيرُ مُنْجَلِيه
على اضطرامِ الحروبِ مُنْجَلِيه
تقول من ذا يحلُّ غرْزَتِيه

فقلتُ صبِّ أذبتَ مهجَّتَهُ بالحسن يا بغيتي ومُنِّيَّةَ
 قالت لقد رُمْتَ مطلباً خطراً من دونه الموتُ يا مُتَيِّمَةَ
 أما رأيتَ الأسودَ رابضةً أما رأيتَ السيفَ مُتَضِيَّةَ
 فقلتُ إنَّ المحبَّ مهجَّتَهُ بالموت فيما يحبُّ مرتَضِيَّةَ
 وجذا يا بنةَ الكرامِ إذا بلغتُ في مُنيتي مَنِيَّةَ
 فإِيا حياةَ النفوسِ إني من أعشقتُ في الغاياتِ مُنِّيَّةَ
 فقالت اهلاً ومرحباً بفتى يعشق الموتَ في مَحَبِّيَّةَ
 وأرشفَتني رحيقَ ريقَتِها والنفسُ مني لذاك مُشْتَهِيَّةَ
 فرحتُ نشوانَ من مُقْبِلِها وريقِها ما ألدَّ سَكْرَتِيَّةَ
 وفي ثنايا نقي مِسْمِها شهدَ عليه النفوسُ محتَوِيَّةَ
 وما اجتنتي الشهدَ قطُّ من بَرَدِ غيري فيا ما ألدَّ جَنِيَّةَ
 فعند ذا أنعمتُ وما بخلتُ بوصليها وهي غيرُ مستَحِيَّةَ

وهي عروضُ قصيدة الأديب إبراهيم، التي مطلعها:

جَفَّتْ حلالَ المنامِ مُقْلَتِيَّةَ مُذْ حلَّ حُبُّ المِلاحِ مُهْجَتِيَّةَ

وقد ذكرتها في ترجمته.

[٦٣٧] إبراهيم بن محمد الهمداني^(١).

قال الشيخ علي في «سلافته»: جامعُ شمل العلوم، المقتني نفائس

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٨٠).

جواهرها، والمجتني أزاهر بواطنها وظواهرها، ملك أعنة الفضائل وتصرف،
وبيّن غوامض المسائل، فأفهم وعرف، وكان الشيخ محمد بهاء الدين بن
حسين العاملي يشهد بفضلها، ويعترف بسمو مقداره ونبله.

واتفق أن سلطان العجم عباس شاه قصد يوماً زيارته، فرأى بين يديه
من الكتب ما ينوف على الألوف، فقال له السلطان: هل في العالم عالم يحفظ
جميع ما في هذه الكتب؟ فقال له الشيخ: لا، وإن يكن، فهو المسؤول
إبراهيم، وكانت وفاته سنة ست وعشرين بعد الألف.

ومن إنشائه قوله: نسأل الله فتح أبواب السرور، بقطع علائق عالم
الزور، وحسم عوائق دار الغرور، وتبديل الأصدقاء المجازين، بالأخلاء
الروحانيين، والانزواء في زاوية العزلة، والانفراد عن جلساء السوء والزلة،
وصرف الأوقات في تلافي ما فات، وإعداد الزاد ليوم المعاد؛ فإن ذلك أعظم
المقاصد وأعلاها، وأهم المطالب وأولاها. انتهى.

[٦٣٨] السيد إبراهيم بن محمد بن عز الدين المؤيدي، المعروف بابن
حُورية^(١).

كان من أكابر العلماء، دعا إلى الإمامة في دولة الإمام المتوكل، وأجابه
جماعة من السادة وغيرهم، بسبب اختلال الشام، وتناظر هو والإمام المتوكل،
ثم تنحى عن الإمامة وتابع، ثم استأذن الإمام في الرجوع، فتوجه إلى بَرط،
وأجابه قضاة بَرط، ثم توجه إلى الشام، فجهز عليه الإمام المتوكل ابن أخيه

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٧٣) (١٦)، وذكر وفاته في ١٠٨٣ هـ، «الأعلام»،
للزركلي (١/ ٦٧).

أحمد بن الحسن، فأصلحه على أن يبقى آمناً مطمئناً، متنحياً عن الإمامة، وشرط الكفاية ولمن معه^(١).

[٦٣٩] إبراهيم بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات بن المحب بن محمد بن الرضي محمد بن محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري^(٢).

ذكره الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبرين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال: كان فاضلاً مجيداً، وذكياً حميداً، مولده في سنة خمس وأربعين وتسع مئة، قرأ واشتغل بالعلم والآداب، وحفظ في صغره «الأربعين النووية»، و«عقائد النسفي»، و«بهجة الحاوي» لابن الوردي، و«حدود النحو» للفاكهي، وعرضها على الشيخ العلامة عز الدين عبد العزيز بن علي الزمزمي، وكتب له إجازة منظومة ستأتي في آخر الترجمة.

وأخذ عن شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي، وغيره من علماء عصره، وبرع في الفضل والأدب، وولي قضاء الشافعية بمكة مدة خلافة، وكانت له بين الناس جلالة ورفعة، وله نظم فائق جداً، ونكات مستملحة، ورعاية وافرة من ولاية مكة وأشرافها، واتصال تام بهم.

وكان في شببته سافر إلى الدكن من ديار الهند، فنال من ملكها نظام شاه ألف دينار، وكان ذلك مصداق ما يقال مما هو مشتهر بين الناس: إن من يحفظ «بهجة ابن الوردي» لا بد له أن يملك ألف دينار، أو يلي القضاء، وقد

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض بالأصل».

(٢) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ٨.

حصلاً معاً للمذكور، ورحل إلى «تريم» من بلاد حضرموت.

واجتمع بمدينة «عينات» بقطب ذلك الوقت، السيد أبي بكر بن سالم، وأنزله في داره، وكان نزوله عليه في شهر رمضان، فاتفقت له معه واقعة، كانت كرامةً باهرةً للسيد المذكور، وهي كما أخبر صاحب الترجمة، فقال: لما أنزلني السيد في داره، وكانت له غرفةً صغيرةً في أعلى الدار، طلبني وقت المغرب للإفطار، فصعدت إليه، فوجدته على حصير، وبجانبه سريرٌ مفروشٌ بجوخٍ أحمر، وكان القاضي حسين المالكي، والسيد علي خرد أوصياني عند إرادتي السفر من مكة أن أبلغ السيد السلام عنهما، إن اتفق اجتماعي به، فأبلغته سلام الأول، فرد عليه السلام، وسأل عن حاله، وأفاد أن ذلك الجوخ الأحمر المفروش على السرير من هديته له، وأنسيت سلام الثاني، فقال لي: يا فقيه إبراهيم! بقي إبلاغ سلام شخصٍ آخر، فتذكرت، فقلت له: نعم، وأبلغته سلام الآخر، فرد السلام.

ثم فكر فقال: الله ما هذه همة لذلك الشاب، ونبيك إنه ما هو متطلع وناظر إلا إلى هذا الملك الذي نحن فيه، وما هو قانع بغيره، فحضرت القهوة، ولما أردت شربها، داخمني فكرة في حال زوجتي وبيتي بمكة، فتكدر بالي، فذكرت ذلك له، وزبدية القهوة في يديه، فلبسه حالٌ شديد، بحيث غاب عن مخاطبتي، فإذا هو قد ناولني الزبدية التي بيده، وقال لي: زوجتك طيبةٌ، وهذه زبدية قهوتها، الله يا فقيه! ما هذا الجمال البارع لها؟!.

قال: فشربت القهوة، وحفظت الزبدية معي إلى أن وصلت إلى مكة، فسألت زوجتي عن القصة، فقالت: كنت جالسةً في الدهليز على السرير بعد المغرب، وبعض الباب مفتوح، والجارية تصب في القهوة، وأنا أشرب،

فسمعت فقيراً على الباب يقول: من يفطر الصائم بزبدية قهوة؟ فأمرت الجارية، فملأت له زبديةً، وطلبته لمناولتها، فأدخل رأسه من فتح الباب، فرآني ورأيت، فرفعت ردائي إلى ستر وجهي عنه، فأخذ الزبدية، وانتظرت أن يعيدها، فخرجت الجارية إليه فلم تجده^(١).

قال: فقلت لها: ذاك السيد أبو بكر بن سالم، وهذه الزبدية، وأخبرتها بالقصة، فنظرت إلى الزبدية، فعرفتھا.

وذكر لي عنه: أنه قال له: إذا أصابتك شدةٌ، فاستهد بي، قال: فمرضت مرضاً شفيت منه، فرأيتُه يقظةً ثلاث مرات، على ثلاث صور مختلفة، الأولى: على الصورة التي رأيتُه عليها عند اجتماعي به، الثانية: على صورة الفقهاء؛ من جهة الثياب والعمامة الكبيرة، الثالثة: على صورة التجار، في ملابسهم وعمائمهم، فما مضت ساعةً إلا وقد أفقت مما كنت فيه من كرب المرض، كأنما نشطت من عقال.

وكانت له مراسلاتٌ مع الفضلاء من أصحابه، مشحونةٌ باللطائف، ويراسلونه بمثلها، ومما وقفت عليه: بعض مراسلةٍ وصلت من ديار الهند إليه، من صاحبه الشيخ محمد بن عبد اللطيف، عرف بمخدوم زاده، وذلك قوله:

إمام المسلمين ومُقتداهم ومن بعلاه تفتخر المعالي
أبجھل قدره حاشا وكلاً وقدرُ مقام إبراهيم عالي

(١) إذا لم تكن هذه الحكايات من صناعة أدعياء التصوف وأهل الكشف، أو أنها تعامل مع الجن، وإلا فهي من تطاول على العقول، وخروج من الدين الصحيح نسأل الله السلامة.

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين بعد الألف، صلى عليه قريه الإمام محمد ابن عبدالله الطبري، في ساباط مقام إبراهيم، على عوائد سلفه الطبريين، بعد أن نادى له الرئيس على ظلة زمزم، وكانت جنازته حافلة، ودفن في قبر المحب الطبري - رحمه الله -.

وصورة إجازة الشيخ عبد العزيز الزمزمي، الموعود بها، وأثبتها لحسنها، وبديع ألفاظها، وهي:

حمداً لمن بَوَّأ إبراهيماً	بيتاً شريعاً زاده تعظيماً
أول بيتٍ ثابتٍ الأساسِ	بِكِـةِ أشاده للناسِ
مباركاً سَوَّدَهُ قديمُ	وَيُمنُّه وخيرُهُ عظيمُ
عالٍ على كلِّ البيوت سامي	بمآله من رفعة المقامِ
أحمدُهُ سبحانه وأشكرُهُ	وبالجميل من ثنائي أذكرُهُ
فكم أياـدٍ جمـةٍ جزيـلةٍ	له علينا كلُّها جليـلةٍ
منها امتنَّاهُ على الآباءِ	بعد الفناء بالحفظِ في الأبناءِ
حتى نحا نحوهم على سَنَنٍ	وصار في الناس حديثهم حَسَنٍ
وأمَّ كلِّ منهم المحجَّةَ	وصار فيهم حاوياً للبهجَةِ
وأحسنوا نهايةَ الإحسانِ	بحفظهم عقائدَ الإيمانِ
واستكملوا معارجَ الصعودِ	حتى انتهوا لمنتهى الحدودِ
وبعد حمدي للإله أشهدُ	أن إلهاً غيره لا يُعبدُ
وأن خيرَ الأنبياءِ محمداً	رسولُهُ الداعي إلى نهجِ الهدى

أفصحُ من أعربَ باللسانِ
 إرشاده لأوضح المسالكِ
 صلّى عليه ربُّنا وسلّمَا
 ما زين الحفظ أفقَ العلمِ
 ويعدُّ فالعلمُ له مقامُ
 دل على تفضيله البرهانُ
 هل يستوي الذين يعلمونَ
 لا تدعُ إلا العُلَماءُ أناسا
 هم وارثو ما خلّفته الأنبياء
 صغيرُهم حازَ التقى والدينَا
 طريقُهم إلى الجنان سالكة
 تدعو لهم صوامتُ الحيتانِ
 فكلُّ مَنْ بالعلم قد تزَيَّنَا
 وأنَّ مِمَّنْ سامَ هذي الرتبة
 مقتفياً له أباً وجداً
 الولدَ الموفّقَ النجيبَ
 وهو الذي قد عُرِفَتْ حقائقُه
 نَمَا هلالُه نمواً قائلَا
 وشادَ باللفظ بنا المعاني
 دلَّ على التسهيلِ كلَّ سالِكِ
 وآلهِ والصحبِ أنجمِ السما
 ولاحَ منهم نجمُ فهمِ
 تعرفُ الخواصُّ والعوامُ
 وسنَّةُ النبي والقرآنُ
 وعصبةُ بالعلم جهلونَا^(١)
 بغيرهم لا ترفعنَّ راسا
 فهم بذاك الإرثِ أغنى الأغنياء
 كيف الذي أكملَ أربعينَا
 مهادُها أجنحةُ الملائكة
 وسائرُ الوحوشِ بالغفرانِ
 قد عمَّه وخصَّه هذا الهنا
 ونحوها سارَ أمامَ الحَلَبَةِ
 إلى المعالي شَمراً وجداً
 اللوذعيّ الفَطْنِ اللَّيْبِ
 في عينه وشيم منه بارقة
 سوف ترون البدرَ مني كاملا

(١) في الأصل: يجهلون، وكتب على الهامش: جهلونا.

قد فاقَ في ابتدائه الأبناء
 سلالَةَ الأئمةِ العظامِ
 بهم قديماً أشرقتْ أقطارُهُ
 وهم قضائِهِ وهو مفتوه
 مقامُهُم رفعتُهُ معلومُهُ
 كلُّ رياسَةٍ به فعنهُم
 شيدَ هذا البيتَ إبراهيمُ
 بأنه جاعلُهُ إماماً
 مقتدياً في هذه الإمامةِ
 أيُّه ذي الهمةِ والمروءةِ
 واسطةِ العقدِ الذي قد انتظمَ
 صدرِ المدرِّسينَ رأسِ الفضلا
 قد كان عمرُ الله في الحجازِ
 مرجعَ أهلِ البلدِ الأمينِ
 إمامَ بيتِ ربِّنا الجليلِ
 الشافعيِّ الأشعريِّ المكيِّ
 يرحمهُ اللهُ ويُبقي نجلَهُ
 وإنني أرجوه يُحيى الميثا
 وما أشكُّ أنه قد لحظا
 لما اقتفى في سرهِ الآباءَ
 قدوةً أهلِ المسجدِ الحرامِ
 هم خطباؤُهُ وهم نُظَّارُهُ
 وعالموه ومدرِّسوه
 وبينهم شهرتُهُ عظيمَةُ
 مأخوذةٌ وتُستفادُ منهمُ
 وهو الذي بَشَّرهُ العليمُ
 ينوي به أهلُ التقى إتماماً
 بالقدوةِ العلامَةِ الفهَّامَةِ
 والعزمِ والنجدةِ والفتوةِ
 ممن له في العلمِ باعٌ وقَدَمُ
 إنسانٍ عينِ النبلاءِ العقلا
 بقيَّةٌ من ذلك الطرازِ
 أعني أبا اليُمْنِ أمينَ الدينِ
 خلفَ مقامِ السَّيدِ الخليلِ
 الطبريِّ ذي الثناءِ المسكي
 فرعاً يُضاهي في النمو أصلَهُ
 من أقدميه ويُشيد البيتَا
 فإنه أتقنَ ما قد حُفظا

من كتب نفيسة مفيدة
 «الأربعين» في الحديث النبوي
 ثم «عقائد الإمام النسفي»
 والثالث «البهجة لابن الوردي»
 وبعدها «الحدود في النحو» لمن
 صدر الدروس ذي التصانيف التي
 صاحبنا السامي عن المضاهي
 جوزوا جميعاً أحسن الجزاء عن
 وقد بلوت حفظه إذ عرّضا
 وكان حفظاً جيداً أو عرّضا
 أداه عن رواية وعارضة
 بمنطقي عذب ولفظ جزل
 في طلق طال امتداد ركضه
 وانصب كالجواد في مضماره
 دلني العرض بهذي الصورة
 أن جميع الكتب المسمية
 وقد أجزّته أقر الله
 عني يروي الكتب الزهر التي
 وكل ما عني ولي روايته

جامعة موجزة فريدة
 جمع محقق العلوم النووي
 خاتمة المحققين الحنفي
 نادرة العصر الإمام الفرد
 جمل قطرتنا وزكن الزمن
 سارت مسير الشمس المنيرة
 الفاكهي الشيخ عبد الله
 ما قلّدوا به الرقاب من منن
 عليّ منها ما أصاب الغرض
 عنه جميع السامعين يرضى
 لكل تحريف ولحن رافضة
 وحسن سمت ووفور عقل
 فلم يقصّر بل جرى في عرضيه
 وانساب مثل السيل في انحداره
 لجملة المواضع المذكورة
 في ذهنه محفوظة البقية
 به عيون أسرة تهواه
 بحفظها نال رفيع الرتبة
 تجوز مما طلبت إفادته

وكلّ مشورٍ وكلّ نظمٍ	بشرطه عند رجال العلم
ورئنا المسؤول أن يؤهّله	لفهم ما في حفظه قد حصّله
وكان هذا العرضُ في شعبانٍ	في عشره الأخير أو في الثاني
في عام خمسين وتسع قد خلت	معها من المثين تسع كملت
الله يقضيها بخير ورقم	ذلك من درّ عقدي نظم
الملتجي للركن والملتزم	عبد العزيز العليّ الزمزمي
سامحه إلهه ولطفها	به وعن كلّ ذنوبه عفا
ووالديه والشيوخ أجمعها	والمسلمين وانتهى هنا الدّعا
على النبيّ المصطفى والآل	وصحبه ساداتنا الموالى
ما اشتدّ أزرُ فاهم بحفظ	وأفرّ عن معنى كمام لفظ

وعدة أبياتها تسعة وسبعون، ومن غريب الاتفاق: أن صاحب الترجمة دفع هذه الإجازة إلي في أول العام الذي توفي فيه، فأشرفتها على بعض الأصحاب، فقرأها، ونظر إلى ما كتبه الناظم بعدها، وهو قوله: «عدة أبياتها تسعة وسبعون»، فقال: يحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن المُجاز يعيش تسعاً وسبعين سنة، فاتفق أن كان الأمر كذلك. انتهى.

[٦٤٠] إبراهيم أبو الإمداد اللقاني - رحمه الله - ابن إبراهيم بن حسن ابن علي بن علي بن عبد القدوس ابن الولي الشهير محمد بن هارون المترجم في «طبقات سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني»^(١).

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٠)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/٦)، =

وهو الذي كان يقوم لوالد سيدي إبراهيم الدسوقي إذا مرّ عليه، ويقول في ظهره: ولي يبلغ صيته المشرق والمغرب.

واللقاني: نسبة إلى «لقانة» - بتخفيف القاف - بالبحيرة من أعمال مصر، وليس هو من لقانة، وإنما هو من قرية صغيرة بجوارها، قيل: تسمى: المعصرة.

قدم من الريف للجامع الأزهر، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة، وهو إمام الزمان، وفريد الأوان، المالكي شيخ البروقية، وشيخ الحديث في القديم والحديث، بل خاتمة المحدثين، وسيد الفقهاء والمتكلمين، وإمام الأئمة، وموضح المشكلات المدلهمة.

كان رحمه الله شيخاً كبيراً، عظيم القدر مشهوراً، مسموع القول في طائفة العلماء، مهاباً عند السلاطين والوزراء، يأتونه إلى مكانه خاضعين له، مقبلين لأقدامه، وهو غير مكترث بهم، ولا ملتفت إليهم، وكانت ورقته إليهم لا تزيد على الكف، سواء كانت لكبير أو صغير.

انتهت إليه في عصره رئاسة العلم، ووصل إلى الغاية القصوى في العلوم الدينية، والفنون العقلية، ولم يقاربه أحدٌ في ذلك من أهل مصره؛ من الورع التام، والسلوك مسلك السلف الصالح الكرام، وغلب عليه علم الحديث، فكان ديدنه، لا ينفك عن إقراء كتبه، وإملاء صحاحه، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير.

وأوقاته كلها مستغرقة بالعلم، يكتب بخطه كثيراً مع السرعة، وإن كان

= «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثنائي (١٢٩٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٨).

خطه ضعيفاً، لكنه ذو حظٍ عظيم، ولم يكن أحد من علماء عصره أكثر تلامذة منه، وكان مفرداً في التقرير، وحسن الإلقاء حفظاً، وعبارته أمتن من كتابته، يفهم منه العوام، كما يفهم منه الخواص، وانتفع به في الحديث خلائق لا يحصون، وكان في فقه مالك أكرم سيد مالك، حافظاً «مختصر خليل» عن ظهر قلب، عمدة في الفتاوى، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، غاية في علوم الطريقة، معتقداً للصوفية، ومعتقداً لخاصة الناس وعامتهم، محبوباً لهم، وله كراماتٌ خارقة، ومكاشفاتٌ صادقة.

وكان ينسب هو وقبيلته إلى الشرف، لكنه لا يُظهره تواضعاً منه، واكتفاءً بشرف العلم الذي لا يوازيه شيء، وكان لا يشرب القهوة، وقائلاً بتحريم الدخان، وله فيه رسالة أحسن فيها كل الإحسان، وتعقبه فيها جمعٌ من أهل عصره، منهم: النور علي الأجهوري، ألف رسالتين بالجواز، ومنهم: الإمام عبد القادر الطبري المكي، وإذا مر في السوق في الوقت الذي يخرج فيه من بيته إلى الجامع الأزهر، يخفيه بياعوه عند مروره خوفاً منه، وقام الناس له صفوفاً.

وكان متباعداً عن الناس، لا يأتي الجامع إلا في وقت الدرس، قال الشيخ أبو الإسعاد بن وفا: عاش وحده، ومات وحده، وكان حسن الصورة جداً، وجيهاً مهاباً، لا يستطيع أحد النظر إليه، هذا مع زيادة تواضعه، وهو ممن أقام في عصره دولة العلم، وصانه عن الابتذال، وخضعت له فحول الرجال، وعلى كل حال، فمناقبه وفضائله عدد الرمال، وإن تبسط فيه المقال.

أخبرني شيخنا أحمد البشبيشي - قدس الله روحه -: أن مما اتفق: أن الشيخ العلامة حجازي الواعظ وقف يوماً على درسه، فقال له صاحب الترجمة:

يا سيدي! إما أن تذهب، أو تجلس، فقال له: اصبر ساعة، ثم قال له: والله يا إبراهيم! ما وقفت على درسك، إلا وقد رأيت رسول الله ﷺ واقفاً عليه، وهو يسمعك، فوقفت حتى ذهب ﷺ^(١).

وقد وقفت على إجازة منه لأولاد الشيخ العارف بالله سيدي علي بهلول المغربي، ولأهل قطرهم، قال فيها: اعلم أي أدركت من علماء القرن العاشر أكابر ثقات، وأجلاء أثبات، أجلهم: علامة الإسلام، والمقدم على الخاص والعام، ولي الله بلا نزاع، والعارف به من غير دفاع، شمس الملة والدين محمد البكري الصديقي - نفعنا الله بركاته -.

ومنهم: الشيخ العلامة شيخ الإسلام محمد ابن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الرملي.

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام نور الدين علي المقدسي.

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام محمد التحرير.

الأولان شافعيان، والآخران حنفيان.

ومنهم: شيخنا العلامة شيخ الإسلام الشيخ محمد الخفاجي الشافعي.

ومنهم: شيخ الإسلام العلامة الفهامة، الولي الخاشع، الشفوق الرحيم،

المبتلى بالأمراض والأسقام، الشيخ أبو بكر الشنواني الرفاعي الشافعي.

ومنهم: الشيخ العمدة الرحلة العلامة شيخ الإسلام الشيخ أبو النصر

الطبلاوي.

(١) رحم الله المصنف وغفر له في ذكر هذه الحكايات في كتابه.

ومنهم: الشيخ العلامة الشيخ، محمد العسيلي .
ومنهم: الشيخ العلامة الشيخ محمد الجبرتي .
ومنهم: الشيخ العلامة محمد البهنسي الشافعي نزيل الحرم المكي .
ومنهم: الشيخ العلامة أحمد الخطيب الشربيني .
ومنهم: الشيخ العلامة عبد الرحمن الشربيني .
ومنهم: الشيخ العلامة أبو الطيب الشربيني .
ومنهم: الشيخ العلامة نور الدين الزياي .
ومنهم: الشيخ العلامة عمر بن الجابي الحنفي .
ومنهم: الشيخ العلامة أحمد السنهوري المالكي .
ومنهم: الشيخ العلامة طه المالكي .
ومنهم: الشيخ العلامة أحمد المعناوي .
ومنهم: الشيخ العلامة جامع الدميري، أخو الشيخ أبي الفتح الدميري .
ومنهم: الشيخ العلامة عبد الدائم البقري .
ومنهم: الشيخ العلامة العارف بالله، وولي الدال عليه، القطب الرباني،
محمد البنوفري .

ومنهم: الشيخ العلامة إبراهيم العلقمي، أخو الشيخ شمس الدين
العلقمي، شارح «الجامع الصغير» .
ومنهم: الشيخ عبد الله الشنشوري، شارح «الترتيب» .
ومنهم: الشيخ صالح البلقيني .

ومنهم: الشيخ أبو المحاسن.

ومنهم: الشيخ أحمد الزرقاني.

ومنهم: الشيخ أحمد البلقيني الوزري.

ومنهم: الشيخ محمد بن الترجمان.

وكل هؤلاء، وغيرهم كثير، تعلم أسماؤهم من الجزء الذي ألفته في مشيختي، المسمى بـ: «نشر المآثر فيمن أدركته من علماء القرن العاشر» ممن أخذت عنه تفسيراً أو حديثاً، أو فقهاً أو أصولاً، أو كلاماً أو تصوفاً، أو نحواً أو صرفاً، أو معاني أو بياناً، أو بديعاً أو عروضاً، أو فرائض أو تاريخاً، أو حكمة أو هيئة، أو منطقاً أو لغة، كما يُعلم تفصيل ذلك من الجزء المذكور.

ولكن لم أكثر عن أحدٍ منهم ما أكثرْتُ عن الإمام العلامة الهمام، نجم السنة، حسين الأفول، الجامع بين المعقول والمنقول، شيخ الإسلام سالم السنهوري، ويليهِ الشيخ محمد البهنسي؛ لأنه كان كل ثلاث سنين، يختتم كتاباً من أمهات الحديث، في رجب وشعبان ورمضان، ليلاً ونهاراً، ويليهِ شيخ الإسلام يحيى القرافي، إمام الناس في الحديث، إتقاناً وتحريراً، شيخ رواق ابن معمر بالجامع الأزهر.

ثم ذكر مؤلفاته، فقال:

منها: حاشيته على شرح السعد لعقائد النسفي التي سميتها بـ: «تعليق الفرائد على شرح العقائد».

ومنها: «شروحي الثلاثة لجوهر التوحيد» التي أنشأتها نظماً، في ليلة، بإشارة شيعي في التصوف والتربية، الولي صاحب المكاشفات، وخوارق

العادات، الشيخ أحمد الشرنوبى - رحمه الله، ونفعنا به -، وأوصاني لما فرغت منها، وهو قائمٌ يصلي، بأنني لا أعتذر لأحدٍ عن ذنبٍ أو عيبٍ بلغه عني، بل أعترف به، وأظهر التصديق، على طريق التورية؛ تركاً لتزكية النفس، فما خالفته بعد ذلك أبداً.

ومنها: «حاشية على شرح ابن حجر العسقلاني لنخبة الفكر في مصطلح الأثر».

ومنها: «منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى».

ومنها: «عقد الجمان في مسائل حملاء الضمان».

ومنها: «حاشية تصريف العزى لسعد الدين التفتازاني».

ومنها: «نصيحة الإخوان بترك شرب الدخان».

ومنها: شرح الآجرومية المسمى: «توضيح ألفاظ الآجرومية الموضوعة للتدرب في علم العربية».

ومنها: «بهجة المحافل بالتعريف برجال الشمائل». انتهى.

قلت: وله «حاشية على شرح جامع الجوامع» لم تتم، و«حاشية على مختصر خليل» في الفقه مفيدة جداً، ولما طالع شيخنا أحمد البشيشي حاشيته على شرح النخبة، أعجبه كثيراً، وقال لي: إني ما عرفت قوة مهارته في العلوم، ودقة نظره فيها، إلا من هذه الحاشية؛ لما فيها من غريب الفوائد، وكان يحث طلبته على تحصيلها.

وممن أخذ عنه: ولده عبد السلام، والعلامة يوسف الفيشي، وحسن النماوي، وحسين الخفاجي، وياسين الحمصي، ومحمد البابلي، وعلي

الشبرا ملسي، ومحمد الخرشي، وعبد المعطي المالكي .

وأخبرنا شيخنا إبراهيم الميموني - رحمه الله - : أنه حج سنة أربعين وألف، وكان في تلك السنة صاحبُ الترجمة حاجاً، قال : فلما قدمنا مكة، جاء العلماء يهرعون للسلام عليه، والتماس بركته، فكان إذا سئل عن شيء مما يتعلق بالبيت الحرام أو مكة، يقول لهم : اسألوا مولانا، ويشير إليّ، ويقول : إن له في ذلك تأليفاً عجيباً، يعني : كتابي الذي ألفته لما سقط البيت الشريف، في حكم بنائه وما يتعلق به .

قال : فلما وصلنا إلى المدينة المشرفة، دخلت المسجد النبوي يوم الجمعة، فوجدت الزحام، فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً، هل أرى موضعاً أجلس فيه، وكان المترجم سبقني إلى المسجد، فلما رأيته، أشار إليّ، فجلست إليه، ففسح لي بينه وبين ولده عبد السلام، وأجلسني بإزائه، فلما اطمأن بنا المجلس، سألته الدعاء لي ولأولادي، أن يسلمنا الله، ويبلغنا الوصول إلى بلدنا، فقال لي : أما أنت، فترجع سالماً وأولادك، وأما أنا، فأموت، فقلت له : يا سيدي ! هذه حضرة الرسالة، ادعُ الله أن يبلغك إلى أهلك، فقال : لهذا خرجت .

ولما اشتد به المرض في الدرب، وكان لا يستطيع الركوب، جاؤوه بمحفةٍ ليركب فيها، فلما رآها، تذكّر ما كان يقول له بعض أهل الجذب بمصر، وكان يقف عنده في مجلس تدريسه، ويقول : يا إبراهيم ! إذا حججت وركبت في محفةٍ، فإنك تموت، فارتاع عند رؤيته لذلك، ولم يمكنه إلا الركوب؛ للمشقة التي لحقته، وكان مرضه ييس الطبيعة .

قال : ولما مات من الليل، انقضّ من السماء كوكبٌ عظيمٌ أفزع الناس،

فكبروا، فبينما نحن كذلك، إذ^(١) سمعنا قائلاً يقول: مات الشيخ اللقاني، وكانت وفاته بالشرفة، في رجوعه من ثاني حجته، ليلة الاثنين، ودفن بعد ظهر يومها، بعقبة أيلة، ختام شهر محرم، افتتاح سنة إحدى وأربعين بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس الشيخ أبو الإسعاد بن وفا، وحضر غالب أهل الحج وأعيانهم مشهده، وحمل نعشه أمير الحج رضوان بك، وقبره بها معروف، يزوره الحجاج، ويتبركون به، رحم الله روحه الطاهرة، وألحقنا به في درجات الآخرة.

[٦٤١] إبراهيم بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الرحمن الميموني الشافعي^(٢).

الشيخ الإمام، العلامة الفهامة المحقق، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، وخاتمة المحققين، كان فريد عصره في علوم التفسير والعربية، حافظاً مفناً متضلعا من العلوم العقلية، مشهوراً بالعلم عند الكبراء، خصوصاً القضاة وأرباب الدولة، مترفهاً في عيشه، كريم النفس، رقيق الطبع، حسن الخلق والخلق، فصيح اللسان، وجيهاً مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة.

وإذا حضر مجلساً فيه علماء، يكون هو المتكلم من بينهم، والمشار إليه فيهم، وكانت قضاة العساكر بمصر، إذا عرض لهم مهمٌّ من سؤال علمي، خصوصاً التفسير، سألوه، فيجيبهم عن سؤالهم، ويؤلف في غالب المسائل

(١) في الأصل: إذا، والصواب ما أثبتناه.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

رسائل مفيدة، وكان ممن جمع الله له حسن التقرير، وتحبير التأليف والتحرير، إلى غير ذلك من الكمالات العلمية.

ولد سنة إحدى وتسعين وتسع مئة - بتقديم التاء فيهما - بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، على سيف الدين البصير المقرئ، ولازم والده، وأخذ من علومه طريفه وتالده، سنين عديدة، وكان يحضر معه - وهو صغير - دروس الشمس محمد الرملي، وأجازه بمروياته، وأخذ عن أبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، ومنصور الطبلاوي، وأحمد المتبولي شارح «الجامع الصغير»، وغيرهم، وأجازه جل شيوخه، وشهدوا له بكمال الفضيلة، كما رأيت ذلك بخط بعض شيوخه.

وكان يدرس في الجامع الأزهر فنون العلوم العربية، وممن حضر مجلسه في بعض «المختصر للسعد»: شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وكان المترجم يفتخر بذلك، ثم وقع بينهما ما يقع بين المتعاصرين، وكان - في الغالب - ينكت على شيخنا.

وقد قال الحافظ ابن حجر: قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، قال: وما علمت عصراً سلم أهله من ذلك.

وممن لازمه، وأكثر الأخذ عنه: شيخنا خاتمة اللغويين والأدباء، عبد القادر البغدادي، وفقه الحنفية في عصره، شاهين الأرمنائي.

ثم ترك التدريس في الجامع الأزهر؛ لكبره، وصار يقرئ في بيته، عند حوض السلطان، بقرب الجامع الأزهر، كل يوم، من طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، فنون العلوم، وكان ملازماً للمطالعة في الليل والنهار، مع كبر سنه،

وكان له ولدٌ فاضلٌ اسمه أحمد، وهو معيد درسه، مات قبله بنحو ثلاثة أشهر،
وجزع عليه كثيراً، وكان بيني وبينه مودةٌ شديدةٌ، وصحبةٌ أكيدةٌ، وحضرت
مع من حضرني، مجلس التعزية، فخاطبني متوجعاً ومنشداً قول المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجدتُ لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلاً

وحضرت دروسه كثيراً، وكان يدعو لي، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل
في فنون العلوم شهيرة، منها: «حاشيةٌ على المواهب اللدنية للقسطلاني»،
و«حاشيةٌ على المختصر للسعد»، و«حاشيةٌ على تفسير البيضاوي»، و«معراج»
في مجلدٍ ضخيم.

واستمر ممتعاً بحواسه، مجدداً في بث العلم ونشره، حتى توفي ليلة
الثلاثاء، ثامن عشر شهر رمضان، سنة تسع - بتقديم التاء - وسبعين - بتقديم
السين - بعد الألف، وصلى عليه يومها بين العصرين، في مشهدٍ حافلٍ بالجامع
الأزهر، إماماً بالناس، شيخنا منصور الطوخي، ودفن بتربة المجاورين.

والميموني: نسبة لميمون من بلاد صعيد مصر.

ولما قدم العلامة عبدالله بن محمد العياشي من المغرب، لازمه، وأخذ
عنه، وكتب له مهتماً بعيد الفطر قوله:

سلام عليكم أيها الأوحْدُ الصدرُ	ومن شرفت قدراً بتشريفه مصرُ
ومن أشرق شرقاً وغرباً علومه	فكان له في نشرها الصيتُ والأجرُ
ومن إن يُقس أهلُ العلوم به غدوا	كنجم السهي في جنبه وهو البدرُ
يدل على هذا ذكاء وفطنة	وعلم وحلم والمهابة والصبرُ

له إلى غير هذا من خصال حميدة
فأكرم بإبراهيم أفضل من علا
إمامي أبي إسحاق خير مشايخي
أيا شيخ الاسلام الذي عز مثله
هنيئاً لك العيد السعيد ومثلكم
فلا زلت ذا أمين يسرّك دائماً
وأبقاك ربي كعبة لعباده
وعافاك في أهل وجسم وكل من

سواها وما قدّمت منها هو النزر
عليّ مقام قد أحاط به الفخر
علا قدره في عصره من له قدر
علوت مقاماً شامخاً دونه النسر
تُهنيّ به الأعياد والعام والشهر
ويعلو محياك المهابة والبشر
يطوف بها من مسّه الجهل والفقر
يلوذُ بكم من شرّ ما يجلبُ الدهر

وذكره الشيخ عبدالله المذكور في «رحلته»، فقال: إنه ممن انفرد بتحقيق
فني المعاني والبيان، بالديار المصرية، بل في غيرها، على ما شهد به
الاختبار، وصدفته الأخبار، يستحضر قواعد الفن وأصوله، محققاً فروعه
وفصوله، قلما يورد بحثاً من الأبحاث المتعلقة بذلك، إلا وقال: أصل هذا
البحث لفلان، وقد عارضه فلان، والتحقيق مع فلان، منصوراً ذلك بالبراهين
الساطعة، والأدلة القاطعة.

أخبرني في سنة أربع وستين، وقد جرى ذكر هذا الفن بين يديه، فقلت
له: هل يشتغل أحد في هذه الديار الآن بقراءة «شرح المفتاح»؟ فقال - وأخذ
بلحيته -: ما أشاب هذه اللحية، إلا التوفيق بين شرحي السيد والسعد على
المفتاح، وكان ذلك حيث القلوب من الأكدار صافية، ویرود الاشتغال ضافية،
وأما الآن، فقصارى همة من يتعاطى هذا الفن، «مختصر السعد»، وما يشاكله
من المختصرات.

فقلت له : وأي كتاب ترى لطالب تحصيل هذا الفن الاشتغال به؟ فقال لي : لا شك أن درر هذا الفن كانت متشرة في تأليف الأقدمين، فقُصُرَتْ عن تناولها أيدي المنتحلين، فلما جاء صاحب «المفتاح»، جمع من تلك الدرر كل يتيمة علت قدراً، وغلت قيمةً، وأضاف إليها مما ارتضاه شيئاً كثيراً، ولم يغفل من المحتاج إليه إلا شيئاً يسيراً.

فتنافس الناس بعده في شرح كتابه، وحلُّ مقفلات عباراته، واختلفت أنظارهم، وتباينت مذاهبهم، ثم اختصره القزويني، وأوضح مختصره بـ: «الإيضاح»، فكثر - أيضاً - شارحوه، فلما جاء المولى سعد الدين - رحمه الله تعالى -، ضرب تلك التأليف كلها بعضها ببعض، واستخرج من زبدها - بعد التمخيض - خالصَ المخض، فأودع ذلك في كتابه «المطول»، فهو نتيجة آراء المتقدمين، وزبدة أنظار فحول المتأخرين.

فالمبرز في هذا الفن اليوم : من يحقق أبحاثه، ويدقق النظر في أنظاره، وقد أكثر الناس من الحواشي عليه، والحواشي على الحواشي، و«الشرح الأطول» للملا عصام الدين جامعٌ لغالب النكت التي تضمنتها تلك الحواشي، مع زيادة تحقيق، وتبيين وتدقيق.

هذا زبدة معنى كلامه - رحمه الله تعالى -، وهو مما يدل على أنه صيرفي نقود هذا الفن، وإمام أهل هذه الصنعة بالتحقيق لا بالظن، فكيف لا، وهو المرجع إليه، في بيان مشكلاته، وحل مقفلاته.

ومما يدل على ما ذكرنا من انفراد شيخنا بتحقيق هذا العلم : أنني كنت رأيت قبل هذا بأرض المغرب، عند أخينا الفقيه النبيه سيدي أبي عبدالله محمد

المنقوشي - جدد الله عليه ملابس غفرانه، وأحله دار رضوانه - مجموعاً بخط مشرقى، كان في الأصل ملكاً للشيخ ياسين الحمصي، مشتملاً على أسئلة وأجوبة في فنون شتى .

ومن جملتها: سؤالٌ مكتوبٌ في أوله: سؤالٌ من الشيخ الإمام العالم المحقق أبي العباس شهاب الدين أحمد الغنيمي، للشيخ العلامة الدراكة المحقق أبي إسحاق إبراهيم الميموني، ثم ساق الجواب إلى آخره، معزواً للمسؤول المذكور، مشتملاً على تحقيق وتدقيق، فكنت أتوقف أنا وصاحبنا المذكور في كون المجيب المسؤول هو: شيخنا هذا؛ لما علم من جلالة الشيخ الغنيمي، وقوة عارضته في العلوم، سيما المعقولية، مع تقدم زمانه؛ بحيث يكون شيخنا في عداد تلامذته .

ولم يزل في نفسي من ذلك شيء، إلى أن لقيت الشيخ - أمتع الله ببقائه -، وجرى في المجلس ذكر ما أشبه، فسألته عن السؤال والجواب، فقال لي: إن ذلك صحيح، وقال: إن الشيخ الغنيمي كان يجلني كثيراً، وكان - مع تبخره في العلوم، وجودة قريحته في الفهوم - إذا وقع محل تدريسه بحثاً أو إشكالاً بما ينحو منحى هذه العلوم، كتب إليّ بذلك، فأجيبه مما عندي، فيستحسن ذلك، وهذا شاهد صدق فيما نسبناه لشيخنا من التحقيق؛ إذ كل من ينسب إلى التحقيق - في غالب العلوم اليوم بمصر - يتبجح بكونه من تلامذة الشيخ الغنيمي، وشيخنا إليه يرجع الغنيمي في حل المشكلات .

وقد حكى لي شيخنا حكايات كثيرة من أخبار الشيخ الغنيمي، وذهابه إلى الروم ورجوعه وما وقع له من المحن، وذكر أنه اختلط في آخر عمره - رضي الله عن جميعهم، وأرضاهم، ونفعنا بهم، وأتحفنا برضاهم - .

لطيفة: حكى لنا في مجلس تدريسه: أن الشيخ العلامة سعد الدين لما ألف كتابه «المطول»، وكان - كما ذكر في الخطبة - على حالٍ ضيقٍ من معيشته، وقلة ذات اليد، مع شدة الاحتياج إلى ما يقيم به أوده، ذهب بالكتاب إلى الأمير المذكور في الخطبة، رجاء أن يحصل من جانبه ما يستعين به على دهره، وكان عند الأمير خوجةٌ له خبرة بهذا العلم، وهو من خواص الأمير، فخشي العلامة سعد الدين إن قدم الكتاب للأمير مع حضور الخوجة، أن يصرف وجه الأمير عنه، ويطعن في كتابه؛ لما علم مما يكون بين أرباب الصنعة الواحدة، فجعل يرتقب غيبة الخوجة بسفر، أو عرض، أو موت.

إلى أن حصل للخوجة عارض مرضٍ، فاغتنم^(١) العلامة السعد ذلك، ودخل على الأمير، وأحضر الكتاب بين يديه، وفرح الأمير، وقال: أرسلوا للخوجة ليحضر الآن، حتى ينظر في هذا الكتاب، فسقط في يد السعد؛ لما كان يخشى من جانبه؛ من الطعن عليه، والإزراء بكتابه، فلما جاءه، ونظر الكتاب، طار به فرحاً، وبالف في الثناء عليه، وعلى مؤلفه، وقام وقبل يد الشيخ سعد الدين، وقال للأمير: لو لم يكن في سلطتك من المفاخر والمناقب، إلا قدومُ هذا الشيخ لحضرتك، وكونُ هذا الكتاب برسمك، وقد كنت هممتُ أن أطلب منكم الإجازة في الذهاب إلى هذا الشيخ، والأخذ عنه، ومن سعادة دولتكم أشخصه الله إلينا.

قال: فجاءت المنن من حيث تخشى المحن، وبالف الأمير في تعظيمه، والإنعام عليه.

(١) في الأصل: اغتنم.

وقد حصلت للشيخ سعد الدين آخرًا حظوةً عظيمةً، ورياسةً كبيرةً، عند أمراء العجم بأصفهان وخراسان، وسائر بلاد عراق العجم، فصارت عتبه ملتأم أكابر علماء تلك الديار، وشُدَّت إليه الرحال، وصارت له دنيا عريضة، بعد أن كانت حاله أولاً على الضد من ذلك، وتلك سنة الله تعالى في حملة العلم الشريف، وإن ضيق عليهم أولاً، فمآل أمرهم - سيما إن خلصت منهم النيات فيما حملوا، وعملوا بما علموا - إلى التعظيم والتوقير، وحسن الحال في المآل.

لطيفة: وسمعت منه - أيضاً - في مجلس تدريسه: أن العلامة ناصر الدين البيضاوي - قدس الله سره - لما أَلَفَ تفسيره المشهور، وأكمله، ذهب به إلى السلطان ببغداد، فمر بطريقه بقرية فيها بعض المشايخ، فنزل عنده، وأضافه، وجلس يتحدث معه، إلى أن قال: أين قصدك؟ قال: إلى بغداد، قال: وما تريد منها؟ قال: صنفت تفسيراً بذلت المجهود في تنقيحه وتهذيبه، ولي بنات قد أدركن، فاحتجن إلى تجهيزهن، ولا مال لي، فأردت أن أذهب إلى الملك، عسى أن يحصل لي من عنده ما استعين به في جهازهن، فقال له ذلك الشيخ: بم فسرت قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؟ قال: فسرتُه بأننا لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، فقال له: كيف تستعين بغيره؟ فأثر كلامه في قلب البيضاوي، وتنبه، ورجع من حيث جاء، ولم يذهب إلى بغداد، فمن أجل ذلك وضع الله القبول على كتابه، فانتال العلماء من كل جهة يأخذونه عنه، وحصل له نفعٌ كبيرٌ. وقال:

لطيفة: سألت شيخنا الميموني: متى انقطعت الخلافة العباسية من مصر؟ إذ لم أر ذلك مع البحث عنه في مظانه، فقال لي: لما دخل بنو عثمان

مصر، أمر السلطان سليم بقتل من فيها من الخلفاء وأرباب الطوائف؛ كمشايع
الرفاعية والبدوية؛ لأن الغوري لما خرج لقتاله، أخرج معه الخليفة والعلماء
والصلحاء، يستنصر بهم عليه، فلما دخلها، قتل كثيراً منهم، حتى المجاذيب.

قلت: وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته»: أن السلطان
لما دخل مصر، قتل كثيراً ممن فيها من المجاذيب وأرباب الأحوال، وذكر
عن بعض أهل الأحوال: أنه كان يخبر بذلك قبل وقوعه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا
مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ
الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

ولله في ذلك سرٌ لطيفٌ يعلمه أهل البصائر، زائد على امتثانه على أوليائه
بمرتبة الشهادة ونيل السعادة، وقد خلف هؤلاء المشايخ بعد قتلهم من هو
في مثل حالهم ومقامهم، وثابت على أقدامهم، فلم تنقطع - والحمد لله -
الورثة المحمدية، ولا الخلافة الباطنة بموت من مات منهم، وليس لما تبني
يد الله هادم.

فقد ذكر سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الواقع الأنوار»
ممن بقي بمصر بعد ما قتل أولئك جماعة كثيرة، تقر بهم عين كل مؤمن
بطريقهم، متبع لفريقهم، من ضحاة ومجاذيب أصحاب أحوال وتصريف
عظيم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]،
وقال:

لطيفة: لما سقط جانب من البيت الحرام، في سنة تسع وثلاثين،
واحتيج إلى تجديد بنائه، كُتب إلى مصر استفتاء في أمور كثيرة، تتعلق بالبيت

العتيق، وإنقاضه وتجديد ما سقط منه، أو بنائه من أصله، ومن يتولى بناءه، وبأي مال يبني، وهل يبادر إلى ذلك، أو ينتظر إذن السلطان؟ إلى غير ذلك من أمور كثيرة تتعلق بالمسجد الحرام.

فتصدى شيخنا الميموني للجواب عن ذلك، فألف كتابه «تهتة الإسلام ببناء بيت الله الحرام»، فاستوعب فيه الكلام على تلك المسائل، وأضاف إليها أمثالها من الفوائد المتعلقة بذلك؛ من الكتب التاريخية، والتحقيقات الفقهية، فجاء كتاباً حافلاً، لجانب كثير من العلوم شاملاً، وقد كتبت له على ظهر نسخته تقريراً حسناً، من جملته هذه الأبيات:

لله روضةٌ علمٍ أنبتت حِكْماً	وطيبت لشذاها البيتَ والحرمَا
قد جمعت موجبات المدح إذ جمعت	ما كان جوهر في غيرها انقسما
نزة جفونك فيها واقتطف ثمرًا	من دَوْحها وانتشق زهرًا بها ابتسما
نظمت في سلكها ما كان منتشرًا	في غيرها من لآلي العلم فانتظما
جلت محاسنها عن أن تعدّ ولو	أفנית في عدّها القرطاسَ والقلما
لله درُّ إمام حاك حُلَّتْهَا	شادَ بها من بناء الدهر ما انهدمَا
جزاه ربُّ الورى خيرًا وصَيَّرَه	بحرمة الله طولَ الدهر محترمَا

قال لي ﷺ: لما فرغت من تأليفه، وأكملته في سنة أربعين، قلت: اللهم إني أتقرب إليك بحرمة بيتك الحرام بهذا الكتاب، فاجعل جائزتي عليه أن تيسر لي حج بيتك الحرام في هذه السنة. قال: وليس لي في ذلك الوقت مالٌ أحج به، وأنا ذو عيال، فلما قرب وقت الحج، بينما أنا ذات يوم، إذ بعث إليّ الأمير رضوان أمير الركب، فقال لي: أريد من فضلك أن تحج معنا

هذه السنة، وعليّ سائر ما تحتاج إليه من المؤنة في سفرك أنت وأولادك، فعلمت أن الله تقبل دعائي، فتجهزت للسفر بأولادي ونسائي، وكل من معي، فهباً لي الأمير ما نحتاج في السفر؛ من الإبل، والمحاف، وغير ذلك؛ بحيث بلغت النفقة من عنده في حجتي نحو ألفي قرش. وقال:

لطيفة: لما جئت لوداع الشيخ الميموني، كتب بعض أقاربه «لا إله إلا الله» في رق، وكتب في إزائه «محمد رسول الله»، وفصل ما بينهما بمقص حتى بقي منه شيء قليل، فأمرني أن آخذ إحدى القطعتين، وأخذ الشيخ الأخرى، وقطعناهما ما بيننا نصفين، وقال لي: تحفظ على القطعة التي عندك، وأنا على التي عندي؛ فإن اسم الله واسم حبيبه إذا تفارقا، فلا بد^(١) أن يجتمعا بفضل الله تعالى^(٢).

قلت: وكان هذا تلميحاً من قوله تعالى في الحديث القدسي «لا أذكر إلا ذكرت معي»، فإذا اجتمعت البطاقتان، انجمع من هما عنده، وهو المقصود، وقد صدق الله العظيم تعالى ذلك في وقعتنا، فرجعنا من الحجاز، بعد مجاورة سنة، ووجدنا الشيخ - والحمد لله - سالماً في نفسه، ولم أجد قريه الذي كتب ذلك، وكان فعل ذلك حرصاً على حياة الشيخ؛ رجاء أن يعيش حتى نرجع من الحجاز؛ لما كان يتخوف عليه من هجوم الحمام؛ لكبر سنه، مع كثرة الأمراض الوبائية إذ ذاك بمصر، ولم يتخوف ذلك على نفسه، وفي مثل ذلك قيل:

(١) في الأصل: لا بد.

(٢) وهذه البدعة لازال كثير من الناس يعتقدوها، ويعمل بها في وقتنا الحاضر.

وقبلك داوى الطبيبُ المريضَ فعاش المريضُ وماتَ الطبيبُ

[٦٤٢] إبراهيم بن يوسف المهتار المكي الحنفي^(١).

شاعرٌ حسن الشعر، حلو المقطعات، له من الأبيات ما يُستظرف معناه،
ويُستحلى مغزاه، ويتغنى شذاه، برع في الفنون الشعرية، وجمع مجاميع لطيفة
أدبية، وقفت على كثيرٍ منها بمكة - شرفها الله -، وكان في عصره من أشهر
المكيين في الشعر، وله مجاميع كثيرة، وديوانٌ كبيرٌ.

توفي بمكة في حدود سنة سبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة - رحمه
الله -.

ومن شعره قوله :

وَحَقُّكَ مَا لِمَنْ جَانِي صَنِيعٍ لَأَنِّي لَسْتُ رَاجٍ مِنْهُ مَنَّا
بَلَى مَنْ زَارَنِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَنْ قَدْ فَاتَنَا يَكْفِيهِ أَنَّا

وقوله :

فَدَيْتُكَ لَا تَظُنَّ الرَّاحَ يَجْلُو هُمُومِي فَالْحِشَاءُ فِيهِ كَلَامُ
ضَنِّي جَوَانِحِي مِنْ صَرَفِ دَهْرِي فَرَّادَ مَا تَسْلَاهُ الْمُدَامُ

وقوله :

إِنِّي إِذَا كُنْتُ صِفْرَ الْكَفِّ فِي وَطْنِي أَيقَنْتُ أَنِّي غَرِيبٌ فِي حِمَى شَنْعِي

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٤٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٥٣ / ١)، «نفحة
الريحانة» للمحبي (٢١١ / ٤) (٣٠١)، «هدية العارفين» (٣٣ / ١)، «الأعلام»
للزركلي (٨٢ / ١).

وإن تغربتُ والدينارُ يصحبني

لم أدِرِ ما غربَةُ الأوطانِ وهو معي

وقوله :

بقلبي سيفُ اللواحقِ سَنَّةٌ
غزالٌ من العربِ النازلين
ظبياً إذا ما جررنا الذيولَ
إذا ما نشرنَ دياجي الشعورِ
وإن سفروا من خلالِ الخُذورِ
بحيٍّ به حلَّ قرعُ الدفوفِ
فكم من صريعٍ بأكنافهنَّ
يمنعنا الخوفُ من أهلهنَّ
حمون منامي عن مقتلَي
فهن اللواتي ملكنَ الحشا
أظبي جهولٌ بأمرِ الهوى
كحيلُ النواظرِ قوتُ الخواطرِ
غزالٌ على الشعبِ جرَّ الذيولِ
إذا ما بدا مقبلاً ثم لاح
يقبلن^(١) أرضاً بها قد مشى

وأفرض وجدي وهجري سُنَّةٌ
برامة حيان الحيا حَيَّهِنَّ
فلم ندرِ أحسنهم أيَّهنَّ
ظننتَ بدوراً بدوا في دُجْنَه
رأيتَ الظُّبَا كأترابهنَّ
وقرعُ السيوفِ وقرعُ الأسنةِ
وكم من قتيلٍ على بابهنَّ
ويُدنيا الوجدُ من قربهنَّ
وأطلقنَ دمعي من بعدهنَّ
ولكنه صَحَّ من بينهنَّ
ولكنَّ حبي لم تجهلنَّ
صادَ القساوِرَ من غابهنَّ
لذاك الشعبِ أضحى مَظْنَه
سعينَ الغواني على هامهنَّ
ويكحلن من ذاك الحاظهنَّ

(١) في الأصل: يقبل.

جميلُ المحيا إذا هو حيًّا
غلامٌ كبدٍ عليه أتت
صغيرٌ ثنياه من نسقها
إذا ما تبسم قال الوشاةُ أبرقُ
فلم يدرِ فيها وحقُّ الإله
تملأ الأراكة من نهلهما
فوا أسفا كم كساني الغرامُ
أهيمُ ولا لي من سلوةٍ
أبيتُ وطرفي نحوَ النجومِ
أجارتنا هكذا فليكنْ
دعيني أجرَ ذبولِ الشبابِ
وأهوى الملاحِ الظباءِ الصباحِ
وأبلغُ قصدي من الغانياتِ
فكفَّ عتابك يا من دنا
فدُخري في الحشرِ حُبُّ الرسولِ
فلإني أرجو بحبي لهم
إلهي كَفَّرَ ذنوبًا مضتْ
وصَلَّ إلهي على المصطفى
كذا الآلِ والصحبِ ما أطربتْ

بكأسِ المحيا فما أحسنه
من العمرِ عشرٌ ولم يوفهِنَّ
حكينَ الدراري في حُسْنِهِنَّ
بدا ذاك أم لمعُ أسننه
سوى عود رآك تهني بهِنَّ
وأحشاي هامت إلى رشفِهِنَّ
جَوَى واكتئاباً وسقماً وأنه
ففي القلب حبَّ الحسانِ اكتمنه
كأنِّي تكلفت في عَدِهِنَّ
مريدُ الغرامِ على غير منة
وأرُفل في حسن أثوابِهِنَّ
على شربِ راحٍ من ذاتِ غُنَّة
وأنزل قلبي في حَيِّهِنَّ
خيولُ الهوى طالعاتُ الأعنة
وبعلِ البتولِ وأبنائِهِنَّ
ليوم المعاد نعيمًا وجَنَّة
فما النفسُ من خوفها مطمئنة
نبيٌّ له أطاعت إنسٌ وجِنَّة
قماري الغصون بتغريدِهِنَّ

وقوله :

جفت حلال المنام مُقلتيّة
وصار جسمي لمن يرى شبحًا
وأحرق القلب حرّ نار جوى
فما تغنى الحمام في غصن
ولما تذكرت جيرة نزلوا
يا جيرة بالشعب هل لبعدكم
أهل ترى البعد بعد غيركم
نأيتم والحشا به حُرّق
فما نسيتُ العهدَ بعدكم
ولستُ أسلوكمُ وحَقَّكمُ
أنا الذي صرتُ فيكم مثلاً
وربّ ليّلٍ طرفتُ حَيَّكمُ
أزور مَنْ في الفؤاد مسكنها
من يسحر الطرفَ حسنُ مقبلها
فمهجتي ما رأت لواحظها
خرعوبةً بالمها لها شَبّة
ممشوقة القَدَّ غادة وأرى
يحمو حماها من الورى فنة

مذ حلّ حبّ الملاح مُهجتيّة
وأضلعي بالسقام مُنحنيّة
وخَدَّدَ الخدَّ حرّ دمعتيّة
إلا وسال الدما بوجتيّة
بالشعب إلا نسيْتُ صحتيّة
حدّ يرى أم تطولُ مُدَّتِيّة
أم هل تحفظوا مودتيّة
فقطرُ الدمع فرطُ حُرقتيّة
ولا تحولتُ عن محبتيّة
هيهات زال الهوى بسلوتيّة
لا فتية بالغرام مُدَّعيّة
أزور في الحيّ ربع مُنيتيّة
من بين كلّ الأنام مُنبنيّة
إذا بدت بالجمال مُرتديّة
إلا وأمست بهنّ مُرتديّة
رعوبةً بالطّبَاءِ مزدريّة
ألحاظها في النفوس معتديّة
للمجد أعلى الثمانِ مشترية

من كل من أرضه مهطمة
 أتيتهما والعيون راقدة
 طرفتها فاستوت فازعجها
 لما رأني رب الجوى علمت
 قالت أما خفت قوما فلقد
 فقلت إن المحب مهجته
 فعند قولي غدت تقول إذن
 أهلاً بمن زارنا ومهجته
 سباه حسني فبات في قلبي
 سبحان من في العقول سلطني
 فبت في ليلتي مسامرها
 حتى بدا صبحها ففرقها^(١)
 ما كان بين الليالي أقصرها
 مضت لطيف سري على دنف
 يا ليلة لا تباع في زمني
 قطعتهما والجب يؤنسي
 من بعدها سائر الليالي بها
 ونفسه للكمال معتلة
 وأنصل القوم غير منتطيه^(٢)
 سقام جفني وقرح أني
 غدت لشي الوساد بمكيه
 خاطرت لما قصدت زورتي
 للحين في الحب غير متقي
 أهلاً وسهلاً وألف مرحبة
 بفرط داء الغرام مرتضيه
 وزارني والعداء ملتميه
 وجل من بالجمال خصني
 فبست فاما النقي عشر ميه
 لا كان صبحاً بدا بفرقي
 كأنها البرق حين لاح ليه
 أحشاؤه بالغرام مبتليه
 شريتها والنقود مهجتي
 ومهجتي بالسرور ممتليه
 جفت حلال المنام مقلتي

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: منتضيه.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ففرقنا.

وقد عارضها الأديب إبراهيم بن مشعل بقوله :

كم مهجة بالغرام منسية	وما لمن يقتل بالغرام دية
فليحذر الحب كل محترس	به فيه الحتوف منطوية
وفي ربي شغب عامر رشا	له عيون بالسحر ممتلية
في حسنه والجمال منتهيا	وعشقتي فيه غير منتهية
كم حسن شمس عليه مشرقة	منها بدور التمام مختفية
إذا بدا مقبلاً ولاح ليه	جعلت منه الجبين قبلية
ما قلت فيه انتهت صباية	إلا وعادت إلي وهي مبتدية
لي مهجة غرها بغرته	أهاله غر صاد غرته
وما هداني بصبح طلعتنه	إلا بليل الشعور ضلته
فجذا ذاك الضلال به	لمهجة بالضلال مهتدية
أهم بالانشا عنه إلى	أن تبد لي بعطفه مثية
وأرجع الوجد لي بأجمعه	أضل في صبوتي وجيرته
وأغيد ذبت من محبته	ونفسه بالجمال ملتية
لجيني اللون أحمر ترف	خلقتنه بالجمال مستوية
عيونه بالحلا مكحلة	وذاته بالجمال مكتسية
قد اعتنى بالبها وروحي عن	وصاله الحلو غير معتية
للحسن في وجنته كل حلى	ماء ونار أحر فكرته
فلم أنل ماء ورد وجنته	ومن لظاها حشاي ملتية

لا تعجبوا إن فنيْتُ فيه هَوَى
 ووجنةٌ بالجمالِ زاهرةٌ
 ورُبَّ خدرٍ طرقْتُ بيضتهُ
 وحولها من حماتها أُسْدُ
 فانتبهت من لذيذِ نومِها
 فقلتُ صبُّ أذبتِ مهجتهُ
 قالت لقد رمتِ مطلباً خطراً
 أما رأيتِ الأسودَ رابضةً
 فقلتُ إن المحبَّ مهجتهُ
 وحبذا يا بنةَ الكرامِ إذا
 فيا حياةَ النفوسِ إني من
 فقلتِ اهلاً ومرحباً بفتى
 وأرشفتنِي رحيقَ ريقِها
 فرُحْتُ نشوانَ من مُقبلِها
 وفي ثنايا نقيِّ مبسمِها
 وما اجتني الشهدَ قطُّ من بردٍ
 فعند ذا أنعمتُ وما بخلتُ
 فذاتُته بالغرامِ مقتضيةُ
 بنرجسِ المقلتينِ محتمةُ
 والليلُ ظلماءُ غيرُ منجليه
 على اضطرامِ الحروبِ مجتريه
 تقولُ من ذا يحلُّ غُرزَتِيه
 بالحسنِ يا بغيتي ومنيتِيه
 من دونه الموتُ يا مُتيمِيه
 أما رأيتِ السيوفَ منتضيةُ
 بالموتِ فيما يحبُّ مرتضيهُ
 بلغتُ في منيتي منيتِيه
 أعشقُ في الغانياتِ مُنتِيه
 يعشقُ الموتَ في محبتِيه
 والنفسُ مني لذاك مشتهيهُ
 وريقِها ما ألدُّ سكرتِيه
 شهدُ عليه النفوسُ محتويه
 غيري فيما ما ألدُّ جنيتِيه
 بوصليها وهي غيرُ مستحيه

وله معرضاً بصاحبي محمد الزنجيلي :

هاتها قهوةَ حوتِ كلِّ أنسٍ فشربن بها رشاً الخدرجبا

واسقنيها صِرْفًا بلا زنجيلٍ إن ذا الزنجيلَ غيرُ مربى
[٦٤٣] السيد إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي بن محمد بن علي
ابن الرشيد^(١).

كان من أعيان الوقت، عِلماً وحلماً، وزهادةً وكرماً، يقل نظيره في
جميع ذلك، وبه في الكرم تضرب الأمثال، نشأ على طريقة سلفه في السمات
والصمت، والعفة والعبادة، وعزف النفس عن المطامع، والرافقة بالمسلمين،
والتقلل من زينة الدنيا، مع تمكنه من ذلك؛ فإنه ربي في الأيام المسعودة التي
فاض ظلها على كل حاضر وبادي، وأثرى فيها الكل، وهو مع ذلك في
بحبوحة ذلك البيت المشيد، فإنه من فصيلة الإمام المؤيد بالله، وبمنزلة الولد
له، ونشأ في حجره، وعمُّ المذكور عمُّ الإمام القاسم، وكان الإمام المؤيد
يخص إبراهيم بمزيد التكريم والتعظيم، وكان الإمام حريصاً على إنزال
الناس منازلهم.

وقرأ على الإمام كتباً نافعةً، وعلى الشيوخ القادمين من الآفاق والملازمين
للحضرة، فما من فن - في الغالب - إلا وقد لقي الجلة من شيوخه؛ لأن
الحضرة كانت مجمعاً للعلماء من الأعراب والأعاجم، وكان له خطٌ حسنٌ
على أسلوب المشق، كما كان لخاله الحسين بن القاسم، ورزق كتباً واسعةً
لم تجتمع عند غيره، وله شعرٌ كثيرٌ.

توفي في سادس عشر رجب، سنة ست وخمسين وألف بـ «شهارة».

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٦٢) (٢).

ودفن في الحجرة، عند قبة الإمام القاسم، بجوار والده السيد العلامة أحمد ابن عامر، المتوفى في صفر، سنة اثنتين وعشرين وألف، وكان عالماً عاملاً فاضلاً، وله بمكة مقامٌ مع بعض علمائها، يقضي له بشرف العلم، - رحمه الله تعالى - ذكره القاضي أحمد بن صالح.

[٦٤٤] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عماد الدين الدمشقي الحنفي.

ركن هذا البيت وعماده، ودرة عقد تتناهى أفراد وأعداده، حديقة روض الإفضال، وحنة إنسان المجد والكمال، ذو أخلاقٍ لو صُورت لكانت لديوان الأكارم عنوان، وشيمٍ لم يسطر مثالها في سفر ولا ديوان، جمع ما لآبائه من المآثر والفضائل، وتجملت بحسن سيرته وجلِّي سريره أخيار الأوائل والأواخر، مع حسن خلقٍ وخلقٍ ولينٍ جانب، وصدرٍ رحبٍ لكل قاصدٍ وطالب، وعذوبة لسان، وكثرة إحسان، وحلم ووقار، ومهابة وعلم، وفضل ملاً إهابه، وبالجمل: فلا يمكن حصر صفاته، ولا يُمل من تكرار محاسن ذاته.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عن والده وغيره من علماء بلده، حتى برع وترعرع، وأجازه شيوخه، ونظم الشعر الحسن الفائق، العذب البديع الرائق، وقد رأيت بدمشق، والنورُ يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعه، وكانت وفاته في حدود سنة سبعين بعد الألف بدمشق - رحمه الله تعالى -.

ومن شعره: قوله يمدح شيخ الإسلام أحمد المقرئ، حين قدم دمشق، ويطلب منه الإجازة بمروياته:

فازت دمشق الشام بالمقري... (١)

[٦٤٥] إبراهيم بن يحيى بن الهُدَى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد
الحجاف^(٢).

كان هذا السيد الجليل من أهل المملكة النفيسة، والرياضة الكلية؛ بحيث لا يروى عنه رواية - في الغالب -؛ لكثرة حفظه للسانه، وإنما يجري مع الأصحاب بالتبسم والاستماع لمقالهم، وإظهار التعجب والاستغراب لما يروى؛ كأنه لا يعرف شيئاً:

فتراه يُصغي للحديث بسمعه ويقبله ولعلّه أدرى به
وكان مع ذلك متقناً لأمر دينه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة، مواظباً
على الجماعة بالمسجد الجامع بـ: «حبوب»، لا يتخلف عنها إلا لعذرٍ عظيم،
وذلك مشهورٌ من حاله، وكان متولياً للقضاء، وقلوبُ الناس راضية عنه؛ لما
يعلمون من صدقه، وإنزاله للناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع.
وله «شرحٌ على المفتاح في الفرائض» أجاد فيه، وقرأه الناس عليه،
وانتفعوا به، وأتى فيه باصطلاحات غير اصطلاحات الأصحاب، ثم جعل
لذلك مقدمة؛ ليعرف الناس منها مقاصده، وله «شرحٌ لأبيات الجعبري في
التلاوة لآي الفاتحة ومخارج حروفها»، وله أشعارٌ فائقةٌ رائقةٌ، وخمّس قصيدة
الصفوي الحلي النبوية التي مطلعها:

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «المقري» بياض بالأصل أربعة أسطر».

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ٩٣) (٢٧).

فيروزجُ الصبحِ أم ياقوتَةُ الشَّفَقِ بدت فهِيجَتِ الورقاءُ في الورقِ
وأحسنَ في ذلكَ كلِّ الإحسانِ، وهي دائرة بأيدي الأدباء بصعدة
وبلادها.

ومما نقله ولده إسماعيل بن إبراهيم من خطه، قال: وأظنه من شعره:

وإذا أسبلَ الظلامُ رُواقا	وهذا معشر به فاستراحوا
فأنا رافع الأكف إلى مَنْ	خطرة القلب عنده إيضاحُ
قائلاً ربَّ أنت أعلم بالحَا	لِ فقيم السؤالُ والإلحاحُ
وإذا اليأسُ رامَ هدمَ رجائي	قال حسنُ الرجاله لا براحُ
ولعمري ما يهدم اليأس ظني	والإله المؤمِّلُ المستباحُ
لو تكونُ السماء والأرض رتقا	أو تحولُ السيوف والأرماح
هذه نيةُ الكرام لعمري	وبها طالما استراحوا وأراحوا
كلما جاءهم من اليأس كاسٌ	فله من رجائهم أفراحٌ ^(١)

مولده في رمضان، عام إحدى وتسعين وتسع مائة، وتوفي وقت
الظهر، يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة خمس وستين وألف، بمدينة
حبوب، وله أولادٌ نجباء، قد أحرزوا قصب السبق في الفضائل بلا مدافعة،
منهم: السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم، علامةٌ محققٌ في الأصول والفروع،
والعربية والطب، مع آدابٍ وحافظةٍ يقل نظيره في ذلك، وقد تولى القضاء
بالحضرة المتوكلية، وله شعرٌ جيد الصنعة، فمن ذلك قوله:

(١) في الأصل: فلهم من رجاهم أقوى نجاح.

لقد آن أن تُعصى النفوسُ الطوامحُ وتروع بالتقوى القلوبُ الجوامحُ
فقد أُنذر الشيب المُلِمُّ وصرحتُ زواجهُ والشيبُ لا شكَّ ناصحُ
أعاتبُ نفسي لا أعاتبُ غيرها على اللهو حتى طوختها الطوايحُ
وأزجر قلبي عن هواهُ بوعظه وهل ربص الكناس بالسوط فارحُ
إلى كم أُرَجِّي عزمةً أنتهي بها إلى الخير والآمالُ غادٍ ورائحُ
ويمنعني من ذاك أمرٌ كتمته ودهرٌ عن الأحرار ناءٍ وجانحُ
فوا أسفا أن لا حياةً لذيدةً ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ

وله في هذا المعنى :

يا فارحَ الهمِّ بتيسيره وكاشفَ الشدةِ والباسِ
خذُ بيدي يا ربَّ وانظر إلى ضعفي وإخبائي وإبلاسي
ولا تكلني يا إلهي إلى نفسي وتديري وإحساسي
فالعجزُ والظلم معاً شيمتي نتيجتا جهلٍ وإلباسِ
وله في الرقائق والإخوانيات ما يفوق ويروق، مع أنها بداية على طرف
الشمام.

قال القاضي أحمد بن صالح : وأرسلت له مفاكهاً، على يد فتى اسمه
عنبر، بقليلٍ من العود الرطب، فأجاب مع الرسول بديهاً :

يا واحدَ العصرِ بلا مريّة ومعدنَ الجود بلا منكَزٍ
أحسنْتَ إذ أرسلتَ يا ذا العُلا هديةَ العُودِ مع عنبر
وله أخ له اسمه يحيى، سيد أبناء وقته علماً وعملاً، يذكّر بالأوائل من

سلفه الكرام في كل طريقة، وهو المتولي للقضاء بـ «حبوب» في عصره، بعد أن كان عزف نفسه عن الخلط، وأراد السكون في شواهد الجبال، فلزم تكليف الإمام، فعاد إلى وطنه، ونشر العلم، وأحيا المعالم، وهو في النحو غاية، وله «شرح على الحاجية» عظيم الشأن، لباب نجم الدين وخلاصته، وهو الآن في الفقه المحلى في برهانه، وله ما يجري مجرى الشرح لنهج البلاغة، وله خطأ عظيم عجيب، قد كتب به غرائب وعجائب، وله شعر في الذروة فيه منهج العرب الأولى، ولهما أخ ثالث من النبلاء، وهذا البيت معمور بالفضلاء في كل عصر، والله يؤتي فضله من يشاء.

[٦٤٦] إبراهيم بن أحمد بن علي العُبالي .

كان عالماً فاضلاً، نشأ في مهاد العلم، مرتضعاً لثدي التقوى، لم يعرف من الدنيا غير العلم وأحبابه، والمذاكرة لأربابه، في صباحه ومساءه، حتى بذّ الأقران، وصار على صغره كبير الشأن، وقرأ العربية وحققها، ووضع على «المغني» لابن هشام، ما يجري مجرى الحاشية، وكان في الفرائض والقسمة والجبر والمقابلة محققاً، وقرأ الفقه، وحشّى بخطه على «شرح الأزهار» حاشيته، ولم تكن له لهجة لغير العلم وأهله، حتى قال بعض العارفين: لم يخلق هذا السيد لغير العلم ولغير الجنة.

توفي - رحمه الله تعالى - ولم يزد عمره على اثنتين وعشرين سنة، وكانت وفاته عند طلوع الشمس، نهار الخميس، سابع وعشرين رمضان، سنة إحدى وسبعين وألف، وجميع قراءته على شيخه وأستاذه عمه السيد العلامة عز الدين ابن علي العُبالي - رحمه الله تعالى -، ذكره القاضي العلامة أحمد بن صالح

ابن أبي الرجال في «تاريخه» .

[٦٤٧] إبراهيم بن علي ابن الإمام يحيى شرف الدين بن شمس الدين
ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى .

كان عارفاً محققاً لعلوم المعقول، مرجعاً للشيوخ فيها، وله ما يجري
مجري التحشية على كتابي نجم الأئمة في النحو والصرف، ومن شيوخه:
والده علي ابن أمير المؤمنين، تخرج به، قالوا: ولبس منه الخرقة الصوفية.
وممن أخذ عنه: الشيخ لطف الله بن الغياث، وفي أول مجلس جلس
بين يده لم يتأهب له السيد حق التأهب؛ لظنه أنه لا يحوجه إلى المراجعة،
وكانت القراءة في الرضى، فلما عرف الشيخ همته وإتقانه، استمهل منه للغد،
وتهاياً له واستعد.

ومن شعره قوله:

لا تعذلوني إذا غلطتُ فقد يفرق في اليمِّ مبتغي الدُرِّ
ما أجدرَ الوهمَ في العلومَ بمنْ يُقارع المشكلاتِ بالنظرِ
مات بـ «شباب»، ودفن بها، وعليه قبةٌ عمرها الأمير أحمد بن محمد بن
شمس الدين .

[٦٤٨] إبراهيم بن المهدي بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم
ابن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن حسن بن الحجاج^(١) .

كان عالماً كاملاً، من عيون أهل زمانه الفضلاء، حبس بـ «كوكبان» مع

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ٩١) (٢٥).

الذين أسروا مع الإمام المؤيد، بحصن «شهارة»، والقصة مشهورة، وانتقل عقب الأسر عام أحد عشر وألف، ودفن في القبة الجامعة لقبور جماعة من الأعيان، وهي قبة المظهر بن شمس الدين، وقبر المترجم عن يسار الداخل، من بابها الغربي، وثالث القبور قبرُ الفقيه الفاضل صلاح بن عبدالله بن داود ابن أحمد الشطبي الموهني العمري، شيخ الإمام المؤيد بالله ومؤدبه، ووفاته في جمادى الآخرة عام خمسة عشر وألف.

وكان من حكماء وقته وعلمائه، وله صناعةٌ في تدبير العامة، ومعرفة الموارد والمصادر على قانون العقل؛ بحيث إن فطرته السليمة في ذلك تذكر بـ «كليلة ودمنة»، و«سلوان المطاع»، وأشباههما، ومن مشايخه: الإمام القاسم ابن محمد، وفي السادة آل الحجاف إبراهيم بن المهدي والد الهادي بن إبراهيم، وهو غير هذا.

[٦٤٩] إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي^(١).

كان من السابقين في الفضائل، والعلماء العاملين الأفاضل، قال ولده العلامة الخطيب القاضي، محمد بن إبراهيم في ترجمته: مولده ليلة الجمعة، ثالث عشري جمادى الأولى، عام سبعة وثمانين وتسع مئة، بمدينة ذمار، قال: وسمعت منه: مسقط الرأس ذمار، وهي من خير الديار.

وتوفي ضحوة يوم السبت، لعشرين خلت من جمادى الأولى، سنة ستين وألف، ودفن بعد صلاة الظهر، في المقبرة المعروفة بجربة الروض،

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٥) (٢٨)، «البدر الطالع» (٢/ ٩٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٠).

بباب اليمن، غربي مدينة صنعاء، ونقل إلى مشهده المزور المشهور، بجنب مسجده بمحروس السعدى، ليلة سابع عشر شوال من تلك السنة، ووجد على حاله لم يتغير شيء من جسده، ولا من كفنه؛ تصديقاً لما ورد في العلماء العاملين: أن الأرض لا تأكل أجسادهم.

وقرأ بمدينة ذمار القرآن، قراءةً مجودةً، والفقه والفرائض والكلام، وطرفاً من العربية، ونظم الشعر الكثير، وحصل شطراً صالحاً من علم الفلك، ومن الغريب: أنه علمه المنازل، رجلٌ مكفوف البصر.

وشيوخه بدمار: والده، والقاضي محمد بن علي السكايدي، والقاضي المعافى بن سعيد، والقاضي محمد بن ناصر الدين الفلكي، ولا زالت تسمو حاله في العلم والعمل، وجميع الكمالات، حتى انتقل إلى صنعاء بأهله، عام عشرة بعد الألف، فاستكمل فيها العلوم.

ومن مشايخه بها: والده، والمفتي، والقاضي أحمد بن معوضة الجري، والفقيه إبراهيم بن يحيى بن حميد، والفقيه أحمد الضمدي، والسيد الحسن ابن شمس الدين الحجاب، والسيد صلاح المصواحي، والسيد محمد بن الناصر، والسيد صلاح بن الوزير، والفقيه عبد الرحمن بن محمد الحيمي الآخر، وأما الفقيه عبد الرحمن بن عبدالله الكبير، فلم يدركه؛ لأن وفاته سنة ثلاث وألف، وغير هؤلاء، وخاتمة شيوخه: القاضي عبد الهادي بن أحمد الحسوسة.

ومما قرأه بصنعاء: النحو والصرف والمعاني، والعروض واللغة، والتفسير والحديث، والأصول والمنطق، وكان له في كل فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى، وأما التصنيف، فاشتغاله به قليل، ألف: «الدر المنظوم في معرفة

الحي القيوم» في سن الصغر، و«حاشية على الثلاثين مسألة»، و«حاشية على الأزهار»، وله السؤالات إلى الإمام القاسم، المعروفة «بالسؤالات الصنعانية»، وآخر مؤلفاته: «الطراز المذهب في إسناد المذهب».

وأما صفاته الشريفة، فلا نطيل بذكرها، وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً، وأجمع فضلاء عصره على زهده وورعه، ووقاره وخشوعه، وجلالة قدره، وشفقته بالمسلمين، وبره بالأقربين والأبعدين، ومواظبة للعبادة، وأمّ بالناس بالجامع، منذ ملكت اليد الإمامية صنعاء، سنة تسع وثلاثين، إلا مدة قليلة، في آخر عمره، عسرت عليه المواظبة لعوائق عديدة.

ولم يعهد عنه أنه مدّ عينيه إلى شيء عرض عليه من زهرة الدنيا، من الدور والعقار وغيرها، مع أن يده العليا في ذلك، وكان يقول: أعظم مفسدة في طلب العلم: الخروج من صنعاء للخريف، وكان في غاية اللطافة للطلبة، وهم له في غاية المهابة، وإذا سأل أحدٌ منهم سؤالاً ركيكاً، وجهه له أحسن توجيه، وقال: مراده كذا وكذا، وأما ذكاؤه وحفظه، فمما لا يختلف فيه اثنان، وأما بلاغته، فقد عرفت في خطبه ورسائله، وفتاويه ومحاوراته.

ومن شعره قوله:

يا ربّ إنّي ضعیفٌ	لا ذخّرَ عندي ولا زاد
وقد قُصِدْتُ ضعیفاً	فاصنع معي صنعَ الأجواد

وقوله:

يا سادتي لي عليكم	في كشف ضري مُعَوِّل
وقد علمتم من الحا	ل المختصر والمطوّل

وقوله :

صُرفت عن بابك يا سيدي ظلماً وإِبراهيمُ لا ينصرف
يا عجباً للدهر في حكمه هل من مجيرٍ منه أو متصِف
يمنع منعاً طالبٌ للهدى منكم ويحظى لكم المنحرف
ما سمعتُ أذني بيحرِ غداً يمنع منه من أتى يَغْتَرِف

وابتلي في آخر مدته بولاية القضاء، بمدينة صنعاء، في أواخر خلافة الإمام المؤيد بالله، وأوائل خلافة الإمام المتوكل على الله، وكان يقول: القضاء صناعة العلم جزء منها، ومع ذلك لم يترك التدريس والإقراء.

ولفظ السحولى ليس كما يظن إلى الجهة المعروفة، وإنما سببه أنه وُلد والده يحيى بن محمد في يوم وصول قافلة من السحول، فأطلق عليه هذا اللفظ لهذا السبب، ثم غلب عليه، حتى كادت تنسى النسبة الحقيقية، وهي الشجري - بالشين المعجمة والجيم مفتوحتين والراء - : نسبةً إلى بني شجرة بطنٍ من عنس الحيّ المعروف باليمن، من مشارق ذمار.

ووالد المترجم القاضي العلامة الفارس في علوم الاجتهاد، عينُ الوجود بصنعاء وخطيئها، والولد - كما قيل - سرُّ أبيه، إمام عالمٌ في الأصلين، والنحو والتصريف، والمعاني والبيان، والتفسير والفقه، وله النظم البديع، والروض المريع، وله كل معنى عجيب، أينما توجه في معاني الشعر، ومن أراد الإشراف على شريف صنعته، فعليه بكتاب «ترويح المشوق» للسيد العلامة أحمد بن حميد الدين.

ومن شعره إلى بعض إخوانه قوله :

أُعِيدُ السَّمْعَ مَا حَلَا لِي وَمَا مَرًّا أَحَادِيثَ حَالٍ كُنْتُ فِيهِ وَقَدْ مَرًّا
 زَمَانٌ تَقْضَى بِالْأَمَانِي وَبِالْمُنَى وَلَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا ذَكَرْتُ سِوَى الذِّكْرِ
 بَسْفَحَ اللَّوَى عَصْرَ الصَّبَابَةِ وَالصُّبَا سَقَى اللَّهُ ذَاكَ السَّفْحَ وَالنَّاسَ وَالْعَطْرَا
 مَضَى وَمُحَيَّا الْعَيْشِ أَيْضُ مَشْرِقُ كَأَنِّي بِهِ قَدْ كُنْتُ فِي الْجَنَّةِ الْخَضْرَا
 أَجْرُ ذِيُولِ الْعَجَبِ مِنْ خَفْضِ عَيْشَتِي كَأَنِّي فِي مَلِكٍ وَفِي رَفْعَةٍ كَسْرِي
 يَطَاوَعَنِي دَهْرِي إِذَا مَا أَمْرُهُ وَيَقْسِمُ أَنِّي لَسْتُ أَعْصِي لَهُ أَمْرَا
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ . انْتَهَى .

[٦٥٠] الملا إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري
 الشهراني الكردي، نزيل المدينة، الشافعي^(١).

شيخنا العلامة، الدِّرَاكَةُ الفَهَامَةُ، محقق العلوم على اختلاف أنواعها،
 ومقيدُ شواردها، ومؤهل أطلال المعارف بعد إقواء رباعها، نادرة الأعصار،
 وعديم الشكل في سائر الأمصار، حامل لواء الشريعة والحقيقة، وغائص بحار
 الأنظار الدقيقة، أظهر نوعاً من المعارف لا يدرك أهلُ زمنه جنسه، فصار ملةً
 واحدةً، وطريقه ملة، منزهة عن كل خِسَّةٍ، فهو إمام الأمة، وحبر الملة ﴿وَمَنْ
 يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فقيه الصوفية، وصوفي
 الفقهاء، وعالم الصلحاء، وصالح العلماء، وارث علوم الأولياء، ووارد
 موارد الأصفياء.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٤)، «البدر الطالع» (١ / ١١)، «سلك الدرر»
 للمرادي (٥ / ١)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١ / ١١٧)، «هدية العارفين» (١ / ٣٥)،
 «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٨٧)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٣٥).

ولد في شوال، سنة خمس وعشرين وألف، ببلاد شهران من بلاد الكرد، ونشأ في عفة وصيانة وديانة، وأخذ في طلب العلوم ببلاده، على مشايخ قطره، فقرأ العربية، ومهر في المحتاج إليه منها، وقرأ فنون المعقولات؛ من كلام ومنطق وفلسفة، بأنواعها من هندسة وهيئة وغيرهما، وكان في قراءته لها إذا عرضت مسألة هندسية، لا يتجاوزها حتى يقرأ علم الهندسة ويتقنه، ثم إذا عرضت مسألة من الهيئة، يشتغل بعلم الهيئة حتى يعرفه، ولم يزل كذلك لا تعرض له مسألة تتعلق بعلم من العلوم، إلا وقرأ ذلك العلم، حتى يحيط علماً بمقاصد الكتب، ولم يختمه حتى يحققه، ويحقق معه عدة علوم، وكذلك كان في كل العلوم، لا يرضى لنفسه الاقتصار منها على أدنى نصيب، بل يبالغ في تحقيق علومه.

ثم قرأ المعاني والبيان، وأصول الفقه، وفقه الشافعية، كل ذلك في بلاده، ثم قرأ التفسير - أيضاً - على علماء قطره، وأكثر أخذه واستفادته من شيخه ومريه الملا محمد شريف الكوراني الصديقي، وما ترك شيئاً من العلوم إلا أخذ منه نصيباً في بلاده، إلا علمي الحديث والتصوف.

أما علم الحديث، فقال لي رحمه الله: ما كنت أظن أنه بقي على وجه الأرض أحدٌ يقول: حدثنا وأخبرنا، حتى وصلت إلى بلاد العرب بالشام ومصر والحجاز، وأما التصوف، فكذلك - أيضاً - كنت أظن أن ليس أحد يتداوله بالقراءة والتصنيف والمنازلة بالفعل، إلا ما في بطون الدفاتر، أو ما عند المنقطعين في رؤوس الجبال.

وقد أخبرني شيخنا السيد محمد بن رسول البرزنجي، وكان بلدته، وعليه جل انتفاعه: أن شيخهما الملا شريف المذكور كان يقول: بلغ من قوة حافظة

الملا إبراهيم: أنه لو لمح مسألة في أي كتاب، وغاب عنه سبع سنين، ثم سئل عنها، يقول: هي في كتاب كذا، في صفحة كذا، في سطر كذا، وهذا لعمرى! غاية الإدراك، بشهادة هذا الأستاذ، فإنه أدري به من كل أحد؛ لأن الشيخ والد، والوالد أدري بأخلاق ولده.

ولما استكمل أنواع الكمالات الإنسانية، التي أمكنه اكتسابها في بلاده، خرج من بلاده بعد ما مات والده، وتزوج وولد له قاصداً لأداء فريضة الحج، وسنة الزيارة، ونيته العودة إلى بلده، وكان طريقه على بغداد، فإن بلاده في ناحية الشمال من بغداد، وأقام فيها أياماً، ثم خرج مع قافلة قاصداً مكة، وكان معه أخوه عبد الرحمن، وهو أصغر منه، فمرض أخوه في الطريق مرضاً منعه عن السفر، وعزم على الرجوع إلى بغداد. قال: فلما رأيت عجزه، وعزمه على الرجوع، لم تطب نفسي بتركه وفراقه، مع ضعفه ومرضه، فرجعت معه إلى بغداد، ولم يمكنهما الحج في تلك السنة، فبقي ببغداد.

وطالت إقامته بها نحو عامين، وطلب منه أهل بغداد التدريس. قال: وكنت لا أحسن اللسان العربي، ولا ما أقرأ به في الكتب، فشق ذلك علي، فتعانيته أياماً، فسهل الله ذلك علي حتى لا أبالي، أقرأت بالفارسية أم بالعربية. قال: وكان هناك طلبة من الأتراك، فطلبوا مني أن أقرهم بالتركية في كتبهم، التي هي بلغتهم، وكنت لا أحسن شيئاً منها، فتعلمتها في مدة قليلة، فصرت أقرأ بالعربية والفارسية والتركية، وما كان شيء أحب إلي من اللغة العربية، حتى إنني كنت أطلب من الله تعالى كثيراً أن يرزقني ولداً ذكراً، أعلمه التكلم بالعربية؛ وذلك لغلبة العجمة في بلاده.

ولم يزل في بغداد، على أحسن حال، إلى أن من الله عليه بمحبة كتب

القوم والمطالعة فيها، في مجاورة قطب الزمان، الشيخ عبد القادر الجيلاني، قال: فبينما أنا ذات ليلة، وقد فكرت في أمري وخلوي مما عليه أهل الحق، فصغرتُ لدي نفسي، وعلمت أن ذلك لا ينال إلا على يد شيخ، فسألت الله تعالى عند قبر الشيخ أن يلهمني ما فيه صلاح نفسي، وأن يوجهني إلى حيث يعلم لي فيه الخير، ويجمعني بشيخ أسلك طريق الحق على يديه.

قال: فبينما أنا نائم في أثناء ذلك، رأيت الشيخ عبد القادر رحمته الله في النوم، وهو يشير إلى ناحية المغرب، فاستيقظت، وعرفت أنني أقصد جهة المغرب، ولا أنتهي حتى ألقى من يدلني على الله، أو أجول أقصى العمران من ناحية المغرب، فتجهزت للرحيل من بغداد، وقصدت الشام؛ لأنها في مغرب بغداد.

قال: فلما وصلت الشام، أقمت بها على الحال الذي كنت عليه في بغداد؛ من التدريس، ولقاء الناس بدمشق، وكنت مغرماً بكلام الشيخ محيي الدين بن عربي، وزيارته، ومطالعة رسائله، وحصلت لي مبادي الفتح في فهم بعض كلام القوم.

قلت: وذلك الشأن ببركة الشيخ محيي الدين؛ فقد قال سيدي عبد الوهاب الشعراني - فيما رأيته في بعض تأليفه، ناقلاً عن غيره من المشايخ، مقررًا لما نقل، ومصدقًا به -: إن من خاصية كلام الشيخ محيي الدين: أن المثابر على مطالعته يرزق الفهم في كلام القوم، وحل مشكلاته.

ومصدق ذلك في شيخنا هذا؛ فإنه من أشد الناس كلفاً بمطالعة كتبه الكبيرة والصغيرة، وقد أعطي من الفهم في كلام القوم وحل مشكلاته،

والإحاطة باصطلاحات الصوفية، وفهم إشاراتهم، وكشف أسرارهم، وتميز أذواقهم، ما لم يُعطه أحدٌ ممن رأينا في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن بركة مطالعة كلام الشيخ محيي الدين: اتصل بغوث الزمان، ورئيس أهل العرفان، شيخه ومربيه، الختم الإلهي صفّي الدين أحمد القشاشي؛ إذ كان كلام الشيخ هو السبب في ذلك، وذلك - على ما أخبرني -: أنه وقع كلامٌ بينه وبين بعض أصحابه - أيام إقامته بدمشق - في حل إشكال وقع في بعض كلام الشيخ في «الفتوحات».

فدار الكلام بينهما في ذلك، فقال له صاحبه: إني رأيت في هذه المسألة كلاماً لبعض علماء العصر، من أهل المدينة الشريفة - يعني: القشاشي -، وكان كتب في تلك المسألة شيئاً، فأتاه بكلامه، فلما رآه وطالعه، استحسنته.

قال: فقلت له: يبعد أن يكون في هذا الوقت من يتكلم بهذا الكلام، لعله متحل من كلام بعض من تقدم، فلما قلت له ذلك، أثناني برسالة الشيخ المسماة: «الهالة في ذكر هو والجلالة»، فلما طالعتها، ورأيت فيها ما يهز عقلي؛ مما مُنح الشيخ من العلوم الدنية، والمواهب القدسية، والكشوفات الغيبية، فرجعت على نفسي باللوم، فقلت: لم يبق بعد هذا إن لم تصدقني بمقام الرجل، إلا محض الخذلان الناشئ عن إساءة الظن بعلماء المسلمين، ونسبة الكذب إلى ذي شيبة في الإسلام، ملحوظ عند أهله بعين الإجلال والإكرام، فوقعت في قلبي محبته، واعتقدت تعظيمه وإجلاله.

قلت: وقد رأيت هذه الرسالة، وكتبتها بخطي، وهي كراسةٌ مضمونها: أن الشيخ رحمته الله طاب وقته ليلة من الليالي لورود بعض العارفين لزيارته، فأخذ

يذكر: هو الله، على كيفية بيّنها في الرسالة، وذلك فيما بين المغرب والعشاء، فاستغرق في الذكر، إلى أن حصلت له غيبة مقدار ربع ساعة، أو نحو ذلك، وكشف له في تلك الغيبة من أسرار الملك والملكوت، ومعاني الأسماء والصفات، ومنح من العلوم الوهية، ما بهر العقول سماعه.

فذكر ﷺ في تلك الرسالة أنواع العلوم التي وهبها في تلك الغيبة، والكشوفات التي حصلت له، والإسراءات الروحانية التي مُنحها في تلك المدة القليلة، وذلك شيء يُستغرب وقوعه في هذه الأمصار ممن لم يؤيده الله بمدد التصديق بأهل ولايته.

قال شيخنا: وبعد رؤية هذه الرسالة، لم يبق عندي شك أن صاحبنا هو الفرد في وقته، وأنه طلبتي التي كنت أطلبها، وإليه أشار الشيخ عبد القادر؛ إذ نحو إشارته وجدت أخباره، واتضح أمره، ولا يلزم من صدق رؤيائي للشيخ عبد القادر أن تكون إشارته إلى محل وجوده، بل ولو إلى محل وجود خبره.

قال: ثم أخذت في مكاتبة الشيخ من دمشق إلى المدينة، فأتتني كتبه بما يزيدني وثوقاً ويقيناً بأنه البغية، وأقمت بدمشق قريباً من أربع سنين على هذا الحال، إلى أن أتاني كتابه يأمرني بالقدوم، فتجهزت للرحيل من دمشق، وخرجت منها قاصداً مصر، فمررت بالقدس والخليل، وزرت، فذهبت إلى مصر، ولم أفرغ للقاء المشايخ بمصر؛ لشغل القلب بما أنا به من القدوم على الشيخ.

ولم ألق من مشايخ مصر المشهورين بها، إلا الشيخ شهاب الدين الخفاجي، والشيخ سلطان المزاحي، أما الشيخ شهاب الدين، فسبب اجتماعي

به : أني كنت - إذ ذاك - آخذاً في تأليف كتاب «إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله»، فأشككت علي مسألة، ووجدت النقل فيها عن «كتاب سيبويه»، وتوهمت أن فيه تحريفاً، فأردت تصحيح النقل من نفس الكتاب، فسألت بمصر، فقليل : لا يوجد إلا عند الشهاب الخفاجي، فذهبت إليه، ورحب بي، وأخرج لي الكتاب، ووجدت النقل منه على نحو ما توهمت، فصححت النقل منه، وفرحت بذلك غايةً، وكانت تلك طلبتي، ولم تكن همتي الرواية.

وكنْتُ أقول في نفسي : أني متوجه في طلب هذا الأمر الذي أنا بصده، وأنا عازمٌ على ركوب البحر إلى مكة، فربما غرقت فيه، فلا يبقى مني من يقول : حدثنا وأخبرنا، فأكون قد ضيعت وقتي بشيء لا أدري هل يحصل المقصود منه؟ وشئت إرادتي بما ليس من شكلها، فأعرضت عن طلب الرواية، وما هو من شكلها من ملاقة علماء الرسوم، ولم أتفرغ إلا للزيارة، وقضاء ما لا بد منه من الأوطار.

وأما الشيخ سلطان، فإن بعض أصحابي الذين كنت آلفهم ويألفوني كان من أصحابه، ولم يزل بي يقول لي : يقبح بمثلك أن تحل القاهرة، ولم تلق أحداً من علمائها، ولم تأخذ عن أحد من مشايخها، وله علو سند، وقدم راسخ في الرواية والدراية، ولم يزل هذا شأن العلماء وأهل الفضل إذا قدموا بلداً، أخذوا عمن بها من كبار المشايخ، وكنْتُ أتعلل له بما تقدم، فيقول : هذا مقصد من المقاصد لا ينافي ما أنت بصده، إذا أخلصت فيه النية، فلم يزل بي حتى ذهبت معه إلى الشيخ سلطان، فسمعت عليه بعض أحاديث «الصحيحين»، وبعض «المنهاج»، وأجازني، وكتب لي بخطه الإذن في الفتوى والتدريس والرواية عنه.

ثم توجه من طريق البحر إلى مكة، فحج واعتمر، وسار إلى المدينة الشريفة، فأقام بها، وأتم تأليف كتاب «إنباء الأنبياء» بها، وذلك سنة اثنتين وستين بعد الألف، ولازم بها أستاذه ومريه الشيخ صفى الدين أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه الطريق، واعتنى به الشيخ الاعتناء التام، ثم أقامه مقامه خليفة عنه للذكر والتربية، وإقراء علوم القوم، وتلقين الذكر، وإلباس الخرقة الفخرية الفخرية، وحفظ الكتب الموقوفة بالمسجد الحرام النبوي، بخلوة السيد صبغة الله الحسيني، ثم تلميذه أحمد الشناوي، ثم تلميذه السيد أسعد البلخي - نفع الله بهم -.

وأخذ الحديث عن كثير من علماء عصره، بعضهم بالسمع، وبعضهم بالإجازة من علماء الإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها، وهندها ورومها، وله أسانيد عالية، واعتناء بها تام، وألف فهرساً جمع فيه مروياته وشيوخه ومسلسلاته، في نحو عشر كرارس، سماه: «إتحاف رفيع الهمة بوصل أحاديث شفيح الأمة»، وسماه أيضاً: «مسالك الأبرار إلى أحاديث النبي المختار»، وأرسل إلي وأنا بالقاهرة نسخة منه، كتب لي بخطه عليها إجازة، وألف كتاباً أيضاً في أسانيده سماه: «الأمم لإيقاظ الهمم».

وطريقه - نفع الله به - طريق السلف الصالح حالاً ومقالاً واعتقاداً، وهو - نفع الله به - من الذين إذا رؤوا، ذكر الله سبحانه، وممن جبله الله على أخلاق من مجامع الخير، قل أن توجد في غيره علماً وعملاً، وورعاً وزهادةً، وتواضعاً وصبراً، وحلماً واحتمالاً، وصدقاً وإخلاصاً، وعدم مبالاة بالنفس، يلبس ما تيسر، تاركاً لزي متفقهة الوقت ومتصوفته؛ من تكبير العمامة، وتطويل الأكمام، وإرسال الطيلسان، ولباس الجوخ، إنما يلبس عمامةً متقاربةً،

يرسل عذبتها بين كتفيه، ويلبس من متوسط الثياب ما يناسب وقته، من حرٍّ وبردٍ إذا وجده.

من لا يعرفه في مجلس درسه مع أصحابه لا يميز بينه وبينهم؛ لاختلاطه بهم، ولعدم تصديره، وإظهار التميز عليهم، حتى في كلامه وتقريره للأصحاب، يبدي ذلك على وجه يشبه المذاكرة والمفاوضة، فيقول: لعل كذا وكذا، ويشبه أن يكون كذا وكذا، ترون أن هذا يفهم على هذا، فإذا روجع - ولو أدنى مراجعة -، توقف حتى يتثبت، بيد أن لسانه فيه بعض ثقل في التقرير بالعربية، وإذا كتب، فلا تسل عما يبدي ويعيد في تقريره، عليه مهابةٌ ووقار، لا يفتر ساعة عن الذكر باللسان والقلب.

وأخبرني - قدس الله سره -: أنه دخل أربعين خلوةً أربعينية، ولم يزل إلى أن مات وهو يتعهد الخلوة أياماً، وينقطع للذكر، حتى انتقل إلى رحمة الله ورضوانه عصر يوم الأربعاء، الذي ورد أنه لا يفتح فيه قبر منافق، ثامن عشري جمادى الأولى سنة ألف ومئة وواحدة، ودفن بعد المغرب ببقيع الغرقد.

وله مؤلفات كثيرة، منها: شرحان على عقيدة شيخه أحمد القشاشي، كبير سماء: «قصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل»، وصغير سماء: «زاد المسير والأسفار عن أصل استخارة أعمال الليل والنهار»، و«مسلك الاعتدال إلى آية خلق الأعمال»، و«إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات»، و«تكملة العوامل الجرجانية»، و«تكملة التعريف لكتاب التصريف»، و«الأربعون حديثاً العوالي».

وكتاب «إنباء الأنبا على إعراب لا إله إلا الله»، ابتدأه في بلاده، وفرغ

من تهذيبه وتحقيقه وإكماله، بعد استقراره بالمدينة، وهو كتاب مفيد لم يؤلف في معناه مثله، أودعه من التحقيقات ما لا يوجد في غيره، ومن النكت النحوية، والقواعد الأصولية، والمباحث البيانية، كلّ درة فريدة، وجمانة ثمينة، لم يدع شيئاً يتعلق بإعراب الكلمة المشرفة إلا ذكره، مع زيادة التحقيق والتدقيق، ثم ختمه بأربعين حديثاً في فضل لا إله إلا الله، وذكر سنده في تلقينها، وقد طال بحثه على جمع الأحاديث المذكورة في محالها، حتى من الله عليه بجمعها من مظانها، وبالجملّة: فهو كتاب نفيس محتوٍ على درر العلم، تنافس أصحابنا ومشايخنا في كتابته، وله غير ذلك من الرسائل والحواشي، والأسئلة والأجوبة، التي يضيق العد عن حصرها، وقد جمعت غالبها - والله الحمد والمنة -.

وتلقنت منه الذكر، وألبسني الخرقه، وقرأت عليه من أول «صحيح البخاري» إلى قوله ﷺ: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر»، ومن أول كل من بقية الكتب الستة، وسمعت عليه طرفاً كبيراً من «شرح صحيح مسلم» للنووي، ومن «الدر المثور في التفسير المأثور» للسيوطي، ومن «إحياء علوم الدين» بقراءة الشيخ علي ابن شيخنا أحمد القشاشي.

وقرأت عليه جميع كتاب «النصوص» للشيخ صدر الدين القونوي، وسمعت عليه طرفاً من «الفتوحات المكية» للشيخ محيي الدين بن عربي، بقراءة الشيخ أحمد المغلاني المالكي، وسمعت عليه طرفاً من «مواقع النجوم» لابن عربي بقراءة الشيخ محمد سعيد الكوكتي، وحضور الشيخ أحمد البنا الدميّاطي، وطرفاً من «تفسير البيضاوي»، ومن «الجامع الصغير» للسيوطي، وغير ذلك من مقروء ومسموع، ومفرد ومجموع، وقرأت عليه ما كتبه من

«شرح التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ» للشيخ محمد بن فضل الله البرهانبوري.

وكان أول اجتماعي عليه وقراءة الكتب المذكورة سنة ست وثمانين بعد الألف عام رحلتي للمدينة، وكان دخولي تلك السنة ختام شهر رجب، ورجوعي إلى مكة ختام شوال، وكنت أتعهد الزيارة في غالب السنين، وأغتنم ملازمته، وقدم مكة - نفع الله به - للحج مرات، وكنت لا أفارقه في غالب الأوقات، وكتب لي إجازة حافلة بمروياته، ومن جملة ما أوصاني فيها: أن أستعين بالله في جميع أموري.

وكان مجلسه ﷺ روضة من رياض الجنة، قلما يقرر مسألة من مسائل الحكماء إلا ويدرج فيها ما يشاء، كلها من الحقائق، وعقائد المتكلمين، وهي ما بين كلامهم وكلام العارفين والمتكلمين من التفاوت، ويقول: قاربوا العثر على الحق، ولما يهتدوا إليه؛ لفقدان نور المتابعة والاستضاءة بمشكاة النبوة.

وذلك لأن موضوع العلمين، ومطلوب الفريقين متقارب؛ إذ كل منهما البحث فيه إنما هو القديم منه من الحادث، إلا أن الحكماء تكلموا في ذلك ببضاعة عقولهم المزجاة، فلم يصلوا إلا لحدس وتخمين، وأوهام تستند إلى تجارب وقياسات الغائب على الشاهد، وكل ذلك لا يفيد صريح العلم الذي يثلج له الصدر.

يبد أن الإشراقين منهم معتمدُهم على كشوفات تحصل من الرياضيات الفلسفية، وأذواق وإدراكات وجدانية، تحصل لهم من مصاحبة مشايخهم، وهي - أيضاً - كثيرة الغلط، عظيمة الاشتباه، لا يكاد يُميز فيها الحق من الباطل، وهي طريق الأقدمين منهم؛ كأفلاطون.

وأول من أخرج الحكمة من القوة إلى الفعل، وجعل لهم قوانين تعليمية؛ من منطقي وهندسية: تلميذه أرسطو، وتسمى حكمة هؤلاء: حكمة المشائين؛ لمشيههم حول أساتيدهم^(١)، يتعلمون من ألفاظهم وحكمهم، وتسمى حكمة الأولين: حكمة الإشرافيين؛ لكون مرجعهم إلى ما تشرق به بواطنهم من الحكم، وهي كما قدمنا كثيرة الاضطراب، لأن للعقول حداً تنتهي إليه، والمطلوب وراء طور العقل، والله در القائل:

وللعقول قُوَى تسير بل^(٢) مَدَى إن نَعْدُ ظهرت فيه اضطرابات

وقد أُلّف في كل الطريقين تأليف قديمة وإسلامية، وأحسن التأليف في الأولى: تأليف السهروردي المقتول، المسمى بـ: «حكمة الإشراف».

وأما المليون^(٣)، فالتكلمون منهم بحثوا عن ماهية الوجود، من طريق العقل - أيضاً -، إلا أنهم استندوا إلى النقل - أيضاً -، واعتمدوا عليه، ورفضوا ما لم يكن رده إليه، من أقوال الحكماء؛ كقدم العالم، وتأثير الأفلاك، والقول بالعلة والطبيعة، وغير ذلك مما هو مقرر في محله، ووافقهم في أشياء كثيرة لم يرد نقلٌ بما يخالفها، أو ورد واحتمل.

فأهل السنة يتمسكون بصريح النقل، ويهملون آراء الحكماء، ولا يؤوّلون النقل، والمعتزلة بالعكس، ولأجل ذلك أدخل المتكلمون من الفريقين في كتبهم من أقوال الحكماء وآرائهم ومذاهبهم وعلومهم؛ مما كاد العلمان به

(١) في الأصل: أسانيدهم.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بلا.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: المشاؤون.

أَن يَشْتَبِهَ - أَتَعْنِي : كَلَامُ الْكَلَامِ، وَعِلْمُ الْحِكْمَةِ -.

حَتَّى إِذَا كَتَبَ الْمُتَكَلِّمِينَ : كَتَبَ : «الْحُضُن» ، وَ«السُّعُن» ، مَعْظَمُهُمَا إِنَّمَا هُوَ تَقْرِيرُ مَذَاهِبِ الْحُكَمَاءِ ، فَصَارَتِ الْإِلَهِيَّاتُ وَالتَّبَوَاتُ مِنْهَا جُزْءاً مِنَ الْأَجْزَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ أَبْرَزَهَا فِي قَالِبِ تَقْرِيرَاتِهِمْ وَاحْتِجَاجَاتِهِمْ ، وَإِنْ كَلَّلُوا بِخَالِقُونِهِمْ فِيمَا لَمْ يُوَافِقْ عَلَيْهِ النُّقْلُ . انْتَهَى .

وَمِنْ تَقْرِيرَاتِهِ - نَفَعَ اللَّهُ بِهِ أَيْضاً : أَنْ الْإِمَامَ السَّمَرْقَنْدِي ذَكَرَ فِي تَأْلِيفِهِ لَهُ كَلَاماً يَشْتَمِلُ عَلَى تَقْسِيمٍ عَجِيبٍ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ مَذَاهِبِ الْحُكَمَاءِ الْإِشْرَاقِيِّينَ وَالْمَشَائِئِينَ ، وَمَذَاهِبِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالصُّوفِيَّةِ الْمُحَقِّقِينَ ، وَنَصَّهُ :

الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : طَرِيقُ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ ، وَثَانِيَهُمَا : طَرِيقُ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ وَالْمَجَاهِدَاتِ ، فَالْسَّالِكُونَ لِلطَّرِيقَةِ الْأُولَى إِنْ التَّزَمُوا مِلَّةً مِنْ مِلَلِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، فَهُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ ، وَإِلَّا ، فَهُمْ الْمَشَاوُونَ ، وَالْسَّالِكُونَ لِلطَّرِيقَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهُمْ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ وَالْمَجَاهِدَةِ ، إِنْ وَافَقُوا فِي رِيَاضَتِهِمْ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ ، فَهُمْ الصُّوفِيَّةُ الْمُتَشَرِّعُونَ ، وَإِلَّا ، فَهُمْ الْحُكَمَاءُ الْإِشْرَاقِيُّونَ . انْتَهَى .

وَهُوَ كَلَامٌ عَجِيبٌ تَتَمَيَّزُ بِهِ الْمَذَاهِبُ ، وَهُوَ غَيْرُ مُخَالَفٍ لِمَا قَدَّمْنَا مِنَ الْكَلَامِ فِي مَذَهَبِ الْحُكَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ .

وَأَمَّا الْعَارِفُونَ الْمُحَقِّقُونَ ، فَمُعْتَمِدُهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى النُّقْلِ الصَّحِيحِ ، وَالْفَهْمِ الصَّرِيحِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلٍ مُتَعَسِّفٍ تَقْلِيداً ، وَلَا إِلَى تَخْمِينٍ بِعَقْلِ وَحْدٍ بِفِكْرٍ ، إِلَّا مَا لَا بَدَّ مِنْهُ فِي فَهْمِ الْمُتَقُولَاتِ ، فَيَقْبَلُونَ بِكُلِّيَّتِهِمْ عَلَى صَدَقِ الْمَتَابَعَةِ ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا ، عَلَى طَرِيقِ

الاقتداء، وإفراد الوجهة، وقطع العلائق؛ حتى تشرق أنوار الحق في قلوبهم،
فتفتح لها أبواب الملكوت، فتشاهد بأنوار البصائر وصفاء السرائر، حقائق
الوجود العلوية والسفلية، وتدرك الأشياء الغيبية على ما هي عليه.

ولذلك لا يقع في كلامهم - غالباً - على حقائق الموجودات، ما يخالف
ما أخبر به عنها مخترعها تعالى، ومنشئها على لسان رسوله الأكرم ﷺ، وإن
ظنه من لم يفهم مقاصدهم مخالفاً، فذلك لقصور نظره. على أنهم متفاوتون
في قوة نور البصيرة، ونفوذ الإدراك، وصحة الكشف، فقد يخبر أحدٌ منهم
بخلاف ما أخبر به الآخر، وكلٌّ منهم صادق؛ لأنه أخبر بما أدرك، وفوق كل
ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى الله العظيم، وما أقرب طريقهم من طريق
الحكماء الإشراقيين، لولا ما فات الإشراقيين من نور التوفيق المسبب عن
صدق المتابعة.

ومن تأمل كلام الحكماء العارفين؛ كابن سبعين، والشيخ محيي الدين،
وأضرابهما، على قرب ما بين الطريقتين في المدرك، ويُعد ما بينهما في
المدرك.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة؛ لثلا يستبعد جاهلٌ مزجَ قراءة كتب
الحكماء بكلام العارفين الأصفياء، ولعمري! إن في قراءة كتبهم، وفهم
كلامهم أعظمَ معين على فهم الحقائق لمن وُفق لصدق المتابعة، وأُيد بصحبة
عارفٍ؛ كشيخنا المترجم.

فإنه ما برز على أهل زمانه، ولا فات سائر أقرانه، إلا بذلك؛ فإنه بعد
ما تمهر في فهم المعقولات، وأدرك أقاويل الحكماء، وسبر آراءهم، وُفق

بصحبة عارف زمانه شيخنا القشاشي، فأشرقت أنوار المعارف من مشكاة قلبه، الذي كاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، وكذلك كان الإمام الغزالي رحمه الله كما أخبر عن نفسه، في كتابه «المنقذ من الضلال» بعد ما حقق تلك العلوم بأسرها، وخاض فيها خوض ماهر خريّت، أدركته العناية الأزلية، فصار أمره إلى ما صار.

وأما من لم يُوفق لما وُفق إليه من ذكر؛ من صدق المتابعة، وصحبة العارفين، فهي من أعظم الضرر عليه، توقعه في مزالق الأوهام، ومتشابهات من الأفهام، لا يكاد يتحصل على شيء يشدّ عليه يده، ولا ينكشف له فهم يثق بما أداه إليه إلا سرى به إلى فهم، شأن من ينتقل من كونٍ إلى كون، والأكوان كلها ظلمةٌ وخيالات وأوهام، لا تخرج من وهمٍ إلا إلى وهم.

ومن وُفق، انتقل من كونٍ إلى مُكون، ولا يكون ذلك إلا به، فمن انتقل بالله، وصل إلى الله، ومن انتقل بنفسه وعقله - الذي هو من جملة الأكوان -، لم يصل إلى الكون الذي انتقل منه، والله درُّ العارف ابن^(١) عطاء الله إذ قال: لا ترحل من كونٍ إلى كونٍ، فتكونَ كحمار الرحى، الذي انتقل منه هو الذي انتقل إليه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهْنَ﴾ [النجم: ٤٢].

وجل وتعالى المكون أن يصل إليه أحدٌ إلا بتوصيله، فمن طلب الحق بالحق، وصل إلى صريح الحق، ومن طلب الحق، بغير الحق لم يصل إليه أبداً، وكل ما سوى الله فليس بحق، إنه خيالٌ ووهم، إن فتشته، لم تجد

(١) في الأصل: به.

شيئاً، والحق ليس كذلك .

وحضرته مرةً وهو يقرئ «شرح المواقف» للسيد الشريف لجماعة من الفضلاء في مبحث الوجود، هل هو مقول بالاشتراك على إفراده أو بالتواطؤ؟ وكان - نفع الله به - يقول: كلام السيد في هذا المقام غايةً في التحقيق، قال: وهو أقرب من رأينا من المتكلمين لمذاهب العارفين، وأكثرهم عثوراً على مقاصدهم .

وكان يقول: إن السبب في ذلك: أنه سلك على يد غوث الزمان الشيخ علاء الدين العطار البخاري، أجلّ خلفاء الشيخ بهاء الدين نقشبند، ودخل في طريق القوم على يديه، وترك ما كان عليه من عظمة المدرسين، فأشرقت أنوار المعارف من قلبه، وظهرت عليه بركات صحبة القوم .

وكان رحمه الله من جماعة الملا سعد الدين التفتازاني، ومن أكابر أصحابه، حتى برز عليه في حياته، وكتب على كثيرٍ من مصنفاته كتابةً أبانت عن إنافته عليه في تحقيق العلوم، وقد حصلت بينه وبينه مناظرةٌ في مجلس تمرلنك سلطانٍ ما وراء النهر، فأفحمه، ثم اعتذر إليه بعد ذلك .

وقد أخبرني بعض المشايخ: أن السعد وجماعته، وفيهم السيد، قدموا لزيارة بعض المشايخ العارفين، فلما جلسوا بين يديه، قال لهم ذلك العارف: أيكم يتخلص من هذه الوظائف، ويترك هذه المناصب وجاهه الدنيوي، وأنا أوصله إلى الله تعالى في أقرب مدة؟ فضنّ المولى سعد الدين برياسته، فكانت له رئاسةٌ كبيرةٌ في آخر أمره، وجاءه عند الأمراء، وجلالة قدره عند أرباب الدولة وغيرهم من العامة .

فقال السيد لذلك العارف: أنا أنخلع من رياستي، وأترك هذه الوظائف العلمية، والمناصب الدنيوية، فقبل منه ذلك، وصرف همهته إليه، فانتفع بذلك في أقرب مدة، ولم يسم لي من سمعت ذلك منه العارف الذي سلك على يديه، حتى رأيت في كتاب «الرشحات»: أنه صحب الشيخ علاء الدين العطار، وصحبه أيضاً تلميذه الشيخ نظام الدين الخاموشي، بأمر شيخه علاء الدين رحمه الله، فعلمت أنه هو الذي وقع له معه ذلك.

قلت: وقد فتح الله على السيد باب الوحدة الوجودية، فعرفها حق معرفتها، وألف فيها رسالة فارسية بديعة، وأشار إلى صحتها في حواشي شرح التجريد القديم، ولما رجعت إلى القاهرة، بعد أن جاورت بالحرمين مدة، ألفت شيخنا كتاباً حافلاً سماه: «إفاضة العلّام في مسألة الكلام» أرسل لي نسخة منه - قدس الله روحه - أهداها إليّ، وأمرني بمطالعتها مرات، وقد أجاد فيه كل الإجادة، وقد علّم محلّ هذه المسألة، وعظّم قدرها من علم الكلام، وأنها - لصعوبتها - هي السبب في إضافة هذا العلم للكلام.

ومبني هذا التأليف أولاً: على تحقيق النزاع الذي بين الأشعرية والحنابلة فيه، إلى القول بالحرف والصوت، وادعاء القدم لهما؛ صوناً لجانب القرآن عن نسبة الحدوث إلى شيء منه، ولم يبالوا بما أداهم إليه ذلك من جحد الضرورة والملاحظة في حدوثها وانقضائها.

وقد كثرت المقالة في ذلك بين متأخري الشافعية والحنابلة، حتى أدّى ذلك إلى تضليل كل من الفريقين صاحبه، وبسبب هذه المسألة وغيرها من المسائل التي تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة؛ كالاستواء، والنزول، والقَدَم، والوجه، والعينين، وغير ذلك من أحاديث الصفات، حُكم بتضليل

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية وأتباعه؛ كالعلامة...^(١)، ابن القيم معاصروه من الشافعية؛ كالسبكي، وغيرهم، وتحاملوا عليه، ونسبوه إلى العظائم.

وقد أجاد شيخنا رحمته بالفحص عن كل ما نسب إلى الحنابلة، ولم يقلد في ذلك أهل التحقيق محل النزاع، ونسبة كل واحد منهما صاحبه إلى لازم قوله وتعلقه بظواهر أقواله، وإن كان في صريح كلامه ما يدفع تلك اللوازم، ويحيل عن تلك الظواهر.

ولذلك كتب شيخنا عند عزمه على البحث في هذه المسائل، بإشارة شيخه الصفيّ القشاشي، إلى الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلبي، ثم الدمشقي، وهو - إذ ذاك - كبير الحنابلة وإمامهم، علماً وعملاً وصلاً بدمشق، ليكتب له بمعتقد الحنابلة محرراً مبيناً بأدلته، حتى لا ينسب لهم شيئاً مما لم يقولوا، وأخذ هو في الفحص عن رسائل الشيخ ابن تيمية وأصحابه، فيما يتعلق بذلك، حتى ظفر بما تحرر له من معتقد الحنابلة ومبني طريقهم.

وكتب إليه الشيخ عبد الباقي رسالةً متضمنةً لجميع ما طلب منه بيانه، فحيث أخذ في تصنيف هذا الكتاب، وحرر فيه النظر ودققه وحققه، في مسألة الكلام، ثم في سائر المسائل التي وقع فيها النزاع، ونظر في ذلك نظر من هو منصف متحلّ بجميع الأوصاف.

قال - رحمه الله -: لما أمعنت النظر في رسائل القوم ومصنفاتهم، وجدتهم بُرّاء من كثير مما رمتهم أصحابنا الشافعية؛ من التجسيم والتشبيه،

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «العلامة» بياض».

وإنما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين ؛ كما هو المعروف من حال إمامهم عليه السلام ؛ من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها، والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمه أحد من الأشعرية .

يُبد أن الحنابلة مشدحون في ردّ التأويل في كل ذلك، مجهلون من يذهب إليه ؛ كالأشعرية، فيقولون: الله ورسوله وسلف الأمة أدرى بمعاني الآيات والأحاديث من هؤلاء المؤولين، وما ورد عنهم أنهم أولوا شيئاً من ذلك، فإما أن يكون ذلك لأن معناه خفي عليهم، فكيف ظهر لهؤلاء ما خفي على أولئك؟ وإما لأنها على ما يظهر من معناها ؛ لأن الشرع جاء بلغة العرب، فمراد الله بهذه الألفاظ هي المعاني التي يريد بها منها العرب في لغتهم، وتطلق على كل واحد بحسب ما يليق به .

فالمراد بالاستواء والفوق والنزول، هي: معناها المقصود في كلام العرب، فإذا قلت: زيدٌ فوق السرير، فمعناه: مستقرٌّ عليه، متمكنٌ منه مستقل، ولما علمنا أن زيدا جرمٌ من الأجرام، والسرير كذلك، تحقق لنا أن الفوقية في حقه، واستقراره فوق السرير، يوجب مماسّة له، وتحيزه في جهة من جهاته، وغير ذلك من الأوصاف التي يوجب استقرار جرم على جرم .

وأما المولى - جل جلاله -، فماهية ذاته غير مدركة لأحد من الخلق، فكيف يقول بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسّة له، وتحيزه في جهة ؛ لأن ذلك لازم استقرار الجسم، وأما استقرار من ليس بجسم، فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا، حتى تعلم ماهيته، والماهية غير معلومة .

فنثبت له استقراراً حقيقياً فوق كل عرشه ؛ لأنه أثبتته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بإثبات الفوقانية التي معناها في اللغة التي جاء بها القرآن :

الاستقرار على الشيء، والاستعلاء عليه، على وجه يليق بذاته، لا ندركه الآن؛ لأننا لم ندركه ذاته، بأن استقرارها على شيء وعلوها عليه يوجب المماسّة والتحيز، فقد يستقر الشيء على الشيء بلا مماسّة؛ لاستحالتها من المستقر، وإن جازت في حق المستقر عليه.

وكذلك يقولون في النزول: أن المُحالات المذكورة إنما تلزم من نزول الأجسام من... (١).

والغير، بل نثبته له؛ لأنه أثبتته لنفسه، ونقول: إنه نزول حقيقيّ منزّه عما يطرأ ويقع من نزول الأجسام؛ لأنه ليس بجسم.

وكذلك القول في الاستواء، نؤمن به على ما هو المفهوم من كلام العرب؛ لأنه أثبتته لنفسه بكلام هو من لغة العرب، ولا نقول بما ألزمتونا من الجهة والمماسّة - أيضاً -؛ لأن ذلك في استواء الأجسام بعضها على بعض، وأما استواء من ليس بجسم على جسم، فلا ندرك منه، ولا نعقل إلا أنه استواء، وكيفيته وما يلزم منه لا نعلمه؛ لعدم علمنا بالماهية.

وقد بالغ ابن القيم في الرد على الأشعرية في مثل هذا، وأتى بعبارة سوء، وقال: إنهم تكلفوا في كلام الله تعالى ورسوله، وتنطعوا في فهمه، قال: فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع، فاليهود أمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حنطة، فزادوا النون تنطعاً، وتقولوا على الله ما لم يقله، والأشعرية كذلك، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فتنطعوا وقالوا: استولى، فزادوا اللام تنطعاً.

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «من» الأخيرة من هذا السطر بياض بالأصل».

ولقد أساء - سامحه الله - الخطاب، وتنكب بمحض العصية عن الصواب؛
فإن الأشعرية عليه السلام لم يجحدوا استوى، ولم يمتنعوا من قوله، بل قالوا:
استوى، وبه يقرؤون، ويتقربون إلى الله تعالى، ولكنهم بعضهم أول المعنى
لما رأى الظاهر منه محالاً على الله تعالى، فقال: معنى استوى: استولى؛
لورود اللفظين معاً في لغة العرب بمعنى واحد؛ كقوله:

قد استولى بِشْرٌ على العراقِ من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقٍ

وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت بين الفريقين فيما وقعوا
فيه، وإلا، فالكل على هدى - إن شاء الله تعالى - فيما يظهر؛ لأن المفوض
مسلمٌ لمراد الله تعالى، تاركٌ ما لم يكلف بعلمه، والمتأول متبعٌ لما علم صحته
وثبوته من الكتاب والسنة، حاملٌ عليه ما لم يتضح معناه، حتى تكون العقيدة
كلها على نسقٍ واحدٍ.

ولا يسوغ إلى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب، فيثبته له، فالتأويل لأجل
هذا حسن؛ لأنه حراسةٌ عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده، فإذا سمع قاصر الفهم
استوى، لم يتبادر إلى فهمه إلا المعنى المستحيل، فإذا سمع قول العالم معناه:
استولى عليه بالقهر والغلبة، زالت تلك الشبهة من قلبه.

وهو الذي أولنا به الاستواء، وإن لم يكن هو مراد الله ورسوله، فهو
لا شك معنى ثابتٌ لله، متصفٌ به، لا ينافي ما هو معناه عند الله، فلا كبير ضرر
في ذلك، ولا تحكُّم؛ إذ لم نقل: ليس له معنى إلا هذا، بل نقول: يحتمل
معناه هذا، وهذا صدق؛ لأنه محتمل.

ولقد أطلعني بعض أصحابنا الحنابلة بالقاهرة على رسالة للشيخ ابن

تيمية، وهي مُعتمدةٌ عند الحنابلة، وطالعتها كلها، فلم أر فيها شيئاً مما ينبذ به ويرمى به في العقائد، سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل، وتمسكه بالظواهر مع التفويض، مع المبالغة في التنزيه مبالغةً يقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيمياً ولا تشبيهاً، بل يصرح بذلك تصريحاً لا خفاء فيه.

والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم، ويأخذه بلازم قوله الذي لا يقول به، ولا يسلم لزومه لقوله، وعلى كل حال، فهو كما قال كثيرٌ من المشايخ في الشيخ محيي الدين، قال سيدنا العلامة الشيخ عبدالله بن محمد العياشي: وكثيراً ما كنت أسمع من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر الفاسي رحمته الله يقول: محكمٌ كلامه يقضي على متشابهه، ومطلقه يردُّ إلى مقيدِه، ومجمله إلى مبينه، ومبهمه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلامٍ ظهرت عدالة صاحبه، والله أعلم.

قال: ولقد أحسن شيخنا رحمته الله التوفيقَ بين كلامهم وكلام الأشعرية، كما أن الأشعرية مبرؤون مما نسب إليهم الحنابلة من التعطيل والتحريف لكلام الله تعالى عن مواضعه، والكل على هدى - إن شاء الله تعالى -، متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة، يصدق كلام بعضهم بعضاً، ويصدقون كلهم بكلام الله تعالى ورسوله، وهو مصدقهم.

وإن اختلفوا في التأويل والتفويض، فهما طريقان مسلوكان منسوبان معاً لأهل السنة والجماعة، وإن كثر التفويض عند السلف؛ لعدم احتياجهم إلى ذلك؛ لظهور أهل الأهواء المتمسكين بمتشابه الآيات والأخبار، الحاملين لها قبيح آرائهم، فتعين على أهل السنة والجماعة المناضلين عن الاعتقاد

الحق، تأويلها على ما يوافق الحق، ويبطل^(١) تمسك المبتدعة بها.

ولم يقل أحدٌ من الأشعرية بوجوب التأويل، وأنه لا يجوز الإيمان بالمشابهة على ما هو عليه، بل استحبوا التأويل للغرض المذكور، ولم يخالف عقائد أهل الحق من المقلدين الأئمة الأربعة، إلا طوائفٌ قليلةٌ لا يُعْبَأُ بهم.

كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»؛ فقد قال فيه - عند ذكره للعلماء، في المثال السادس والأربعين - ما نصه:

وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية، وفضلاء الحنابلة - والله الحمد - في العقائد يذّ واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى -، لا يحيد عنها إلا رعاغٌ من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاغٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية، فلم يُر مالكيٌّ إلا أشعريّ العقيدة. انتهى.

قلت: ومن أراد أن ينشرح صدره، ويتبين له تبييناً لا مراءٍ فيه صحة مذهب الإمام الأشعري، وأنه مذهب أهل السنة والجماعة، فليطالع كتاب الإمام أبي القاسم بن عساكر المسمى: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»؛ فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة، وأقاويل السلف والخلف، ما لا يمتري معه عاقلٌ خالٍ من التعصب: أنه إمام السنة، ورئيس الجماعة المضمون لها العصمة من الله.

ولقد قال لي شيخنا المترجم يوماً: ما رأيت مذهباً من مذاهب أئمة المتكلمين، أقرب إلى مذاهب العارفين وأشبه بها، من مذهب الإمام أبي

(١) في الأصل: يبطل.

الحسن الأشعري، فما قال العارفون أهل الكشف في مسألة بخلاف قول المتكلمين، إلا وجدت قول الأشعري أقرب إلى قولهم من قول غيره؛ بحيث يمكن رده إلى قولهم بأدنى تأويل، بل المواضع المستشكلة من كلامه على وفق ما يقوله أهل الكشف.

ولذلك أشكلت على من لم يبلغ مقامه في المعرفة من أهل الظاهر؛ كقوله في الوجود: إن وجود كل شيء عينه، هو عين قولهم بالوجود المطلق ووحدته، وقوله في الصفات: لا هي هو، ولا هو هي غيره، وقوله في الكسب والاستطاعة، كل ذلك لا كبير فرق بينه وبين ما اتضح لبصائر أهل الكشف.

ومن طالع تأليف المؤلفين في عقائد العارفين وإجماعاتهم؛ كالكلاباذي في «التعرف»، وجدها لا تباين مذاهب أهل السنة والجماعة فيما اتفقوا عليه، وقريبة من مذهب الأشعري فيما اختلفوا فيه.

وقد ذكرت ما قال شيخنا المترجم لشيخنا صدر الجماعة، وإمام أهل كل صناعة، العلامة العارف المحقق سيدي عبد القادر بن علي الفاسي، فصدقه في ذلك، وقال: لا شك أن الإمام الأشعري كان له حظ وافر من العلم والمعرفة به، مؤيداً في أقواله، مسنداً في آرائه، غير خالٍ من الكشف الصحيح، والذوق الصريح، ولولا ما أقامه الله تعالى فيه من مناظرة أهل الأهواء ومناضلتهم، والجري معهم على نحو ما عرفوه من أدلة المتكلمين، لكان رأساً في طريق القوم، وإمام العارفين في زمانه، وقد شهد له بذلك أهل البصائر من العارفين في زمانه وبعده.

ولقد قال لي شيخنا المترجم: إنه ليشق عليّ كثيراً أن أجد في كلام العارفين ما يخالف بظواهره أقوال الإمام الأشعري، ومع ذلك، فلا ألبث إلا

يسيراً حتى يفتح الله لي باباً من الفهم، يتضح لي به موافقة كلامهم لرأيه، فأحمد الله كثيراً، وقد علم أن أهل الصدق لا اختلاف بينهم، وإن أوهمه ظاهر كلامهم في بعض المواضع، والله أعلم.

ومن تأليفه - أيضاً - : «تكملة القول الجلي»، وهو جوابٌ عن أسئلةٍ وردت من بعض علماء الزيدية من أهل اليمن، في حياة شيخه القشاشي، وأمره بالجواب عنها، ومن رسائله : «المتمة للمسألة المهمة» ؛ يعني : مسألة الكسب، التي أُلّف فيها شيخه القشاشي رسائله الثلاث، ومنها : رسالة أخرى سماها : «ذيل المتمة» فيها - أيضاً -، ورسالة أخرى فيها - أيضاً -، فله ثلاث رسائل كشيخه، إلا أنها أصغر منها.

ومنها : «إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» أجاد فيه كل الإجابة، وحقق الكلام فيها غاية التحقيق.

ومنها : رسالة أخرى في مسألة طال البحث فيها، بين شيخه القشاشي، وأصحاب الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي النقشبندي، وهي مسألة تفضيل البشر على الكعبة^(١)، وهي مسألة قديمة البحث، تكلم فيها الشيخ محيي الدين في «الفتوحات»، وحكم بتفضيل البشر. شذى سور الأركية

WWW.BOOKS4ALL.NET

فلما جاء إلى الشيخ آدم شيخ الشيخ جمال الدين الهندي إلى المدينة، وهو من أجل تلامذة الشيخ أحمد بن عبد الأحد، أُلّف رسالة في ذلك شيخه القشاشي، ثم توفي الشيخ آدم بالمدينة، وسمعت بعض أصحابنا يقول : إن الشيخ القشاشي تصرف فيه بقوة الحال، وأعلم بموته، فمات قريباً من ذلك.

(١) جاء في الحاشية : «مطلبٌ : الكلام في تفضيل مكة والكعبة على البشر».

فلما قدم إلى المدينة سنة ثمان وستين أولادُ الشيخ أحمد بن عبد الأحد:
الشيخ محمد معصوم، وأخوه، وأولادهم، وكانت لهم نجابةٌ وعلمٌ وفهمٌ،
على ما أخبرني شيخنا، إلى أن جرى ذكر المقالة التي وقع البحث فيها بين
شيخه القشاشي وبين تلامذة أبيهم، فأمر الشيخ القشاشي تلميذه شيخنا المترجم
أن يؤلف في ذلك، فألف رسالةً مفيدة.

ولما قدم أولاد الشيخ أحمد بن عبد الأحد المدينة، قدموا في هيئةٍ
عظيمة، وأتباعٍ كثير، واثال الناس عليهم للأخذ عنهم، والتبرك بهم، فبعثوا
أولادهم للقاء الشيخ أحمد القشاشي وزيارته.

قال شيخنا المترجم: فلما انفصلوا من عند الشيخ القشاشي، قال لنا:
إن هؤلاء كبراء قوم، وأهلُ علمٍ ونسبةٍ لله، قد قدموا علينا في هذه البلدة
الشريفة، وتفضلوا ببعث أولادهم لزيارتنا، فيحق عليكم أن تزوروهم في
محالهم التي نزلوا فيها مكافأة لهم؛ لئلا يجدوا في قلوبهم.

قال: فوجهني أنا والشيخ مهنا للقائهم، وكان الشيخ مهنا من رجال
وقته، له حالٌ قويٌّ، وسلوكٌ مستقيمٌ في الطريق، صحب السيد سالم شيخنا
باعلوي، وبعد وفاته اتصل بالشيخ القشاشي؛ لما بينه وبين شيخه من الصحبة
والألفة.

وكان الشيخ مهنا يقول: إنه وجد القشاشي لما اتصل به أكمل حالاً،
وأتَم عرفاناً من السيد سالم، فلعل الشيخ القشاشي وصل بعد موت السيد
سالم إلى مقام أعلى من مقامه، أو كان كذلك أعلى منه حتى في حياته، إلا
أن الشيخ مهنا؛ لقوة استغراقه في شيخه، لم يشعر - إذ ذاك - بعلو مقام

القشاشي على مقامه .

قال شيخنا المترجم : ولما عزمنا على زيارة الشيخ محمد معصوم، أنا والشيخ مهنا وجماعة من الأصحاب، أضمرت الجزع منه، ونهيات للقاءه؛ لما أخبرت به أن لهم تصرفاً في القلوب قوياً، وتوجهاً عظيماً في مراقبتهم، كما هو شأن السادة النقشبندية عليهم السلام.

فلما أردنا الخروج، قال لنا الشيخ : اذهبوا على بركة الله تعالى، وتحفظوا على نعالكم لئلا تسرق، ولكن ما ثم إلا الخير، قال ذلك على وجه المزاح، وفهمت منه أنه قال : تحفظوا على قلوبكم وأسراركم أن يتصرفوا فيها بهمهم وتوجهاتهم، ولكن لما قال الشيخ : ما ثم إلا الخير، علمنا أنه يمدنا بمدده، فلا يقدرّون على التصرف فينا.

قال : فلما دخلنا على كبيرهم، وجدناهم^(١) على سرير، وتلقانا وسلم علينا، وجلسنا وجلس، فلحقني هيئة منه عظيمة ورعبٌ، والمجلس غاصٌّ بأهله، فلما استوى بنا المجلس، نظرت إليه وهو متوجّه، ونظرت إلى الشيخ مهنا وهو جالسٌ بإزائي، ضاربٌ رأسه إلى ذقته، وهو يغطُّ غطيظ البكر، ولم يشعر به أحدٌ غيري .

فبعد ساعة رفع الشيخ مهنا رأسه وهو يقول سرّاً : يحسبون أن أحداً ليس يقدر عليكم، وأن ليس في البلد أحدٌ يقاومكم، حتى خشيت أن يسمعه، فرفعت رأسي إلى الشيخ محمد معصوم، فرأيتَه قد ارفضَّ عرقاً، فانفصل المجلس، ولم يكلّمنا بكلمة واحدة، فعلمت أن الشيخ أمدنا بمدده، وأنه رام

(١) كذا في الأصل، والصواب : وجدناه .

التصرف فينا، ولم يقدر، فأوجم لذلك .

وكذلك عادة المشايخ النقشبندية ﷺ، إذا راموا التصرف في أحد، وغلب حاله حالهم، وقوي عليهم، ولم يقدرُوا عليه، انقلبت قوة حالهم عليهم، فمنهم من يُغشى عليه، ومنهم من يَضْعُف، بل ربما أدى ذلك بعضهم إلى الموت، أو ما ترى الصقر إذا انقضَّ على الصيد بقوة، فأخطأه، ربما كان في ذلك هلاكه؟ .

وكان هذا الشيخ لما توجه إلى بواطن أصحاب الشيخ بالتصرف، وقابله الشيخ مهنا بتوجه أقوى منه؛ لقوة مدد شيخه، فلم يقدر على التصرف فيهم، انفعل لذلك، وارفضَّ عرقاً، فلم يتكلم بكلمة خجلاً، فلما رجعنا إلى الشيخ، وجدناه ينتظرنا، وكأنه كان عندنا . انتهى .

وله رسائل أخرى في فنون وتقاييد على مسائل فيما يشكل، ومن تأليفه :
«رسالة في الكلام على الاستخارة اليومية» التي جرى عمل الصوفية بها، وهي صلاة ركعتين في كل يومين بنية الاستخارة، وقراءة دعاء الاستخارة معتبرة لجميع شؤونه الدنيوية والدينية .

كان يقول - على ما ذكر بعضهم - في خلال الدعاء : اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به، وأنطق به، في حقي، وفي حق غيري، وجميع ما يتحرك فيه غيري، وينطق به في حقي، وفي حق أهلي وولدي ومالي، من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد، خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي . . . إلخ دعاء الاستخارة الوارد في الحديث؛ فإن بعض الناس أنكر ذلك على الصوفية، وقال : ليس له أصل في السنة، فكتب شيخنا في

ذلك هذه الرسالة، استطرد فيها شرح دعاء الاستخارة شرحاً وجيزاً مفيداً
- نفعنا الله بذلك بمنه - . انتهى .

[٦٥١] إبراهيم بن صالح الهندي الأصل، الصنعاني المولد والمنشأ،
الشهير بالمهتدي^(١).

أحد الفقهاء المعتبرين، والشعراء المجيدين، شاعر الدولة القاسمية،
ومنتي البلاد اليمنية، وصاحب القصائد البليغة المشهورة، والمقاطع اللطيفة
المأثورة، المشهور بالفضائل الجزيلة، والمتحلي بالأخلاق الجميلة، والتمكن
من عنان صافٍ القريحة، والتمسك بطيب أذيان اللغة الفصيحة، مَنْ غاص
دوائر البحور لاستخراج الدرر، واقتنص بجبائل فكره ما منح من المعاني
الغرر، وأجرى طرف الطرف في ميادين الأدب، ونظم بعامل اليراع ما نثره
سيف الفكر من الخطب، وبهر في فنون العلوم، ومهر في المثور والمنظوم،
واشتهر بالشعر الفائق، واقتخر على شعراء العصر بكل معنى رائق، وتصرف
في فنون الشعر تصرف المالك، وسلك في طريقته أحسن المسالك، ورزق
الحظ الوافر في بديع شعره، والثناء على بيان معاني نظمته ونثره، وأقرت له
الأقران بالإجادة، وشهدت له الأعيان بالحسنى وزيادة، وكيف لا، وهو غرة
في جبهة دهره، وشامة في وجنة عصره، كريم البنان، طلق الوجه واللسان،
لطيف الشامل، بديع الخصال، يجالس النبلاء، ويحب الفضلاء.

(١) «نقحة الريحانة» للمحيي (٣/ ٥٦٥) (٢٦٣)، «نشر العرف» لزيارة الصنعاني
(١/ ٢٩) (٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٩)،
«هدية العارفين» (١/ ٣٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٣).

اجتمعت به لما قدم مكة، عام ألف ومئة، فرأيتُه أحسنَ رجل سبك
 القريضَ، وأخرجَه في قالب حسن، وأبلغَ من قدم علينا من صنعاء اليمن،
 واجتليت بدرَ محياه، وتعطرت بعبير رَّيَّاه، واقتطفت دررَ الآداب من حديثه،
 وتفكَّهت بما رواه من قديمه وحديثه.

وأحبَّ الإقامة في مكة، فلم يمكنه ذلك، وأخذ في أهبة ترحاله، ورجع
 من البحر إلى بلاده، وهو لا يخلو من كسل بعد حجه الميمون، فلما وصل
 إليها، سقي لكأس المنون، وفقده المحبون والبنون، فتوفي سنة ألف ومئة
 وثلاث، بروضة حاتم، من مخارف صنعاء، ودفن بها - رحمه الله -، ولما
 بلغ خبر وفاته هناك، رثاه جماعة من الأدباء بمكة، منهم: السيد الأديب أحمد
 ابن أحمد بن محمد الأنسي، وكان إذ ذاك مجاوراً بمكة، فقال:

قضى نحبَه ربُّ البلاغة والطُّرسِ	وغُيِّبَ ذاك البدرُ في باطن الرُّمَسِ
لقد كان إبراهيمُ آيةَ عصرِه	فألت به أيدي المنون إلى الطُّمَسِ
فو الله ما الكنديُّ نظماً يقيسه	وفي منبر العلياء أخطبُ من قُسِّ
ويرسل أمثالاً تفوقُ فصاحةً	على العربِ العرباءِ في حِكَمِ الفرسِ
فلو كان يحمي عن حمامٍ تعدُّرُ	رددنا الردى بالسيف عنه وبالترسِ
لقد زلزل القطرَ اليمانيَّ موته	وقلقلَ من أرسى على جبل الرُّسِّ
وكادت بناتُ النعش تنعشُ نعشه	ولكنها لا تدرك الغشَّ ^(١) بالمرسِ
فيا شخصَه الثاوي بروضة حاتمٍ	مؤرَّجة الأرجاء مثمرة الغرسِ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: النعش.

سقتك دموع العين مني ولو يكن
لئن عقد الحزن اللسان عن الرثا
وإن هو قد أنسي عهد مودتي
لقد عدت منه البلاغة نظمها
سمي خليل الله صرت بحفرة
سلام على الآداب بعدك إنما
بكتك يراعات القريض ودمعها
وعاد يياض الصخف يصفق عندما
وكم بدل الموت التهاني بالأسى
ومن حدثان الدهر لم يسلم امرؤ
لقد فارقتنا الأمس أترابنا الألى
أنسنا بهم دهرأ فأوحشنا النوى
ألم تر كم حي عن الحي مقفراً
رضيت فراقى للحياة وكيف لا
فلا خير في عيش الفتى بعد صخبه
إذا ما شكوت الأمس فاليوم مثله
فأس إبراهيم عن شقيقه
لرى العمر حبس النفس في سجن همها
فيا متلفاً للنفس في كسب ماله

يفيد الفدا مني فديتك بالنفس
فربع ودادي بالوفا عامر الدرس
فتذكاره أنسي إذا هو قد أنسي
كما درست تلك العلوم من الدرس
مقدسة تحكي سميتك في القدس
صدور رثاها فيك من السن خرس
سواد الأمانى لا السواد من النفس
تخضب من دمع المحبين بالورس
وبدل أيدي الجس لطمًا من الحسن
كفى عظة جري الكسوف على الشمس
طفقتا عليهم نضرب الخمس بالخمس
وبالرغم أن أرضى التوخش بالأس
فليس نرى فيه أنيساً من الإنس
وقد خلّي المغنى عن النوع والجنس
فكيف وحكم الدهر يجري على العكس
فو أسفا ما أشبه اليوم بالأمس
وإن كنت أولى من يوسى به أسى
وموت الفتى إطلاق تلك من الحبس
لقد بعثها والله بالثمن البخس

ويا ساعيًا في غير مرضاة ربّه
 فلا ترتجي غير الآله فإنه
 ولي حسن ظن بالآله ولم يخب
 رجاء لراج ربّه حسن الحدس
 ولما بلغ خبره إلى مكة، رثاه صاحبنا السيد الأديب هاشم بن أحمد
 الأزراي المكي بقوله :

عزاء سار من بلد سني
 فأصبح بعد أن عزى الأخلا
 بيت محاسنًا عني رواها
 على أخلاقه الغر اللواتي
 ويملا سمع هاتيك النواحي
 وتشد والجنوب له نهيت
 لقد مات القريض وكل معنى
 بموت مهذب نذب فقيه
 أديب لو راه أبو المعالي
 ولو جاره في نكت سري
 بصارم لفظه الهندي كم ذا
 ويدي من معاني الشعر ما لو
 تمكن منه سام الفضل حتى
 فإبراهيم في الدنيا كثير
 وقولي ما له في الفضل ضد
 على متن الشمال مع العشي
 بصنعا في الخليل المهدي
 يضاهي عرفها زهر الندي
 كزهر النجم والخلق السوي
 بما يمليه من قلب شجي
 على ردّ الجواب من الضحي
 يدق خفاء عن فهم الذكي
 بليغ بارع شهم أبي
 لأعلاه على الندب الصلي
 لأرى بالعويص على السري
 يكلم كل تركي تقى
 تجسم لأدعاه أبو علي
 به افتخر الضعيف على القوي
 ولكن لا كهذا اللوذعي
 يؤيد بالأديب اليافعي

وعيشك موته رزءٌ عظيمٌ	له في القلب فعلُ المَشْرِفِي
ولكنني أَصْبَرُ عنه نفسي	وَأَلْزَمَهَا التَّاسِّي بالنبي
فكنْ يا صنوءة مثلي صبوراً	تُجَازِي بالثواب من العَلِي
وقل للشامتين به رويداً	فلا بدَّ المماتُ لكل حَي
ودونك من أخي وُدٌّ نظاماً	يؤرِّخُ موته ختمُ الروي
ويسأل أن تصيخ له استماعاً	وتنظِّره بعين الألمعي
فإن شمت الوليَّ عليه يبكي	وثغرَ البرق يضحك بالولي
بمزنِ العفو والغفران أَرْخُ	(سقا الجنان قبر المهتدي)

ومن شعر المترجم قوله في مليح أكل قاتاً:

أُشْبِئُهُ ثَغْرَهُ والقَاتُ فيه	وقد ذابت بعشقتة القلوبُ
لآلٍ قد نبثنَ على عقيقي	وبينهما زُمُرْدَةٌ ^(١) تذوبُ

وله في مليح حَمَامِي:

بالماءِ وافى ريمُ حَمَامِنَا	يصبُّه صَبًّا على الصَّبِّ
وقال لي هل لك في باردٍ	قلتُ نعم من ريقك العذبِ

وله في مليح اسمه يحيى:

ولرد يوم في النجادِ رمز لي ^(٢)	وحلا بوصل مهفَهَفٍ مَيَّادٍ
---	-----------------------------

(١) في الأصل: زمرة، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

ريان كالخطي إن سمته يحيا به بعد الممات فؤادي

وله في ملبح اسمه سرور:

بروحي أفديه من حبشي قد سباني بمقلتي يُغفور
يا خليلي لا تلوما إذا ما زدتُ حزناً فصبوتي في سرور^(١)

[٦٥٢] إبراهيم بن أبي بكر بن إسماعيل الدناني العوفي؛ نسبة إلى عبد الرحمن بن عوف؛ لأنه من ذريته، الصالح، الحنبلي^(٢).

كان من الأعيان الأفاضل، وسراة الأماثل، له المهارة القوية، واليد الطولى، والهمة العلية، في الفرائض والعلوم الحسائية، والفقه، وغيره من العلوم الدينية.

ولد بمصر سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وقرأ القرآن، وأخذ الفقه عن العلامة منصور الحنبلي البهوتي، والحديث عن جمع من شيوخ الأزهر، وأجازه غالب شيوخه، وكان - رحمه الله -، لطيف المذاكرة، حسن المحاضرة، قوي الفكرة، واسع العقل، وكان فيه رسالة وحشمة، ومروءة كاملة، وتعصب مع من يعرف ومن لا يعرف.

وكان من محاسن مصر في كمال أدواته وعلومه، مع الكرم المفرط، والإحسان إلى أهل العلم والمتريدين، وكان حسن الخلق والأخلاق، جميل المصاحبة للإخوان والرفاق، وكان يرجع إليه في المشكلات الدنيوية، وأما

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «سرور» صفحة ونصف بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٩)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٣٤).

انتظام أحوال الجامع الكبيرة، فكان لا يتم ولا يحسن إلا بوجوده، ورأيه ومشورته؛ بحيث إن أمراء مصر وكبراءها إذا فعلوا مهماً من عرس وغيره، يكون هو المرتب له.

وبالجملة: فإنه كان حسنة من حسنات الزمان في هذا الأوان، وكان بينه وبين والدي - رحمهما الله - صداقةً شديدةً، ومحبةً أكيدةً، ولنا به كثير إمام والتام، وولي النظر عليّ وعلى إخواني، بعد موت الوالد أعواماً، وكان قوي الميل إليّ، كثير الحث لي بالاشتغال بالعلم النافع.

ومن مؤلفاته: «شرح على منتهى الإرادات» في الفقه على مجلدات، و«مناسك الحج» في مجلدين، ورسائل كثيرة في الفرائض والحساب.

توفي - رحمه الله - فجأةً، ظهر يوم الاثنين، رابع عشر ربيع الثاني، وصلى عليه بالجامع الأزهر، الشيخ إبراهيم البرماوي إماماً بالناس، ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر ربيع الثاني، سنة أربع وتسعين وألف، ودفن بترية الطويل عند والده، وكان مشهداً عظيماً، ومولده في ثمان وعشرين وألف بمصر.

[٦٥٣] إبراهيم أبو إسحاق محمد الأنسي السوسي المغربي المالكي^(١).

الشيخ الفاضل، البارع الكامل، الأديب الأريب، الناظم النائر، الكاتب الشاعر، كان من أكابر الأفاضل، جامعاً للفنون والعلوم والرياضة، وله معرفة جيدة في علم الوقف والزاييرجا والرمل، وله في فن الدعوة والأسماء براعة

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٦)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٣٦ / ٥) (٣٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحيي (٤٤ / ١).

وقوة، نظم «رسالة المرجاني» في الوفق الخمس الخالي الوسط، وشرحها شرحاً عجيباً.

اشتغل بالعلم ببلاد سوس من المغرب الأقصى، ثم تنقل في بلاد المغرب، فرحل إلى مدينة مراكش، وأخذ عن مفتيها ومحققها سيدي الشيخ محمد بن سعيد، وغيره من علمائها، ودخل مدينة فاس - حاطها الله -، وأخذ عن جم غفير من الشيوخ بها، وخرج منها إلى الزاوية من أرض الدلا، وأقام بها مدةً مديدةً، وأخذ عن جمعٍ بها، منهم: شيخنا سيدي محمد المرابط، وغيره، وله نثرٌ ونظمٌ في غاية الرقة والانسجام.

اجتمعت به في مصر المحروسة، سنة خمس وسبعين وألف، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومراسلاتٌ عديدةٌ، وكنت مدحته بأبياتٍ، فأجابني عنها برسالةٍ في نحو كراسة سماها: «الديمة العظفا في مراجعة مصطفى»، مشتملةٌ على قصيدةٍ عجيبةٍ، ونثرٍ كذلك.

وأخبرني عنه بعض أصحابه: أنه أخذ عن شيوخ كثيرين، وأنه جمع من شيوخه من اسمه محمد، فبلغ نحو سبعين شيخاً، ثم توجه من مصر إلى مكة المشرفة، وأقام بها إلى أن مات في غرة محرم، افتتح سنة سبع وسبعين وألف، ودفن بالمعلاة - سقى الله ضريحه صَيِّبَ الرحمة والرضوان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان -.

ومن شعره قوله :

لا غَرْوَ إِنْ كُنْتَ تَجْفُو الْإِنْسَ يَا رَشَاً فَمَنْ خِصَالِ الظُّبَا أَنْ تَنْفِرَ الْبَشَرَا
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ وَحْشِيًّا أَنْزَهَ فِي مَفْتُونٍ وَجْهَكَ فِي سَقَطِ اللَّوَى نَظَرَا

وكتب إليه وهو بالزاوية من أرض الدلا بعض أدبائها:

يا أبا إسحاق قل لي موجزًا أيُّ شيء مبردٌ حرَّ النوى
قد أبئتُ إلا السهادَ مقلتي وانسكابَ الدمعِ شوقًا للوى
فأجابه بقوله - رحمه الله -:

زارني روضُ بيانٍ سَحَرًا جامعٌ بينَ رُواءٍ وروى
تتهادى في الحشا نفحُته طلبتُ مني دواءَ النوى
قلتُ عن طبِّ وما يعزى لمن جربَ الأمرَ عليمٍ بالدوا
عرقٌ وصلٍ وثباتُ الصدرِ مع ماءِ ثغرٍ شَنِبٍ كُلِّ سَوا
فاسحقنَّها في مهاريسِ اللوى واشربنَّها بكَؤوسٍ من هوى
لَهْيَ دِرِياقٍ لأمراضِ النوى مطفئٌ بينَ الحشا جمرَ الجوى

وكتب إليّ - رحمه الله - معاتباً:

فديناكُ يا بنَ الفتحِ من كلِّ بوسٍ وإنْ جَلَّ ما نفديه فوقَ نفوسِ
فحاشا الذي أَمَلْتُ فيكَ من الصِّفا يُشابُ بأقذارِ الجفا وعبوسِ
ومن شعره - أيضاً - قوله:

وكيف ولي ودُّ تقادمِ عهدِهِ نفائسُهُ تُزري بكلِّ نفيسِ
ولولاكَ ما قلَّدتُ يا نورَ مقلتي بكلِّ نفيسِ الدرِّ جيدِ طُروسِ
ولا أطلَّقتُ نفسي العنانَ تأنساً ولا فرحتُ يوماً بكلِّ جليسِ
وما كان ظني منك تُبدي عبوسَةً وأنتَ مدى الأزمانِ خيرُ جليسِ

فلا زلتَ في جيد الكمال قلادةً كما زان عقدُ الدرِّ نحرَ عروسِ
ومن شعره - أيضاً - قوله :

يا مَنْ رمانِي بسهم اللحظِ فيّ مضى أوحشتني وحشوت القلبَ جمرَ غضا
كسرتَ جفني بتكسير الجفون كما نصبتَ خالي لأسهام الجفا غرضا
فكم نصبتُ لك الأشارك في حُلْمٍ لعل طيفك وهنا في الكرى عرضا
وأضرمُ النارَ بالذكرى على عَلمٍ من مهجتي يهتدي للنار حيثُ أضما
إن قستَ قدك بالبدرِ المنير علا غصن على كثيب الجرعا ذات أضما
لله ظبيُّ حشا بالسحر مقلته فكم حلیم به أساره خرّضا
في فيه عين وعين فيه جوهرة من الحياة وبرقُ للمنى ومضا

[٦٥٤] إبراهيم باشا الوزير نائب مصر^(١).

كان له مشاركة في العلوم، وسلك مسلك القضاة مرةً، ثم صار دفترداراً بالشام، ورجع إلى الروم، وسلك مسلك الوزراء، إلى أن صار وزير مصر، وكان ممدوح السيرة في ولايته، وله فضيلةٌ تامةٌ، وحسن معاشره، وأدب. إلا أن الله سبحانه امتحنه بقصة الشيخ العارف بالله زين العابدين البكري، دخل إليه بقلعة الجبل بمصر، وأخرج من عنده ميتاً، وزعم أنه مات فجأةً، ثم ترجع عند الناس أنه خنقه أو سمّه، فلم يبق بعده إلا أياماً يسيرةً، حتى قتله عساكر مصر؛ حميةً للشيخ زين العابدين، وحملوا رأسه، وطافوا به على

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزّي (١/ ٢٤٤) (٧٧)، «خلاصة الأثر» للمجبي (١/ ٦١)، «معادن الذهب» للعرضي (٤٤) (٦).

مصر، وكان ذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث عشرة بعد الألف - رحمه الله -، كذا ذكره الغزي في «الذيل».

قلت: وحصلت لسيدي الشيخ زين العابدين كرامة عظيمة، وهو أنه دخل قبل موته بأيام يسيرة موشحة يغني بها، ومنها قوله:

وفاتكي في الناس دمه مسفوح

وكان الأمر كذلك، فسفح دم قاتله، كما ذكره المترجم له. انتهى.

[٦٥٥] إبراهيم بن حثيث^(١).

علامة «ذمار» وقاضيه، وناشر لواء العلوم بناديه، كان متضلعا من العلوم الشرعية، مشاركاً في العلوم الأدبية، خفيف الروح، كثير المروءة والفتوة، محسناً للناس، خصوصاً الفقهاء، وطلبة العلم، ومساعداً لهم على المناصب، معيناً لهم على نيل المراتب، وبلوغ المطالب، له ثروة عظيمة، ومكارم جسيمة، توفي سنة إحدى وأربعين وألف ببلده - رحمه الله -.

[٦٥٦] إبراهيم بن حسن الأحسائي الحنفي^(٢).

من أكابر العلماء العاملين، والأئمة المتقين، المتحلين بالقناعة، المجدين بالطاعة، كان فقيهاً نحويًا مفتياً في علوم كثيرة، قرأ ببلاده على شيوخ كثيرين، وأخذ بمكة عن مفتيها عبد الرحمن المرشدي، وكتب له إجازة حافلة وقفت عليها، أشار فيها إلى تمكنه في العلوم.

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٦٨) (٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي» (١/ ١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥).

وأخذ الطريق عن العارف بالله الشيخ تاج الدين الهندي، حين قدم الأحساء، وعنه: شيخنا الأمير يحيى بن علي باشا حاكم الأحساء، وكان يشني عليه، ويخبرنا عنه بأخبارٍ عجيبةٍ، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ في فنون عديدة، منها: «شرح نظم الآجرومية» للعمريطي، ورسالة سماها: «دفع الأسى في أذكار الصباح والمساء»، «وشرحها»، وكانت وفاته فجر اليوم السابع عشر من شوال، ببلده الأحساء - رحمه الله -.

وله أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله:

ولا تكُ في الدنيا مضافاً وكن بها مضافاً إليه إن قدرتَ عليه
فكلُّ مضافٍ للعواملِ عرضةٌ وقد خُصَّ بالخفض المضافُ إليه

[٦٥٧] إبراهيم بن حسام الكرمانى، المتخلص بشريفي^(١).

من علماء الروم المشهورين، له نظم الشافية في التصريف سماه بـ: «الفوائد الجليلة»، توفي سنة ست عشرة وألف، وله «شرح على الفقه الأكبر لأبي حنيفة».

[٦٥٨] إبراهيم بن حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بيري^(٢).

مفتي مكة، وأحد كبار فقهاء الحنفية وعلمائهم المشهورين، وممن تبحر في علوم الدين، وتحرى في نقل الأحكام الشرعية مظانها الغريبة، وحرر

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٩)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٣٥)، «هدية العارفين» (١ / ٢٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٩).

المسائل العجيبة، وانفرد بالحرمين بعلم الفتوى، وجدد من مآثر العلم ما درس وأقوى، له الهمة العلية، في الانهماك على مطالعة الكتب الفقهية، وصرف الأوقات في الاشتغال بالعلوم الدينية، ومعرفة الفرق والجمع بين المسائل، الذي هو المقصود من الفقه للأفاضل، سارت بذكره الركبان، في سائر البلدان؛ بحيث إن علماء كل إقليم يشيرون إلى جلالته.

وقد كنت بمصر قبل وصولي إلى مكة - شرفها الله - في مجلسٍ حافلٍ، فيه جمعٌ من أكابر العلماء الجلة، إذ الناس ناسٌ والزمان زمان، فجرى ذكره في غضون كلام، فأطبقوا في الثناء عليه، ولم يختلف منهم اثنان في مهارته في الفقه، وفي حسن مؤلفاته فيه، ثم اجتمعت به بمكة - شرفها الله -، فصادف الخبير الخبير.

وُلد في نيف وعشرين بعد الألف، وأخذ الفقه عن عمه العلامة محمد ابن أحمد بن محمد بيرى، تلميذ الشيخ علي بن جار الله وخريجِه، وشيخ الإسلام عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، وغيرهما، وقرأ في العربية على علي بن الجمال، وأخذ الحديث عن محمد علي بن علان، وأجازه شيوخٌ كثيرون، وكتب له بالإجازة جمعٌ من شيوخ الحنفية بمصر، منهم: خاتمة الحنفية بالديار المصرية، الشهاب أحمد الشوبري، وجد واجتهد حتى صار فريد عصره في الفقه، وانتهت إليه فيه الرياسة.

وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء، منهم: شيخنا الحسن بن علي العجيمي، وكثيرٌ من الوافدين إلى مكة، وولي إفتاءها سنين، ثم عزل عنها لما تولى الشريف بركات مكة؛ لما كان بين المترجم وبين محمد بن سليمان المغربي من عدم الألفة، وكانت أمور الحرمين في أول دولة الشريف بركات منوطة به،

والشريف بمنزلة الصفر الحافظ لمرتبة العدد.

وكان له ولدٌ نجيب مات في حياته، وانقطع من بعد ذلك عن الناس، وصار لا يجتمع بأحد إلا من خاصته، ومع ذلك، فهو مجتهد في الاشتغال بالمطالعة والتحرير.

وله مؤلفات كثيرة، ورسائل تنيف على سبعين، منها: حاشيته على الأشباه والنظائر، سماها: «عمدة ذوي البصائر»، و«شرح الموطأ رواية الإمام محمد بن الحسن» في مجلدين، و«شرح تصحيح القدوري للشيخ قاسم»، و«شرح المنسك الصغير للملا - رحمه الله -»، و«شرح منظومة ابن الشحنة في العقائد»، و«رسالة في جواز العمرة في أشهر الحج»، و«السيف المسلول في دفع الصدقة لآل الرسول»، و«الرسالة في المسك والزباد»، وأخرى في «جمرة العقبة»، و«رسالة في بيض الصيد إذا دخل الحرم»، وأخرى في «الإشارة في التشهد»، و«رسالة جلييلة في عدم جواز التلفيق» رد فيها على عصريته مكي فروح.

وقرظ جمعٌ من العلماء مصنفاته، منهم: شيخ شيوخنا الشهاب أحمد الشوبري، والعلامة المحقق شيخ الإسلام يحيى المنقاري، مفتي السلطنة.

وكانت وفاته وهو ممتّع بحواسه، صبح يوم الأحد، سادس عشر شوال، سنة ست وتسعين - بتقديم التاء - بعد الألف بمكة، وصُلي عليه عصر يومه بالمسجد الحرام، في مشهدٍ حافلٍ، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة السيدة خديجة زوجة رسول الله ﷺ.

وكان قلقاً من الموت، فرآه ﷺ قبل وفاته بليلة وهو يقول له: يا إبراهيم! مت؛ فإن لك بي أسوة حسنة، فقال: يا رسول الله! على شرط أن يكتب لي

ثواب الحج كل سنة، فقال له ﷺ: ذلك لك، أو كلاماً معناه، هكذا أخبرني بعض تلامذته.

[٦٥٩] إبراهيم خليفة.

ولد بقلعة تتل، من أعمال لواء سكدين، من مضافات أيلة بدون، ونشأ بها، ثم ارتحل إلى قسطنطينية لتحصيل العلوم، وقرأ على علمائها، إلى أن صار ملازماً، ثم قاضياً بقصبة واج من أعمال تعز بدون، وحكم بها مدةً بالغة والنزاهة، فلما صار منزلاً، تركها، وصار شيخاً بزاوية الدفتر، دار خارج قلعة بدون، وأقبل الناس عليه؛ لكمال زهده وصلاحه، ثم وصل إلى خدمة الشيخ عبد الكريم الأشيتي، وصار من جملة خلفائه، ثم حج سنة ثلاث بعد الألف، ورجع وسكن بالزاوية المذكورة، إلى أن استولت الكفار على تلك البلاد، ووقع الهرج والمرج، فارتحل منها إلى بلده «بلغراد»، وسكن بها، وكان شيخاً صالحاً واعظاً، متديناً متشريعاً، لا يخاف في الله لومة لائم.

[٦٦٠] إبراهيم دده.

كان ساكناً في قلعة كوله، بولاية طمّوار، من مضافات روم إيلي، يقال: إنه كان أوسياً، وقد غلبت الجذبات عليه، واجتهد حتى بلغ ما بلغ، وكان موجوداً في صدر المئة.

[٦٦١] إبراهيم دده.

كان مقيماً بقرية بين لوانده عند بلدة لارنده، من مضافات ولاية قرمان، وكان شيخاً صالحاً عابداً، صاحب حال، ذكره الشيخ بيني دده الساكن بقصبة أركلي.

[٦٦٢] إبراهيم بن صالح الهندي الأصل، الصنعاني المنشأ والمولد،
الشهير بالمهتدي.

الخليل الذي لا يضاهيه مع مراعاة النكتة حبيب، والأديب الذي وبلُّ
براعاته، ونبل يراعاته، يصبوب ويصيب بحر القريض، وصاحب القصائد
المحررة، فكل رَقُّ بها مفتون، ورب الفكر الذي هم في يَمِّ آدابه فُلك بكل
بديعة مشحون، ويدر الفصاحة الذي كمل، فما فيه لو ولا ليت، ورافع قواعد
كل بيت، نظمه ولا عجب إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت.

مدح بشعره الخلفاء والملوك، وقصدهم بقصائد تُخجل فرائد السلوى،
ولم يُسَدِّ برودَ مديحه إلا لأجل مُسَدِّي، ولم يَصْدَحْ بمدح أحدٍ أكثر من صدحه
بمدح الإمام أحمد بن الحسن المهدي؛ فإنه أكثر من أراش جناحه بنعمه،
وطوّقه بمواهبه، وأسكنه في رياض كرمه، وأكثر من بلل جناحه بالندى من
بعده، بما أكثر من مواصلته وقصده، فلم يستطع الطيران من حضرته، وأنى
يطير مبلولُ الجناح؟.

وارتقى به الشعر حتى صار جليس أئمة اليمن وملوكها، معدوداً في
الصدور والأمائل، منظوراً بعين الفضل عند كل كامل، وكان مشهوراً بالإجادة
في التشبيهات، حتى قال بعض أهل اليمن فيه مبالغاً: إن أنصف لم يفضل ابن
المعتز عليه، وبالجمل: لم يكن في زمانه باليمن أشعر منه، وقد اشتهر ذلك.
ومن نظمه الذي خلا عن التعقيد سحره، قوله من قصيدة كتبها إلى
القاضي محمد بن الحسن الحيمي:

وبديعة التطويقي في قُمُصٍ نسجت من النسرين والوردِ

باحث بشجوي وهي نائحة إن المحبَّ بشجوه يُعدي
شتان ما بيني وبينك يا ورقاء وبين الغصن والقُدَّ

قوله : إن المحب شجوه يعدي ، هو كقول القائل ، والفضل للمتقدم :

يا خالياً من هذاب قلبي وسالماً من رسيس وجدي
لا تتقرب إلى ثيابي فإن داء العزم يعدي

وقوله في مליح مشروط :

بي مشروط وجنة إن تسلني عن رناه فكابنة الزرجون
وإذا ما سألت عَمَّنْ نصب الشر ط فضبط تلك الجفون

وقوله في رباعية :

مولاي بما في الثغر من اسفنط بالجيد بذابل القوام الخطي
افتح لي باب الضم وزر واسمح بجزائي قبله في الشرط

وفي بعض رحله لكوكان ، قاصداً لملكه ، كتب إلى وزيره عبد الرحمن

ابن الهادي ، وكان غائباً عن حضرته في بلدة يقال لها : «حبابة» قوله :

كاتب السرِّ لم جفوتم أديبا حافظاً تعشق النجوم خطابة
وصددتم كأس المودة عنه وجعلتم عذر البعاد حبابة

أراد بحبابه : حباب الكأس المستعار للمرورة والبلدة المذكورة ، وهي

توريةً بديعةً ، توفي - رحمه الله - بصنعاء ، بعد رجوعه من الحج سنة ألف ومئة
وواحد .

[٦٦٣] إبراهيم الطاهر بن إبراهيم بن أبي الغيث بن أحمد بن أبي الغيث
ابن أبي القاسم البحر، الملقب بالزبيدي.

كان سيداً جليلاً، صاحب تربية وأدب وذكر، وحسن أخلاق، توفي
ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بالمنصورية،
من قرى بيت الفقيه بن عجيل عند جماعته.

[٦٦٤] إبراهيم بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم
البحر، ونسبه في ترجمة أخيه محمد.

كان هذا السيد من أكابر الصالحين، رزقه الله القبول التام، وفتح عليه
بدنيا واسعة، وحج فتوفي يوم النحر بمنى، سنة سبع وأربعين بعد الألف،
ودفن بالمعلاة، ومولده في شوال، سنة تسع وتسعين وتسع مئة.

[٦٦٥] إبراهيم بن طلحة المهتار.

كان على قدمٍ كاملٍ من العلم والعبادة والتصوف، وإليه المنتهى، أخذ
عن الشيخ تاج الدين النقشبندي، وقرأ عليه الحسن ابن الإمام القاسم مدة إقامته
في الحمى، من علوم التصوف والنحو طرफاً صالحاً، وكانت وفاته في جمادى
الأولى، سنة ثمان وخمسين.

[٦٦٦] إبراهيم القدسي الحنفي.

نزيل الصالحة، كان فاضلاً ذكياً، مستحضرًا للمسائل الفقهية، بارعاً
في فنون العربية، ملازماً للطاعة، ولأهل دمشق فيه اعتقاد، وله عندهم قبول،
وكان من عادته أن يجمع بعض الزكوات والصدقات من الأغنياء، ويصرفها

لمستحقيها، وكانت فيه خصالاً حميدةً من التعفف ومكارم الأخلاق، وحمل أثقال الضعفاء، توفي يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة، سنة ست بعد الألف، ودفن بسفح قاسيون - رحمه الله - .

[٦٦٧] إبراهيم النبتيني .

الشيخ المجذوب الصاحي، كان أولاً حائكاً ينسج في الغزل بنبتيت، من أعمال الشرقية، فأجنب يوماً، ودخل مكاناً فيه ضريحٌ لبعض الأولياء ليغتسل فيه، فجذبه به، فخرج هائماً، وترك أهله وأولاده، وقدم مصر، فأقام بجامع إسكندر باشا، بباب الخرق، نحو عشرين يوماً، وبعضهم يسبه، وبعضهم يستقله، وبعضهم يخرجهم؛ لما يرى منه من تقدير المسجد، ثم تحول لجامع المرأة، بقرب تحت الربع، ثم عاد إلى بلده نبتيت، وسكنها إلى أن مات بها .

وله كراماتٌ، منها: أنه كان لبعض محارمه ولدٌ، فقعدت تلاعبه بسطح الجامع، وهو صحيح، فقال لها: أتحيينه؟ فقالت: مالك وذاك؟ فقال: ودُّعيه؛ فإنه بعد غدٍ يموت بعد العصر، فكان كذلك .

ومنها: أنه أخبر جماعةً بما اضمروه، منهم: الشيخ علي الحمصاني، قال: أنكرت على بعض الجند شيئاً يخالف الشرع في نفسي، ولم أنطق به، فقال لي الشيخ إبراهيم المذكور: ما فضولك؟ ما أدخلك؟ يا كذا وكذا! وسبني وشتمني، كن في نفسك، واشتغل بها .

توفي عام ثمانية عشر بعد الألف، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وعُمِّر له الباشا قبةً في بلده - رحمه الله - .

[٦٦٨] إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني الشافعي^(١).

الشيخ الفاضل الأديب، اللوذعي الأريب، ذو الهمة العلية، والعزمات
البهية، المنهمك على الاجتماع بالعلماء، والمتشوق للقاء النبلاء والفضلاء
والكرام، حوى الفضيلتين، وجمع الشرفين، واستحق أن يمدح بهذين البيتين:

لقد حزتَ يا عينَ الكرام مناقباً يقصّر عنها منطقِي وبياني
وأثنى عليك الناسُ في كل بلدة فلا زلتَ ممدوحاً بكل لسانٍ

وُلد بالمدينة الشريفة سَحَرَ ليلة الثلاثاء، ثالث شوال، سنة سبع وثلاثين
بعد الألف، وقيل في تاريخ مولده:

وقد أتى تاريخُـه (أبشُرُ بفتحِ الأحـدِ)

ولازم والده، وهو من أجلّ الشيوخ الذين رأى، وأغنى من عنه أخذ
وروى، وبرع وتأدب، ونافس إخوانه في الجد والطلب، وتصدر للإقراء في
المسجد النبوي بضروب العلوم، وبلغ الغاية في المثور والمنظوم، ورحل
إلى الروم عام ثمانين بعد الألف، وتلقاه علماؤه بالقبول، وألف رحلة بديعة
ذكر ما اتفق له في سفره هذا، وذكر جماعة ممن اجتمع به من أكابر الفحول
سماها: «تحفة الأحياء وسلوة الغرباء»، ورجع إلى المدينة، فلم يلبث إلا
مدة يسيرة، وغاب نجمه بعد الأفول، فتوفي - رحمه الله - ليلة الاثنين
ثاني رجب سنة ثلاث وثمانين بعد الألف بالمدينة، ودفن بالبقيع الفرقد

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٥)، «نفحة

الريحانة» للمحبي (٤ / ٣٦٦) (٣٢٣)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٤٦).

- رَوَّحَ اللهُ رَوْحَهُ، وَسَقَى ضَرْيَحَهُ -.

ومن شعره: قوله يمدح الصدر الأعظم الوزير أحمد باشا، واتفق أنه لم يقدمها إليه، بل أراد تقديمها له بعد عوده من فتح قلعة جريد الكبرى، وانتصاره على الكفرة، فلم يتيسر:

قُدُومٌ بِهِ ثَغَرُ الْمَسْرَاتِ يَبْسِمُ	وَعَوْدٌ لَهُ طَيْرُ الْهِنَا يَتَرَنَّمُ
وَأَوْبٌ بِهِ الْإِسْعَادُ وَالْمَجْدُ وَالثَنَّا	وَنَيْلُ الْمَعَالِي وَالثَوَابُ الْمَعْظَمُ
وَأَجْرُ جِهَادٍ طَالَمَا نَكَسَتْ بِهِ	مِنَ الْكُفْرِ أَصْنَامٌ وَأَجْهَلُ مَعْلَمُ
وَفَتْحُ حَصُونٍ كُنَّ لَوْلَا حَصُولُهُ	مَنْبِعَاتُ كُفْرٍ مَا إِلَيْهِنَّ سُلَّمُ
تَعَالَيْنَ حَتَّى عَمَّمَتْهَا سَحَابٌ	وَحَتَّى تَبَدَّتْ وَهِيَ لِلنَّجْمِ تَزَحَّمُ
فَوَطَّأَهَا اللَّهُ الْكَرِيمُ لِمَاجِدِ	سَلِيلِ الْعُلَى وَهُوَ الْوَزِيرُ الْمَكْرَمُ
أَبُو الْعَزْمِ وَالْبَاسِ الشَّدِيدِ إِذَا سَطَا	وَذُو الْحِلْمِ وَالْجَدْوَى إِذَا يَتَرَحَّمُ
لَهُ هَمٌّ لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ بَعْضَهَا	لَمَا كَانَ فِي أَيَّامِهِ الْكُلُّ مَجْرُمُ
بِهِ أَيْدُ الدِّينِ الْحَنِيفِي وَاغْتَدَى	يُؤَافِيهِ أَهْلُ الشَّرْكِ عَانٍ وَمُسْلِمُ
وَزِيرٌ سَمَا وَابْنُ الْوَزِيرِ الَّذِي سَمَا	وَفِي الْفِرْعِ مَا فِي الْأَصْلِ يَدُو وَيَنْجُمُ
بِأَحْمَدَ عَزَّ الدِّينَ أَوْ بِمُحَمَّدٍ	فَلَمْ يَبْقَ ثَغَرٌ لِلنَّعَاةِ وَلَا فَمُ
وَلَا بَدْعٌ فِي هَذَا فَمُعْجَزُ أَحْمَدٍ	مَدَى الدَّهْرِ لَا يَنْفَكُ يَعْلُو وَيَعْظُمُ
يَحْفُ بِكَ الْجَيْشُ الَّذِي زَادَ عَدُّهُ	عَلَى النَّجْمِ حَتَّى لَيْسَ يَحْصَى وَيُعْلَمُ
فَيِيدُو كَلِيثٍ وَسَطَ غَابِ رِمَاحِهِمْ	غَلَطْتُ فَهَذَا مِنْهُ بِالرَّأْيِ أَحْزَمُ
وَلَا كَطُودٍ لَا تَحْرُكُهُ الصَّبَا	إِذَا هِيَ هَبَّتْ وَابْتَغَاهَا الْمَتَيْمُ

ففي نصره الإسلام والدين والتقى وبذل الندى والعفو أنت المقدم
تأخر منك العصر والفضل أعظم كما في حساب الهند ما بعد يرقم

ومنها:

فعطفاً على عبد أضرت به النوى وآلمه حال به أنت أعلم
وما كنت لولا أنت أبدي شكاية لعمري شكوى الحال صاب وعلقم
ولكنني أيقنت نجح مقاصدي كأنجاح جرح في زواياه مرهم

ومنها:

وقد عدّ أهل النحر أسماء ستة وقد فقدت عندي فلم يبق لي فم
فلو جُدت لي حتى أحصل بعضها وأغدو ذا مال فأحسب منهم
لقد صرت في دار التغرب كالذي بلا صلة فامنن بها دمت تنعم
وكن عائداً نحوي فما لي عائداً بكل ضمير أو بظاهر يعلم
وجملة حالي أنها خبرية تحل محلّ الرفع منك وتكرم
فحقّق لي الرجوى وأنجح مقاصدي فإني برفع النصب لي أنا أجزم

ومنها، وهو آخرها:

ولا فضل لي فيما أقول وإنما معاليك حقاً السن تتكلم

وهي مذكورة بتمامها في رحلته .

وقوله معارضا للفتح النحاس:

طال ليل الهجر فالجفن يسبح ليت شعري ما ليل الهجر صبح

يا لقومي من هوى البيضِ الدُّمى
أضرموا نيرانَ وجدٍ بالحشا
كم أُمْنِي القلبِ منهم باللقا
أسكروني من طلا أحداتهم
كلُّ غصنٍ في كتيبٍ من نقّا
شدَّ بنداً فقد القلبُ به
سدَّ أبوابَ التداني بالجفا
لا تسلني عن غرامي إنني
كم جراحٍ أعجزت أسّيها
من عذيري في هوى ظبي له
كم أضلَّ الليل من شعر فتى
كلَّ مُتَنِي لم أطق عبء النوى
كم أراعي النجمَ في آفاقه
قل لعذالي أقيموا حربكم
سطر العاذلُ أدراجَ الجفا
يا أخلائي بأعلام اللوى
قد ملكتم وأمرتم في الهوى
كان طلقاً فاغتندي في حبكم
قلد القائل في إرشاده
كلما سحّت دموعُ العين شحوا
ليت لو كان لها بالظلم نضجُ
وأرجي الوصلَ والعُدالُ تلحو
لا بأحداقٍ لهذا لستُ أصحو
طيره البدرُ له بالحسن صدحُ
فعليه دار لا يثنيه نُصحُ
آه لو كان لباب الوصل فتحُ
كلَّ آن فيه لي كدٌّ وكدحُ
كلما يُحسَمُ جرح سال جرحُ
من عقيقِ الدمع إذ يمرحُ سفحُ
فهده من بهيِّ الفرقِ صبحُ
ليت شعري ما لهذا المتن شرحُ
أملني من طالع الإسعاد لمحُ
قد جرى بيني وبين الحب صلحُ
وهو بالوصل لذاك السطر يمحو
عطفاً ما دام في الأعمار فسحُ
نفسَ حرٍّ هو بالمأسور سمحُ
عبدَ رقٍّ منه جدُّ القول مزحُ
ضمنَ بيتٍ هو في التحقيق نصحُ

كُلُّ عَيْشٍ يَنْقُضِي مَا لَمْ يَكُنْ
عَلَّلُوهُ مِنْ رَحِيقٍ بِاللَّمَى
أَوْعَدُوهُ بِاللِّقَا وَهْنًا لَكِي
قَدْ أَتَى مُنْطَرِحًا فِي سَوْجِكُمْ
وَعَذُولٍ ظَلَّ يَهْذِي فِي هَوَى
لِحِظِّهِ السَّيْفُ إِذَا جَرَّدَهُ
أَسْرَ الْقَلْبَ فَمَا مِنْ مَخْلَصٍ
الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى مِنْ هَاشِمٍ
سَيِّدِ الْكُلِّ إِذَا مَا جُمِعُوا
قَائِلَ نَفْسِي وَهُوَ . . . يَرَى
فَمَقَامُ الْحَمْدِ ذَا وَهُوَ الَّذِي
مِنْ يَسَاوِي أَوْ يَدَانِيهِ بِهِ
سَيِّدُ بَرٍّ رُؤُوفٌ مُحْسِنٌ
كُلُّ قَوْلٍ قِيلَ فِي أَمْدَاحِهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ عَظْفًا فَعَسَى
يَا سَحَابَ الْجَوِّ أَمْطَرَ كَرَمًا
قَدْ أَلَمْتُ بِبَيِّ أُمُورٍ أَلَمْتُ
أَظْهَرْتُ مِنْ مَضْمَرِي الْحَالِ الَّذِي
فَأَغْنِنِي وَأَذْرِكْنِي سَيِّدِي

مَعَ مَلِيحٍ مَا لَذَاكَ الْعَيْشُ مَلَحُ
فَلَهُ مِنْ طَيِّبِهِ مَا عَاشَ نَفْحُ
يَلْتَقِي مِنْهُ بِكُمْ كَشْحٌ وَكَشْحُ
قَصْدُهُ مِنْ بَابِ مَفْتِي الْقُدُسِ فَتَحُ
ظَبِي أَنْسٍ كُلُّ خَسِرٍ فِيهِ رِبْحُ
وَالْقَوَامُ اللَّدْنُ إِذَا يَخْطُرُ رَمْحُ
غَيْرُ نَظْمٍ هُوَ فِي الْمَبْعُوثِ مَدْحُ
الْمَغِيثِ الْغَيْثِ إِذَا يُلْجَمُ رَسْحُ
فِي مَقَامٍ كُلُّهُمْ فِيهِ الْمُلْحُ
شَأْنُهُ حَمْدٌ وَمِنْ مَوْلَاهُ فَتَحُ
فِيهِ يُعْطَى لِلْوَرَى غَفْرٌ وَصَفْحُ
كُلُّهُمْ نَحْوَ حِمَاهُ فِيهِ يَنْحُو
مَاجِدٌ غَوْتُ بِمَا تَرْجُوهُ سَمْحُ
فَهُوَ الْمَقْبُولُ حَقًّا وَالْأَصْحُ
مِنْ عَطَاكَ الْجَمُّ لِي يَنْجَحَ قَدْحُ
أَرْضَ قَفْرِي فَعَسَى يَخْطُرُ طَلْحُ
لَمْ تَدْعَ نَهْجًا إِلَى مَغْنَاكَ أَنْحُو
نَعْتُهُ يَعْزِي الَّذِي لِي صَارَ يَلْحُو
زَادَ إِيلَامِي وَمَا يَدْمَلُ قَرْحُ

وتَقَبَّلْ مِذْحَتِي فِيكَ وَقُلْ	قَارِنْ الْمَأْمُولَ تَبْلِيغٌ وَنَجْعُ
فَهِيَ عِذْرَاءُ أَتَتْ مِنْ خِذْرَهَا	مَهْرُهَا مِنْكَ قَبُولٌ لَوِصْعُ
فَاقَتِ الْغَيْرَ بِأَوْصَافٍ لَكُمْ	فَلَهَا فِي الطَّرْسِ تَغْرِيدٌ وَصَدْحُ
يَنْتَشِي مِنْ لَفْظِهَا سَامِعُهَا	وَيُرَى مِنْهَا بِهَا مَا دَامَ شَطْحُ
وَصَلَاةُ اللَّهِ مَعَ تَسْلِيمِهِ	يُخْجِلَانِ الْمَسْكَ إِذْ يُنْشَرُ نَفْحُ
يَشْمَلَانِ الْمُصْطَفَى خَيْرَ الْوَرَى	مَا تَوَالَى الدَّهْرُ إِمْسَاءً وَصَبْحُ
وَأُبَيْحِ الْوَصْلِ صَبٌّ عَاشِقٌ	مَا عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ الْحُبِّ جَنْحُ
وَاعْتَدَى الْمَهْجُورُ حَقًّا قَائِلًا	طَالَ لَيْلُ الْهَجْرِ فَالْجَفْنُ يَسْعُ

وقوله مصدراً قصيدة سيدي عمر بن الفارض :

غِيرِي عَلَى السَّلْوَانِ قَادِرُ	إِنْ دَامَ هَجْرَانُ الْجَاذِرُ
وَأَنَا الْوَفِيُّ بَعْدَهُ	وَسَوَائِي فِي الْعِشَاقِ غَادِرُ
لِي فِي الْغَرَامِ سَرِيرَةٌ	أَكُنْتُهَا وَسَطَ الضَّمَائِرِ
وَمُجِبَّةٌ أَسْرَرْتُهَا	وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ
وَمُشَبَّهٌ بِالْغَصَنِ قَلْبُ	لَمْ تَصْبِرِي إِذْ قَالَ نَافِرُ
قَدِّي وَقَلْبُكَ فِي الْهَوَى	لِي لَا يَزَالُ عَلَيْهِ طَائِرُ
حَلَوُ الْحَدِيثِ وَإِنِّهَا	لِمَحَاسِنُ تَسْبِي النُّوَاطِرِ
حَالٌ يَمُرُّ وَإِنَّهَا	لِجَلَاوَةٍ شَقَتْ مَرَائِرَ
أَشْكُو وَأَشْكُرُ فَعَلَّاهُ	بَعْدًا وَلَمَّا يَدُنْ زَائِرُ
حَالَانِ لِي أَرْضَاهُمَا	فَاعْجَبْ لَشَاكِ مِنْهُ شَاكِرُ

لا تُنْكروا خفقان قلبي —
كلا ولا تشتيت لُبِّي —
ما القلبُ إلا دارُهُ
وربوعُهُ فلا جُلْ ذا
يا تاركِي في حُبِّهِ
ومُصَيِّرِي بين الوري
أبدًا حديثي ليس بالـ
كلا وشرعي ليس بالـ
يا ليلُ مالِكِ آخرُ
لا فيك وصلُ معذبي
يا ليلُ طُلْ يا شوقُ دُمُ
يا ليلُ قصرُ أو فطُلْ
لي فيك أجرُ مجاهدِ
وثوابُ غارِ فاتكِ
طرفي وطرفُ النجم في
والقلبُ والعينان فيـ
يهنيك بدرُ حاضِرُ
قد لاح بدرُاً مشرقاً
حتى يبينَ لناظري

بي إن بدا بدرُ الدياجرِ —
بي والحبيبُ لديَّ حاضِرُ
فلذاك بالأشواق عامرُ
ضربتُ له فيها البشائرُ
كهلالِ شكِّ في المناظرِ
مثلاً من الأمثال سائرُ
متروكٍ عند ذوي البصائرِ
منسوخٍ إلا في الدفاترِ
فتظلُّ ترقُبُه النواظرُ
يُرجى ولا للشوق آخرُ
إني إلى المحبوب سائرُ
إني على الحالين صابرُ
أضحى لجيش الحبِّ ناصرُ
إن صحَّ أن الليلَ كافرُ
باهي جمالك ظلَّ حائرُ
ك كلاهما ساهٍ وساحرُ
مالت لبهجتِه الخواطرُ
يا ليت بدري كان حاضِرُ
من منهما باهٍ وباهرُ

وَيْشِيعَ بَيْنَ مَعَاشِرِي	مَنْ مِنْهُمَا زَاهٍ وَزَاهِرُ
بِدْرِي أَرْقُ مُحَاسِنًا	إِذْ حَسَنُهُ لِلْعَقْلِ سَاحِرُ
كَالَلِيلِ أَرْسَلَ شَعْرَهُ	وَالْفِرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرُ
مَلِكِ الْجَمَالِ بِأَسْرِهِ	كُلُّ الْمَلِاحِ لَهُ عَسَاكِرُ
سُلْطَانُ حَسَنِ قَدْ سَطَا	بِحَسَامِ الْحَظِ فَوَاتِرُ
لَا السُّمَرُ تُذَكِّرُ عِنْدَهَا	كَلًّا وَلَا الْبَيْضُ الْبَوَاتِرُ
قَدْ نَفَذْتُ بَيْنَ الْوَرَى	مِنْهُ النِّوَاهِي وَالْأَوَامِرُ
مَا مَخْلَصِي مِنْ فَتْكِهِ	بُظُبَا اللَّوَاظِ وَالنَّوَاطِرُ
إِلَّا امْتَدَّاحُ مُحَمَّدٍ	خَيْرِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرُ
الشَّافِعِيِّ السَّنْدِ الَّذِي	تُمَحَّى بِهِ عَنَا الْكِبَائِرُ
غَوِثِ الْأَنَامِ لَدَى الرِّخَا	وَحَيْثُ لَا تُجْدِي الْعِشَائِرُ
صَلَى الْإِلَهَ عَلَيْهِ مَا	لِجَنَابِهِ قَدْ أَمَّ زَائِرُ
وَالصَّحْبِ وَالْآلِ الْكِرَا	مِ أُولِي الْمَعَالِي وَالْمَفَاخِرُ
مَا قَالَ مَكْلُومُ الْحِشَا	غَيْرِي عَلَى السَّلْوَانِ قَادِرُ

ومما كتبه للشيخ العلامة عبدالله بن محمد العياشي المغربي قوله :

قد لاح بالمغرب المأهول فاضله	وراح مرتضعاً ثديي العلا ناشي
عاشت معالمُ أرباب النهي وسمت	ولا عجيب إذا عاشت بعياشي
فليبقَ للعلم كي تبقى مدارسه	مأهولةً يقتفيها القاصدُ الناشي

فكتب إليه الشيخ عبدالله المذكور قوله :

سبرنا العالمين فما رأينا كإبراهيم سيدنا الخياري
تَخَيَّره الزمان كما تراه خياراً من خيارٍ من خيارٍ

[٦٦٩] إبراهيم بن حسن بن علي بن طالو الأرتقي^(١).

كان من رؤساء دمشق وأعيانها، تولى نابلس وغيرها من المدن الشامية، واشتهر ذكره، وكان مرجعاً في المهمات، وله اعتناء في العلم وأهله، وكرم أخلاق، وكان الشيخ حسن البوريني من أخصّ الناس به، ومن ملازمي مجلسه، وكان له هباتٌ وافرةٌ، وعطايا ظاهرةٌ، وآل ذلك به إلى أن صار معدماً، وتفرغ عن المناصب، إلى أن مات سنة أربع عشرة بعد الألف - رحمه الله تعالى -^(٢).

[٦٧٠] إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن القاسم بن إسحاق بن إبراهيم ابن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الزبيدي الشافعي^(٣).

كان إماماً عالماً عاملاً، جامعاً للفنون، خاضعاً متواضعاً متورعاً، محافظاً على الذكر في جميع الأوقات، لا يخلي وقتاً عن الخير، ملازماً للمسجد في غالب أوقاته، ملاطفاً للصغير والكبير.

أخذ الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية عن شيوخ كثيرين، منهم: عمه العلامة محمد بن إبراهيم بن جعمان.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٦) (٧٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١٧/ ١).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذه الترجمة صفحة وثلاث بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٠).

وانتهت إليه الرياسة في علوم الدين، وله فتاوى كثيرة متفرقة، وتوطن بيت الفقيه ابن عجيل، وله رسالة منظومة في العروض، سماها: «هداية الحائر إلى الفك من أحرف الدوائر».

وأخذ عنه جمع من العلماء الأعيان، منهم: الشيخ الفاضل عبدالله بن عيسى الغزي.

وكان - رحمه الله - يحب الطلبة، ويبالغ في ملاطفتهم، والإحسان إليهم، وأجاز كل من قرأ عليه، ولم يزل ملازماً لإفادة العلم، والانهماك عليه، حتى دعاه الله إليه، فتوفي في بيت الفقيه ابن عجيل، في يوم الخميس، الثاني والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف - رحمه الله -.

وله نظم كثير منه: قوله في الإلهيات:

قصدي رضاك بأي وجه أمكنا	فامنن عليّ بذاك من قبل الفنا
ولئن رضيت فذاك غاية مطلبي	والقصد كل القصد بل كل المنى
لو أبذلت روحي فدا لرأيته	أمراً حقيراً في جنابك هينا
وبقيت من خجل لعبدك قد جنى	فالكل ملككم فما مني أنا
ولقد تفضّلتُم بإيجادي كذا	أنعمتُم أيضاً بكوني مؤمناً
لولا تطوّلُكم عليّ وفضلُكم	ما كنت موجوداً ولا مني ثناً
من ذا الذي يسعى ويشكر فضلُكم	لو عُمر الأبدین يشكر معلناً
وأنا المُسيكين الذي قد جاءكم	للعفو منكم طالبٌ ^(١) ولقد جنى

(١) كذا في الأصل، والصواب: طالباً.

فباسمكم وبجاهكم وبعزكم مُنُوا عَلَيَّ وَأَذْهَبُوا عَنِّي^(١) العنا
وجعمان بفتح الجيم وسكون العين، وقبل الألف ميم بعدها نون،
الشريفي وهو أبو قبيلة كبيرة من قبائل عدنان، كذا ذكره السرجي في طبقاته.

[٦٧١] إبراهيم بن عثمان بن عبد النبي الدهان المكي الحنفي.

الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، المفضل في العلوم الدينية، المجمع على
جلالته فيها، وتبحره وإحاطته بالعلوم العقلية.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ الفقه والعربية عن الشيخ عبدالله البلخي،
وبه تخرج، ويعلمه انتفع، وأخذ الطريق، ولبس الخرقة، وتلقن الذكر من
العارف بالله أحمد بن علان، ولأزمه سنين كثيرة، وأخذ عن السيد صبغة الله،
وغیره من الأكابر.

وفاق أقرانه، وتصدّر للتدريس بمدرسة بهرام آغا الشريف المشرفة على
المسعى، وأخذ عنه العلم كثير من العلماء الأعيان، منهم: إبراهيم أبو سلمة،
وكان كثير البر بوالديه، مطيعاً لهما، ومن خبره في ذلك: أنه كان إذا أتى
رسولهما إليه في حاجة وهو في الدرس، قام من مجلسه وقضاها، ورجع إلى
الدرس، توفي سنة ثلاث وخمسين بعد الألف.

[٦٧٢] إبراهيم بن عطا بن علي بن محمد المرحومي الشافعي^(٢).

نسبة لمحلة مرحوم، من منوفية مصر، إمام الجامع الأزهر، الشيخ

(١) في الأصل: عن، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمجيب (١ / ٣١)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٥٠).

الإمام، العالم العامل، العارف بالله، الملازم لطاعته، المنهمك على بث العلم وإفادته، الذي سلك سبيل السلامة والنجاة، وراقب الله في سره ونجواه، وعمل بما ينفعه في آخرته ودنياه، واجتهد في العبادة، حتى أشرق عليه نورها، وكلما اسود جنح الليالي، يَبْضُ دَيَجُورَها، وتمسك بالأسباب القوية من التقوى، وأقام منها بما لا يطيقه غيرها^(١) ولا يقوى، حتى إنه كان إذا مر في السوق، سدَّ أذنيه، حتى لا يسمع من بجانبه، ويسرع في مشيته مطرِقاً من خوف الله وخشيته، حذراً من تفويت وقته في غير عبادة الله وطاعته.

وُلد ببلده سنة ألف، ورحل إلى الجامع الأزهر، وأخذ عمن به من أكابر علماء عصره؛ كشيخنا سلطان وغيره، وأجازه جل شيوخه بالإفتاء والتدريس، فتصدر للإقراء في كل علم نفيس، وشهر بالبركة لمن يقرأ عليه، وانهمك طلاب العلم عليه، ففازوا منه بأوفر نصيب، وألف «حاشية على شرح الغاية للخطيب»، واستمر على خير وفي خير، سالكاً طريق الاستقامة، التي هي أوفى كرامة، حتى آن أوان حِمَامِه المحتوم، فتوفاه الحي القيوم بمصر، في أوائل صفر، سنة ثلاث وسبعين وألف، ودفن بتربة المجاورين - رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين -.

وسميت هذه التربة بتربة المجاورين؛ لأنها قريبة من الجامع الأزهر، وبها يدفن غالب أهله، والمجاورين له، بتلك الأماكن القريبة من الجامع الأزهر، كلها تسمى بمصر: حارة المجاورين؛ إذ لا يسكنها - في الغالب - إلا العلماء والغرباء من الفقراء، وقلَّ أن تجد بلازائه دار أمير أو أحد من أرباب

(١) كذا في الأصل، والصواب: غيره.

الدولة؛ لضيق المحل، وهم يريدون السعة، والقرب من القلعة، التي هي محل وزير مصر وأكابر دولته.

[٦٧٣] السيد إبراهيم الصمادي الدمشقي^(١).

كان من أكابر الأولياء العارفين بالله، والداعي على بصيرة إليه، والمنهمكين في عبادته سبحانه، وطلب الزلفى لديه.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة عن شيوخ كثيرين، وكان له بالشام المنزلة الرفيعة، والكرامات الظاهرة الوسيعة.

وقد رأيته - قدس الله روحه - وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعتة، ولم يزل على خير وفي خير، حتى دعاه رب العباد فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فأنجاب، فتوفي سنة ثلاث وسبعين - بتقديم السين - بعد الألف بدمشق، وجاء تاريخ موته: «مات قطب العارفين الأ مجد» - رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى -.

[٦٧٤] إبراهيم بن علي الأرنؤكي^{(٢)(٣)}.

قال النجم الغزي في «الذيل»: أحد الموالى الرومية، ولي قضاء دمشق مرتين، وكان في قضائه معتدلاً عادلاً، مكرمًا للعلماء، محترمًا لهم، وحصل

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٤٩).

(٢) في الأصل: الأرنؤكي.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٣١) (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣١).

لأهل دمشق في زمنه تكاليفات للسفر السلطاني، فعرض إلى الوزير مراد باشا في تخفيفها، وأجيب إليه، وفي اليوم الثاني من دخوله دمشق ثانياً، سنة خمس عشرة بعد الألف، دخل عسكر الشام مكسوراً، مع الأمير يوسف بن سيفاً، وقد كان أميراً عليهم علي بيك بن جانبولاد، المتولي على بلاد حلب، وكانوا تهاونوا بأمره، واستخفوا به، فخرج محمد باشا الطواشي نائب الشام بهم، ولحقته جماعة من عساكر دمشق، وتتابعوا خلفه قوافل، غير أنهم تهادوا في الخروج بعده.

فاجتمع نائب دمشق، ونائب طرابلس الأمير يوسف بن سيفاً بحماة، وخرجوا منها، فتلاقوا خارج حماة، مع ابن جانبولاد، فتحاربوا جميع النهار، ثم ظهرت الكسرة على ابن سيفاً، وولوا آخر النهار مدبرين، فدخلوا حماة، ولم يبرحوا على إقامة، بل أنذروا أهل حماة، فخرجوا منها بأهلهم وأنفسهم خلف العساكر، وتركوا أكثر ما في بيوتهم، ثم مروا على حمص، فأخلأها أهلها، وخرجوا منها كذلك، وكان ابن جانبولاد في أثرهم، فدخل هو وعساكره حماة وحمص، ونهبوهما، ونهبوا قراهما.

ثم قصد بلاد طرابلس، وخرج ابن سيفاً منها إلى البحر، فركب بحريه وأثقاله، وخرج من ناحية صيدا أو عكة، ودار فدخل دمشق، ثم لما قرب ابن جانبولاد من بلاد ابن معن، انحاز إليه الأمير فخر الدين بن معن^(١)، وكان كيوان آغا قد ذهب من دمشق إلى غزة في طلب أميرها أحمد باشا؛ ليأتي إلى حرب جانبولاد، فاتفق موت أمير غزة وكيوان عنده، فرجع كيوان من بلاد

(١) في الأصل: معين.

غزة حتى نزل على ابن معن، واتفقا على العصيان، ومساعدة ابن جانبولاد، فذهبا إليه حتى اجتماعا به في اللجون، بالقرب من نهر البارد، من معاملة طرابلس، وقد استولى على بلاد حمص وعكا وجبله واللاذقية والحصن وطرسوس وعزير وبيروت، ثم توجهوا إلى قصد محاصرة دمشق.

وكان محمد باشا نائب الشام قد بعث طهماس بيك نائب نابلس، وأمير الحج، إلى ابن معن، ومعه بعض أكابر الجند؛ لينصحه ويرده عن الخروج إلى ابن جانبولاد ومساعدته، فأبى، وكان المشير عليه بالامتناع كيوان، فاستمر طهماس بيك معهم، حتى اجتمع ابن معن وكيوان بابن جانبولاد، فصمموا جميعاً على الدخول إلى دمشق، في طلب ابن سيف؛ لأنه كان قد وصل إليها.

وأظهر كيوان في المجلس لمن كان مع طهماس من الجند، غاية الشتم والقذف والعداوة، والتوعد لهم بكل سوء، ثم في يوم ثالث عشر ربيع الثاني، من السنة المذكورة، دخل الأمير موسى بن الحرفوش، أمير بعلبك إلى دمشق ماشياً في الصلح، واشترط أموراً غير مقبولة، فلم ير عقلاء العسكر - إذ ذاك - هذا مقبولاً، فردوا له جواباً مع الأمير حسن التركماني، فرجع الرسول وأنذرهم بأنهم راكبون عليهم.

ثم في يوم الجمعة، عاشر ربيع الثاني، دخل حريم بن الحرفوش إلى دمشق، وأهله وأهل بعلبك، وأخبروا أن طلائع ابن جانبولاد دخلت بلاد بعلبك، وأن يونس بن الحرفوش انحاز إلى ابن معن هو وجماعته، ثم نزلوا على هموش من أرض البقاع، وكان الأمير مهزلاً، فإن البلاد من حدود حلب إلى حدود صفد، مسيرة خمسة عشر يوماً خلت عن آخرها، وتشتت أهلها، وتركوا أوطانهم وأرزاقهم، وأكثرهم قد اجتمعوا بدمشق، والعدو يقصدها.

ثم أدى الأمر إلى أنهم تلاقوا مع عسكر دمشق وعساكرهم، في يوم الأحد، سابع وعشري جمادى الأولى، في أول النهار، فلم تطل الحرب نحو ثلاث ساعات، حتى انكسر عسكر الشام، وولوا مدبرين، وأكثرهم تشتت، ورجع منهم طوائف إلى دمشق ووصل خبر الكسرة إلى دمشق وقت الغداة^(١)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أصبحت أبواب دمشق يوم الاثنين، ثامن عشري الشهر مغلقة، وقد خرج منها الأمير يوسف بن سيفاً وجماعته ليلاً، بعد أن اجتمع به قاضي دمشق المترجم، وحسن باشا أمير القرمات، ولم يمكناه من الخروج، حتى دفع إليهما مئة ألف قرش؛ ليفتدوا بها الشام من ابن جانبولاد، ثم خرج ومعه الأمير موسى بن الحرفوش.

وكان في ليلة الاثنين المذكورة، قد ذهب الشيخ محمد سعد الدين إلى ابن جانبولاد، يسأله العفو عن الدخول إلى دمشق، وكان المترجم قد عينه هو والشيخ أحمد العيثاوي، والشيخ...^(٢) الجنكردي؛ لأن ابن جانبولاد كان يقصده؛ ليذهبوا جميعاً إلى ابن جانبولاد، فذهب الشيخ محمد وحده بعد العشاء إلى العراد، ثم ذهب شيخنا والجنكردي بعد نصف الليل، فلحقا القوم قد جاؤوا قاصدين دمشق، طائفة بعد طائفة، وهم يُسمعونهما ومن معهما ما يكرهون، ثم تلاقيا مع الشيخ محمد سعد الدين في أثناء الطريق، فأخبر ابن سعد الدين شيخنا بأنه اجتمع بابن جانبولاد في غاية الغضب على عساكر

(١) في الأصل: الغدا.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر اسم الشيخ الثاني».

دمشق، وهو مصممٌ على الدخول إلى البلدة، وانتقامه منهم ومن ابن سيفاً. ثم أصبح ابن جانبولاد نازلاً هو ومن معه بسطح المزة، وانتشرت عساكره إلى أطراف دمشق، فانتهبوا خارج المدينة، وكان ابن سعد الدين قد جاء معه برئيس من جند ابن جانبولاد، يقال له: عقيل، ومعه ليزبوا عن محلة القبيبات، حين لم يقبل ابن جانبولاد كلامهم في الكف عن عموم أهل دمشق، ورجع معه شيخنا العيثاوي إلى منزله، ثم دخل شيخنا دمشق في اليوم الثاني وهي محاصرةٌ من عساكر ابن جانبولاد، ووصى الشيخ محمد بن سعد الدين أهل محله أن لا يحمل أحد منهم سلاحاً؛ اكتفاء بالعسكر الذين جاء بهم من عند ابن جانبولاد، فأمنوا.

وهرعت الناس من المحلات التي خارج دمشق إلى القبيبات للأمن، وانتهت سائر الحارات، ثم آل الأمر إلى مصالحة جانبولاد بالمال، الذي أخذه قاضي دمشق المترجم من ابن سيفاً، مع زيادة عشرين ألفاً لابن معن، حوسب عنها من مال بعلبك باثني عشر ألفاً، ودفع إليه ثمانية آلاف، أخذت من مال كان مودعاً بقلعة دمشق لبعض الناس، فلما رحل ابن جانبولاد عن المزة، خرج عقيل المذكور من عند الشيخ محمد بن سعد الدين، فأخذ خيل الشيخ محمد ابن سعد الدين وبعض أمتعة له، ووقعت جماعته فيمن كان عند باب بيته من الحریم والناس نهباً، ولم يستفد من الاحتماء بهم كبير أمر.

وكان القاضي المترجم كثير التحريض في ثلاثة أيام المحاصرة، لا يقرُّ ليلاً ولا نهاراً؛ من الحركة والتحريض لمن بقي بدمشق من عسكرها على الملازمة لأبوابها، وكان حسن باشا عضيداً له ووزيراً، مع وجوه الناس وأكابرهم، وحصل للناس في تلك الأيام شدة عظيمة، وحاجة شديدة، حتى

فرج الله عنهم برحيل ابن جانبولاد عن المزة، في يوم الخميس، مستهل جمادى الثانية، سنة خمس عشرة وألف.

وبقي بعد ذلك المترجم على قضاء دمشق، وأسقط بعض ما كلفوا به من قبل الوزير مراد باشا؛ حيث جاء حلب لقتال جانبولاد وجماعته، وكان تشتيتهم على يده، وفر ابن جانبولاد، وأقام مراد باشا بحلب مدة يقتل جماعة ابن جانبولاد، حتى كاد يستأصلهم، ثم انفصل المترجم عن قضاء دمشق، في أواخر سنة سبع عشرة بعد الألف، ثم توفي في بلدة أزيك، سنة ثمان وعشرين بعد الألف - رحمه الله -.

[٦٧٥] إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم بن محمد، الشهير بأبي سلمة الحنفي المكي الطرابلسي الأصل^(١).

إمام شهد له بالفضل أهل عصره، وأذعن لمزيد معرفته في الفروع علماء قطره، صرف أوقاته في بث العلم النافع، فانتفع به كل كهل ويافع، واشتهر بتقوى الله في سره وعلايته، والانهماك على خدمته وطاعته، وله الاطلاع الواسع على نقول الفقه الغريب، وتحري في الفتوى وديانة قوية، وكان يعرف الحق بالحق، ويقول به، وفيه الحلة التي تعتري خيار الأمة، مع كمال تهذيبه.

مولده بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة إبراهيم الدهان، وبه تخرج وانتفع، وحضر قبله دروس السيد عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ عبد الرحمن المرشدي، والشيخ محمد بن أبي البقا الأنصاري، وأخذ الفرائض والحساب عن السيد صادق، والحديث والتفسير عن الشيخ محمد علي بن

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢).

علان، والتجويد عن الشيخ أحمد محمد الحكيمي، وعنه: جماعة من فضلاء العصر.

ومما قرأه من الكتب بالمسجد الحرام: «شرح الكنز» للعيني، و«شرح النقاية» للشمني، و«جدول ابن الهائم في المناسخات».

وكانت وفاته بمكة، في رابع عشر رمضان، سنة ست وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة - رحمه الله -، وجده محمد أبو سلمة، ذكره القطبي في «تاريخه»، وأثنى عليه، وأنه كان له معرفة تامة في الفقه، وأنه تولى إمامة المقام الحنفي بمكة - شرفها الله - شريكاً للإمام محمد البخاري، وأنه كان من فقراء الشيخ محمد بن عراق، وأنه قرأ بمصر على قاضي القضاة بها نور الدين علي ياسين الطرابلسي الحنفي، وأنه توفي صبح يوم الأربعاء، ثالث جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة، وصلى عليه عند باب الكعبة، جازاً الله ابن القاضي أمين الدين بن ظهيرة الحنفي، وكانت له جنازة حافلة، ودفن بالمعلاة.

[٦٧٦] إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدي الحموي الشافعي، صاحب الورد الهمداني، الذي يقرأ بعد صلاة الصبح، عند باب المنارة الشرقية، بجامع دمشق الأموي، المعروف بابن كاسوحة^(١).

كان عالماً فاضلاً صالحاً، على وجهه نور العبادة والصلاح، وكان يأكل من كسب يمينه، ويتردد في التجارة إلى مصر، ولقي بها النجم الغيطي، والأستاذ الشيخ محمد البكري، والشمس محمد الرملي، ومحمد البنوفري،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٩) (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١).

وأخذ عنهم، ويدمشق عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وصحب ولده شهاب الدين الغزي.

قال النجم الغزي في «ذيله»: وحدثني: أن شيخ الإسلام الوالد، سئل وهو حاضر عن السيدة فاطمة - رضوان الله عليها -، وعن زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كيف يجتمعان في الجنة؛ فإنها ملحقة بأبيها في المقام بدليل: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] هل تنزل إلى مقام علي؟ فقال: بل يرتفع إلى مقامها ﷺ.

قال: وحدثني مراراً: أنه رأى الأخ شهاب الدين ذات يوم، فقال له: يا شيخ إبراهيم! خاطراً أشكو إليك، ما شكوته إلى غيرك، فقلت: يا سيدي! ما هو؟ قال: ما صحبت أحداً قط، إلا وتكدرت صحبتي علي يوماً من الدهر، فما الحكمة؟ قال: فقلت له: يا سيدي! إن الله تعالى لا يريدك لغيره، فبكى الشيخ شهاب الدين، واستحسن مني هذا الجواب.

توفي يوم الاثنين، رابع شوال، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقد قارب سنه الثمانين - رحمه الله تعالى -.

[٦٧٧] إبراهيم بن علي بن أحمد بن معصوم الحسيني الفارسي.

نشأ هذا السيد في الهند في ظل والده، وتمتع من فضله بطريقه وتالده، وقرت به العيون، وحاز أشتات الفنون، ولم تطل مدته، فاخترته المنية، ولم تصدق فيه تلك الأمنية، فقضى نحبته وهو شاب، يجر ردائي مجد وآداب، مغرب ليلة الجمعة، خامس عشر ربيع الثاني، سنة إحدى ومئة وألف بـ «برهانور»، ورثاه والده بقصيدة من أحسن المراثي وأبدعها، وهي قوله:

نفسي عليك تقطعت بأساها	تفديك لو قبل المنون فداها
في ليلة كست الصباح دجاها	يا كوكبا قد خر من أفق العلا
واليوم موثك للعيون قذاها	كانت حياتك للنواظر قرة
وسقيت كأس الموت قبل تراها	يا ليتني غيبت قبلك في الثرى
محتوم كحلها الردى بعماهها	أوليت عيني قبل تبصر يومك الـ
قد كنت تجهد طالبا لرضاها	لم لا تمنى الموت دونك بهجة
قد كنت قررتها وكنت سناها	أم كيف لا تهوى العمى لك مقله
وأحر نار مصيبة أوراها	إه ليومك ما أمض مصابه
أفنى نفوساً بعد ما أحيها	لا والذي أبكى وأضحك والذي
مالي وللدنيا وطول عناها	لم يبق لي في العيش بعدك رغبة
قد كنت أنت حياتها ومناها	هيئات ترغب في الحياة حشاشة
فأينت ألا أن تكون فداها	كانت تؤمل أن تكون لك الفدا
وتعطفأ كنت ابنها وأباها	وبرزتها حتى كأنك رافة
ما كان أغلظها وما أقساها	أف لها إذ لم تشا طرك الردى
والطائفين بجحرها وصفاها	قسماً برّب العالمين ومكة
لقهرتها حتى تذوق رداها	لولا يقيني أنني بك لاحق
آمال مما نابها وعراها	تالله خاب السعي وانقصمت عرى الـ
كانت حياتك روضها وجناها	لا متعت بالعيش بعدك أنفس

بل لا هنا للقلب غيرُ غليله
 يا دوحةً للمجد ثمرةَ العلا
 قد كنتَ ساعديَ الذي أسطوبه
 تنفي الأسي عني وتَحْمِيْ جانبي
 واليومَ قد هجمت عليَّ حوادثُ
 طوبى لأيامِ الوصالِ وطبيِّها
 أيام لي من حسن وجهك بهجةٌ
 فإذا جلستَ بجانبي فكأنني
 وإذا رأيْتُك بين آلِ المصطفى
 كانت بقربك في الزمانِ مواردِي
 فمُنيت من حَرِّ الفراقِ بَغْلَةً
 وبُلِيت من أرزائه برزِيَّةً
 إني ليملكني التأسفُ والأسي
 فإذا ذكرتُ فناءَ دنيائي التي
 خفَ الأسي وهانَ عليَّ ما
 كيف البقاءُ بهذه الدار التي
 دار قضتُ أن لا يدوم نعيمُها
 لا يُسرُها باقٍ ولا إعسارُها
 مقرونةٌ خيراتُها بسرورها
 أبداً ولا للعين غيرُ بكاهَا
 ذهبَت نضارتُها وجَفَّ نَداها
 ويدي التي يخشى الزمانُ سَطَاها
 من كل كارثة يعم أذاها
 ما كنتُ أحذرُها ولا أخشاها
 ما كان أحلاها وما أهنأها
 بجمالها بين الوري أتباها
 قارنتُ من شمس النهار ضُحاها
 عودتُ منظرَكَ الجميلِ بَطَّةً
 يصفو ويعذبُ ورْدُها ورؤاها
 حكم الردى أن لا يُيل صداها
 عظمتُ مصيبتها وطال جواها
 فيعزُّ من نفسي عليك عَزَاها
 لا لفظُها يبقى ولا معناها
 ألقاه من أهوالها وبَلاها
 من قد بناها للفناء بناها
 لا كان مسكنُها ولا سُكناها
 سيانِ حالاً فقرُها وغناها
 وسعودُها بنحوسها ونعيمُها بشقاها

إن أضحكت أبكت وإن برت برت
أين الملوك المالكون لأمرها
أين القياصر والأكاسرة الألى
أين الخواقين الذين تمسكوا
غررتهم بسرابها وشرابها
بطشت بهم بطش الكمين بغرة
قد ضلّ رشد من أطباء جمالها
يهوى الأنام بها البقاء وإنما
ما هذه الأيام غير مراحل
حتى إذا بلغت نهاية سيرها
يا قرة للعين أسخنها الردى
تبكي عليك النفس من فرط الأسى
وتقول حقاً حين ينكشف العمى
وُفقت حين رفضت الأم منزل
جاريتني فبلغت قبلي غاية
ما زلت تسهر كل ليلة جمعة
حتى دعاك الله فيها راضياً
له همّك التي فاقت على
سعت الرجال لنيل دنياها التي

وإذا شفت شفت عليل ضناها
والعامرو أمصارها وقراها
شادوا مباني عزها وعلاها
بعهودها واستمسكوا بعراها
حتى انتشوا من كأسها وطلاها
الله أكبر ما أقل وفاهها
فصبا إليها وازدهاء زهاها
شاء الإله بقاءهم بسواها
تطوى وأنفاس النفوس خطاها
ألقت عصاها واستقرّ نواها
وعزيمة للقلب فلّ شباها
وتنوح وجداً من عظيم شجاها
عنها وتبصر رشدًا وهداها
ورقيت من عليا الجنان ذراها
للحق لم يبلغ أبوك مداها
له إذ يغشى العيون كراها
لتنال منه مثوبة ترضاها
همم الأعظم شيخها وفتاها
قد دُست فعزفت عن دنياها

وسعيت للأخرى المقدسة التي لم يرعَ غيرَ الطاهرين حِمَاها
فحويتهَا والعمرُ مُقْتَبِل الصبا واهماً لهمتكَ العليّة واهاً
إن كنتَ حلّيتَ الجنان منعماً فأبوك حلّ من الهموم لظاها
حزنت لموتك طيبةً وبقيعُها وبكتُ لفوتك مكةً ومِناها
وغدا الغويُّ عليك يُغري بالأسى طوساً وبغداداً وسامرأها
أقررتَ أعينَ من بها بتزاهية حَلَّتْكَ في سنِّ الصُّبا بخُلاها
صَلَّى عليك الله من مستودعٍ في روضةٍ ضمَّ الكمالَ ثراها
وتواترت رَحَمَاتُ ريك بكرةً وعشيةً يَسْقِي ثراك حياها
ما حنَّ مشتاقٌ إلى أحبابه وتذكرتُ نفسُ أهيل هواها

[٦٧٨] إبراهيم بن محمد الأكرمي الصالحى الدمشقي^(١).

كان شيخاً فاضلاً صالحاً، يجري على لسانه نظم الشعر، من غير كبير معاناةٍ ولا كلفةٍ، وذلك من بركة خدمته للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي؛ فإنه كان قائماً بها إلى أن مات، وهذه خصوصيةٌ لكل من لازم حضرته؛ من خطيبٍ وإمامٍ، وغيرِهما من خدام ذلك المقام.

وُلد بالصالحية، سنة سبعين وتسع مئة تقريباً، وتوفي في شعبان، سنة سبع - بتقديم السين - وأربعين وألف بالصالحية، وبها دفن - رحمه الله -، وله ديوان شعرٍ كنت كتبتُه بخطي وأنا صغير بدمشق - حرسها الله - ثم فُقد مني،

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٣٩)، «نفحة الريحانة» (١ / ٤٠) (٢)، «الأعلام»

للزركلي (١ / ٦٧).

ولا أعرف الآن مظهره .

ومن شعره : قوله يمدح الشيخ أحمد المقرئ :

فَكَرْتُ فِي فَضْلِ الْإِمَا مِ الْمَقْرِيّ الْحَبْرِ حِينَا . . . إلخ
وقوله :

اسْقِنِيهَا قَبْلَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ	إِنْ طَيَّبَ الْمُدَامَ فِي الْإِبْكَارِ
هِيَ بَكْرٌ فَاشْرَبْ وَيَوْمُكَ بَكْرٌ	لَمْ تُشَبَّهِ الْأَيَّامَ بِالْأَكْدَارِ
الصُّبُوحِ الصُّبُوحِ فِي جَدَّةِ الْيَوْمِ	فَلِإِنْ الصُّبُوحِ رُوحُ الْعَقَارِ
يَا فَدَتِكَ النَّفُوسُ وَهِيَ قَلِيلٌ	مَنْ نَدِيمٍ سَهْلٍ الطَّبَاعِ مُدَارِي
هَاتَهَا ضَحْوَةَ النَّهَارِ شَمُولاً	مِثْلَ شَمْسِ النَّهَارِ وَسَطَ النَّهَارِ
قَهْوَةً مِثْلَ مَقْلَةٍ الدِّيكِ صَهْباً	أَوْ كَنَارِ الْكَلِيمِ لَيْسَتْ بِنَارِ
ذَاتَ عَصْرِ أَدْنَاهُ عَصْرٌ يُوْثِرُ	وَإِنْ لَيْسَتْ بِمِزَّةٍ مُسْطَارِ
لَطْفَهَا كَرَّرَ السَّنِينَ فَلَمْ تَبْ	سِوَى لَمْحَةٍ مِنَ الْأَنْوَارِ
فَتَرَاءَتْ كَالشَّمْسِ غَبَّ سَمَاءِ	تَجْتَلِي بَيْنَ حَمْرَةٍ وَاصْفَرَارِ
لَسْتُ تَخْشَى مِنْ لَطْفِهَا بَعْدَ سَكْرِ	مِنْ صُدَاعِ بَادٍ وَلَا مِنْ خُمَارِ
فِي رِيَاضٍ تَزْهِي بِبَاكُورٍ وَرِدِ	وَأَقْصَاحٍ وَسُوسِنٍ وَبِهَارِ
ذَاتِ أَرْضٍ مُوشِيَةٍ بِرَبِيعِ	ذَهَبَتْ وَشَيْهَا يَدُ الْأَزْهَارِ
يَسْتَفِيقُ الْمَخْمُورُ إِنْ مَرَّ فِيهَا	مِنْ هَوَاءٍ صَافٍ وَمَاءٍ جَارِ
قَمِ بِنَا يَا نَدِيمُ يَفْدِيكَ مَا لِي	مِنْ تِلَادٍ وَطَارِفٍ وَعَقَارِ
نَقَطْعُ الدَّهْرِ كُلِّ يَوْمٍ بِزِقْ	وَعِزَالٍ سَاقٍ وَكَأْسٍ مُدَارِ

أَن طيَّبُ الزمان واعتدل الجوُّ
 وأتاك الربيعُ يضحكُ عَجَباً
 يا نديمي أفديك فيمَ التواني
 فاسقنيها واشربْ على زهرة الرو
 وتغنم صفوَ الزمان وروقَ الـ
 لا تبالي إذا سكرتَ بوِزْرِ
 وقوله :

بحياتي يا بدرُ أو بحياتك
 قم بنا نغنمِ الوصلَ وروحي
 يا فدتكَ النفوسَ فيمَ التواني
 هاتِها بكرةَ النهارِ تطيب الزـ
 ثم هَجِّرْ بنا نَقِيلُ قليلاً
 ثم عذْ للشرابِ تفديك نفسي
 إن كلَّ الحياة كَأْسٌ مُدارٌ
 فاغتنم فرصةَ الزمانِ فقد
 لا تؤخر يوماً غداة سرور
 إنما هذه الحياة كحلْمٍ
 وقوله :

ويومٍ فاخْتَمِيَ الجوُّ رطبٍ
 يكاد من الغَضارةِ أن يسبلا

نعمتُ به وندماني أديبٌ وقورٌ في تعاطيه الشُّمولا
قطعنا صبحه والظهرَ شُرباً وجاوزنا العشيَّ والأصيلاً
لدى روضٍ عميمٍ النبتِ يزهى بأزهارٍ نمتْ عرضاً وطولا
يدور به سوارُ النهرِ طوراً كما يتعانق الخِلُّ الخليلاً
وساقينا رخيمُ الدَّلِّ يسبي إذا ما ردَّدَ الطرفَ الكَحِيلاً
إذا لعبتْ به الصهباءُ غنى سقى الله المعالمَ والطلولا

وقوله:

ونديمٍ نهتُ ليلاً فهبَّأ وهو سكرانٌ يميل شرقاً وغرباً
قال لييك قلت هاتِ اسقنيها فتردَّى وقال طوعاً وحباً
فسقاني ثلاثاً وتحسَّى بعضَ كأسٍ فردَّها وأكبَّأ
قلتُ أفديه من نديمٍ مطيعٍ لو رأى طاقةً بها ما تَأبَّى
ثم وسَّذته وعدتُ إليها وحيداً فما استلذيتُ شرباً
إن طيبَ المُدام بين الندامي وسرورُ الندمانِ فيمن أحبَّأ
لوراوا لذةً بدون شريبٍ لم يسمَّوا ندامى وشرباً

[٦٧٩] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم باغريب الحضرمي الشافعي^(١).

الفاضل العالم العامل، وُلد بجدة، ومات أبوه وهو صغير، ثم حمل إلى الشحر، وأقام بها سنتين، ثم عاد إلى مكة وتوطنها، وطلب العلم، وتجرّد

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

له، ولازم الشيخ عبدالله باقشير في دروسه، حتى تفقه به، وحضر دروس شيخنا محمد البابلي، ولازم عيسى بن محمد المغربي في الحديث والعربية، وأجازه جل شيوخه.

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، في محل شيخه عبدالله باقشير، بعد انتقال ولده سعيد، وأفاد الطلبة، وكان ذا فهم حسن، وحفظ جيد، وحفظه أجود من فهمه، وكان اعتناؤه بالفقه أشد من غيره من العلوم، وكان ورعاً زاهداً في الدنيا ورياستها، متجنباً أهلها، ولم يتزوج، ولم يزل على هذا الحال المرضي، إلى أن توفي بمكة، ثامن عشر ذي القعدة، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل باعلوي - نفع الله بهم -.

[٦٨٠] إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي الحرم بن أحمد الصبيحي المدني الشافعي^(١).

إمام حاز قصب السبق قبل خَطِّ عِذاره، وفاز بالتقدم على أقرانه بقوة عزمه واقتداره، طالما أسهر في طاعة ربه الأجفان، وأكثر من الصلاة والصيام، وتلاوة القرآن.

كان في العلم بحراً زاخراً اليم، ذا فضل مبذول لمن قصد وأم، بارعاً في عدة من الفنون، سالكاً طريق من سلف من صلحاء القرون، حسن الشكل، لين الجانب، كثير الإحسان للطلبة، معلماً ناصحاً، ومفيداً صالحاً، يقرب الضعيف من الإخوان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد المستهان، وكان

(١) «خلاصة الأثر» للمجيب (١/ ٤٢)، «نفحة الريحانة» للمجيب (٣٧٥ / ٤) (٣٢٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٦٨).

ربما ذكر عنده المبتدئُ الفائدةَ المطروقة، فيصغي إليها كأنه لم يسمعها؛
جبراً لخطره، وكان جمالياً في سائر شؤونه، يحب الجمال بالطبع، سليماً
عما يشينه، مثابراً على إيصال البر والخير لكل محتاج.

وُلد بالمدينة الشريفة، وأخذ عن والده، وعن شيوخ من أهل الحرمين،
واشتغل بالتدريس بالفنون العلمية، وأخذ عن جمعٍ، ولازم التدريس حتى
توفي يوم الجمعة، ثالث عشر صفر، سنة ثلاث وأربعين وألف.

وكان مع تبحره في العلوم، مقيماً لأوزان الشعر، مجيداً لنظمه، معجباً
به، محباً لأهله.

فمنه قوله :

لما بدا ميضاً	والقلبُ مشتاقٌ إليه
ناديتُ هذا قاتلي	والرايةُ البيضاء عليه

وقوله :

صادفته يجلسو فما حشوه	شهدٌ ودرٌّ وعقيقُ المدام
وقلتُ يا مولاي هل شربة	من ريقك العذبٍ لحرِّ الغرام
فقال جور منك أنت الذي	تدعى بإبراهيم طول الدوام
والنار برداً وسلاماً غدت	عليك ماذا الحرّ قلت السلام

وقوله في «تاريخ المدينة» للسمهودي :

فاعليه باستقصاء تاريخ الوفا	تأليف عالم طيبة السمهودي
-----------------------------	--------------------------

[٦٨١] إبراهيم بن محمد بن الأحذب الصالحى^(١).

كان معلماً للأطفال، في مكتبٍ قبالة مدرسة أبي عمر بالصالحية، عالماً جليلاً مسنداً، وله في الفرائض والحساب اليد الطولى، ولازم في آخر أمره جامع السليمية بالصالحية، يقرئ الناس فيه العلوم العلمية، وبلغ من السن أكثر من ثمانين سنة، وانتهى إليه علو الإسناد في الحديث.

أخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وابن طولون، وموسى الحجّاري، وغيرهم، وانتفع به جماعة، من أجلهم: العارف بالله أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي الصوفي المشهور، والعلامة علي القبردي، وكانت وفاته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف بالصالحية، ودفن بسفح قاسيون - رحمه الله -.

[٦٨٢] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد

ابن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي.

العلامة، الحبر الفهامة، بقية المجتهدين، طلب العلم هو وأخوه علي ابن محمد بن مطير، وبرع، وفاق أقرانه، وناظر، وكان شهماً في فتواه، وفي مناظرته صدوقاً، قال تلميذه الشيخ عبد الباقي بن عبد الرحيم بن عبد الباقي النزيلي الحكمي: لقيته سنة اثنتي عشرة بعد الألف في هجرته، وهو يدرس التدريس الذي يكاد يثمر قبل أن يورق.

وكان - رحمه الله - يتحرى من نجاسة الكلاب، فأى قرية فيها كلبٌ لا يدخلها إلا محمولاً، وكذلك الأودية التي لا تبلغ الجرية فيها قلتين،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٤١) (٧٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي

لا يدخلها إلا محمولاً، يقول: لعل كلباً مرّ فيها.

[٦٨٣] إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم جعمان^(١).

مفتي «زبيد»، كان على جانبٍ عظيمٍ من نشر العلم والتدريس، وإكرام الدّرسَة والوافدين، وكان حافظاً للمذهب، محدثاً نقالاً، يكاد يتوقد ذكاءً، كأنه كوكبٌ دريٌّ، وكانت إليه رئاسة مدينة زبيد، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة، عديم النظير في زمانه، أخذ عن شيوخ كثيرين، وعنه: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، وأخوه سليمان، ومحمد بن عمر حشير، والسيد محمد بن الطاهر بن بحر، والفقهاء محمد بن محمد العلوي، وكم من نجباء انتفعوا به!

وكان هو العمدة في عصره في الفتوى، والمعوّل عليه في حل المشكلات.

توفي سنة أربع وثلاثين بعد الألف، ويموته حصل النقص في مدينة زبيد، وخرب أكثرها، ودفن بباب سهام، بمقبرة بني جعمان - رحمه الله -.
وبنو جعمان قبيلةٌ من صريف بن ذؤال، أهل علمٍ وصلاح، وورع وفلاح، قال الإمام السرجي في «طبقاته»: كل أهل بيتٍ فيهم الغث والسمين، إلا بني جعمان؛ فإنهم كلهم سمين - يعني: صالحين -، ولعمري! لقد صدق فيما قال، وما صدف عن الحق ولا مال، فإن المذكورين قومٌ أصفياءٌ غالبهم الصلاح والتغفل، والاشتغال بالعلم، وقلّ من يدانيهم في منصب العلم؛ لكونهم عمدة أهل اليمن.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٩).

[٦٨٤] إبراهيم بن محمد السَّوْهائي المالكي الأزهري^(١).

كان ذكياً فاضلاً، عاملاً كاملاً، أخذ عن الأجهوري ومن في طبقته، ويرع واشتهر ذكره ببلاد المنصورة، من الديار المصرية، وحصلت له دنيا عريضة، بعد فقرٍ شديدٍ، فسلط عليه بعضُ الحسدة رجلاً طعنه وهو متوجه إلى مصر؛ لقضاء أغراض له فيها، فتوفي فيها قتيلاً، في حدود سنة ثمانين بعد الألف، حول مصر، ومن مؤلفاته «فتح القدير بترتيب الجامع الصغير للسيوطي»، رتبته على الأبواب.

[٦٨٥] إبراهيم بن محمد بن حسن بن حسين ابن الشيخ سعد الدين

الجباوي القبيباتي الدمشقي الشافعي^(٢).

كان عضداً لأخيه محمد السابق ذكره، وخليفته في حلقة الذكر بالجامع الأموي، وكانت الناس تذهب إلى زيارة أخيه، ثم إليه، فيكرمهم مثل كرامة أخيه، ويزيدهم، وإذا فعل أخوه مثوبةً، بادر إلى مثلها، وتحري الزيادة عليه، وكان محبوباً للناس، حسن الخلق، بشوشاً ودوداً، يحب الزائرين، ويكرم الواردين، ولم يزل متفقاً مع أخيه، حتى دخل بينهما الأعداء وتخاصما، إلى أن توفي يوم الخميس، تاسع جمادى الأولى، سنة ثمان بعد الألف، ودفن خارج باب الله، عند أهله بترية الحصني.

وأراد ولده كمال أن يحجر قبره، فاشتري له حجارةً من الصالحية، فرأى

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢١٢) (٦٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي

(١/ ٣٣).

في تلك الليلة يونس بن المدرس المترجم في المنام، وهو يقول له: الحق هذه الجمال الذاهبة إلى المقبرة، حاملةً هذه الحجارة الحرام، وقل لهم يرجعوا بها، ما لنا بها حاجة، فلما أخبر ولده بما رآه، سألوا عنها، فإذا هي منقولة من قبور محجرة كانت بالصالحية، فردوا الأحجار إلى محلها، واشتروا حجارةً غيرها جديدة القلع من الجبل، وكانت هذه كرامة له - رحمه الله تعالى -.

[٦٨٦] إبراهيم بن محمد بن عبد الكريم السفرجلاني الدمشقي^(١).

نسبةً لجد لهم كان يكثر السفر، فسئل عن سبب ذلك، فقال: السَّفَرُ جَلَانِي، أو إلى بيع السفرجل، وكان السائل له قاضي دمشق السيد الحلبي شارح «الملتقى»، فأجابه القاضي المذكور بقوله، وهو الأقرب؛ أي: النسبة إلى بيع السفرجل، فضحك من كان حاضراً، هكذا أخبرني المترجم من لفظه.

أديبٌ أريبٌ، ونجيبٌ بنُ نجيب، أورق عودُه بالشام وأثمر، وأينع غصنه بها وأزهر، وربّي في حجر والده، ممتعاً بطريف الأدب وتالده، مولده سنة أربع وخمسين بدمشق، وبها نشأ وترعرع، ويرع وتأدب، ونظم الشعر الفائق الرائق، فمما أنشدني قوله:

لُدَّ بالمتاب وعُدَّ عن جهل الصُّبَا	فأخو الذنوب طويلةٌ حَسَرَاتُهُ
واجنح إلى التقوى فطوبى لامرئٍ	غلبت على آحادِهِ عَشَرَاتُهُ

وقوله:

إن غَضَّ عن تلك العوارض عاذلي طَرْفًا فقد أصبحتُ من عشاقها

(١) «هدية العارفين (١/ ٣٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

وتجنب الأفعى الزمرد إنما

هو خيفة منه على أحداقها

وقوله :

لئن أغضَّ مَنْ أهواه عني طرفه
فمن شيم المعشوق عينٌ غضيضةٌ

وحدقت في ريحانه وشقائقه
حياءً وفتحُ العين شيمةٌ عاشقةٌ

وله :

أرأيت كيف نَضَى من الأحداق
ثَمَلُ القَوامِ يُريك من أعطافه
أحبَّ به قمرًا شعاعُ جبينه
يا للرجالِ لقد خَفِيَتْ صِباةٌ
ومنحْتَه قلبي فباتَ مفتتاً
وجنحتُ فيه إلى النسيب فحبذا

سيفاً يُراق به دُمُ العشاقِ
لَيْنَ الغصونِ تَمِيسُ في الأوراقِ
يكسو الحنادِسَ حُلَّةَ الإِشراقِ
وبسحر مقلته فأين الراقِي
أفلاذُه بحرارةِ الأشواقِ
نظمٌ يُزان من اسمِه بنطاقِ

وقوله :

يا لؤلؤاً أصدافه الياقوتُ
لقد ابتسمتِ فلاحِ منك لناظري
أحبِّبْ به سمطاً تناسقَ نظْمه
أنشاه مبدعُه وكَمَّلَ حسنه
عجبا له درأ على ما فيه من
عزِّ الوصولِ إليه يا قلبي فمت

قلبي عليك صِباةٌ مفتوتُ
سِمَطٌ بكلِّ ملاحه منعوتُ
فالطرفُ في لآلئه مبهوتُ
فأتى بديعَ النظم وهو شَتِيتُ
صغر له بين الجواهر صيتُ
كمداً فحارسُ كنزِه هاروتُ

وقوله:

سلبت قلبي ولم يشعر به جسدي وهكذا يفعل النفاثُ في العُقْدِ
لا واخذَ اللهُ نَجلاَ وَنِكَ إِذْ رَشَقَا سَهْمًا فلم يُخْطِثَا في رَشِقِهِ كَبْدِي
يا جُوذْرًا لم تزل أجفانُ مقلتيهِ تسطو على عاشقيه سطوةَ الأسدِ
مهلاً بتعذيب قلبٍ فيكَ مكتئبٍ قد عاقرتِه سُلَافُ الشوق والكمْدِ
إِلَامَ تمتدُّ في هَجْرِي بلا سببٍ أما لهجركَ يا مولاي من أمدِ
نظامٌ درُّ المعاني في صفاتك قد نيطت قلائدُه في غرة القصد^(١)

[٦٨٧] إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن العارف بالله تعالى خالد
البرماوي الأزهري الأنصاري الشافعي^(٢)، والبرماوي - بكسر أوله - نسبةٌ إلى
برمة، من نواحي الغربية.

فقيه مصر، وشيخ الجامع الأزهر، الإمام الجليل، الصالح المتبحر
في الفقه، والجامع بين الظاهر والباطن، المحب للصوفية - نفع الله بهم -،
المحبوب للمجاذيب، جمع الله له بين خيري الدارين، واغترف بعظيم فضله
أهلُ المصرين، وبارك له في أوقاته، فوزعها على طاعاته.

قرأ على الشمس محمد الشوبري، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي،
وعلي الشبراملسي، في فنون عديدة، ثم لازم دروس فقيه الديار المصرية
الشهاب القليوبي، واختص به، وسلك على طريقته، إلى أن نقله الله إلى

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلث صفحة بياض بالأصل».

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

كرامته، وتصدر بعده للتدريس بالجامع الأزهر، وعم نفعه، وحُمدت سيرته، ولازمه أفاضل كثيرون، وانتفعوا به.

وله مؤلفاتٌ في الفقه، منها: «حاشيةٌ على شرح المنهاج للمحلي»، و«رسالةٌ في مسألة: مُدَّ عَجوة ودرهم»، و«حاشيةٌ على شرح الرحيبة لسبط المارديني»، وغير ذلك، ولم يتفق لي الأخذُ عنه، مع ما بيني وبينه من كمال الصحبة، وزيادة المودة، توفي - رحمه الله - في شهر ذي الحجة، سنة ست ومئة وألف.

[٦٨٨] إبراهيم بن محمد العمادي الحنفي، المعروف بابن كسباي^(١).

الشيخ العلامة برهان الدين، المقرئ المجيد، شيخ القراء بدمشق، مولده ليلة السبت، خامس عشر ربيع الآخر، سنة أربع وخمسين وتسع مئة، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ عليه للعشرة من طريق «النشر» وغيره، وأخذ عنه غير ذلك من العلوم، وقرأ على شيخ القراء بدمشق الشهاب أحمد بن بدر الطيبي للبعة، والعشرة، وعلى الشهاب أحمد بن علي بن حسن الفلوجي، ختمه كاملةً لعاصم، والكسائي، ومن أول المائدة لأبي عمرو، وابن عامر.

وعلى العلامة السيد الشريف ملا عماد الدين علي بن عماد الدين محمود ابن نجم الدين بن علي القاري النحر آبادي أصلاً، الجرجاني منشأً، ثم القزويني من أول البقرة إلى «الْمُفْلِحُونَ» للعشرة، وقرأ على الشيخ المقرئ بدر الدين

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٢) (٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥).

حسن بن محمد بن نصر الصلتي، للسبعة جمعاً، ثم للعشرة من أول البقرة إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، وعلى الشيخ العلامة شرف الدين يحيى ابن محمد بن حامد الصفدي، من أول البقرة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوُتُ لَنْ نَضِيرَ﴾ [البقرة: ٦١] من طريق «الشاطبية»، وقرأ «النشر»، و«الشاطبية»، و«الدرة»، و«المقدمة»، وغير ذلك على الشيخ الطيبي.

ورحل إلى مصر، وأخذ بها عن العلامة المحدث النجم الغيطي وغيره، وكان يعرف العربية وغيرها من العلوم، وله شعرٌ، وكان علامة في التجويد والقراءات، وكانت له بقعة بالجامع الأموي يدرس فيها، وولي تدريس الأتابكية عن الشمس محمد الداودي، وكان فيه دعايةٌ ومزحٌ.

توفي يوم الاثنين، ختام ذي القعدة، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، عند الباب المقابل لمدرسة الصابونية، على يسار الداخل إلى المقبرة، في زاوية بين باب الحدادين الغربي والشمالي، أول قبرٍ ثمة - رحمه الله تعالى -.

[٦٨٩] إبراهيم بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الرحمن الميموني؛ نسبةً لميمون من بلاد الصعيد، الشافعي^(١).

الشيخ الإمام، العلامة الفهامة، المحقق المدقق، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، وخاتمة المحققين، كان فريد عصره في علوم التفسير والعربية، حافظاً مفنناً متضلعا من العلوم العقلية، مشهوراً بالعلم، خصوصاً عند القضاة وأرباب الدولة، مترفهاً في عيشه، كريم النفس،

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

رفيق الطبع، حسن الخلق، فصيح اللسان، وجهاً مجللاً عند عامة الناس
وخلصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة.

وإذا حضر مجلساً فيه علماء، يكون هو المتكلم من بينهم، والمشار إليه
فيهم، وكانت الموالي من قضاة العساكر تسأله في التفسير وغيره، ويؤلف لهم
فيها الرسائل، واجتمع فيه حسن التقرير، وتحير التأليف والتحرير.

وُلد بحضر، سنة إحدى وتسعين وتسع مئة، وبها نشأ، وقرأ القرآن،
ولازم والده سنين عديدة، وكان يحضر معه وهو صغير دروسَ الشمس محمد
الرملي، وأجازه بعروياته، وأخذ عن العلامة أبي بكر الشنواني، ومنصور
الطلاوي، وأحمد الغنيمي، وغيرهم من علماء عصره، وأجازه جلُّ شيوخه.

وعنه أخذ شيخنا عبد القادر البغدادى، وشاهين الحنفي، وغيرهما من
سراة العلماء، وأُخبرت: أن شيخنا أبا الضياء علياً الشيراملي حضر مجلسه،
بالجامع الأزهر في بعض «المختصر للسعد»، وكان يقرئ في أواخر عمره
في بيته، كل يوم من طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، فنون العلوم الشرعية.
وكان له ولدٌ فاضلٌ اسمه أحمد، مات قبله بنحو ثلاثة أشهر، وجزع عليه
جزعاً شديداً، وكان بيني وبينه مودةٌ شديدة، وصحبةٌ أكيدة، وحضرت مع من
حضرني مجلس التعزية، فخطبني متوجعاً ومنشداً قول المتنبي:

لولا مفارقةً الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلاً

وحضرت دروسه كثيراً، وكان يدعو لي، وله مؤلفات كثيرة، ورسائل
في فنون العلوم شهيرة، منها: «حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني»،
و«حاشية على المختصر للسعد»، و«حاشية على تفسير البيضاوي»، و«معراج»

في مجلدٍ ضخّم، وغير ذلك مما يطول ذكره، واستمر ممتعاً بحواسه، منهمكاً في بث العلم وإفادته، حتى توفي ليلة الثلاثاء، ثامن عشر شهر رمضان، سنة تسع بعد الألف، وصلى عليه في مشهدٍ حافلٍ بالجامع الأزهر، بين العصرين، إماماً بالناس، شيخنا منصور الطوخي - رحمهما الله -، ودفن بترية المجاورين.

[٦٩٠] إبراهيم بن محمد، المعروف بابن الطباخ^(١).

لأن أباه كان طباحاً لطعام الأفرّاح والمهمات، وطلب ولده العلم، حتى حصل قدراً مفيداً منه، ولازم قاضي دمشق محمد بن معلول، وجعله نائباً، ثم توجه إلى قسطنطينية، ثم عاد إلى دمشق، سنة أربع وتسعين وتسع مئة، متقاعداً عن الدرس^(٢)، وهذا التقاعد يسمونه في طريقته: الموتة الكبرى؛ لأنه يبقى سنين فيه، حتى يترقى منه؛ ليكون بعد ذلك من الموالى.

ثم تقلبت به الأحوال بدمشق، وكان يميل إلى الصوفية، ويعتقدهم، ووقع بينه وبين النجم الغزي ما يقع بين المتعاصرين، وانضم إليه الشيخ محمد ابن المنقار، والشمس محمد الداودي، وأرادوا أن يقيموه من مجلس درسه، ويمنعوه من التدريس في الجامع.

فبلغ ذلك شيخه أحمد العياشي، فأتى إليه، وقال له: يا ولدي! أرى أن لا تخرج في هذا اليوم، وذكر له القصة، فقال له النجم: يا مولاي! لا بد من الخروج، فإني البارحة رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقد استخلصني من

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢١٦) (٦٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣٢ / ١).

(٢) في الأصل: درس.

جماعة يريدون أذيتي، فأدخلني في حجرة، وأسبل عليّ ذيله، وكنت كذلك رأيت هذه الرؤيا تلك الليلة، فبكى شيخه، وقال له: إذن اخرج على بركة الله تعالى.

فلما خرجت إلى المسجد، وجلست في المجلس، أكتب الناس عليّ واجتمعوا يستمعون، فكان الدرس - إذ ذاك - على وجه المصادفة، في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣]، فلما قرأت الآية، وافتحت الدرس، كثر الناس، وكان الثلاثة المذكورون قد اجتمعوا لما لَهَجُوا به، فلما بَصُرُوا بالمجلس من بُعد، رهبت قلوبهم، ثم خرجوا من باب البريد، وأبصروا من الناس عين الإنكار عليهم.

ثم ألف المترجم رسالة صغيرة في النجم وفي إقرائه لتفسير والده البدر، فتصدى القاضي العلامة محب الدين الحموي للرد عليه في رسالة سماها: «السهم المعترض في قلب المعترض»، وألف الشهاب العيثاوي رسالة أخرى لذلك سماها بـ: «الصمصامة المتصدية لرد الطائفة المتعدية»، وكتب إليه القاضي محب الدين الحموي قوله:

إن ذا ابن الطباخ قبحه اللّٰه هـ تعالى وشوّه الله خلقه
رام في الشام أن يسود زوراً قلت والله أنت أسود خلقه

وكان ابن الطباخ آدم اللون، ثم مات المترجم والداودي في يوم واحد، يوم الثلاثاء، ثاني شعبان، سنة ست بعد الألف، ودفن بمقابر الصوفية، بالشرف القبلي، عند الميدان الأخضر بالمرجة، بوصية منه - رحمه الله -.

[٦٩١] إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي، الجينبي

الأصل والمولد، الدمشقي الدار^(١).

أخذ عن الشيخ خير الدين، اجتمعت به بمكة، سنة اثنتين وثمانين، وهو رجل فاضل بارع أديب، له اطلاع تام ومعرفة للكتب جيدة، وتوطن دمشق، وصار له بها مكانة، توفي سنة ألف ومئة وسبع - فيما أظن - بدمشق - رحمه الله تعالى وإيانا -.

[٦٩٢] إبراهيم بن محمد بن السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري

الحسيني .

السيد الفاضل، العارف الكامل، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء الناسكين .

وُلد بمكة، وبها نشأ، وقرأ على جماعة من علمائها، منهم: الشيخ علي ابن الجمال الأنصاري، وتفرغ للعبادة من الصيام والقيام، إلى أن توفي ليلة النصف من شعبان، سنة ثمان وثمانين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة جده، وكان بيني وبينه مودة أكيدة، وصحبة شديدة، وله أشعار كثيرة، منها: قوله...^(٢).

[٦٩٣] إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي المالكي^(٣).

أحد علماء المالكية الكبار بالديار المصرية، أخذ عن الشيخ علي

(١) «سلك الدرر» للمرادي (١ / ٦)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٤١).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» أربعة أخماس صفحة بياض».

(٣) «هدية العارفين» (١ / ٣٦)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١ / ١١٧)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٧٣).

الأجهوري قليلاً، وأكثر أخذه وانتفاعه عن يوسف الفيشي، له «شرح جليل على مختصر خليل» في مجلدات، و«شرح على العشماوية»، و«شرح على الأربعين النووية»، و«شرح على ألفية السيرة للعراقي»، ولكنه عزيز، ومؤلفات في فنون شتى.

وكان حافظاً حسن التقرير جداً، وحصل له فالج قطعته عن الإقراء مدة، ثم مات غريقاً وهو متوجه من مصر إلى رشيد ببحر النيل، سنة ألف ومئة وست تقريباً - رحمه الله -، وعمره نحو ستين سنة، وكان بيني وبينه مودة أكيدة - رحمه الله -.

[٦٩٤] إبراهيم بن مسعود، صاحب الظهرين^(١).

كان رجلاً علامة، له مشاركة في كل فن، وكان حفاظة حتى قال بعض الناس: هذا خزانة العلم، يروى أنه كان يحفظ من كلام العوئدي ثلاث مئة قصيدة، ووصف شعره بأنه السهل الممتنع، أخذ الحديث وغيره عن عبد الرحمن بن حسين النزيلي، بهجرة القيري، من أعمال المحويت، من أرض كوكبان، ولعله مات في العشر الأول من هذا القرن.

[٦٩٥] إبراهيم بن محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني^(٢).

نقيب الأشراف بدمشق، مولده كما - أخبرني من لفظه - في ذي القعدة، سنة أربع وخمسين وألف بدمشق، وقدم حاجاً سنة ألف ومئة وتسع عشرة،

(١) «طبقات الزيدية» الكبرى (١/ ٧٧) (١٩)، وذكر وفاته في ١٠٠٨ هـ.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٨٦) (٦٦)، «سلك الدرر» للمراذي (١/ ٢٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

واجتمعت به بمكة، وأخذ عن والده، وعن إبراهيم الفتال ومعاصريهما، ومن مؤلفاته: كتاب «أسباب الحديث» في مجلدٍ حافلٍ.

وتوفي - رحمه الله تعالى - مرجعه من الحج، سنة ألف ومئة وعشرين، لعله في شهر محرم، بمنهل الحاج، المعروف بهدية، من طريق الركب الشامي.

وأخوه السيد عبد الرحمن بن محمد، مولده في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وألف، ووفاته في ربيع الأول، سنة إحدى وثمانين وألف بدمشق، ودفن بالصالحية، بترية الإيجية، وأخوه السيد عبد الكريم بن محمد، مولده في ذي القعدة، سنة خمس وخمسين وألف، ووفاته ثالث رجب سنة ثمان عشرة ومئة وألف، ودفن بالإيجية - عفا الله عنا وعنهم آمين -.

[٦٩٦] إبراهيم بن منصور الفتال الحنفي الدمشقي^(١).

الشيخ العلامة، صارم الدين، وبقية المحققين، الإمام الفقيه، الأصولي المتكلم، الحكيم المنطقي، الجدلي الخلافي النظار، جامع شتات العلوم الدينية، وشيخ الفنون العقلية.

وُلد بدمشق - تقريباً - سنة خمس وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وأخذ عن شيوخها، ولازم العارف بالله أيوب بن أحمد الخلوتي الصوفي.

وتصدر لإقراء الكتب الدقيقة، بمسجد بني أمية، وأخذ عنه أفاضل كثيرون؛ كشيخنا محمد التجيبي الحلبي، والشيخ أبي السعود بن تاج الدين البعلبي، وأبي المواهب الحنبلي، وعبد القادر بن عبد الهادي العمري، وأبي

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٥١)، «نفحة الريحانة» للمحيي (١/ ٥٦٦) (٥٦).

الصفاء ابن الشيخ أيوب، وأخيه أبي الإسعاد، وخلق لا يحصون كثرة، وعم
النفع به لأهل قطره، وانفرد في العلوم النظرية في عصره، واشتهر ذكره في
كل ناد وواد، وعم فضله سائر البلاد، وله «حاشية على شرح القطر لابن
هشام».

توفي بدمشق، في شهر ذي الحجة، ختام سنة سبع وتسعين وألف.
ومن شعره: قوله مضمناً:

هل أسفرَ الصبحُ أم بدرُ الدجى طلعا	أم فرقُ مُنْتَبِي الوضاحُ قد لمعا
أم قد تبسم مَنْ أهوى فلاحَ لنا	من فيه برقُ الثايبا الغرُّ أو سطعا
فقمْتُ أكشفُ ما قد صار مشتبهاً	فخلت حباً لجفني النومُ قد منعاً
ناديته خائفاً أن لا يجاويني	ومهجتي من جفاهُ قُطعتِ قُطعا
يا بن الكرام ألا تدنو فتبصرَ ما	قد حدثوك فما راءِ كمن سمعا

[٦٩٧] إبراهيم ابن الولي صاحب جبل بني عراف.

كان من أولياء الله، حُكي عنه أنه كان يرى النبي ﷺ في كل يوم خمس
مرات، وفي آخر عمره ست مرات، توفي - رحمه الله - سنة عشر بعد الألف
تقريباً^(١).

[٦٩٨] الشيخ إبراهيم بن أحمد البافعي^(٢) - بيا تحتانية وبالفاء والعين

(١) وهذا من تهويل ومبالغات ذلك العصر.

(٢) «نشر العرف» لزيارة الصنعاني (١/ ٥) (٢)، «البدر الطالع» (١/ ٧)، «نسمة السحر»
للصنعاني (١/ ٨٦) (٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦١١).

المهملة - نسبة إلى يافع : قبيلة باليمن ، من قبائل حمير .

الشاعر المشهور بصنعاء ، توفي في شهر رجب سنة ألف ومئة وعشر
بصنعاء ، ودفن بجربة الروض - رحمه الله تعالى - .

أحد شعرائها المجيدين ، وأدبائها المجيدين ، كان فاضلاً أديباً ظريفاً
خفيف الروح ، اشتغل بصناعة الأدب ، فكان بها قيماً ، وعرف بالشعر ، فأصبح
به متوسماً .

اجتمعتُ به بصنعاء ، يطرف جلسه بمحاسن العلوم ، ويعرب في البحث
عن كل خفي من المعارف مكتوم ، وذاكرته ، فرأيت رجلاً قد أخذ من كل
معرفة قدحاً وافراً ، وأطلع من كل فضيلة نوراً باهراً ، يردد الهمة بين فضائل
أدبية ، وخلاتق شرعية ، وطرائق ما خرجت عن القوانين الدينية ، وقد أدركته
حرفة الأدب دره دهره ، وصافاه فقره ، فاتخذ الشعر بضاعة اكتساب ، وجعله
وسيلة يفتح بها أبواب الطلاب .

مولده - كما أخبرني من لفظه - بصنعاء سنة ست وثلاثين وألف ، وقرأ
بها فنون العلوم على مشايخ كثيرين ، منهم : القاضي العلامة عبد الرحمن
الحيمي ، والفقهاء على الفقيه هادي القويحي ، وأخذ عن العلامة أحمد بن الحسن
السحولي فنون العربية ، وتوفي بصنعاء في شهر رجب سنة ألف ومئة وعشر ،
ودفن بجربة الروض .

ومن شعره : ما كتبه إلى العلامة زيد بن محمد بن الحسن قوله :

ألا قل لزيد . . .^(١)

(١) جاء في الحاشية : « كتب بهامش الأصل أمام هذا (يكتب من المجموعة) »

وقصيدة كتبها إليّ بصنعاء مطلعها:

ما لاح بدر بالغيور ورفرفا... (١)

[٦٩٩] السيد إبراهيم بن يحيى بن المهدي الحجاف.

وبقية نسبه في ترجمة ولده إسماعيل.

العالم العامل، والمحقق الكامل، المتوحد في عصره بعلومه، المنفرد بما حواه من منظومه ومفهومه، له مؤلفات منها: «شرح مفيد على مفتاح الفرائض للغضنفرى»، وكانت وفاته سنة... (٢).

[٧٠٠] إبراهيم بن يحيى بن الهُدَى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد

الحجاف (٣).

كان هذا السيد الجليل من أهل الملكة لنفسه، والرياضة الكلية؛ بحيث لا يروى عنه رواية، وإنه - في الغالب - لكثرة حفظه للسانه، وإنما يجري مع الأصحاب بالتبسم والاستماع لمقالهم، وإظهار التعجب والاستغراب لما يُروى عنه؛ كأنه لا يعرف شيئاً:

فتراه يُصغي للحديث بسمعه وبقلبه ولعلّه أدري به

وكان - مع ذلك - متقناً لأموار دينه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة،

= وترك بياض ثلث صفحة.

(١) جاء في الحاشية: «كتب كذلك أمام هذا بأنه يكتب من المجموعة، وترك له صفحة».

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ بالأصل».

(٣) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٣) (٢٧).

مواظباً على الجماعة بالمسجد الجامع بـ «حبور»، حتى لا يروي أحد أنه تخلف عن المسجد في وقت الصلاة إلا لعذرٍ عظيم، وكان مشهور الحال، عظيم الذكر، متولياً للقضاء، راضيةً عنه قلوب الناس؛ لما يعلمون من صدقه، وإنزاله للناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع.

وله «شرحٌ على المفتاح في الفرائض» أجاد فيه، وقرأه الناس عليه، وانتفعوا به، وأتى فيه باصطلاحات غير اصطلاحات الأصحاب، ثم جعل لذلك مقدمة؛ لتعرف مقاصده، وله «شرحٌ لأبيات الجعدي في التلاوة لآي الفاتحة ومخارج حروفها».

وله أشعارٌ فائقةٌ رقيقةٌ، وخمسة قصيدة الحلبي التي مطلعها:

فيروزُج الصبح أم ياقوتةُ الشفق بدت فهبجتِ الورقاء في الورق

ومما نقله ولده العلامة إسماعيل من شعره قوله:

وإذا أسبل الظلامُ رُواقاً	وهذا معشر به فاستراحوا
فأنا أرفعُ الأكفَّ إلى من	خطرةُ القلب عنده إيضاحُ
قائلاً ربُّ أنت أعلمُ بالحا	ل فقيم السؤالُ والإلحاحُ
وإذا اليأسُ رامَ هدمَ رجائي	قال حسنُ الرجاله لا براحُ
ولعمري ما يهدم اليأسُ ظني	والإلهُ المؤملُ المُستماحُ
لو تكون السماءُ والأرض رتقاً	أو تحولُ السيوفُ والأرماحُ
هذه نيةُ الكرامِ لعمري	وبها طالما استراحوا وأراحوا
كلما جاءهم من اليأس كاسٌ	فله من رجائهم أفراحُ

ومولده - رحمه الله - في رمضان، عام إحدى وسبعين وتسع مئة، وتوفي وقت الظهر، يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة خمس وستين وألف، بمدينة حبور، وهو والد العلامة السيد إسماعيل ويحيى، - رحمهم الله -.

[٧٠١] السيد إبراهيم بن زيد بن علي الحجاف^(١).

له في المجد بيت معمور، شيدته، بما له^(٢) من اللؤلؤ المنظوم والمثور، وزاد بسهولة تلك المعاني على البلبل والهزار والشحور، وشرح صدرَ الحي من أهل البيت، الحجافي والميت، وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت، وله مع بديع الشعر حسنُ التصرف في الإنشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومن شعره مضمناً أبيات العباس بن الأحنف:

الحشرُ من وصلِ الأجابة أقربُ	وصفاء من يهواه عنقا مُغربُ
يا أيها البدر الذي من رامةُ	طلب المحال وما يمتنى أشعبُ
فالحبُّ بحرٌ ليس يركب موجَه	إلا أخو غررٍ فبئس المركبُ
والعاشقان كلاهما متعَبُ	وكلاهما متوعَّد متغضبُ
راجعُ أحبَّكَ الذين تودُّهم	إن المتيمِّمَ قلماً يتجنَّبُ
إن المحبَّ إذا تطاول عهدُه	رب السلو فعزَّ عنه المطلبُ

وكتب إلى الفاضل الأديب الشهاب أحمد ابن القاضي العلامة محمد بن

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٢٥) (٨)، وذكر وفاته في ١١١٦هـ، «طبيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٧٦).

(٢) في الأصل: شيد به ماله.

الحسن الحيمي قوله :

لم تزل في الحبِّ عذالي تُلحُ
فَهَيَّ تُملِي والهوى يصبو إلى
لستُ أرتاح إلى الراح التي
إنما أذهلَ عقلي في الهوى
وخصمٌ من همومٍ خضته
ولأفكاري على أمواجه
يا سقاها الله في الطَّلح لنا
والأثيلات التي في غورها
إن شدا القُمري على أوراقها
فإلى كم تُضرم الأحشاء في
ومتى يكشف عني ليلها
ماجدٌ من بني الحيمي له
كم له مِنَّةٍ في طيِّها
وعقودٍ لي فيه درُّها
كعبةُ الإفضال من يجعله
فاترح من مكرمٍ سائله
أنكح الذيب والشاة معًا
كم سطورٍ بالقنا يكتبها

وترى أن الهوى يطفيه نصحُ
رسم ما تُملِي ودمعُ الشوق يمحو
قد أتى في شربها دمٌ وقيحُ
نارُ اشتياقٍ لها بالزَّندِ قذحُ
هائلُ الموج له في القلب طفحُ
فلكُ آمالٍ لها عَومٌ وسَبجُ
وقفَةٌ تبقي لنا ما اخضرَّ طلحُ
يا لكم قد زارها غيثٌ يسحُ
أَرَقَّ أجفاني وأملَى العينَ قرحُ
مهجتي من حرها نارٌ ولفحُ
من صفي الدين والإسلام صبغُ
في العُلا من ربه نصرٌ وفتحُ
بين إسعادي وبين الدهر صلحُ
غَزَلٌ راقى معانيها ومدحُ
متجرًا للخير لا يعدوه ربحُ
لن ينل فقراً ولا يُغريه شحُ
في الفضا لا يهرب السرحانَ سرحُ
وصدورٍ بجيد السيف يمحو

الصفى الذي من جوده
نجل عز الدين من حاز التقى

فأجابه بقوله :

طي ذاك النسر للمشتاق نفح
ألف أهلاً بنسيم طيئه
أذكر المضى زماناً مرّ في
حيث لي شطح بروضات الحمى
ودموع المزن تجري ولها
ونجوم الزهر في أفق الربى
وقويم الغصن من سكر الندى
ولكاس الراح مزج ولنا
يا سقى الله العقيق المشتهى
إن تناءى منه سفح فيه فو
يا حلولا بثنيات اللوى
فاقبلوا من دمعتي لي شاهداً
أه لهفي ولكم من مرة
لزمان طاب وصلاً مثلما
واحد العصر وشمس الظهر من
زان بالتهذيب منه منطقاً

رب فضل ما له حصر وشرح
والذي ما قاله فهو الأصح

فلذا كان له في القلب لفح
لأحاديث الحمى والبان شرح
حلو عيش وله بالوصل ملح
ولوزق البان في الأغصان صدح
في خدود الورد بالأوراق مسح
طالعاً ما محاه قط صبح
ثمل الأعطاف ما إن عنه يصحو
بالتصابي في خلال المجد مزح
غدقاً عذباً له كالدمع طفع
ق خدي من دموع العين سفح
مسنى بعد النوى والبعدي قرح
ما له إلا على الأوجان جرح
قلت لهفي ولزند الوجد قدح
طاب لي في وصف إبراهيم مدح
أصبحت فيه له العلياء تضحو
فهو بالإعراب نحو النظم ينحو

جاءني منه نظامٌ رَمَلا وله نجوى لفرطِ الشوقِ جمعُ
بانَ عن زُهر المعاني فزهي في سما^(١) قرطاسه للنفسِ جنحُ
لو رأى منه النباتي ما رأى لرأى ما لم يَشْنِه قَطُّ قبحُ
ولنادى بأعلى صوته ما بقي لي عند وزن الشعر رجحُ
لم يطب لي أبداً من بعدِ ذا طولُ دهري في رياض الكتبِ شرحُ
دام ما ماد على روضِ النقا غصنٌ قد هَزَه الورقُ صدحُ

[٧٠٢] السيد إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد

الحجاف.

كان سيداً جليلاً تقياً، ولي بلاد كسمة، من أخيه السيد الشهير زيد بن علي، وسلك مسلك آبائه وأجداده على الطريقة النبوية، وكان عالماً أديباً، له اليد الطولى في النحو والبيان والمنطق، والفقه وأصوله، أخذ كثيراً عن السيد الحسين بن القاسم، قرأ عليه في البستان بصنعاء مدة إقامته بها كتباً متعددة.

توفي - رحمه الله - ضحى يوم الثلاثاء، سلخ شهر صفر، سنة ثمان وتسعين وألف، ودفن بالمدرسة، بإزاء مشهد والده بمدينة كسمة، وكانت ولايته لها خمساً وعشرين سنة.

[٧٠٣] السيد إبراهيم زين بن زيد بن علي.

مولده عاشر ذي الحجة، سنة خمس وسبعين وألف، له مؤلفات منها: «زهر الكمائم في محاسن العترة من آل هاشم» ذكر فيه جماعة من

(١) في الأصل: سماء، والصواب ما أثبت.

أدباء العصر، ممن كاتبه.

[٧٠٤] إبراهيم بن الحسين بن الحسن ابن الإمام القاسم.

إمام البلاغة المظهر للقريض شموساً وأقماراً، ووحيد هذه الصناعة
بهاءً وأنواراً، ذي الخلق الرضي، والوجه المضي، له نظمٌ فائقٌ، وخطٌ بديعٌ
رائقٌ، منه قوله من قصيدة:

إلى كم أداري ألفَ واشٍ وحاسد وها عبرتي فوق الخدود شواهدُ
وكيف أرى إخفا هواها وكتمه يليق وهذي دارها والمعاهدُ
إلى الله من صَبَّ تملكني الهوى مهفهفةٌ في جها الطرفُ ساهدُ
ربيبةٍ ملك ما أرى لجمالها وكلُّ جمال دونها فهو كاسدُ

ومنها:

ومن قاسها بالبدر عندَ طلوعها فذاك قياسٌ في الحقيقة فاسدُ
توفي في شهر محرم، سنة سبع ومئة وألف، ودفن بحريمه، في باب
القبة التي فيها والدته والدة الشريفة الطاهرة زكية بنت عبد الرب.

[٧٠٥] السيد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف^(١).

أحد العلماء العاملين، والأدباء الصالحين، الواصل في السلوك إلى
النهاية، والبالغ في الديانة إلى أقصى الغاية، والتمسك بالسبب الأقوى،

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي
(٣١١).

من الورع والتقوى .

وُلد بالقارة، إحدى مدائن حضرموت، سنة ثمان عشرة وألف، ونشأ في عبادة الله، وما يرضاه مولاه، وحفظ القرآن العظيم حفظاً جيداً، ولازم قراءته ومدارسته، وتربى في حجر والده، وصحب جماعةً من أكابر السادة، منهم: العارف بالله السيد أحمد الحبشي، والسيد عبد الرحمن بن علي باحسن، صاحب القارة.

ثم طلبه إلى مكة عم والده، السيد الجليل علوي بن علي بن عقيل، فرحل إليه، وقربه وأذناه، وحصل له ما كان يتمناه، وألبسه الخرقة الشريفة، ولقنه بعض الأذكار المنيفة، ولزم خدمته، وواظب صحبتته، وزوجه على بنت ابنه، وصار كخليله، وجعله وصياً من بعده على أهله وولده، ثم اشتغل بتحصيل العلم النافع، وظهر عليه نوره الساطع.

وأخذ عن السيد العارف بالله محمد بن علوي علم التصوف، وألبسه الخرقة الشريفة وحكمه، وكان يحبه ويشي عليه، وأخذ عن شيخنا خاتمة المحدثين، محمد بن علاء الدين البابلي، وعبدالله بن سعيد باقشير، عدة كتب في عدة فنون، من التصوف والعربية، والفرائض والحساب والميقات وغيرها، وكان صاحبه وصديقه، وخِذنه ورفيقه، وصار شيخنا المذكور من بعده خليفة على أهله وولده.

وكان مواظباً على السنن الشرعية، والآداب النبوية، يحب الفقراء والمساكين، ويكرم الضيفان والوافدين، كريماً سخياً، ألعياً تقياً، يحب العلم وأهله، ويكرمهم ويحسن إليهم الإحسان التام، متواضعاً حليماً صبوراً، كثير التلاوة، ملازماً للجماعة، وملك كتباً كثيرة، ووقف كثيراً منها بأمر شيخنا

محمد البابلي، فإنه كان قائماً بخدمته، لا سيما في مجاورته بمكة الأخيرة،
سنة سبعين .

توفي - رحمه الله - بعد ظهر يوم تاسوعاء، من شهر محرم الحرام، افتتاح
سنة أربع وسبعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بالحوطة - رحمه الله
تعالى - .

[٧٠٦] أبو بكر بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
ابن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم، الفقيه
محمد المقدم رحمه الله (١).

صاحب بيجا فور، ذو العمل المبرور، والعقل المشكور، السيد الهمام،
عالي القدر والهمم والمقام، خلاصة أهل الجود والكرم، المعروف بمحاسن
الأوصاف والشيم.

وُلد بتريم، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وصحب العارفين في زمانه،
وعلماء عصره وأوانه، منهم: الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين
العابدين، والسيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، وأخذ عن أخيه
القاضي أحمد بن حسين.

غلب عليه علم الصوفية، كما غلب على أخيه أحمد العلوم الفقهية، ثم
رحل إلى اليمن، المحفوف باليُمن، فقصد السيد العارف الشيخ الولي عبدالله
ابن علي بالوهط، وصحبه مدةً، وأخذ عنه، وألبسه الخرقة، ثم رحل إلى

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي
(٣١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٨٢).

الديار الهندية، طلباً للمراتب العلية، فأخذ عن شمس الشموس، الشيخ محمد ابن عبدالله العيدروس، ببندر سورت المحروس، فزال عنه كل عائق وبوس، وألبسه الخرقة الشريفة، بجميع طرقها المنيفة، وأذن له في الإلباس، لمن شاء من الناس، وبسببه اجتلى تلك العروس، واجتنى من تلك الغروس.

ثم بعد انتقال شيخه من هذه الديار، جال في تلك الديار، وأخذ عن جماعة من الأخيار، واجتمع بالملك عنبر، وفاح مسكه الأذفر، وكانت حضرة الملك عنبر مجمع السادة العلماء، ومعدن الفضل والأدباء، ثم انتقل الملك عنبر، وخرب الله مملكته ودمر.

فرحل إلى بيجافور، وهو بلد بالهند مشهور، واتصل بسلطانها المنصور، السلطان محمود ابن السلطان إبراهيم المشهور بعادل شاه - رحمه الله - فأحله السلطان لديه محلاً عقد فيه نواصي الآمال بين يديه، وأمطره سحائب جوده وكرمه، ورد شباب أمله بعد هرمه، واقتعد الرتبة القعساء.

وأصبح وهو رئيس الرؤساء، وجعله من خاصة أحبائه، وخواص جلسائه، فتدبر بيجافور، وبها استقر، وألقى بها عصا السفر، وطنب بيته على المجرة، ومد رواقه قتلاً بالمسرة، وبذل ماله وجاهه للعباد، الحاضر منهم والباد، وصار ملجأً للوافدين، ومأوى للفقراء والمساكين، وكان كرمه كالبحر الزاخر، والمهيح الذي لا يعرف له أول من آخر، يكرم القاصي والداني، ويؤمن الخائف الجاني، فعم صيته الأقطار، وطار ذكره فيها واستطار.

وصحبه شيخنا السيد محمد الشلي - رحمه الله - في تلك البلاد، فحصل له منه مزيد الإمداد، وفي آخر عمره كُفَّ منه البصر، وانشالت عليه الخيرات كوابل المطر، وابتلي بداء عضال، إلى أن ناداه منادي الارتحال، فانتقل إلى

رحمة الله الكبير المتعال، سنة أربع وسبعين وألف، بمدينة بيجافور، ودفن بمقبرة السادة، قريباً من السور - رحمه الله تعالى - .

[٧٠٧] أبو علي ماجد بن هاشم بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد الحسيني البحراني^(١).

قال في «السلافة»: هو أكبر من أن يفي بوصفه قول، وأعظم من أن يقاس بفضله طول، نسبٌ يؤول إلى النبي، وحسب يذلُّ له الأبي، وشرفٌ ينطح النجوم، وكرمٌ يفضح الغيث السَّجوم، به أحيا الله الفضل بعد اندراسه، وردَّ غريبه إلى مسقط رأسه، شفع شرف العلم بظرف الأدب، وبادر إلى حوز الكمال وانتدب، فملك للبيان عناناً، وهصر من فنونه أفناناً، فنظمه منظوم العقود، ونثره مشور الروض المعهود.

ومما يُسَطَّر من مناقبه الفاخرة، الشاهد بفضله في الدنيا والآخرة: أنه كان قد أصابته في صغره عين، ذهبت من حواسه الشريفة بعين، فرأى النبي ﷺ في منامه، فقال: إن أخذ بصره، فقد أعطى بصيرته.

وُلد ونشأ بالبحرين، فكان لهما ثالثاً، وأصبح للفضل والعلم خازناً ووارثاً، وولي بها القضاء، فشرف الحكم وأمضى، ثم انتقل إلى شيراز، فطالت به على العراق والحجاز، وتقلد بها الإمامة والخطابة، ونشر حبر فضائله المستطابة، فتاهت به المنابر، وياهت به الأكابر، وفاهت بفضله ألسن الأقلام، وأفواه المحابر، ولم يزل بها حتى توفي سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٢)، «خلاصة الأثر» للمجيب (٣٠٧ / ٣)، «الأعلام» للزركلي (٢٥١ / ٥).

ومن قوله متغزلاً:

حسناً ساءت صنيعاً في متيمها يا ليتها شفعت حسناً بإحسان
دنت إلينا وما أدنت مودتها فما انتفاع امرئ بالباخل الداني

وقوله في مليح قارئ:

وتالٍ لآي الذكر قد وقفت بنا تلاوته بين الضلالة والرشد
بلفظ يسوق الزاهدين إلى الخفا ومعنى يسوق العاشقين إلى الزهد

وقوله:

وذي هيفٍ ما السوردُ يبالغ صدرَ وجنته في احمرارٍ ولا نشرٍ
يرينا من العليا أن يسمُ وصله علينا بما فوق النفوس ولا تسري

[٧٠٨] أبو بكر الكردي الشافعي^(١).

نزيل دمشق، قدمها مع خاله دون البلوغ، وكان عليه أثر الصلاح والنجاة،
قرأ القرآن، ثم لازم شيخ الإسلام أحمد العيثاوي، فحل عليه نظره، وكان
يوذه ويدعو له، فقرأ عليه «المنهاج»، و«المحلى»، و«الأنوار»، وقرأ على
الشمس محمد الميداني حتى برع، ولازم النجم الغزي، وقرأ عليه العربية
وغيرها، واختص بها.

قال النجم الغزي: فلم يكن بأسرع من أن برع وفضل، وصار فقيهاً

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٣) (٨٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(١/ ١١٠).

علامةً، وأخذ عن الشمس الداودي الحديث وغيره، ولازم مجلسه، ثم حصلت له بقعة في الجامع الأموي، وانتفعت به الطلبة سنين عديدة، مع وجود مشايخه، وكان ممن قرأ عليه: الكمال العيثاوي، وكان قانعاً راضياً من الدنيا باليسير.

قال النجم: وكان يدخل عليّ، فيجد بين يدي «شرح الوجيز»، ونحوه من كتب المتقدمين، فقال يوماً لي: يا مولانا! مطالعة كتب المتقدمين تشوش الفهم؛ لأنه يعلق بالذهن ما فيها، وقد لخصها المتأخرون، ويبتأ المصحح منها، فكنت أقول له: يا شيخ أبو بكر! الفقه في كتب المتقدمين، فإذا طالعناها، علمنا مأخذ المتأخرين.

قال: فرأى شيخ الإسلام الوالد في المنام، والناس مقبلون عليه، يقبلون يديه، قال: فقلت لبعض القوم: من هذا الرجل الكبير الذي أقبل الناس عليه؟ فقل لي: هذا شيخ الإسلام الشيخ بدر الدين الغزي، فقلت في نفسي: هذه الغنيمة، ومن لي بالاجتماع بهذا العالم الكبير؟! قال: فبادرت إليه، وقبلت يديه، فقال لي: أنت أبو بكر الكردي؟ فقلت: نعم، وقال: لأي شيء تعترض على ولدي الشيخ نجم الدين، في مطالعته كتب المتقدمين؟ وهل الفقه إلا في كتب المتقدمين؟! قال: فاعتذرت للشيخ، وأظهرت له التوبة من ذلك، قال: فأوصاني بملازمة ولده النجم.

قال: وأخبرني المترجم برؤيا أخرى رآها، قال: رأيت في المنام كأنني في الجامع الأموي، ورأيت من فيه نصارى، قال: فاغتنظت لذلك، وأنكرته، وإذا برجلٍ يقول لي: ادخل إلى الشيخ محيي الدين بن عربي إلى داخل

الجامع، واشكُ له ذلك، قال: فدخلت، فوجدته جالساً في محراب المقصورة، وبين يديه جماعةٌ قليلةٌ، وهو يدرس، وهم يقرؤون عليه.

فقلت له: يا سيدي الشيخ! أما ترى هؤلاء النصارى ملؤوا المسجد، كيف لا تنكر ذلك؟ ومن هؤلاء؟ فقال: يا ولدي! لا تحزن هؤلاء النصارى هم الذين ضلوا بمطالعة كلامي وكتبي، وأما هؤلاء المسلمون الذين بين يدي، هم الذين انتفعوا بكلامي، وهم قليلٌ كما تراهم، والذين هلكوا بكلامي كثيرٌ كما تراهم^(١).

قال النجم: وكان المترجم - مع صلاحه وإعفافه - بشوشاً حسن الاستماع، يقبل النصيحة، ويحرص على الفائدة، ويعلقها - غالباً -، وله نظمٌ قليلٌ، منه: قوله عاقداً لبعض الحكم:

ارْقُمْ بِرَأْسِ الْقَلَمِ مَا تَلْتَقِي مِنْ حَكَمِ
فَالْعِلْمُ صَيْدٌ فَاغْنِمِ وَالْحِظُّ قَيْدٌ فَارْقُمْ

ودفن بمرج الدحداح، - رحمه الله تعالى -.

[٧٠٩] ملك أحمد بن يسير محمد الفاروقي أبا الحسين آقا الحنفي
الأحمد آبادي.

من أكابر العلماء، أخذ عن محمد شريف الصديقي الأحمد آبادي^(٢).

(١) هكذا يعتمد أهل الضلالات والبدع على الرؤى والأحلام من تلبس إبليس عليهم،
والأقول أهل العلم على مر العصور في ابن عربي وعقيدته معروفٌ مشتهر.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد ذلك صفحة ونصف بياض».

[٧١٠] السيد أبو بكر بن محمد بن أحمد المعروف بابن النقيب
الحسني الحلبي الحنفي .

درة تاج الأشراف، وغرة مجد آل عبد مناف، العالم النحرير، والحاوي
لكل مقامٍ خطير، سعد التحقيق، وسيد التدقيق، كشاف التفسير، وسيبويه
الكبير، وتنوير الأبصار، وغيث الإفادة المدرار، الحائز من كل علمٍ بأوفى
نصيب، والتميز على من عداه بكل فنٍّ غريب، فهو ممن ملّكه الله أزمة
العلوم، فانقادت إليه ما بين مجهول ومعلوم، وسعت لكعبة فضله الطلاب،
وطافت ببيت مجده أولو الفضل والآداب .

ولد بحلب، وبها نشأ، واجتهد في تحصيل العلوم في حياة أبيه، فحصل
منها على كل ما يرويه ويبيّغه، ونشر لواء العلم والتدريس في أوائل صباه، ولم
تزل قوافل الفضل ترد ساحته، وتؤم حماه، والآذان لألفاظه خاضعة، والعيون
لحسن إملائه شاخصة، والمعاني لفكره طائعة، وقلوب الأفهام لركة ما يرويه
راقصة، شعر:

إذا رُمْتَ تلقى ذاتَ علمٍ تكونت وتروي حديثَ الفضل عن واحد الدهر
فعرّج على ذاتِ العواصم قاصداً سليل العلا نجم الكرام أبا بكر

وأما حفظه للأشعار، واعتناؤه لنقل الأخبار، فذلك شيء مشهور، وفي
صحف الخواطر مسطور، توفي بحلب، عام أربعة وتسعين بعد الألف .

وله من النظم ما يُزري بالسحر الحلال، ويسبي برقته ربات الحجال،
فمنه قوله يمدح العلامة أحمد البياضي، حين ولي قضاء حلب سنة ثمانين
بعد الألف :

مولاي قم نلتقط من لؤلؤ الحكم
 في وصف روض أنيق راق منظره
 أما ترى نفحة النسرين عابقة
 والمهرجان أتى في جحفل لجب
 تقابلت فيه أحداق لئرجس
 والنهر عاود بعد الصدف منعطفاً
 والورق غنت على الأغصان من طرب
 فالهيج بتذكاري غزلان لواحظهم
 وأهيف من ظباء الحور مقلته
 إن يهجر الشارب الريان مبسمه
 في صدغه طبع أهداب ناظرنا
 أدار شمس الحميا بدر راحته
 من خمرة عصرت بالبشر من قدم
 في روضة ضحكت فيها أزاهرها
 وقام بلبلها يتلو محاسن من
 صدر الموالي فريد العصر جهبذه
 كهف الأنام ملاذ الخلق أحمد من
 من شرف البلدة الشهباء مقدمه
 أقام فينا عماد الشرع مجتهداً

دقائق حُجبت عن فطنة الفهم
 من الزبرجد والياقوت منتظم
 والزعران سقته السخب بالديم
 من الرياض فأهدى الطيب للنسم
 تحكي فما مال للتقيل نحو فم
 يبل شوق بنات الغور والأكم
 مجية عندليب الدوح في الظلم
 تركن أهل الهوى في قبضة السقم
 عن قوس حاجبه أودت بكل كمي
 فالعذب يهجر للإفراط في الشيم
 فظنه الصب خطاً غير ملتئم
 ممزوجة برضاب المبسم الشيم
 جاءت تخبرنا عن سالف الأمم
 مذ جادها وابل يهمي بمنسجم
 شهاؤنا منه في أمن من النقم
 ومن به الناس مغمورون بالنعيم
 فاق الفحول بفضل غير مكتسم
 ففاخرت جل مذن العرب والعجم
 حتى روت حسناتها للناس عن إرم

وأوسع الناس أمناً في ولايته
مولى على الحق والإنصاف منجبل
بالمجد ملتحف بالفضل متصف
بالجود مشتغل بالبر محفل
في النحو والصرف والتفسير همته
وفي الحديث وفي علم الكلام وفي الـ
وفي المعاني وفي فن البيان وفي
وهنية وحساب ثم هندسة
بحر العلوم ومن ساواه في شرف
ورب مقتحم اليداء معتقد
يطوي المراحل في أين وفي تعب
أذاقه الدهر من لأوائه فغدا
يبقى مثال المعالي من معادنها
فقلت عُج بالسرى للشام مقتصدًا
واقصد حمى الشهباء تلق بها
سليل قاضي القضاة المقتدى حسن
ومن إذا أمه النائي وشاهداه
ومن أعاد بقاع الدرس أهلة
يا من تخلّق بالخلق الجميل ومن

حتى الأسود توقّت صولة الغنم
أكرم بمولى بغير العدل لم يهم
قد شاب سطوته باللطف والحلم
بالسعد معتقل بالعدل متسم
وفي الأصول وعلم الفقه كالعلم
غنّ الرياض وفي الميراث والحكم
فرائض وبديع راسخ القدم
قد فاق فيها على الماضين من قلم
وهو الذي بجميع الكرامات سمي
سنام وجناء في خوف وفي جَم
وطرفه مكحل بالنقع لم ينم
حليف السرى وأليف الكد والألم
ولا يزامله شيء سوى الندم
أرض العواصم وابدل متهى الهم
جمع المعالي لفرد المجد والكرم
عين النحارير بل إنسان عينهم
فقد قضى أنه ما الحسن كالكليم
وقد غدت مألّفًا لليوم والرخم
ذكره صارت جمال الطرس والرقم

رفعتَ قدرَ المعالي بعد زلتها
 وبالتواضع واللفظ العميم لقد
 وقد حميتَ لواء الشرع مغتنياً
 وقد ضمنتَ إلى العلم التقى وإلى
 وفي مديحك قد قصّرتُ معترفاً
 دع المواضي لقوم يفخرون بها
 تودُّ كلَّ البرايا لو فدتك ولو
 وإن هممتُ بتعدادي مناقبكم
 وهي المثال لكلِّي قد امتنعتُ
 إذ صنت حوزتها عن كل مهتضم
 فُقتَ الذين سَمُوا بالكبر والشَّمَم
 عن الرماح وبيضِ الهندِ بالقلم
 عن الجراءة حسنَ الخلق والشيم
 وأنتَ أحرى بما قد قيل من قدم
 فباليراعِ تروغُ الأسدَ في الأجم
 بنور مقلتهم أو حبّ قلبهم
 فأعجبُ الأمرُ أني كيف لم أَلَم
 أفرادُه عن تناهي الحصر بالرقم

وقوله يمدح العلامة فيض الله، حين تولى قضاء حلب:

لاح الصبا كزرقة الألماس
 من كفّ أهيفَ صانَ وردَ خدوده
 فكانَ مرآةَ البديع صحيفةً
 في روضةٍ قد صاح فيها الديكُ إذ
 ضحكك بها الأنوارُ لما أن بكى
 ورقا بها الشُّحورُ أغصاناً غدت
 والوردُ تحمدهُ البلابلُ هتفاً
 ويرى البنفسج عجبه فيعود من
 والطلُّ حلَّ بها كدمع مُتَيِّمٍ
 فلنصطبُحْ يا قوتَ دُرِّ الكاسِ
 بسياجِ خطِّ قد بدا كالآسِ
 للحسن جدولُها من الأنفاسِ
 عطسَ الصباحُ مشمئاً لعطاسِ
 جفنُ الغمامِ القاتمِ العباسِ
 بتموُّج الأرياحِ في وسواسِ
 من فوق غصنِ قوامه الميَّاسِ
 حسدٍ لسطوته ذليلَ الراسِ
 لمعاهدِ الأجابِ ليس بناسي

فتظن ذا ثغراً وذا عيناً وذا
واحمرّ خدّ شقائقٍ مخضلةً
حسدًا لخدّ الطُّرسِ حين غدا له
يا من كسا شرعَ النبيّ عفافه
حلبٌ بعدلكَ أشرقتَ أرجاؤها
أحييتَ ربعَ العلم فيها بعدما
فلو استطاعتْ منطقاً لوجدتها
شيدتْ أركانَ المعالي بانياً
وسعى سواك وخابَ لأنه
يا جهبذاً بهر الحسودَ بفضله
ومحققاً راضَ العلوم فاذعنث
أسكرتني بشمول تقريرٍ له
وسرى شمالُ نسيمه كالسحر فار
في كل بحثٍ لفظه متعقّد
أحيا العدالةَ في العواصم ماجد
الحبرُ فيضُ الله أوحدُ عصره
صدرُ الموالي الأكرمين وذخرهم
قد جَلَّ عن نِدْ يضاياه كما
وافى الزمانُ به ليمحو ذنبه

خذاً لغانية كظبي كناسٍ
حميث بطرفِ النرجسِ النعّاسِ
خطُّ القريضِ بمدحِ فضلك كاسي
بُردَ الصيانة وهو خيرُ لباسٍ
وبها الليالي عُذُن كالأعراسِ
أضحى شبيهَ الأروعِ الأدراسِ
تُثني عليك بأطيبِ الأنفاسِ
بيتَ الفخار على رصينِ أساسٍ
طلبَ النتيجةَ من عقيمِ قياسٍ
فأرته منقلباً بطرفِ خاسي
بالانقياد إليه بعدَ شماسٍ
خلد وسمعي في المحافل حاسي
تأحت له طرباً نُهى الأكياسِ
متحجبٌ معناه عن إحساسِ
بقدومه فسرتْ من الأرماسِ
عينُ الأعالي الغرّ كهفُ الناسِ
وأجلُّهم في مفخرٍ ونحاسِ
حلّت ذُكاءً عن سنا النبراسِ
في سالف الأيام بعدَ الياسِ

متيقظٌ مثبتٌ في كل ما يقضيه كالطود الأشم الراسي
فاضرب به الأمثال في أحكامه واترك شريحاً واطوِ ذكرَ إياسِ
مولاي دمت ونلت أعظم رتبة ليدوق من يشناك طعم الباسِ
وليهنك النوروزُ أيمنُ قادمٍ وافى فتوّجَ هامَ كلِّ غراسِ
لا زالت الشهباءُ تنشرُ فضلَكُمْ وبه تُزين صفحة القرطاسِ

وقوله:

في خده القاني المضرج شامةً قد زيد بالشعراتِ باهرُ شأنها
كلهيبِ جمرٍ تحت حبةٍ عنبرٍ قد أوقدت فبدا ذكيّ دخانها

[٧١١] أبو بكر الشلي بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر
ابن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الأستاذ
الأعظم الفقيه محمد المقدم رحمته الله (١).

قال ولده شيخنا الإمام الجليل محمد الشلي في «مشرعه»: سيدي الوالد،
حاوي الفضائل الخالد منها والتالد، المتدرع جلاباب الهدى والتقى، المتورع
الذي حل محل النجم وارتقى، ذو العلم المعروف الذي لا ينكر، واللفظ الذي
هو أحلى من السكر المكرر، جمع بين الفقه والحديث، والأدب الغض مع
سن حديث، كان شيخ آل باعلوي في زمانه، داعياً إلى الله تعالى في سره
وإعلانه، له خُلُقُ الطُفِّ من النسيم، وخُلُقُ أبهى من الوجه الوسيم.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٥)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٧١)، «الأعلام»
للزركلي (١ / ٦١).

وُلد بمدينة تريم، التي هي موطن الشرف الكريم، وكان مولده بها سنة تسعين وتسع مئة - بتخليم التله في الكلمتين - وحفظ القرآن العظيم على المعلم الأريب عمر بن عبدالله الخطيب، وزياده والده، وأدبه معلمه بأحسن تربية وأفضل أدب، فارتقى في صغره أعلى المقامات والرتب، ومات أبوه وهو دون الاحتلام، فقام بتربيته شيخه شيخ الإسلام، الشيخ عبد الرحمن بن شهاب الدين.

ثم اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، فقرأ الفقه على شيخه المذكور، وقرأ عليه في الحديث والتفسير، والتصوف والعربية، وأخذ ذلك عن غيره من الجهابذة، ومن في عصره من الأساتذة، منهم: السيد الجليل عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عقيل السقاف، والعارف بالله تعالى أبو بكر بن علي المعلم، وأدرك العارف بالله محمد بن عقيل مُدَيِّحج - مصغراً -، وصحب الشيخ عبدالله ابن شيخ العبدروس، ولازمه في دروسه، وألبسه الخرقة الشريفة كل من هؤلاء المذكورين، وأذنوا له في إلباسها.

ثم اشتاق للرحلة، والتنقل في البلاد، على ما تتشوق له الأحداث من العباد، فسافر إلى الواديين العظيمين: وادي دوعن، ووادي عمد المشهورين، وأخذ بهما عن جماعة من العارفين، ثم أشيع في تريم بأنه يريد الحج ذلك العام، فكتبت له والدته، وبعض مشايخه الأعلام يعتبون، في عدم استشارتهم والإعلام، فعلم أنه ناداه المسجد الحرام، وزمزم له حادي زمزم والمقام، وأن هذا إشارة من الكبير المتعال، حيث لم يخطر له الحج على بال.

فحج على قدم التجريد بيت الله الأمين، وزار جده سيد المرسلين، وجاور بالمدينة أربع سنين، وأخذ بالحرمين عن جماعة من العلماء العاملين،

والأكابر العارفين، منهم: السيد العظيم عمر بن عبد الرحيم، وفؤ الأوصاف
الحسان أحمد بن علان، والشيخ الأديب أحمد الخطيب، والشيخ عبد القادر
الطبري، والشيخ محمد المنوفي، والشيخ أبو الفتح ابن الشيخ ابن حجر،
وأخذ العربية وغيرها عن عبد الملك العصامي.

ودأب في تحصيل الفضائل، وشمر ذيل الجدّ بالبكور والأصائل، إلى
أن أحاط علماً بالمهم من الفروع والأصول، وله إلى رتبة التدريس اللحاق
والوصول، وصار في العربية ثابت الأركان، ومشاركاً في علم المعاني والبيان،
وفي علم التصوف غير مجهول المكان، فلما اشتد كاهله، وصفت له من
العلم مناهله، اشتاق إلى السياحة، وانتهب من التوفيق رياحه، فسافر إلى بندر
عدن المحروس، وأخذ بها عن الشيخ أحمد بن عمر العيدروس، ولازم صحبته
زماً كثيراً، وحصل عنه من العلوم ما سحر الألباب.

ثم نوى الرحلة إلى الديار الهندية، فلما استشار شيخه، صرفه عن هذه
النية، وأخذ له من باشة اليمن مراسيم إلى والي مدينة تريم، في أمور تتعلق
بخوصة نفسه، فتمت له في يومه وأمه، ولما وصل بلده التي غذي بلبانها،
ورتع في ميدانها، وكرع من غدرانها، ضربت ناقته بجرانها، واغتتم الأقارب
والأبعد قدومه ورجعته، وأكرموا مورده وأويته، وذلك سنة أربع عشرة وألف،
وتزوج في تلك السنة، وأوتي في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة.

ولازم الشيخ عبدالله ابن الشيخ العيدروس، وازدهى فخراً على الملوك،
وسناً على الشמוש، وقرأ عليه أكثر من مئة كتاب من الكتب المشهورة،
وهي في معجمه مذكورة، منها: الأمهات الست، ومحاسن أسفار التصوف
الست، ولما مات شيخه أبو بكر بن علي المعلم، أمره جماعة من المشايخ

بالجلوس للدرس في محله، في مسجد آل باعلوي الدرس العام بعد العشاء، فتوقف؛ لكون هذا الدرس يحضره جماعة من أكابر العلماء، وكثيرون من الأدباء والفضلاء، إلى أن رأى الأستاذ الأعظم، والشيخ الإمام الولي عبدالله يأمرانه بالجلوس للدرس، فانشرح صدره للجلوس، وزال ما حصل في النفس، ولما درّس، حضره الجفلى، ووردوا من مناهله نهلاً وعللاً، وكان من أحسن أهل زمانه قراءةً وبياناً، وأفصحهم تبياناً ولساناً، وفتح الله عليه ما استغلق على كثير من الأجناس، وفاق أقرانه فنادوه: ما في وقوفك ساعةً من باس، وتقدم عليهم تقدم النص على القياس، ولسان الحال ينادي: «مُروا أبا بكر فليصل بالناس».

ولازمه جماعةٌ في منزله لقراءة بعض الفنون، فقرؤوا عليه بعض الشروح والمتون، وكان في الغالب من السنين، أن يختم «إحياء علوم الدين»، وكان أكابر العلماء منه يستفيدون، وفي صعب الأمور إليه يرجعون، وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ، ولبس منه الخرقة جمٌ غفيرٌ.

وممن أخذ عنه: السيد الجليل عبدالله بن عقيل بن عبدالله بن عقيل مديحج، وابن عمه السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن عقيل، والشيخ جعفر الصادق بن زين العابدين بن العيدروس، قبل رحلته إلى الهند، والسيد عبدالله بن حسين بلفقيه، صاحب كنور، قبل سفره من تريم، وبينه وبين هذين الأخيرين، الفائقين على النسرين، مكاتباتٌ تشتمل على السحر الحلال، وأروى لكبد الظامي من الماء الزلال، كنت وقفت عليها في الصغر، وتطلبتها فلم أظفر بها في الكبر.

وكان له مع أدباء عصره مجالس وتنزهات، تجري فيها مفاكهاتٌ

ومداعبات، ومحاورات ومذاكرات، في مسائل مشكلات، وأبيات ظريفات، تروق لها الأسماع، ويميل إليها كل من له في الآداب طول باع، وفي ظني أن بعض أصحابه جمعها في ديوان، ولكنني لم أظفر بها الآن.

وكان - رحمه الله تعالى - فائقاً في الطرف والملح على فحول الأفراد، جارياً في ميدان الدعابة ما أراد، حافظاً للسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، وتراجم السلف والصالحين، وتواريخ المتقدمين، متقناً لما يعرفه، ثبناً فيما ينقله ويصنفه، له اليد الطولى في علم الأدب، وباع ممتد في لغات العرب.

وصنف عدة كتب ورسائل مختصرات، منها: كتاب «فضل رمضان والصيام» كان يقرأ منه كل ليلة من ليالي رمضان، بعد صلاة التراويح، واختصر كتاب «الغرر» للسيد محمد بن علي بن علي خرد، وله تعليقات على «الإحياء»، و«العوارف»، و«رسائل ابن عباد»، وله «كتاب في ألفاظ غريبة في اللغة»، على ترتيب «نهاية» ابن الأثير، وله «مجموع فيه مقروءاته ومسموعاته ومشايخه»، و«تاريخ وفيات الأعيان من أهل الزمان» وشرع في جمع تاريخ عام لأهل عصره وزمانه، وماجريات دهره وأوانه، لكنه لم يتم، وقد لخصت منه تراجم من وجد فيه شرط هذا الكتاب، ولم تظهر هذه الكتب إلا بعد موته.

وله نظم حسن، لكنه قليل، وكان كثير المطالعة للكتب، له جلد عظيم على قراءتها، فربما استوعب المجلد الضخم في يوم واحد أو في ليلة، وبلغني أنه قرأ «الإحياء» في عشرة أيام، وهذا أمر عجيب بالنسبة لأهل هذا الزمان، وإن كان حكى عن بعض الحفاظ ما هو أعظم من هذا، فقد قرأ مجد الدين الشيرازي «صحيح مسلم» في ثلاثة أيام، وذكر القسطلاني أنه قرأ «البخاري» في ثلاثة مجالس، قال: وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه، والذي

رأيته في ترجمته : أنه قرأه في خمسة أيام ، وأظنه الصواب . انتهى .

وذكر السخاوي : أن شيخه الحافظ ابن حجر قرأ «سنن ابن ماجه» في أربعة مجالس ، و«صحيح مسلم» في أربعة مجالس ، وكتاب «النسائي الكبير» في عشرة مجالس ، كل مجلسٍ نحو أربع ساعات ، و«معجم الطبراني الصغير» في مجلسٍ واحدٍ بين الظهر والعصر ، وهذا أسرع ما وقع له ، وفي «تاريخ الخطيب» : أن إسماعيل بن أحمد النيسابوري قرأ «البخاري» في ثلاثة مجالس ، يتدئ من المغرب ، ويقطع القراءة وقت الفجر ، ومن الضحى إلى المغرب ، والثالث من المغرب إلى الفجر ، وحكي : أن حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسي قرأ «البخاري» بلفظه أيام الاستسقاء في يوم واحد .

وكان الوالد - رحمه الله تعالى - يجمع جماعةً يسبحون ألف تسبيحةً ، يهدونها لبعض الأموات ، ويهللون سبعين ألف تهليلَةً ، يهديها لبعضهم ، وكان أهل تريم يعتنون بهذا ، ويوصي بعضهم بمال لذلك ، وكان الوالد - رحمه الله تعالى - هو المتصدي لذلك ، والقائم به ، وهذا المذكور تداوله الصوفية قديماً وحديثاً ، وأوصى بعضهم بالمحافظة عليه ، وذكروا أن الله يعتق به رقبة من أهدي له ، وأنه ورد في الحديث .

وذكر الإمام الياضي : أن شاباً كان من أهل الكشف ماتت أمه ، فبكى وصاح ، فسئل عن ذلك ، فقال : إن أمه ذهبوا بها إلى النار ، وكان بعض الأولياء حاضراً ، فقال : اللهم إني قد هللت سبعين ألفاً ، وإني أشهدك أنني قد أهديتها لأم هذا الشاب ، فتبسم الشاب ، وقال : أخرجوا أمي من النار ، وأدخلوها الجنة ، قال المُهدي المذكور : فحصل أصدق الخبر ، وصدق كشف الشاب .

ولكن قال الحافظ ابن حجر: إن الخبر المذكور، وهو: «من قال: لا إله إلا الله سبعين ألفاً، فقد اشترى نفسه من النار» باطلٌ موضوعٌ، قال الحافظ الشيخ الغيطي: لكن ينبغي للشخص أن يفعل ذلك؛ اقتداءً بالسادة الصوفية، وامثالاً لقول من أوصى به، وتبركاً بأفعالهم^(١).

وقد ذكره الولي العارف بالله سيدي محمد بن عراق - نفعنا الله به - في بعض رسائله، قال: وكان شيخه يأمر به، وإن بعض إخوانه كان يهمل السبعين الألف ما بين الفجر وطلوع الشمس، قال: وهذه كرامة له من الله، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك. انتهى.

وأما التسبيح، فله أصل، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط»، والخرائطي عن ابن عباس: أنه ﷺ قال: «من قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله، وكان آخر يومه عتيق الله»، قال النجم الغيطي: وهذه فائدة عظيمةٌ ينبغي أن يحافظ عليها، وغنيمةٌ جسيمةٌ يبادر إلى الاعتناء بها.

وكان سيدي الوالد - رحمه الله - له اعتناء تامٌّ بالذكر، لا سيما قراءة القرآن، وأكثر عبادته قرآنية، وطاعات قلبية، وكان يتهجّد بالليل، ويصلي الوتر مع مقدمته، كل ليلة ثلاث عشرة ركعة، وكان يحث أصحابه على التهجد، وكان يقول لي: تعود القيام آخر الليل ولو أنك تلعب، وكان يعسر عليه الصوم، فلا يصوم إلا رمضان، وربما صام ستاً من شوال، قال بعض

(١) هذه الأوراد والتسبيحات، وإلزام النفس بها على نظام معين من البدع المستحدثة، فإذا أيد ذلك أن الحديث موضوع، فلا مكان للإقتداء بالسادة الصوفية بأي حال من الأحوال، إلا الضلال المبين واتباع سبيل المبطلين.

العلماء : وما كان ذلك إلا لحدة ذهنه، وانقياد قريحته، فكان لا يطبق الصوم، وكان يجتري باليسير من الغذاء، ومن الملابس والملاذب الدنيوية، كثير التقشف، طارحاً للتكلف، كثير الاحتمال، تاركاً للقليل والقال.

وكان يؤثر العزلة على الاجتماع، والخمول على الظهور، ويحب السهل، والثبت في جميع الأمور، وكان مجلسه كالبستان، المشتمل على الأثمار والألوان، لا يمله جليسه، ولا يخاف من ريب الزمان أنيسه، وكان كلامه في النصيحة والإرشاد، فيما ينفع في المعاد، وكان كثير الشفقة على أصحابه، كثير الاعتناء بأقاربه وأحبابه، مبالغاً في تعظيم العلماء والأولياء، وإذا ذكر أحدهم، لم يترك الثناء، ولم يُخله من الدعاء، وكان يكره المدح في الرسائل والمكاتبات، وينكر ما فيها من المجازفات.

وكان - رحمه الله - لا يحب إظهار الكرامات، ويتأذى من خرق العادات، وكان إذا دعا لأحد بشيء، استجاب الله دعاءه، وأناله مناه، وإذا توسل به أحد ممن يعتقد له إلى الله، حصل له مراده وما تمناه، وما عاداه أحد إلا رجع واعتذر إليه، وما مكر به أحد إلا رجع مكره عليه، وهذه الأمور المذكورات، وقعت لجماعة كثير مرات، وأخبرني بها جمع من الثقات.

ومما وقع لي معه : أنني كنت أرى أنه يطلع على ما يصدرُ مني حال غيبي عنه، فإذا اشتغلت بطاعة، قابلني بوجه مسرور، وإذا اشتغلت بلعب، قابلني بضد المذكور، ولما شاورته في السفر إلى الديار الهندية، قال : أرى أن المدة قرب انقضاؤها، وكنت أود أنك تحضر وفاتي، فقلت : أتخلف عن السفر، فقال : سافر أنت في وديعة الله، وما أراده الله سيكون، وكان الأمر كما ذكر.

فكان انتقاله من هذه الدار، إلى دار القرار، لخمسٍ بقين من صفر، سنة ثلاث وخمسين وألف، وقُبِضَ - رحمه الله - وهو جالس، محتجٍ بالحبة، في دهليز داره، التي بالقرب من مسجد بني علوي، من غير مرضٍ ظاهرٍ، بل كان يشتكي صدره، فقال له بعض أصحابه، ممن اعتنى بالطب: دواؤك كذا وكذا، فقال له: هذا داءٌ عضالٌ، مشعر بالارتحال، مؤذن بالانتقال، فكان كما قال.

وانتقل قبل العصر، وشكُّوا في موته، فبيَّسوه في داره، وبات الناس يقرؤون عليه، وصلوا عليه صبح ثاني يوم، في الجبانة المشهورة، ودفن بمقبرة زبل، في القبر الملاصق لقبر والده - رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنهم فسيح دار القرار -، وكان فقدته على أصحابه من أعظم المصائب، ويلية رمتهم بسهم من البلاء صائب، جعلنا الله وجميع أصحابه من الماجورين على مصابه، الفائزين بأجره وثوابه.

ورثاه جماعةٌ، ونظموا وفاته، فقال بعضهم:

معالمُ أرباب السيادةِ والبَها همُ ذو المعالي كاشفو حادثِ الباسِ
سَنَتُ فعلتُ فخرا بأعظم سيدٍ عظيم أتى تاريخُهُ (أفضل الناس)

[٧١٢] أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن أبي بكر بن القاسم خزانة الأسرار بن أبي بكر المعمر ابن أبي القاسم بن عمر بن علي بن عمر الأهدل صاحب المراوعة، وأمه خديجة بنت محمد بن عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد بن سليمان،

وفي محمد هذا تجتمع مع والده^(١).

السيد الذي لم يشاكله في فضله في اليمن رئيس، والجوهر الفرد الذي ما نafs جوهره نفيس، روض العلم الناضر، وقمر الهداية الزاهر، ذو المراتب العالية، والمراتب السامية، والعلوم الواسعة، والأعمال النافعة، والأحلام الراسخة، والأفهام الباذخة، والطباع السليمة، والشمائل الفخيمة، والمكارم العظيمة، والصفات الجسيمة، كان في عصره منقطع القرين، سابقاً في علوم الدين لسبيل جده سيد المرسلين، على جانب عظيم من العبادة، والورع والزهد، والعلم والعمل.

كانت أوقاته معمورة بالذكر والعبادة، ونشر العلم، وتوزيع الوقت على الأعمال الصالحة، والتدريس والفتوى، وغير ذلك، وكانت لوائح العلم عليه ظاهرة من صغره، حتى إن عم والدته السيد الشهير أحمد بن عمر الأهدل، كان يلقبه بالفقيه العالم، ويشبهه بجده العارف بالله أبي بكر ابن أبي القاسم، وسكنه قرية المحط، من أعمال رفع، وله بها زاوية مشهورة.

ترجم نفسه - نفع الله به - في كتابه «نفحة المندل في أخبار السادة بني الأهدل»، فقال: كان مولدي لنحو أربع وثمانين وتسع مئة تقريباً، بقرية صغيرة بين المراوعة والحوطة، وغربي القطيع، تعرف بالحلة - بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام -، وهي غير حلة بصل - بفتح الموحدة والمهملة -؛ إذ هما حلتان هناك، والمنسوبة لبصل هي اليمانية، والمولد في الشامية، وهناك قبور أجدادي.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٦٤)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٦٨).

ثم انتقل بنا الوالد منها، في ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة، إلى قرية السلامة المعروفة، قبلي التُّرَيْيَّة، فتعلمتُ بها القرآن، وحفظته على يد الصالح أحمد بن إبراهيم المزجاجي، المعروف بالخير، ولما أكملتُ تعلم القرآن العظيم، أمرني الوالد بتعليم إخوتي، فاشتغلت بتعليمهم مع غيرهم، في عريشٍ عند مسجدنا مدةً، مواظباً على ترتيب قراءة القرآن في المسجد، كل يوم بعد صلاة الصبح إلى الإشراق، وكل ليلة جمعة أنا ومن حضر بإشارة الوالد - أيضاً - وملاحظته؛ إذ كان له رغبة قوية، وهمة عالية في ذلك ونحوه من أعمال البر، كثيراً ما كان يجلس في حلقة القراءة والذكر بمسجده مع أميته، حتى عمل مسبحة ألفية يهلهل فيها هو ومن حضر ممن لا يقرأ ليلة الجمعة، وألهمت كتابة ما وقع في يدي؛ من نحو القصص والقصائد والنبد، حتى استقام خطي، وصلاح للتحصيل.

ثم أدخلني والدي مدينة «زبيد» لطلب العلم، فكان أول طلبي في الفقه على محمد بن العباس المذهب، وفي النحو على محمد بن يحيى المطيب، ثم إن الوالد أراد تزويجي، فلم يمكني إلا مساعدته، مع ما قد ذقته من لذة العلم، فلما تزوجت، اشتغل خاطري بأمر الزوجة، ومراعاة حقوقها الواجبة؛ إذ لم أكف أمرها، ولا أمر الإقامة للطلب بزبيد كما كنت قبل الزواج، فاشتغلت عن الطلب نحو ست سنين، لكنني في هذه المدة لم أترك التحصيل والتعليق والمطالعة، ومذاكرة من ألقاه من الطلبة؛ لما قد تمكن في قلبي من محبة العلم، وكان تزويجي في سنة ألف.

ثم أخذت بناصيتي إلى تجديد الطلب بباعث رباني، فقرأت على محمد ابن برهان المحلي، ثم قصدت زبيد - أيضاً - للقراءة، فقرأت على علي بن

العباس المذهب، صنو شيخنا المقدم ذكره، وعلى أحمد الناشري، وإبراهيم ابن محمد جعمان، وعلى الصديق بن محمد الخاص الحنفي، وأحمد ابن شيخنا الجمال محمد المطيب، وعبد الباقي بن عبدالله العدني، وعلى الزين ابن الصديق المزجاجي، ولست الخرقه من السيد عابد بن حسين الحسيني الكشميري، ومن الشيخ الزين بن الصديق المزجاجي.

وقرأت على السيد محمد بن أبي بكر الأهدل، صاحب المقصورة، وعلى عبدالله بن أحمد الضجاعي، والسيد المقبول ابن المشهور الأهدل، ومحمد العلوي، وعبد الرحمن بن داود الهندي، وعبد الفتاح الصابوني، وآخرين ذكرهم، وذكر مقروءاته عليهم، ومنهم: العارف بالله تاج الدين النقشبندي، وأجازه غالب شيوخه، كتابةً ولفظاً، وله إجازات من شيوخ الحرمين، وحصل بخطه كتباً كثيرة، وطالع من كتب العلوم ما لا يمكن حصره.

وله تأليف كثيرة، منها: «نظم التحرير في الفقه»، و«نظم الورقات»، و«نظم النخبة»، و«اصطلاحات الصوفية»، و«منظومة في السواك»، و«التعليق المضبوط فيما للوضوء والغسل من الشروط»، و«البيان والإعلام بمبهمات أحكام أركان الإسلام»، و«شرحان على قصيدة ابن بنت الميلى» التي أولها «من ذاق طعم شراب القوم يدره» صغير وكبير، و«الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية»، وأرجوزة سماها: «الدرة الباهرة في التحدث بشيء من نعم الله الباطنة والظاهرة» ذكر فيها نبذاً من فوائد التصنيف، وكثيراً من المؤلفات نظماً ونثراً، وقد استوفى عدتها في كتابه «نفحة المندل».

وله أشعار كثيرة، منها: قوله:

وفي كتب العلوم لطيفُ معنى
وأعمل مقلتي ويدي وقلبي
لعلي أن أفوزَ بغفرِ ذنبي
وصلّى الله ربّي كلّ حينٍ
أَمْضِي فِي تَطَلُّبِهِ حَيَاتِي
وَأَضْبِطُهُ عَنِ الْقَوْمِ الثَّقَاتِ
وَأُظْفِرَ بِالَّذِي فِيهِ نَجَاتِي
عَلَى أَزْكَى الْوَرَى خَيْرِ الْهَدَاةِ

وقوله في أبيات :

إن كنتَ تطلبُ في الدارين تفضيلاً
داومْ على خدمة العلمِ العليّ تنلْ
فاطلبه وادأبْ على تحصيله أبداً
وأنفقِ العمرَ في تحصيل حاصله
وتبتغي من ملكِ الكون تكميلاً
ذكرأً جميلاً وتكميلاً وتوصيلاً
وقمْ بتأليفه إن حزتَ تأهيلاً
واعمرْ به الدهرَ تدويناً وتحصيلاً

وقوله :

وكم لله من فضلٍ علينا
وما زالتْ أياديه إلينا
فنشكره ولا نحصي ثناءً
وإفضالٍ يُحيل العقلُ عَدَّةً
تفيض عبابها ولنا مُمِدَّةً
عليه ونلزم الآناء حمدةً

توفي منتصف نهار الأحد، ثالث جمادى الآخرة، سنة خمس وثلاثين
وآلف، بقرية المحط، وبها دفن.

[٧١٣] أبو بكر رضي الدين بن أبي القاسم بن أحمد بن أبي بكر بن
محمد بن علي بن محمد بن حسين بن يوسف بن علي بن يحيى العنبري .

كان عالماً أديباً، شهير الذكر، حسن الأخلاق، بديع المداعبة، مولده
في شهر رمضان، سنة ست وثمانين وتسع مئة، وتوفي سابع عشري رجب،

سنة سبع عشرة وألف بشهارة - رحمه الله - .

[٧١٤] أبو بكر بن إسماعيل ابن القطب الرباني شهاب الدين الشنواني المولد والمنشأ، ثم المصري، وجده الأعلى ابن عمر سيدي الشيخ علي بن وفا، الشريف الوفائي التونسي^(١).

الشيخ الإمام الأستاذ، علامة زمانه في سائر الفنون، وسر الدهر الذي كان في ضميره عن النقص مصون، وسيبويه دهره، وشافعي عصره، وتحفة عطاره، وهدية الفلك لكل ماجد، وصاحب الحسب والنسب، الزاهد العابد، الذي لم تمض له طرفة عين في غير طلب الفوائد، وبحر العريية الذي استمدت منه جداول الفضائل، وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سوقها في الخمائل، لو رآه المبرّد، برّد به الغليل، أو أحمد، لقال أفدي بالعين هذا الخليل، فكم سهر الليالي، وغاص بحار العلم في تحصيل اللآلي، وانتفع بعلمه الوارد والصادر، وصار صدرأ ترجع إليه أرباب المصادر، وكم قرظ وشنّف، وألف وصنّف.

مولده شَنَوَان، وهي بلدة بالمنوفية، صُوِّرت بها الجنان، وتخرج بمصر على العلامة محمد الخفاجي، وأخذ بمكة عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وبمصر عن جمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وإبراهيم ابن عبد الرحمن العلقمي، ولازم العلامة الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وخاتمة الفقهاء والشمس محمد الرملي.

(١) «ريحانة الألباء» للخفاجي (١/ ٣٠١) (٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦١) (٩٠)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٦٢).

ثم بعدهما انتهت إليه الرياسة العلمية، وصدر الإفادة والتأليف بالديار المصرية، ولازمه بعد شيخه الشهاب أحمد القاسمي جلُّ تلامذته، وبه تخرجوا، وببركة دعائه انتفعوا، منهم: الشهاب أحمد الغنيمي، والنور علي الجليبي، وعامر الشبراوي، والشهاب أحمد بن محمد الخفاجي القاضي.

وممن أخذ عنه: العلامة سري الدين الدروري، ويوسف الفيشي، ومحمد بن عبد الرحمن الحموي، وشيوخنا: إبراهيم الميموني، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من أكابر علماء العصر.

ثم ابتلي بالفالج، فمكث فيه سنين، وهو لا يقوم من مجلسه إلا بمساعدة ومعين، وكانت تذهب إليه الأفاضل، ولا تنصرف عن ناديه، ويتمسكوا بأذيال أفضاله، وبكبير نسمات إقباله إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته، يوم الاثنين، ثامن ذي الحجة، سنة تسع عشرة - بتقديم التاء - بعد الألف بمصر، ودفن بترية المجاورين، وأرخ موته بعضهم بقوله:

قضى الشنواني عالمُ النحو نجبةً وكان جليلاً في المهابة والذكر
لذلك قال الذاكري مؤرخاً (ألا مات علم النحو بعد أبي بكر)

وله من التصانيف ما أغنت شهرته عن التعريف، منها، وهو أجلها: «شرح توضيح ابن هشام» الذي قرط به آذان الدهر، وتوَّج به رأس الكمال وهامة الفخر، أرسل إليه مولاي أحمد سلطان المغرب بطلبه منه، في حادي عشر ربيع الثاني، سنة خمسين وألف، لكنه فقد من مصر، فلا يوجد إلا بالمغرب، ومسودته أغار عليها - أيضاً - بعض المغاربة، وذهب بها معه.

و«حاشية على شرح القطر» لمصنفه، وأخرى على شرحه للفاكهي،

و«حاشية على شرح الأزهرية» للشيخ خالد الأزهرى، و«حاشيتان على شرح
الآجرومية» للشيخ خالد، و«حاشية على شرح القواعد» للشيخ خالد، و«شرح
على البسملة» مستقل، وآخر على شرحها لشيخ الإسلام زكريا، وشرح على
أسئلة السيوطي سماه: «حلية أهل الكمال بأجوبة أسئلة الجلال»، وشرح على
الآجرومية كبير، في نحو خمسين كراساً، سماه: «المواهب الرحمانية»،
ومختصره سماه: «فتح معطي الأمانة»، وغير ذلك، وكل مؤلفاته مفيدة نافعة،
مقبولة مشهورة، في مشارق الأرض ومغاربها، ووقف جميع كتبه برواق
الريافة، من الجامع الأزهر.

ومن شعره: ما كتبه إلى ابن أخته العلامة الشهاب الخفاجي، صاحب
«الريحانة» وهو بالروم:

سلام شذاه تملأ الأرض نفحة	تبلغه مني إليك يد الصبا
وتحملة هوج الرياح إلى العلا	وتنشره في الأرض شرقاً ومغرباً
وتسقي ديار الروم والجو عابس	رذاذ كمال حل فيه وطباً
ودر عليه الغيم لؤلؤ طله	ففضض هامات النبات وذهباً
لئن كان عن مصر توارى شهابها	فقد لاح في دار الخلافة كوكبا
وما كان تأخيري جوابك عن قلبي	ولكن ضعفي للقريحة شياً
وشرقني دمع الأسى وأهاضني	على أن قلبي من فراقك غزباً

لا يخفى ما فيه من لطيف التورية المهيئة في شوقي، فقد هيا لفظ غزب
للتورية فيه؛ باحتمال إرادة الشرق مقابل الغرب، والمراد الشرق - بالتحريك - .
نأت بك يا قس الفصاحة بلدة وخلفتني بعد الفراق معذباً

فليت الذي شق القلوب يرثها وليت الذي ساق القطيعة قريبا
وأبعه بثر صورته: سلامٌ كثر الروض، جر عليه النسيم ذيله، بعد
ما باتت عليه كؤوس القطر تُدار عليه نهاره وليله، فأشرقت شمسُ نهاره على
الروابي والبِطاح، وأقبلت ترشف ريق الغواصي من شفا كالعقيق، وثنايا الأقاح،
ونشر كافور الطل مسكِي الشذا على مجامر الجلنار، ونصبت على يد الندى
سراقاتٍ من مخيمات الأشجار.

يُهدى لمن أَلقت إليه العلوم مقاليدها، وملك من التحقيقات الفكرية
طارفها وتليدها، أفصح من وُشَى وجوه الطروس بخطوط المعارف، وأسبل
على عرائس الألفاظ فواضل المطارف، لا زالت عوارفُ المعارف عليه منهلة،
وذبول مجده في بحار المكارم مبتلة.

وبعد:

فقد ورد المشرف الكريم، فآلقينا عليه عصا التسليم، واجتئنا من قطوفه
الدانية باكورة التسجيع، وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع، ورأينا
قد اشتمل على عتب أرق من دمع الكئيب، وألطفَ من معاتبه الحبيب للحبيب.

غير أن عذري مقبول لا يُردّ، وطول الأسى رفيق لا يودّ؛ فإن المرض
لازمني منذ سنوات ملازمة النجوم للأفلاك، ونصب لصيد الصحة فخاخ
الشباك، لا يفارقني إلا مفارقة الجفن للعين، كأنه غريمٌ يلحّ له عليّ دين.

شعر:

كَأَن السَّقَمَ مُحْتَاجٌ لِسَقَمِي فَلَا يَنْفَكُ عَنِّي قَيْدَ شَبْرِ

إن أردت القيام من مضجعي، فلا بد من معين، وإن مشيت، فلا أستغني

عن عصًا وقرين، رفضت يدي العلم وطالما حملته، وحفا يميني بعد ما أرضعته، من جداول الفنون وغذته، وارتعشت اليد لفراقه أسفًا وندمًا، وصار وجدان الطروس بعده عدمًا، وأصبحت كأني من أصحاب الكهف والرقيم، لا أعرف كم لبثت من السنين، وإن كان عندي المقعد والمقيم، والسلام.

[٧١٥] أبو الخير بن محمد العيدروس بن أبي الخير بن أبي السعادات ابن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي، إمام المقام الشريف^(١).

قال الشيخ عبد القادر الطبري في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: حفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح مرات في المقام، وحفظ عدة متون، منها: «منهاج النووي» بكماله، وعرضها معنا على المشايخ، في سنة تسعين وتسع مئة، وأم بالناس مدة، وكانت وفاته سابع جمادى الآخرة، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وهو أسن منا، ولم يعقب - رحمه الله تعالى -.

[٧١٦] الشريف أبو طالب بن حسن بن أبي نمي^(٢).

أمير مكة، الملك البطل الضرغام، حامي حمى بلد الله الحرام، ومدينة جدّه - عليه أفضل الصلاة والسلام -، وملاذ أهل الحرمين، بل المسلمين،

(١) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٢.

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٣٩٧ / ١) (٦١)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ١٣١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩١)، «منافع الكرم» للسنجاري (٣ / ٥٢٢).

وغوث الضعفاء والفقراء والمساكين، وعضد الدولة وعاضدها، ويمين السلطنة الحسنية وساعدها، فطالما أشهر به غضبه، وأطفأ به غضبه، وهز سمهريته في كل غزاة وسريّة، ويذكر بما يُيديه من العجائب، بسالة جدّه علي بن أبي طالب، وشد بالعزم أزر أبيه، وقوّى بالحزم بأسه، وجرّع بالغصص من يُعاديّه .

ولد سنة خمس أو ست وستين وتسع مئة بمكة، ونشأ في حجر والده الشريف الحسن، واتصف بكل وصف حسن، ولما ترعرع وبرع، وترشح للإمارة، واجتلى بدرها الذي طلع، قلّده والده بصارمها، وجعل هياكل جياده في أجيادها مقام تمانمها، وكان قبل موت السيد ثقبه لا يرد مورد من مناهل آماله، وقد غص بقذار قبائه وعذاله، وأرسل والده الشريف حسن الأمين بهرام، يستسقي له من السلطنة الشريفة ماء المرام، فأجيب لمراده، ونثرت على الرسول جواهر الإحسان والقبول، وأهدى له مع كتاب العهد الخلع السلطانية، وقرئ منشوره بالمسجد الحرام، وأطاعه الخاص والعام .

ولما قدم الحج إلى مكة، أمر والده أمراء الحاج بعد أن خلعوا عليه الخلعة الكبرى، أن يخلعوا على أخيه عبد المطلب الخلعة الثانية، وذلك سنة ثمان بعد الألف، واستمر الحال كذلك إلى أن مات أبوه، سنة عشر بعد الألف، ولحقه أخوه عبد المطلب، فاستقل بالملك من غير شريك فيه، وهنأه الله بما صار إليه، وهياًه بشكر السطوة والفتك، وقهر الأكابر والأعيان، على الانقياد لأوامره، والانزجار لزواجه .

فهابته النفوس، وطأطأت له الأعناق والرؤوس، وأنصف في أحكامه جميع الرعية، وسار فيهم السيرة المرضية، لا سيما الضعيف والمسكين؛ فإنه ينصفه من ظالمه، ولو كان القوي المتين، فرفعت الأكف بالدعاء له، ونطقت

الألسن بالثناء عليه، وذلك فضل الله ساقه إليه، وكان حسن الهيئة، شديد الهيئة، فإذا حضر الناس مجلسه، كان على رؤوسهم الطير من هيئته، وكانت تخافه البوادي، وأهل النوادي.

ولم يزل على حاله راقياً درجات كماله، إلى أن طرق الموت طريقه، وترك العيون بالدموع غريقة، ومات بمحل يقال له: العيشة، من جهة اليمن، ليلة الاثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وحُمل إلى مكة، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالمعلاة، وبني عليه قبة عظيمة - رحمه الله -، وأسكنه فسيح الجنان -.

ولأهل عصره فيه مدائح كثيرة حسنة، شاع ذكرها الجميل على الألسن.

ومنها: قول الإمام عبد القادر الطبري، مهتألاً له في بعض غزواته:

بُسْمَرُ الْقَنَا بِيضُ الصَّوَارِمِ	يُنَالُ الْعُلَى وَتُنَالُ الْمَكَارِمُ
وَبِالْمُرْسَلَاتِ بَلُوغُ الْمَنَى	وَبِالْعَادِيَّاتِ نَوَالُ الْمَغَانِمِ
وَلَوْلَمْ يَحُلْ لَيْلُ ذَاكَ الْعَجَا	جِ لَمَّا أَشْرَقَتْ شَمْسُ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
وَبِي سَيْدٍ مَالِهِ فِي الْوَغَى	شَبِيهُ سَوَى جَدِّهِ ذِي الْعِزَائِمِ
يَجُولُ الْحُرُوبَ وَيَجْلُو الْكُرُوبَ	وَيَنْفِي اللَّغُوبَ وَيُزْرِي بَحَاتِمَ
لَقَدْ أَذْكَرْتَنَا فَتُوحَاتِهِ	مَغَازِي الْأُتَمَةِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
لَهُ النَّصْرُ بِالرَّعْبِ مِنْ أَشْهُرٍ	وَمِنْ شَأْنِهِ قَسْمُ مَالِ الْغَنَائِمِ
إِذَا مَا بَدَا لِلْعَدَى جَحْفَلٌ	وَلَمْ يَكْ فِيهِ فَكْلٌ مُقَاوِمُ
وَإِنْ قِيلَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ	فِيَا فَوْزَ هَارِبِهِمْ وَهُوَ سَالِمُ

فمن ذا يداني أبا طالب
تراه يخوضُ بحورَ النحور
هي البرقُ في السبق لو لم تكن
مطهمةٌ كم تميد الجبال
حقيقٌ لها الزهؤُ بابن النبي
من اتَّخَذَ الدرعَ تعويذةً
بوقع السيوف لقرع الصفوف
يريكُ نجومَ الدجى آفلاتِ
سناءُ النبوة في وجهه
وأوصافه الغرُّ بين الأنام
فما حاول الخطب إلا وكان
فيها سيداً سُذتْ كلُّ الملوك
فهل ملكٌ أنت في الأرض أم
وشادلك الذكرُ عند الورى
وأوجبَ حمدك في العالمين
فدونك مدحةٌ عبدي أنت
وقد طُرِّزَتْ سُجُفُ أذيالها
وتاهت وباهت به إذ أتى

ومما سمع من كرمه : أنه زار النبي ﷺ قبل أن يلي مكة ، فلما أُمسى وادي

مر هو ومن معه أضافه رجلٌ من أهل الوادي، يقال له: السوداني، فذبح الذبائح، ومدَّ الموائد وقَدَّمها، ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام، ولم يحضره؛ لشغلٍ عرض له، فعمد السوداني إلى أربع أو خمس من الدجاج، فذبحهن، وطبخهن، وقدمهن على كيلتين من العيش، في زبدية كبيرة من الصيني، وجاء بها إلى الشريف أبي طالب، وقال: يا سيدي! هذا عشاء عبدك، اجبرْ خاطره جبرَ الله خاطرك، فغسل الشريف يده، وأكل من تلك الزبدية لقيمات، ودعا له.

فلما استقل بالولاية على مكة، وفد عليه السوداني بعد سنة، وقبل يده، فقال له الشريف أبو طالب: الزبدية التي تعشنا فيها عندك؟ فقال: نعم يا سيدي موجودة، فقال له: اذهب فأتني بها، فأتاه بها، فملئت ذهبًا. وله كثيرٌ من هذا القليل - رحمه الله -.

[٧١٧] أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن علي بن محمد بن محمد بن الحسين العرضي الحلبي الشافعي القادري، وجده أبو أمه الشيخ أحمد عبدو القصيري - نفع الله به -^(١).

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، ومحبي معالم السنة النبوية، ومحرر المسائل الدينية، الذي اشتهر صيته في الأمصار، وبَعُدَ ذكره في الأقطار، وعم النفع به لأهل عصره، وتشرف به أهل قطره، بل أهل دهره، وهو من أولاد النجباء، الذين لَقَّتهم أفردهم بالتأليف بعض الأدباء، وممن ورث العلم كابراً

(١) «ريحانة الألباء» للخفاجي (١/ ٢٦٩) (٣٩)، «خلاصة الأثر» للمجبي (١/ ١٤٨)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٨٩) (٩٨٣).

عن كابر، وتبع سنن آباءه الأكابر.

فروى العلوم العقلية والنقلية عن والده، وتمتع منه بطريقه وتالده، وهو من أجلّ شيوخه، بل أجلّ أهل عصره، من أهل قطره، على الإطلاق، بإجماع أهل الخلاف والوفاق، ولازم العلامة أبا الجود البتروني، وغيره من الشيوخ، وأجازه شيوخه، وتصدر للإفادة والإقراء.

وأفاد وأجاد، وأخذ العلم عنه أجلاء أمجاد، منهم: العلامة السيد محمد ابن عمر العرضي، وشيخنا محمود الموصلي، ومحمد البقحي، وغيرهم، وكان - رحمه الله - من العلماء العاملين بالعلم، لا يخاف في الله لومة لائم، وتهابه الأكابر والأمراء، ويصدق بالحق، ويجاهر به، وانتهت إليه في بلده رئاسة العلم، وبالجملّة: فضائله أشهر من أن تحصر، وأجل من أن تذكر.

ومؤلفاته كثيرة: مقبولة شهيرة، منها: تاريخ سماه: «أطباق»^(١) الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب، ومنها: «بديعية» زاد فيها أنواعاً كثيرة على المتقدمين، وشرحها شرحاً بديعاً مقبولاً عند المحققين، و«حاشية على شرح المنهاج للجلال المحلي» و«حاشية على البيضاوي».

ورسائل كثيرة، منها: «رسالة في جواز شرب الدخان»، و«حاشية على شرح المفتاح سماها: «فتح الفتاح على مشكلات شرح المفتاح»، و«حاشية على شرح النخبة»، و«حاشية على ألفية ابن مالك»، و«منظومات في علوم شتى».

ولما قدم الفاضل الخفاجي مدينة حلب، اجتمع به، وجرى بينهما

(١) في الأصل: طباق.

محاورات لطيفة، ومكاتبات منيفة، ذكرها في «ريحانته»، وأثنى عليه ثناءً حسناً، وكانت وفاته - رحمه الله - بمدينة حلب، سنة سبعين بعد الألف - روح الله روحه، وأعلى في غرف الجنان فتوحه -.

وله شعرٌ أرقُّ من دمع المستهام، وأنضر من الروض باكراً الغمام، منه: قوله مادحاً للسيد أحمد بن محمد النقيب، ومتشوقاً إليه، وطالباً منه قضاء حاجة له، حين كان متوجهاً إلى قسطنطينية:

يا رحمة المستجير	من النوى من مجيري
على نياق المسير	والصبر جذاً ارتحالاً
حُشاشتي من ضميري	يوم الوداع أضاعوا
هل سار لا بشعوري	يا ليت شعري فؤادي
في ظُفْنهم كالأسير	يقفوا حُداة المطايا
أيدي النوى بسعير	رفقاً بقلب كوئنه
من حادثات الدهور	والجسم حلّت قواه
مغيّب أنس الحضور	ومدّ ربعي التسلي
حوادث التقدير	قديم حكم قضته
يعلو بجفن مطير	والشوق يغلو ضراماً
حمداً ولا كالبحور	أجرى عقيق دموعي
عن نوء دمع غزير	نهزت سائل جفني
وفاض كالتنوير	ففاض ماء عيوني

غوثاً من ذي التنائي	من شره المستطير
ومن فراقٍ مثيرٍ	للعنة وزفيرٍ
من حاكمٍ في فؤادي	يعثو عليه بجورٍ
ورحمةٍ لمـشوقٍ	إلى التداني فقيرٍ
يهزه كلُّ برقٍ	إيماضه كالثغورِ
إن فاح نشرُ الخزامى	أو ضاعَ عَرَفُ العيبرِ
تكسو الرياض فتجلى	في نورها والنورِ
يهيج كامنٌ وجدي	بين الحشا والضميرِ
بذكر الصبِّ عيشاً	صفا صفاء النмирِ
أوقات أنس أضاءت	كالبدور في الديدجورِ
تجني ثمار المعاني	من روض مجدٍ نضيرِ
والمشكلات علينا	تجلى بغير سُتورِ
ندير راح الخفايا	على سرير السرورِ
وحيث غاب غزال الـ	حصى وأنس الحضورِ
وشمسُ تلك المعاني	إنسانُ عين العصورِ
طرازُ ثوبٍ كمالٍ	ودرُّ عقد النحورِ
مللتُ كلَّ حبيبٍ	وعفتُ كلَّ سميرِ
من أجل روح حياتي	وسيرتي في العشيرِ
مولاي أحمد تاج الـ	علا وصدور الصدورِ

كشافِ مشكلات بحثِ
السابقِ القومَ فهمًا
أقلامُهُ في جدالِ
قَدْ بتوهمِ فضيلِ
قد فاق كلَّ لبيبِ
يا مفردًا في جموعِ الـ
له بلاغةٌ سحبا
آدابِهِ في انسجامِ
مدى الزمانِ سلامي
يُهدى إليك ويُبدى
خلوصَ حُبِّ صفا من
سلسالهِ العذبِ يحكي
هذا ويُلغِ سلامي
حيبَ قلبي أبي
وقل له صدقُ ودي
قد قلتُ هذا بحقُّ
فليدعُ لي كلَّ وقتِ

بيدِهِ المستنيرِ
في حَوْمَةِ التقريرِ
تطوُّلُ بالتحريرِ
بالنظمِ والمثـورِ
وعالمِ نحريـرِ
علمِ لا بنظيرِ
نَ بل نظامُ جريـرِ
تفوقِ وشيِّ الحريـرِ
معَ الدعاءِ الكثيرِ
في طيه المنشورِ
شوائبِ التـكـديرِ
مُعْتَقَاتِ الخـمـورِ
على المقامِ الخطيرِ
بكرِ العلـيمِ الشـهيرِ
باقِ لنفخِ الصـورِ
من غيرِ معنَى وزورِ
ألقى ختامَ الخيرِ

وكتب إلى السيد أحمد الحلبي المذكور، ملفزاً في اسم أحمد بقوله:
بصارمِ اللحظِ قد تقلَّدَ عمداً لقتلي لقد تقلَّدَ

معتلٌ طرفٍ يزيد فتكاً	لكونه الماضي المجرّد
بعينه قاتلي ويحسد	دمي على وجتيه يشهد
قد هدّ جسماً فصار رسماً	لما بسهم الجفون هدّد
سكرانٌ صاحٍ فلا تراه	لغير من قد أحبّ عربّد
وجاهد للإله كفراً	إذا رأى لحظّـه تشهد
زنجيٌّ خالٍ عزي لعرب	تركيٌّ لحظّ وذا يضدّد
ييدي ملاّماً إذا تبدى	فذاك درّ إذا تبدّد
بخويّ جميعَ الجمال طُراً	قد جاء بالجمع وهو مفرد
في مركب الحسن إذ أتانا	جيشُ اصطباري فذا مشرّد
وفيضُ دمعِي إذا تقطر	زفير قلبي جَوَى تصعّد
بفقه قد حويت حبي	رضي بهذا الغرام أم ردّ
شكوتُ منه هجيرَ هجر	والنارُ في مهجتي توقّد
فقال يا ثعلبَ احتيالي	تريدُ مني اللّما المبرّد
فقلتُ إن الحشا سعيّر	أدنو لورودٍ عنه أطرد
فيا غزلاً زهاً دلالاً	هـللاً سناهُ أوحـد
قد راق وصفاً ورقّ لطفاً	وخفّ طرفاً بقلب جلمد
بخالٍ رنّدٍ وخدّ ورد	وثغرٍ شهد درّ منضدّ
وشعر مسكي أضل نُسكي	فطاب متكي فلا أفنّد
انظر لحالي فما احتيالي	وقد رثي لي عدى وحسّد

أَيُّنَ التَّسْلِي وَذَا مَضْلِي	فَخَلَّ خِلِّي فَتَى مَعْوَدُ
فَقَالَ لِي إِنْ أَرَدْتَ عَنِّي	سَلَوَانَ هَجَرَ عَسَاهُ يَفْقَدُ
الْغَزْ إِمَامًا حَلَا كَلَامًا	حَوَى نِظَامًا حَكَاهُ عَسَجَدُ
وَخَذَ جَوَابًا وَعَدَ طَلَابًا	يَكُنْ صَوَابًا وَذَاكَ أَحْمَدُ
فَدَا شَهَابَ رَقَى الْمَعَالِي	فَغَارَ مِنْهُ الشُّهُى وَفَرَّقَدُ
أَطَاعَهُ الْفَضْلُ وَهُوَ طِفْلٌ	فِي مَهْدِهِ ذَا لَهُ تَمَهَّدُ
بِالْكَسْبِ وَالْإِرْثِ قَدْ أَتَاهُ	وَخَيْرَ مَجْدٍ يَنَالُ عَنْ جَدُّ
فَهَا حَدِيثُ الْكَمَالِ قَدَمًا	يَصُحُّ عَنْ دَمْعِهِ وَيَسْنَدُ
كَأَنَّهُ إِذْ أَتَى بِنَظْمٍ	قَدْ نَظَّمَ الدَّرَّ فِي الزَّبْرِ جَدُّ
قَوْلٌ بَدِيعٌ لَهُ مَعَانٍ	يُبَيِّنُهُ لِلْبَلِيغِ أَقْعَدُ
تَصْدِيقٌ مَدْحِي جَلِي حُكْمٍ	دَلِيلُهُ قَاطِعٌ تَأْكُذُ
مَلِيكَ فَضْلٍ حَوَى كَلَامًا	لِوَاءُ فَضْلٍ عَلَيْهِ يَعْقَدُ
فَهَاكَ لَغْزًا تَرَاهُ كَنْزًا	لِلْفَضْلِ يُعْزَى عَلَيْكَ يَوْرَدُ
سَمَا لَعِينٌ وَكَانَ وَصْفًا	أَوْ كَانَ فَعْلًا بِحَيْثُ يَقْصَدُ
مَوْضُوعُهُ عَيْنُوهُ لَكِنْ	مَنْ اشْتَرَاكَ لَقَدْ تَعَدَّدُ
فِي الْأَرْضِ أَفْرَادُهُ كَثِيرٌ	وَأَصْلُهُ فِي السَّمَاءِ يَوْرَدُ
فَمَفْرَدٌ تَارَةً أَتَانَا	وَتَارَةً جَاءَ غَيْرَ مَفْرَدُ
فَالنَّصْفُ طَبَعًا يَفِيدُ دَاءً	إِنْ كَانَ تَحْرِيفُ ذَاكَ يَوْجَدُ
وَالنَّصْفُ أَيْضًا لَقَدْ أَتَانَا	مَاضِيَهُ قَدَمُهُ أَنْ يَشُدَّدُ

وأولُ الاسم مع أخيرِ
وما بقي سورة أتنا
سبعًا تراها أنت بذكرِ
أجب وسامخ بقيت دهرًا
ولا تؤاخذ خليلَ صدقِ
فأجابه - رحمه الله - بقوله :

أملًا بفراء قد تجرد
هيفاء تحكي الهلال يبدو
جاءت تجرُّ الذبولَ تيهًا
كالبدر نورًا والروض نورًا
ما مجلسُ الأنس حين حَفَّتْ
بقربِ حوضٍ وجنبِ روضٍ
واهتزَّ فيه القضيْب لَمَّا
والنهرُ قد خرَّ فيه
وقام فيه ساقٍ غريْرُ
يسدير كاساً حكّت لُجَيْنًا
وقد حكّت وجتاه ما في الـ
فردًا تراه بسيف لحِظِ
بأبي التذاني وسهمَ بعدِ

صفحه ظرفاً أتاكَ ترشدُ
رسمًا وفي نطقها فأزِيدُ
إدراك معنَى لها فيفقدُ
في ثوب عزٍّ كذا وسوددُ
له ثناءً عليك سرمدُ

بها الهوى والحشا تجددُ
من فوقِ غصنِ ريانَ أملدُ
على مُعْنَى في الحب أوحَدُ
والدرُّ حسنًا إذا تنضَّدُ
به الندامى وقد تمهَّدُ
قد شابَهت أرضه الزبرجدُ
عليه طيرُ السرور غرَّدُ
يحكي الحسام من غمده تجرَّدُ
بدرٌ منيرٌ أغنَّ أغيدُ
حوت شرابًا حكاه عسجدُ
يمين منه لو كان يحمدُ
ورمَحٍ قَدْ لَقْدَ تعدَّدُ
بالجور والظلم فيه سدَّدُ

أفديه بدرًا قد فاق قدرًا
بُخلفٍ وعِدٍ وطول صدِّ
وسحرٍ طرفٍ ولينٍ عطفٍ
ما فازَ كلُّ من الندامى
يوماً بأحلى منها إذا ما
عذراءُ بكرٍ من فكرٍ بحرٍ
العمدةُ الجبرُّ منه إليه
مولى أقرَّت له الأعالي
من شاد مجداً أو ساد جدًّا
وفاق علمًا ودقَّ فهمًا
فمن يباريه في المعالي
فيا إماماً إلى حماه
ألستَ نجلَ الذي ثناه
فليس بدعاً إن فقت درًّا
هذا وإنِّي مولاي أرجو
إن رمتَ أني أحلُّ لغزًا
مبداه يحكي قوامَ حبِّ
وما تبقى فأنْتَ أولى
هذا جوابي مع الجوى بي
وصال دهرًا بأسمِرِ القَدِّ
ونقضٍ عهدٍ مُضناه هَدِّ
ويذلٍ لطفٍ هواه أَكْذِ
بصفو عيشٍ باللَّهو أرغذِ
أمتُ محبًّا بالشوق يكمدُ
بالعلمِ والفضلِ قد تفرَّدِ
تُعزى علومُ الورى وتسندُ
بكلِّ فضلٍ فكيف يجحدُ
وحاز سعدًا برغم حُسْدِ
ونال سهمًا من كل سؤددِ
ومن أبيه أته والجَدِّ
بالرغم منه العلا تردَّدِ
ومدحه الدهرُ قد تخلَّدِ
وحزتَ فضلًا تجاوزَ الحدَّ
قبولَ عذرٍ لديك يوردُ
قد قابلَ الفكرَ منه بالردِّ
أو غصنَ بان إذا تميَّدِ
به بقيتَ الزمانَ تحمَّدِ
من جورٍ دهرٍ لقد تمرَّدِ

فاعذر وسامخ حليف ود ما زال ينمو والله يشهد
ولا تؤاخذ إذ كنت ممّن أبدى قصوراً فالعود أحمذ
ودم رفيع المقام تعلو على الثريا وهام فرقذ

[٧١٨] إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن إسحاق بن
إبراهيم بن أبي القاسم بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الزبيدي
الشافعي، قاضي زبيد^(١).

العلامة الذي جمع أشتات العلوم، وسهر في طلبها بشهادة النجوم،
وحاز قصبات السبق في العلوم الدينية، ونشر أقوال الشافعية، وقام بنصر
الأشاعرة بالبراهين القطعية، وأقام الحجج على المخالفين، وقمع شبه غلاة
المبتدعين، مع شدة في الأحكام الشرعية، وتبصّر بالقواعد الحكيمة، وتنفيذ
للأقضية الحكيمة.

وُلد بمدينة «زبيد»، سنة أربع عشرة بعد الألف، وحفظ بها القرآن،
وأخذ عن والده علوم الفقه والحديث، ولازم عمه الطيب بن أبي القاسم
جعمان، في كثير من علوم السنة والقرآن، وبرع وفاق الأقران، خصوصاً في
علم الحديث، وأجازه شيوخ كثيرون، وأقرأ بزبيد «الجامع الصحيح» للبخاري
مراتٍ كثيرة، وتكرر منه ختمه له، وسمعه منه بالحرمين خلق كثير لا يحصون
كثرة، منهم: شيخنا سيد المحدثين في عصره إبراهيم بن حسن الكوراني،
وعيسى بن محمد الجعفري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي
الحسيني، وغيرهم، وله مؤلفات نافعة، منها: «الحاشية الأنيفة على

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٩٦).

مسائل المنهاج الدقيقة.

وكانت وفاته ثاني شهر ربيع الثاني، سنة ست وسبعين - بتقديم السين - بعد الألف، بمدينة زيد، ودفن بترية باب سهام، عند آبائه وأجداده، وأروي جميع مروياته عن ولده القاضي أحمد بن إسحاق سماعاً عليه لبعض «الجامع الصحيح»، وإجازة باقيه، مع مروياته بزيد، في شهر رجب، سنة أربع وتسعين بعد الألف. انتهى. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ومن شعره: قوله معارضاً للقصيدة الموصلية التي أولها:

لمعت نازهم وقد عسعس اللي - ل وملّ الحادي وحرّ الدليلُ

بقصيدة، وهي:

نفحت نفحة العير ورّيا	مندل الحبّ أوصلتها شمولُ
سَحَرًا والرفاق من سكرة النو	م على أظهر النجائب ميلُ
فنشقنا نوافج الطيب منها	إذ شذاها على الخيام دليلُ
وابتسام المهاة في حندس اللي	ل أضاء الدجى فبان السيلُ
فحشنا المطي في أثر الطيب	ب سراعاً لها إليه ذميل ^(١)
فطرقنا الخيام منسلخ اللي	ل وللصبح عارض مستطيلُ
فنزّلنا فيها بأكرم نُزل	عند حيّ يعزّ فيه النزّلُ
نعم الطرف عندهم بمحيّا	ليس للبدر مثله فيحيلُ
واحد الحسن مستضيّ وضِيّ	مستنير كأنه قنديلُ

(١) ذميل الإبل وهو ضرب من سيرها، فملّ البعير يُدْمَلُ ذميلاً، وذملنا؛ من الشرعة.

مشرقُ النور تحت ليلٍ بهيمٍ
بجبينٍ كأنه صدفُ الدُرِّ
فيه قوسٌ من حاجبٍ وسهامٌ
أوسعُ العاشقين سبيًا وقتلاً
قام هاروتُ لحظه يجمعُ السبَّ
كم أسيرٍ مكبَّلٍ بفنا الدَا
فائقُ المِلاحِ بل هو زينُ
باسمِ الثغر عن نضيدِ نقيٍّ
ثم بثنا لديه والطرفُ منعَمٌ
وسقانا من كَفٍّ يُمناه كَأَسَا
نظرةُ منك سيدي يُتلافى
ويُطْفئُ بها لهيبُ المعنى
وفؤادي أودى به الشوقُ والوجدُ
يا حبيبي إن كان خطبًا جليلاً
بات يرمي جواهرَ اللفظ من فيهِ
بعتابٍ كأنه نسمةُ الفجـ
يا حبيبي قد كان ما كانَ فاصفح
لا وسقمِ الهوى وطيبِ التلاقي
فتحكّمْ واقضِ بما شئتَ

مظلّمٌ فرقهُ له ترسيلُ
رِ أو الطرسُ زانه التصقيلُ
من لحاظٍ وفيه خَدُّ أسيلُ
ما لهم من حياضِهِ تهليلُ
سيَ وللفتك قد مضى قاييلُ
رِ ففيها مجرَّحٌ وقتيلُ
واسطُ العقد بل هو الإكليلُ
جوهرِيّ رحيقه معسولُ
والوشاةُ عنه عُقولُ
سَلَسِيلاً مزاجُها زَنجِيْلُ
مستهامٌ بها ويشفى عليلُ
ويُداوى من السَّقامِ عليلُ
دُ وجسمٌ به الضنى والنحولُ
هجرُكم فالوصلُ وصلٌ جميلُ
هـ ودراً من النظام ينيلُ
ر جناها رضاؤها مطلولُ
وتعطفُ فليس عنك بديلُ
ما فؤادي إلى سواك يميلُ
فأنت العطاءُ والتنويلُ

وَجَعْمَان - بفتح الجيم وسكون العين المهملة - ابن يحيى بن عمر بن أحمد بن علي بن الشَّوَيْش بن علي بن وهب بن علي بن صريف بن ذؤال بن سنوة بن ثوبان بن عيسى بن سحارة بن غالب بن عبدالله بن عكَّ بن عدنان، العكِّيُّ العدنانيُّ الصريفيُّ الذؤاليُّ اليمنيُّ.

[٧١٩] إسحاق بن حسين .

الساكن بقرية بجنك - بفتح الباء الموحدة والجيم والنون والكاف - من أعمال بلدة أقراي، من بلاد قرامان، اشتغل بالعلوم مدةً، ثم سلك الطريقة، واتصل بخدمة الشيخ عبد اللطيف، المعروف بجيم سباه، واجتهد عنده مدةً، حتى أجازته للإرشاد، ثم قام مقام شيخه، بعد وفاة الشيخ سليمان خليفه اللارنده وي.

[٧٢٠] أبو الطيب ابن شيخ الإسلام بن بدر الدين ابن شيخ الإسلام رضي الدين بن محمد بن أحمد بن عبدالله القرشي الغزي العامري الدمشقي الشافعي^(١).

فاضلٌ مجاله في الفضل فسيح، وشاعرٌ بديع الشعر فصيح، يسحر ببيانه العقول، ويهر الألباب بما يقول.

وُلد بدمشق، وبها نشأ وترعرع، ثم رحل إلى مصر طالباً، وحصلَ دروس أعلامها راغباً، فجاز تحقيق الحقيقة والمجاز، وسبق إلى قصبات السبق في أقرب مجاز، ولمحته عيون السعادة، ورجع إلى بلده.

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٨٠)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١ / ٢٥٧) (٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٣٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١ / ٨٥) (٥).

ولم يزل معدوداً من أرباب الصدور، مسفرةً محاسنُ فضله إسفارَ
البدور، حتى أفسدت السوداء عقله، وأوجبت من مناصب العقلاء عزله، وكان
أول ظهور ذلك: أن دعا مزيناً، فخلق لحيته، وغير صورته وحليته، ثم جمع
شعره في منديل، وقصد القاضي لشكاية أخيه، زاعماً أنه الذي شوه وجهه
ذلك التشويه، فدعا القاضي أخاه، وتحرى جلية الأمر وتوخاه، فظهرت
حركات دلت على فساد عقله، ثم تفاقم به الداء، حتى قيدت قدماه، وانقطع
عنه أصحابه وندماه.

وذكر في «السلافة»: أن الشيخ محمد الحريري مرّ عليه يوماً، هو
وصاحب له، فوقفا بحياه، وسألاه عن حاله، فشكا عليهما الوحشة والافتراق،
وطلب منهما أن يجلسا بقربه، وينفّسا من خناق كربه، فتقدم ذلك الرجل
إليه، وجلس بين يديه، فشبث به، وضربه، وطرحه حتى برحه، فلم يفلت
منه إلا بعد حين، وكاد حينه أن يحين، ثم التفت إلى الحريري، وقال له:
أنت شيخنا المبجل، عليّ عهدُ الله أن لا أفعل بك ما فعلتُ بصاحبك، فادنُ
مني، وأزِلْ دهشة الوحشة عني، فمال عنه، وضحك منه.

واستدعى يوماً بنورة ليطلّي بها، فطلّى جميع بدنه، حتى لحيته وشاربه،
وأشفار عينيه وحاجبيه، فلما أنكروا عليه فعله، قال: أردت أن أزيل الشعور
جملةً.

وله في جنونه أفانين، عدّ بها من عقلاء المجانين.

وشعره من الطبقة العليا؛ من الرقة والانسجام، وها أنا أثبت ما يدار
عليك به من الأنس جام.

فمن قوله مادحاً الأستاذ الشيخ أبا السرور البكري - رحمه الله - :

معطرةُ الأردن طيبةُ النشْرِ	ألا طرقتنا قبل منبلجِ الفجرِ
وما خلّتها تقضي على الموت والنشْرِ	وحَيْثُ فأحيَتْ من حشا ملنّفٍ قضَى
وفاء بلا مطل ووصل بلا هجرِ	وجادت بما ضَنَّ الزمانُ بمثله
من الحسن أدناها أدقُّ من السحرِ	وجاءت كما شاء المنى في مطارفِ
فأشرق بدرُ التّم في غَسَقِ الفجرِ	ولاحت من الغدرِ العلى في دياجرِ
من الغيد ريمًا لا من الشدنِ العفرِ	وماستُ قضيبًا فوق دِغَصٍ وأتلفت
وقد آن يوفي حين وافته بالندِرِ	فبادرتُها والقلبُ جُمَّ سروره
وأيقظت أقرىها الهواجد بالنحرِ	وقمتُ لها أسعى وقلتُ لها اسلمي
إذا جُليت في كاسها الشمسُ في البدرِ	وعاطيتها صفراءَ بَكرًا كأنها
نسيم الصّبا غبَّ المُلثُ من القطرِ	وجاذبُها أطرافَ عتبٍ كأنه
خليطانِ من ماء الغمامة والخمرِ	ومازجَتْها ضَمًّا فرحنا كأننا
خليلين مثلينا استقلا من الغدرِ	ونازعتُها ذيلَ العفافِ ولم أقلْ
وأسفرَ داجي الأفقِ عن فلقِ الفجرِ	إلى أن نضا كفُّ الصباحِ حسامه
مرنحةُ الأعطافِ ناحلةُ الخصرِ	فقامت تهادى لنفضِ البردِ تشني
وسار فؤادي خلفها حيث لا تدري	وهَمَّتْ بتوديعي فسالت مدامعي
لقد أذكرتني موهنا ليلةَ القدرِ	فيا ليلةَ ما كان أزهرَ متنّها
عدي عودةً أم أنتِ لي بيضةُ العقرِ	ويا زورةَ لم أنسَ لا أنسَ أنسها
وفي غمرة من غير بحر الهوى فكري	ووالله ما شبيب إلا علالة

وفي همتي والله يعلم شاغلٌ
أرتعُ في روض الحسان وأنشي
أحدثُ نفسي بالمعالي وأبتغي
وما الناسُ إلا الشوكُ عند اختيارهم
سأضرب وجه الأرض أبغي مطالبي
أبى الله لي إلا السيادة أصيدُ
ولا مجدَ عن إرثٍ وإن طبتُ مَخْتِدًا
وما الفخرُ إلا مقارعة الوغى
فإن أنتَ صاففتَ الأسودَ وخضتها
ولم تغتمض عيناى ليلة لم أبت
وكم لي من صيداتٍ عزٍّ وسؤددٍ
ولما رأيتُ الذلَّ في جانب الغنى
مناقبُ همَّاتي حَكِينٌ مقانِبًا
... أحداث الزمان فتنبري
وما هي من همَّاتِ قُطب العلا أبي السد
هو الأسدُ الضرعام إن عنَّ حادثٌ
هو الشمس في أفق السماء وضوءها
هو العالم الشهم المبرِّزُ في النهى
هو البحر إما ريم إدراكُ شأوه

عن الغادة العذراء والأغيد العذري
عن الذروة السماء يعلو بها قدري
رفيقًا رقيقًا بي معينًا على أمري
على أنهم في منظر العين كالزهر
فريدًا ولا أعبا بزيدٍ ولا عمرو
مُجِدُّ إلى قنصِ العلا بالقنا السُّمَرِ
فأنمى إلى حبرٍ يلقب بالبدر
وما المجدُ إلا بالسباء وبالأسرِ
بطعنٍ فقل ما شئت في عالم البدر
أقلَّب في قلب الهزير على جَمَرِ
ومن دونها وقعُ المهندة البُثْرِ
تنكبت أبغي العزَّ في جانب الفخر
نُظْمَن فِلَادَاتٍ من الأنجم الزُّهَرِ
كما ارتعدَ العصفورُ من صولة الصَّقْرِ
سُرور ولا دعوى سوى عشر العشر
ملمَّ شديدُ البأسِ حتى على الدهر
على الخلق من يضيٍّ وسمرٍ ومن حُمَرِ
أخو الحَسَبِ الوضاحِ والشيم الغُرِّ
فأين الثمادُ الجعفريُّ من البحرِ

ولا عيبَ فيه غير أن يمينَه
ومن جوده الداني الهبادب مصر
وكم من صفاتٍ راح يحوي زمامها
وتنفذُ ألفاظَ المديح ولا تفي
فصاحَةُ قُسرٍ في سماحة حاتمٍ
وفقهُ ابن إدريسٍ وزهدُ ابن أدهمٍ
خليلِيَّ عوجا بارك الله فيكما
وهبًا إلى كنز المآثر واقراء
وبثًا إليه فرطَ شوقي ولوعتي
أصدرَ الموالي المحرزي قصبِ العلا
لعلك لا تنسى المسيءَ من الرضا
وإني لأستعفيك مما وجدتني
وما أنا نظامًا لشعرٍ وإنما
وما الشعرُ يا مولاي إلا تجارةٌ
فدونكَ يا ركنَ المعالي حوائلاً
قوافٍ إذا ما أنشدوها تخالها
تروقُ بماء الطبع حتى كأنها

تنوُّ على ما في الكنهو^(١) باليسر
لا تبالي أمَّه النيل أم كان ذا جَزَرٍ
عديمةُ أمثال تجلُّ عن الحصرِ
إذا أطردت يوماً بشيء سوى النزرِ
وإغضاءُ قيسٍ في اقتدار يَدَيَّ عمرو
وحلمُ أبي بكرٍ وصدقُ أبي ذرٍّ
على ساكني الفسطاط من قاطني مصر
عليه سلامًا كاللطائم في القطر
على ما هما فالصدقُ أجدرُ بالخرُّ
نداءَ محبٍّ مخلصٍ السرِّ والجهر
وعلك لا تنسى الكسيرَ من الجبر
حنيدًا إلى النعما بطيناً عن الشكرِ
مديحك الومن^(٢) بي على صنعة الشعرِ
فطورًا إلى ربحٍ وطورًا إلى خُسِرٍ
تؤمُّك بالتسليم قطر إلى قطرٍ
عقودَ الدراري لا عقوداً من الذُرِّ
ترقرق في أرجائها ذائبُ التبرِ

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

ودونكها بكرة إليك رفعتها
نؤم قبولاً مهرها وجديرة
ودم سالماً ما جاد روضاً ربائبه
ومنها استعير الظلم في شنب الثغر
مجانبة إلا جنابك بالمهر
وما ناح شحور وما غرد القمر
وقوله متغزلاً:

هات اسقني حلب العصور ولا سوى
انظر إليه كأنه متبرم
وكان صفحة خده يا قوتة
زهر النجوم تجاه زهر المجلس
مما تغالزه عيون النرجس
وكان عارضه خميلة سندس
[٧٢١] إسماعيل بن ماضي بن يونس بن إسماعيل السنجيدي
الشافعي^(١).

كان من أكابر العلماء الشافعية بالديار المصرية، وكان صاحب عبارة،
وفصاحة وبراعة، وإماماً في النحو وعلوم العربية، ومتضللاً من العلوم العقلية،
أخذ الفقه عن الشمس الرملي، ولازمه إلى أن مات، ثم تكمل بالنور الزيادي،
وتصدر للإقراء بالأزهر سنين عديدة، وتوفي يوم الاثنين، سابع ربيع
الأول، سنة ست وخمسين بعد الألف، وله من العمر نيف وتسعون سنة
- رحمه الله تعالى -.

[٧٢٢] السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم^(٢).

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٨).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٤١٦)، «نفحة
الريحانة» للمحيي (٣/ ٢٦٦) (١٩٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٥٥).

أديب الزمن، وغرة اليمن، كان بالمحل الأعلى من البلاغة والبراعة،
وحسن الأدب والصناعة، وله مؤلف سماه: «سمط اللآل بأشعار الآل»،
وفضله أشهر من أن يذكر، وشعره أحلى من السكر.

وجده هو الذي أحرب الأتراك، وأخرجهم من اليمن، وكان ذا ولاية
واسعة، مُدح، ووفد إليه من كل جانب، توفي سنة ثمان وأربعين وألف،
وتوفي والده سنة ثمان وسبعين بعد الألف، وتوفي ولده المذكور بعده، سنة
تسع وسبعين، وعمره فوق الثلاثين وتحت الأربعين تقريباً بـ «مذيخرة» من
أعمال العدين.

ومن شعره قوله:

ففي المهجة أضحى معهذه	فلذا في الغيبة يشهده
فتان الحسن ممنعه	فتيان الصبوة أعبده
معسول الثغر مفلججه	عسأل القد معربده
وافى من بعد تجنيبه	ووفى بالذروة موعده
وسرى كالبدر فسربه	مسلوب كرى لا يرقده
وأعاد الروح إلى شبح	عنه قد صبح تجرده
حياه فأحيا مهجته	وحباه بقرب تعهده
بدر قد طال تسومه	ويوم الهجر توغده
بريم يقلاه للفتنه	ريم اليداء ويحسده
غصن قد دان لقامته	في غصن البانة أملده

من مقلته النجلاء له
 من قوسٍ حاجبه سهم
 من قامته الهيفاء له
 وكأنَّ البرقَ بمبسمه الـ
 أولمع أسنة عز الآ
 محسودُ الحدِّ مثبتَه
 مشكورُ البذلِ لقاصده
 للدين عمادٌ متصبُّ
 منصوبُ الراية نافذها
 ما زال إلى أعداء الديـ
 فيقودُ جرادًا متشرا
 خيلٌ بل سيفٌ محتجفٌ
 يا أوحده هذا الدهر ومَن
 هُئيتَ بشهرٍ مفخره
 صومًا يرضى المعبودُ بما
 أعرضتَ عن الأعراضِ به
 في فعلٍ الخير به عن طر
 ويعيدُ عنك بعيدُ أنـ

سيفٌ للفتك يجرُّدُه
 نحو المفتون يردُّدُه
 رمحٌ في المهجة توردهُ
 — براقٍ رواه مبرردهُ
 لعزيزُ القدرِ مشيِّدُه
 محمودُ الجدِّ محمَّدهُ
 مشهورُ الفضلِ ممجَّدهُ
 بالرفع تَسامي مقعدهُ
 ميمونُ الرأي مسدَّدهُ
 من لجند الحق تجنُّدهُ
 من ذا في الناس يعدُّدهُ
 من ذا يلقاه ويقصدهُ
 قد عزَّ مثالا سؤددهُ
 ما تُصدر فيه وتوردهُ
 فيه يأتيه ويحمدهُ
 لَمَّا الهالك تهجُّدهُ
 فبك طيبُ النوم تشرِّدهُ
 حُسَّه^(١) وقريب أسعدهُ

(١) في الأصل: بعيدًا بحسنه .

تطرقه قطر في غده	من قلب الحاسد أسوده
وإليك قريضا نظمه	فكر قد طال تبليده
أضحت تذكيره بلفحتها	نار التعنيف وتحمده
فأتاك بعتبٍ أوجبه	لوم قد طال تردده
فاسمع لمقالٍ يصلح ما	قد كان الحاسد يعنده
إن كنت تعمد للواشي	ذنباً قد صحَّ تعمده
فالحلم يريد تقوله	ولحكم الزور يؤكده
ويطول الفرط يقرؤه	من ربِّ الودِّ تبعده
أو كنتَ تصدِّقُ لهجته	حاشاك لقولٍ يوجده
وتسيءُ الظنَّ بمن أضحى	في نيلٍ رضاك تقيده
فالحزمُ لديه تجنُّبُ ما	جلب الإيحاش تفقده
والعزمُ لطرح تعهدها	أزرى بالعهد تعهده
لا زلتُ تُشيد قواعده	هذا الدين لنا وتشيده
ما دام العتبُ لثوب الودِّ	مدى الأيام يجده
أو بات الصبُّ يهيم بمن	في المهجة أضحى معده

وعارضه الأديب محمد الرقباوي، فقال مادحاً له :

قد تشييه وتفرده	وجوى أطويه وتفرده
ويلا بل صدر صادرة	عن علة وجد توردته

وصيادُح آمالٍ وجدت
ولهيب حشاً ما خلتُ بأن
وفؤادُ ذابَ وزادَ بسف
ويُلي وأنا المفتونُ بمن
ظبي في المهجة مرتعه
بدرُ بحياتي مطلعه
عن مبسمه الإنسان الكا
من ضلّ بليل غدائره
حجبت رؤياه نوى هدف
والليل يمرّ وأياس من
سلطان جمالٍ جادٍ بعا
صرع العشاق بمقلته
يسطو بتغيظٍ ناظره
في الخلوة يُجري صارمه
ويُبيح لطفني نرجسه
ومتى تفتت مني جلدي
ومتى ما قلتُ رويدك لا
وإليه حلّ دمي وإذا

تدني المأمول بتعهده^(١)
نَ عبابَ النيل تبّرده
ح عقيقِ الدمع توقّده
فضح الأقمار مقلّده
غصنُ في القلب تأوّده
لا غابَ وفيه مسهّده
ملُ يروي عنه مبرّده
يهديه ضياه ويُرشّده
عني ولكم لي أرضده
لقياه ويُطمعني غده
دله وعليّ علت يده
ودها المشتاق توغّده
ومتى ما شاء يرقّده
وعلى الأشهاد يُجرّده
والخد حماه تورّده
بعث الهجران يقصّده
تعجل بتلافي يعمّده
ما حلّ صدودا يقعه

(١) كذا في الأصل.

وحدیث هو أنسُ معنیه	قد صَحَّ إليه ويسندهُ
والدمع جرى مطلقه	والقلبُ لديه مقيدهُ
رَشَاءُ نشوانُ السحر بمقه	سلته قد صالَ تعريدهُ
يقوى سبب الإبعاد ولا	أقوى لجفاهُ ويحصدهُ
لم أنسَ عشيةً صادفني	كالغصنِ ينشئ أملهُ
وأفاح الروض براحتہ	وعيونُ النرجس تشهدہ
فذهشت فلا أدري أثنا	ياه أم ما حملت يدهُ
أقسمتُ بمن خلق الأشوا	قَ تُقيم الصلب وتقعدهُ
ما خاب رجًا أملٍ يسعى	لضياء الدين ويقصدهُ
شرفُ الدين وإسماعيل	سليلُ العز نماءُ محمدهُ
بحرُ الإمداد معينُ العله	م معينُ الطالب موجدہ
جمُ الإفضالِ شقيقُ الجو	د مفيدُ المجدِ ممجدہ
نُشرت آياتُ مناقبه	حيثُ الأعلام وسؤددهُ
وترفّع بيتُ العزِّ به	وسراة السائح يقعهُ
وأقام شعارَ الملك على	روضٍ قد أفلح رودهُ
علمُ كالزهر أزامره	وغزاة صحوُ فرقدهُ
ينسى المشتاقُ أحبتہ	ويسرُّ الناظرَ مرشدهُ
ويدُ الأنداءِ تَضوعُ له	حليًا تتألف عسجدہ
ولجینُ الزئبقِ خالصه	من معدنہ وزبرجدهُ

وَجَنَائِيهِ وَكَتَائِيهِ	وَتَوَغُّلِهِ وَتَجَلُّدُهُ
أَفْدِيهِ عَزِيزَ الْجَارِ حَمَتَ	أَغْوَارَ الدُّنْيَا أَنْجُدُهُ
بَصْدُورِ السَّمْرِ غَنَائِمِهِ	وَبِهِيَائِ غَنَمِهِ وَحَدُهُ
قَدْ حَازَ الْفَضْلَ مَصُوبُهُ	وَجَمِيلَ الصَّنْعِ تَصَعُّدُهُ
جَبْرُ كَالْبَحْرِ وَمَنْطَقُهُ	يَسْتَلْأُ مَفْرَدُهُ
وَمَعَانِي الشَّعْرِ تَرْقُّ لَهُ	وَالِيهِ دَانَتْ شُرَدُهُ
وَخِلَاصُ الْمَدْحِ يُزَانُ بِهِ	وَعَلَيْهِ تُجْلَى جُرَدُهُ
وَلَهُ بِالنَّثْرِ بَدِيعٌ فَأَ	قَ عَلَى الْإِطْلَاقِ يُؤَيِّدُهُ
مَا لَابَنُ زَهِيرٍ وَابْنُ زَهِيٍّ	رَ مَا يُنْشِيهِ وَيُنْشُدُهُ
وَكَذَا ابْنُ هَلَالٍ وَابْنُ هَلَا	لَ فِي التَّحْرِيرِ يَقْلُدُهُ
وَسَمِيرٌ يَرَاعِي الْخَطَّ وَسُمُ	رَ عَوَالِي الْخَطِّ عِلَّتْ يَدُهُ
طَلَّقَ الْكَفَّيْنِ لَهُ كَرِّمٌ	يُقْصِي الْإِمْلَاقَ وَيُيَعِدُهُ
سَامِي الْعِلْمَيْنِ مُحَمَّدُهُ	زَيْدٌ وَالصَّارِمُ أَحْمَدُهُ
نَوْعَانِ مِنَ الْحَسَنِ الْأَعْلَى	لَهُمَا بِالْعِزِّ تَفَرُّدُهُ
هَادٍ لِلدِّينِ وَنَاصِرُهُ	وَأَمَامُ الْحَقِّ ^(١) وَمَعْبُدُهُ
شَرَفٌ تَعْنُو الْجُوزَاءُ لَهُ	وَعَلَيْهَا يَسْمُو سَيِّدُهُ
لَا غَرَوْا إِذْ سَادَ النَّاسَ	وَأَحْيَا الْأَرْضَ تَفَقُّدُهُ
وَلَدِيهِمْ يَدْنُو نَائِلُهُ	وَعَلَيْهِمْ يَعْلُو مَحْتَدُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ: لِلْحَقِّ.

فلله رأي كالشمس يُزيـ	فل ظلام الخطب مسدده
ما السيفُ بأقطع منه إذا	ما غاص لأمرٍ يعمده
وإذا اسودت نُوب	يجليها ذابله ومهنده
مولاي ضياء الدين عليـ	ك صلاة الله أردده
جهدي وحياتك قصر بي	عن شأوك فيما أقصده
ومعارضتي لجمانك ما	بلغت ما أنت منضده
إلا أني وازنت الدر	ر بمحتلبي أتوجده
ويسطت العذر لديك فإن	تقبله فانت معوده
لا زلت لنا بمذيخرة الـ	غنا ذخرا لا نفقده
وسحاب نوالك منهمر	وعباب صقالك نورده
ما لاح البرق وسال الود	ق وزان الشرق تورده
وبقيت لدين الله ضيا	ما عبد الله موحدده

وكتب صاحب الترجمة إلى القاضي محمد بن إبراهيم السحولي :

عجبا ما للأخلاء	أعرضوا من غير علّة
ونجافوا عن كتيب	هائم القلب مؤلّة
مستهام عذبتـه	من غزال الرمل مقلّة
وقوام مثل غصن الـ	بان قد حلّ زملة
ومحيّا أورث الأنـ	جم والأقمار خجلّة
عليلة الساق رداح	دونها في الحسن عبلة

غَادَةُ عَادَتُهَا
جَعَلْتُ هَجَرَ الْمَعْنَى
حَرَمْتُ مَنْ وَصَلَهُ مَا
وَأَحْلَلْتُ قَتْلَهُ^(١)
يَا تَرَى فِي أَيِّ يَوْمٍ
وَيْسَ فِي طَيْبِ عَيْشٍ
وَيَرَى الْعَاذِلُ فِيهِ
وَيَعُودُ الصَّبُّ لِلْمَعْدِ
فَهُمْ قَوْمٌ سَرَاةٌ
وَلَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَدٌّ
غَيْرَ أَنْ الدَّهْرَ أَبَدَى
صِيرَ التَّشْهِيرُ فِي وَصْدِ
سَدِّ دُونَ الضَّاحِكِ السَّعْدِ
فَتَنَاسَوْا عَهْدَ صَبِّ
وَجَفَّوْهُ فَرَسُومُ الْـ
فَمَتَى فِي الدَّهْرِ يَلْقَى
عَلَّاهُ يَشْكُو إِلَيْهِ
نَجَلُ إِبْرَاهِيمَ عَزُّ الْـ

لِلصَّبِّ أَنْ تَكْثُرَ مَطْلَعُهُ
فِي الْهَوَى دَيْنًا وَمِلَّةً
خَالِقُ الْخَلْقِ أَحْلَلَهُ
وَاللَّهُ قَدْ حَرَّمَ قَتْلَهُ
يَصِلُ الْمَحْبُوبُ حَبْلَهُ
يَجْمَعُ الرَّحْمَنُ شِمْلَهُ
تَارَكَا فِي الْحَبِّ عَذْلَهُ
هُودٍ مَنْ دُونَ تَعْلَلِهِ
أَرْحِيحُونَ أَجْلَلَهُ
لَا يَرُومُ الْغَيْرُ نَقْلَهُ
مِنْهُمْ تَيْهًا وَغَفْلَهُ
لِيهِمُ الْمَطْلُوبُ عَقْلَهُ
سَدِّ طَرِيقًا مِنْهُ سَهْلَهُ
ذَاهِلِ اللَّبِّ مُدْلَلَهُ
وَوَدَّ مِنْهُمْ مُضْمَحِلَهُ
شَيْخَهُ بَدَرَ الْأَهْلَلَهُ
سَطَوَةُ الدَّهْرِ وَفَعْلَهُ
بَدِينِ مُحَمَّدٍ الْجَبِيلَهُ

(١) كذا في الأصل.

أَكْرَمُ الْأَبْرَارِ خُلَّةً	أَعْظَمُ الْأَخْيَارِ قِيلاً
مَا أَرَى الْأَكْيَاسَ مِثْلَهُ	أَحْسَنُ النَّاسِ خِصَالاً
عَلَّمَهُ زَاهٍ وَقَبْلَهُ	وَهُوَ لِلطَّالِبِ عَلَماً
زَ خِصَالِ الْفَضْلِ جُمْلَةً	يَا جَمَالَ الدِّينِ مَنْ حَا
لَا يَرَى غَيْرَكَ أَهْلَهُ	هَكَذَا نَظْماً مَنْ مَحَبُّ
قَدْ كَرَّرْتُهَا أَيَّ شَغْلَةٍ	أَوْجَدْتُهَا فَكْرَةً
فَنِي وَفِي الْأَلْفَافِ قَلَّةٌ	فَأَتَى مُضْطَرَبَ الْمَعْدِ
لِنَظْمِ جَاءَ قَبْلَهُ	يَرْتَجِي مِنْكَ قَبُولاً
سَتَرَ عَنِ الْغَيْثِ وَكَلَّةٌ	سَبْلاً مَنْ دُونَهُ
رَاقِياً أَعْلَى مَحَلَّةٌ	دَمَتْ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ

فأجابه بقوله :

وَاصْفَحُوا عَنْ كُلِّ زَلَّةٍ	سَامَحُوا الْمَمْلُوكَ اللَّهَ
نَافِعٌ مَنْ كُلِّ عِلَّةٍ	عَفَوُكُمْ عَنَّا دَوَاءٌ
نَاقِعٌ مَنْ كُلِّ غُلَّةٍ	وَالرِّضَا مِنْكُمْ زَلَالٌ
بِإِصْرَاهِ الْإِدْلَاءِ	وَوَلَاكُمْ لِي أَمَانٌ
وَهُوَ عِنْدِي خَيْرٌ مِلَّةٍ	حُبُّكُمْ شَرْعِي وَدِينِي
وَطَبَاعٌ وَجِبِلَّةٌ	وَهُوَ لِي خُلُقٌ قَدِيمٌ
وَسَوَادُ الْقَلْبِ حَلَّةٌ	وَلَقَدْ مَازَجَ رُوحِي
سُبُّ تَنَاسَاهُ وَمَلَّةٌ	مَلَّنِي الْعَيْشَ إِذَا الْقَلَّةُ

لَسْتُ أَنْسَاكُمْ عَلَى الْقَر	بِ وَلَا شَحَطِ الْمَحَلَّةِ
مَا ثَنَانِي عَنْكُمْ ثَا	نِ وَالْهَنَانِي وَوَلَّيْتُ
لَا وَلَا وَلَّيْتُ الْحَبْنَةَ	بُ بِمَنْ مِثْلِي وَلَّيْتُ
قَمَرُ الْحَسَنِ وَلِلْحَسَنِ	نِ بِدَوْرٍ وَأَهْلُكُ
لَوْ رَأَى الْبَدْرُ أَعْلَا	هَ مَقَامًا وَأَجَلَّكُ
لَوْ رَأَى الشَّمْسُ قَالَتْ	لَيْتَ فِي أَوْجِي مَحَلَّةِ
ضَرْبَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ	قَبْلَةَ تَزْهِي وَكَلَّكُ
وَكَسَاهُ مَنْ دَمَسِقِ	حَاكَّهُ أَزِينَ حُلَّةِ
وَرَأَى الْحَسَنُ قَدْ حَا	زَ بَدِيعَ الْحَسَنِ كُلَّكُ
فَوَحَى فِي الْخَدِّ حَقَّ	عَيْنَ حَصْنَتِكَ بِاللهِ
يَا لَقَوْمِي فِي كَثِيرِ	حَسَنِ حِطِّي مَا أَقْلَكُ
يَا رَسُولِي قُلْ لَهُ	بِاللهِ إِنْ أَحْسَنْتَ قُلْ لَهُ
كَمْ يَقْضِي الصَّبُّ عَمْرًا	فِي عَسَاهُ وَلَعَلَّكُ
إِنْ يَكُنْ لَا يَرْتَجِي الْوَبْدُ	لِ مِنَ الْوَصْلِ فَطَلَّكُ
وَعَلَى الْحَسَنِ زَكَاةٌ	وَرَدَتْ فِيهَا أَدْلَكُ
وَهُوَ مَسْكِينٌ فَمَنْعُ الضِّ	صَرَفَ فِيهِ مِنْ أَحَلَّكُ
لَسْتُ أَشْكُو الْجَوْرَ إِلَّا	لِلْأَجَلِّ بَيْنَ الْأَجَلَّةِ
لِضْيَاءِ الْمَلِكِ بِدْرِ	مَمْلِكٍ مَا بَيْنَ الْأَهْلَّةِ
صَادِقِ الْمِعَادِ إِسْمَا	عِيْلَ مُحَمَّدٍ الْجَبِيلَةَ

فِ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةِ	مِنْ لَهُ كَثْرَةُ أَوْصَا
رِرِ إِلَى أَعْلَى مَحَلَّةِ	مِنْ رَقَى فِي الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
مِرْهَفِ الْحَدِّ وَسَلَّةِ	وَنَضًا مُنْصُلَ عَزَمِ
يَاءٍ مِنْ غَيْرِ تَعَلَّةِ	وَسَعَى فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
لِ إِلَى أَرْفَعِ قُلَّةِ	وَسَمَا فِي يَذْبُلِ الْفَضْلِ
فِي الْعِلَا حَيْثُ أَحَلَّةِ	مَا أَحَلَّ اللَّهُ شَخْصًا
رَدَّ عَادِيَّةَ الْمَذَلَّةِ	يَا سَلِيلَ الْعِزِّ يَا مَنْ
مَنْكُمْ أَعْلَى مَحَلَّةِ	وَصَلَ الْمَمْلُوكَ وَصَلُّ
زَانِهِ بَيْنَ الْأَجَلَّةِ	وَكِسَاهُ بِرَدِّ فَخْرِ
وَرَدًا كَسَاهُ الصَّبْحُ طَلَّةِ	عَقْدُ نَظْمٍ خَلَّتْهُ
هَ الْغَوَانِي لِلْأَكِلَّةِ	أَوْ هُوَ الدَّرُّ تَهَادَا
نَ لَهَا مِنْهُ أَشَلَّةِ	وَتَوَدُّ الْغَيْدُ لَوْ أَنَّ
لَهُ لِلْعَالَمِ ظِلَّةِ	بَلْ هُوَ الْفَضْلُ أَدَامَ اللَّـ
وَلنَظْمِي مِنْهُ ذِلَّةِ	فِيهِ إِعْزَازِي لِقَدْرِي
جَاءَ فِي ضَعْفٍ وَقِلَّةِ	فَاقْبَلُوا مِنِّي جَوَابَا
سَامَحُوا الْمَمْلُوكَ لِلَّةِ	طَالَ تَقْصِيرًا وَلَكِنْ

ومن شعر صاحب الترجمة قوله :

سَفْحًا عَلَى الْخَدِينِ لَا تَرْقَا	وَشَادِنِ أَجْرِي دَمُوعِي دَمَا
بَيْضِ مِنْ حُلَّتِهِ الزَّرْقَا	أَخَافُ مَسُودَ عِذَارِي بِهِ

وقوله :

يا شادناً قد فاق في حسنه وعَزَّ عن شبهِ وأمثالِ
لأنت في قلبي وفي ناظري ألدُّ من نومةِ شوالِ

وقوله مادحاً لوالده السيد محمد بن الحسن - رحمهم الله - :

أتري السلبَ للقلوب الشجيَّة	لسواحي ألفاظها كالسجيَّة
أم رمى غيرَ عامدٍ أسهمَ الهد	بِ ولم يدِرْ أن قلبي الرميَّة
فعلت بيَ الألحاظُ شرفها اللـ	ه تعالى ما تفعلُ المشرفيَّة
عرفتني أسحارَ بابل هارو	تَ فكانت عندي هي البابليَّة
نصبت لي أشراكَ هدبٍ فهلاً	شافعي واحداً من الزيديَّة
أنا شيعيُّها وبالنصبِ جرتـ	خي إلى أن وقعتُ في المالكيَّة
لكنني عينا وقلبا وحتى	ملكنتي قولاً وفعلأً وثيَّة
وما نوبتُ الطموحَ للغير إلا	حجبتني الحواجبُ النوبيَّة
وينارِ الأخدود ذابَ فؤادي	من خدودِ نديَّة عندميَّة
أيُّ نارٍ لها اتقادُ الماء	غيرُ نارٍ على الخدودِ النديَّة
يا لها فتنةً لها قدَّرَ اللـ	هُ فعادت عشاقها قدريَّة
لا يرون السلوانَ مما يطيقو	ن ولا يدفعونَ هذي البليَّة
حقَّقوا الجبرَ باعتزالهم اللو	م فراحوا لغفلهم رافضيَّة
فهمُ يفرقون من كلِّ شيء	أبدأ في صباحهم والعشيَّة
مثلَ ما يفرقُ الشجاع إذا لا	قى إمامَ العصاةِ الحسينيَّة

الإمام القوامُ لله بالحقِّ —
الأغرُّ الأبرُّ عزُّ الهدى الها
المفيدُ المبيدُ شملُ الأعادي
خيرٌ من هَزِّ صارمًا يومَ روعِ
والذي قادَ رداءَ المعالي
والزكيُّ الذي يحلُّ من الإشـ
والجوادُ الذي يسوقُ إلى العا
والمليكُ الذي يدبرُ أعمـا
لم يزل في الأمورِ يمضي برأي
أحلمُ الناسِ أعلمُ الناسِ أزكا
أيُّها الأوحُدُ الذي ما رأينا
والذي مذُ أطاعَ ربَّ العرشِ جا
والذي طابَ نشرُ ذكره حتى
هاكها بنتُ ليلةٍ حبرتها
دُرُّها تخجلُ اليواقيتُ منه
فاقبلِ النَّزَرَ من خطابي واعذر
إنما يحسُنُ الخطابُ ويذكو
غيرُ خاف على أبي الفضل أن الـ

— قِ بإجماعِ العترة النبويَّة
دي البرايا إلى الطريق السويَّة
بالمواضي وبالقنـا السَّمهرية
وعلا صهوة الجيادِ العلوية
بالعوالي والهمة العلوية
كـال ما يُفحم الفحولَ الزكية
فـين سُخبًا من اللُّهى عسجدية
لَ نظامِ الشريعة الأحمدية
هو أضوى من الشـموسِ المضيئة
هم مقامًا ومختدًا وطويَّة
لُعلاه مماثلاً في البرية
زاه فدانت له الرقابُ العصية
طابَ منه أقصى الجهاتِ القصية
مع شغل سليقة هاشمية
ودراري الكواكبِ العلوية
من خطابِ حليه^(١) وخفيَّة
حين تزكو العوارضُ النفسية
ضميمَ تأبى منه النفوسُ الأبيَّة

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: جليَّة.

وابقَ ما مالتِ الغصون على الروض غنَّت بأيكها القمرية
وعلى خاتم النبيين والآل صلاة من الإله سنية
وسلام عليك ترى من اللّه تعالى في بكرة وعشية

[٧٢٣] السيد أسعد بن عبد الرحمن البتروني الحلبي القاضي

الحنفي^(١).

من أجل الأكابر قدراً، وممن حازت به الشهباء على غيرها من البلاد
فخراً، كريم السجايا فلا البحر يحاكيه، وفريد في المزاي لم تنظر عين الدهر
لمساويه، جمع بين فصاحة العرب وجرأة الفرسان، وقوة القلب وطلاقة
اللسان، وله في الأدب باع طويل، وفضل وافر جزيل.

ومن شعره قوله في الشيب:

أبعد الأربعين خضاب شيب أروم به مواصلة الغواني
وأرجو أن أكون به فتياً فهذا من أكاذيب الأماني
فوا أسفي على زمن تقضى سماعي فيه فقهة القناني

وكتب إلى علامة حلب السيد موسى الرام حمداني قوله:

قد حلّ أمرٌ عجب شيب بفؤادي يلعب
نجومه لا تغرب فأين أين المهرب
أرجو بقاء معه ما أنا إلا أشعب

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٠٢) (١٢٣)،

«إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٥٠) (١٠٠١).

إن الأمانى بعده
هذا الشباب قد مضى
هل عيشة تصفو لمن
دمر أرائنا عجبا
أنذبت أياما مضت
في حلب بسادة
من كل سمح ماجد
أنفاهم الموت الذي
وما بها بعدهم
سوى جهول سفلة
وهو إذا أملت له
أسْتَغْفِرُ الله بها
موسى الذي لفضله
خلأ كل مشكل
وإن جرى في حكم
قد حوى معاليها
من سادة أحسابهم
مولاي أشكو غربة
وتحت أذيال الرجا

ويلاه برق خلْب
وبان مني الأطيب
قد غاب عنه المطرب
وكل يوم رجب
فيها صفالي المشرب
قد خد متهم رتب
تخجل منه السحب
لكل بكر يخطب
من للمعالي ينسب
عن كل فضل يحجب
كلب عقور كلب
أسْتَأْذِنُ المَهْدْب
مُذَّ رواق مذهب
وحاتم إذا يهـب
تخال قسا يخطب
تنحط عنها الشهب
تنطق عنها الكتب
طالت وعزَّ الطالب
حاملة لا تنجب

إلا بـأولادِ الزنـا
إليـكـهـا خـريـدة
جـآذـرُ الرـومِ لـهـا
واسـلـمُ ودمٌ فـي رـفـعـة
مـا حـركـت مـيـمـا
هـذا لـعمـري العـجـبُ
مـنـالـهـا يـسـتـصـعـبُ
تـسـجـدُ أو تـنـسـبُ^(١)
لـلـسـعـد فـيـهـا كـوكـبُ
ورقـاءُ حـين تـنـدُبُ

فأجابه بقوله :

مـا الكـونُ إلا عـجـبُ
أعـمارُنـا تـنـتـهـبُ
ونـحـن نـلـهـو أبـدًا
أوَاهُ مـن يـوم يـجـي
صـايـلة فـيـهـا المـنـا
تـخـطـو عـلـى أرواحـنا
تَبَّالـدِنا التـي
كـم سـيـد غـرَّت بـه
لـلـدودِ فـيـه مـرتـعُ
والوـيـلُ يـومَ العـرضِ إنْ
ومـن لـظـى نـارٍ بـهـا
فمـنـه لا يُـسـتـعـجـبُ
يـومًا فـيـومًا تـذـهـبُ
فـي غـفـلةٍ ونـلـعـبُ
شـمـسُه لا تـغـرُبُ
يـا صـولـة لا تُغـلـبُ
فـأينَ أـيـنَ المـهـرُبُ
لـم يـصـفُ فـيـهـا المـشـرُبُ
وآرَاهُ لـحـدٌ أحـدُبُ
ولـلـهـوامِ مـلـعـبُ
لـم يـنـجُ مـنـه المـذـنـبُ
أجـسـادُنـا تـلـتـهـبُ

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : تَنَسَّبُ .

غوثٌ إليه تُنسب	لا عملٌ يَرْجى ولا
ومَنْ بِهِ نَحْتَسِب	إلا الكـرِيمُ رُبُّنا
جنا بـه يتـسب	ثم الشفيعُ مَنْ إلى
مقـصـدُنا والمطلـبُ	محمـدٌ خيرُ الـورى
يكونُ ما لا يُكـتـبُ	الحكـمُ لله فلا
حتـمًا علينا يجـبُ	والخيرُ فيما اختاره
سـيـدُنا المـهـدُّ	نـسـأله يـقـى لنا
بـه وسـادَ العـربُ	أسـعدُ مَنْ سادَ الـورى
جـوهره المتـخـبُ	جـوهره العـقـدِ الـذي
بهم قـديـمًا حـلـبُ	نجلُ الألى تـجـمـلت
وحـسـبُ ونـسـبُ	حلمًا وعلمًا وتقـى
زهرُ سـقـته السـحـبُ	يـخـجلُ مَنْ أخلاقـه
له المعـالى تـخـطـبُ	ومَنْ جـمـيل صـنـعـه
مـبـجـل محـجـبُ	طـلـقُ المـحيـا فـكـه
إلى علاه يُنسب	ولطفُ أنفـاس الصـبـا
رـيـه فلا يُـصـرُوبُ	ومَنْ إلى المـجـد يجـا
إذا ضـاقَ عـما يـهـبُ	زـيـدَ بـنا نـا كـفـه
يـخـجلُ مـنـه الصـيـبُ	فـسـيـبُ صـوبِ جـودـه
مـودـدٌ مـجـبُ	لـم يـحـلُ خـلٌ غـيـره

[٧٢٤] الأمين بن الصديق بن عثمان، أخى الشيخ العارف بالله، الولي ابن صاحب المرواح، الصديق بن إبراهيم بن أحمد الشهيد بن زيد بن علي ابن حسن بن عطية، السَّغْدَرِي بلدًا، وهي بطن من همدان، بمغارب صنعاء، ابن علي بن عطية بن علي بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عاصم بن إبراهيم بن إسحاق الخولاني، ابن موسى بن محمد بن موسى بن مقبول بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أحمد بن قَعْر بن شاور بن قُدَم بن قادم بن زيد ابن غريب بن جشم بن حاشد بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة ابن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن مَتُوشَلَخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن زيد بن مهيايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر - عليه الصلاة والسلام -، وأمه بتول بنت زيد ابن الولي بن الصديق.

كان من أكابر مشايخ الصوفية، ومن سالكي الطريقة المرضية، ومن أجل فقهاء المِرواح، وهي قريةٌ بأعلى الصلبة، من اليمن الميمون. ولد بالمِرواح عام خمسة وستين وتسع مئة، وقرأ بها القرآن العظيم، وعمره نحو عشر سنين.

وكان نائماً ذات ليلة، فسمع صياحاً، فانتبه من نومه، فسأل أخويه عبد الرحمن وأحمد عن الصياح، فقالا له: مات الولي بن صلاح، وكان من ذرية الولي بن الصديق، فصاح: الله، الله، وحصل له جذبٌ من ساعته، ولم يتمالك نفسه، فرمى نفسه من أعلى السطح، وخرج هائماً على وجهه حتى وصل إلى «الliche» في أسرع مدة، فتبعه أخواه ليردّاه إلى أهله، فامتنع، فلما لم يجدوا بداً من ذلك، ذهب معه أخوه عبد الرحمن، ورجع أحمد إلى بلده.

فذهبا إلى مكة، فلما وصلا إليها، قال لأخيه: ارجع لأهلك؛ فإنني الآن صحت مما حصل لي من الجذب، ولا أرجع حتى يأذن الله لي، فأقام بمكة والمدينة خمساً وعشرين سنة، وهو منهمك على خدمة العلم وأهله، والجِدُّ والتعب في تحصيله، إلى أن رأى بعضُ شيوخه النبي ﷺ في المنام، وهو يسقي اثنين من تلامذته، وكان الأمين واقفاً، فناداه ﷺ، وقال له: اشرب بنفسك، فأصبح الشيخ، وأخبره بما رأى في منامه، وقال له: ارجع إلى بلدك؛ فقد حصلت لك العناية النبوية، فامثلَ أمر شيخه، ورجع على اليمن وهو ممتلئ علماً وحكمةً.

ومرّ في طريقه على الشيخ العارف بالله عمر بن جبريل، بمدينة اللُّحَب، فأقام عنده، وطلب الأخذ عنه، فقال: بشرط أن تسأل على كل بابٍ من بيوت المِزواح وتذكر، فقال له: يا سيدي! سلني غير هذا، قال: لا، ففعل ما أمره به، وكان يُغشى عليه عند كل باب، ثم بلغ مبلغاً عظيماً.

ولما فارقه، أمره أن يجعل له مقاماً بالشَّجَنَة، وهي قريةٌ تحت المِزواح بأعلى الصلبة، فوصل إلى المِزواح، وأقام به، وفعل له مقاماً بالشَّجَنَة، وكان ينزل إليه كلَّ يوم جمعة، فيزوره فيه أهلُ الصلبة ومن والاه من القرى، ثم يعود إلى المِزواح، ولما قرب موته، أوصى أن يدفن بمقامه الذي بناه بالشَّجَنَة.

فلما مات، امتنع إخوته وأهلُ المِزواح من دفنه إلا عند جده الولي بن الصديق بالمِزواح، بمسجده المعروف به، وحصل بينهم وبين بني قُطَيْل - مصغراً - أهلِ الشَّجَنَة منازعةٌ في ذلك، أدت إلى أن رفعوا الحال إلى الأمير عبد الرحيم بن مطهر ابن الإمام شرف الدين، صاحب «المَبِين» بوزن أحمد،

وكان يحب المترجم، ويعظمه كثيراً، فقال: لا تقبر العادية إلا بين أهلها، وأمرهم بدفنه بترية جده.

فلما أرادوا رفعه من التابوت إلى القبر الذي أعدوه له ثَمَّةً، لم يقدرُوا على رفعه عن الأرض، وعالجوا أشدَّ العلاج، فلم يفدهم ذلك شيئاً، فعلموا حيثنَّذ أنها كرامة، ودخل خاله عبد الوهاب بن زيد، وأمرَ بني قُطَيْل بحمله؛ ليدفنه بمقامه الذي أوصى بدفنه فيه، فبمجرد أن أمسكوا التابوت، أطاعهم، وحملوه بأيسرٍ ما يكون، ودفنوه فيه.

وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأول سنة عشر بعد الألف، وقد زرته - بحمد الله - مرات، لما كنت بالصلبة، سنة ثمان بعد المئة والألف.

ومن مؤلفاته: «الكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان ومقام الإحسان»، وهو كتابٌ لطيفٌ، ذكر فيه شيوخه وأسانيده في الخرقه، وقد طالعته عدة مرات، وله رسالةٌ جواب سؤال أَلغازٍ من بعض الفضلاء، في مضاعفة الصلاة بمكة، غريبة الوضع، كتبت منها نسخةً بخطي؛ لحسنها وكثرة فوائدها.

قلت: ونظيرُ ما وقع لصاحب الترجمة من الكرامة: ما حكاه الشيخ العلامة العارف بالله تعالى، عبدُ القادر بن أحمد بن عبد المجيد بن محمد الأنصاري الشافعي، في كتابه «الوحيد في سلوك أهل التوحيد»، عن ابن أخت الشيخ حسين النجار السعرتي، قال: سألته بجامع مصر عن الشيخ حسين: هل أخرجَ يده من الكفن بعد موته وشفق؟ فإنه كان يُشهر عنه ذلك، لأنه كان في طول ليله ونهاره مشغولاً بآلات من الدفوف والشبابات وغيرهما، إلى حين أوقات الصلاة، فيصلِّي ويعود إلى حاله. قال: هو خالي وشيخي، أما إخراج يده، فلم يقع، لكنني أذكر لك الذي وقع، وما كان عليه.

كان الشيخ حسين - رحمه الله تعالى - يقول لأصحابه الفقراء: يا فقراء! أنتم تريدو حسين، أو تريدو أنفسكم؟ فيقولون: يا سيدي! تريدو حسين، فيقول: من صلى منكم غير الفرض، فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة، ومن صام منكم غير رمضان، فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة، والعبوا، وكان مستغرقاً في حاله، إلا أوقات الصلوات، فإنه كان يحضر فيها، وكان لا يفارقه الشبابة والدفوف من بعد ما يصلي إلى وقت الصلاة الأخرى، لا ليلاً، ولا نهاراً.

وكان أكابر البلاد يجدون عليه غالباً من ذلك، وكانت قوة حاله تمنعهم من الأذى له، وكانوا لو أعطوا الصدقات والفتوحات للنصارى ما أعطوه؛ لأنهم رأوا منه شيئاً لم يكن عليه الفقراء، ولا عرفوه، فكان الناس يشتغلون في شهر رمضان بقراءة القرآن، وصلاة التراويح، وهو على تلك الحال.

قال: فلما كان يوم من الأيام، قال الشيخ: اطلبوا النقيب، فحضر، فقال: أحضر الفقراء، فحضروا، فقال لهم: أنتم تريدو حسين، أو تريدو أنفسكم؟ فقلنا: تريدو حسين، فقال: أنا في اليوم الفلاني أموت، فكل من قال خلف نعشي: لا إله إلا الله، أو قال شيئاً من الأذكار، فأنا بريء منه، ألا كما كنا في الدنيا نكون في الآخرة.

قال: فلما كان اليوم الذي ذكر أنه يموت فيه، أصبح موجهاً إلى القبلة، ثم مات، فبقينا متحيرين متفكرين، كيف نعمل فيما قاله لنا، فجهزناه وكفنناه، ووضعناه في النعش، فوقع الخلاف بين الفقراء، فمنهم من يقول: نخرجه على عادة الناس؛ لأننا إن أخرجناه كما قال، خشينا على أنفسنا من الناس؛ لأنه كان له حال يمنعه منهم، ونحن نخشى منهم، وقال آخرون: هذا شيخنا، وما خالفناه قط، فنخالفه ساعة وفاته، هذا لا نفعله، واتفق الحال على أنهم

لا يفعلون ما قاله، ولا يفعلون عادة الناس، ويحملونه وهم سكوت.

قال: فلما اتفقنا، وقصدنا حملة، لم نقدر على حملة، فوضعنا أيدينا في النعش، فلم يرتفع، فجمعنا الفقراء على حمل النعش، فلم يستطيعوا حملة، وشاع ذلك في المدينة، فكل من كان يسيء الظن به قال: ما قبله الله تعالى، ولما ظهرت هذه الآية العظيمة، خرج السلطان وقاضي القضاة، وجمع السلطان الناس، وجعلوا المياجم^(١) في سواعد النعش، على أن يحملوه، فلم يستطيعوا حملة، ولم يتحرك من الأرض.

قال: فبقينا يعيب بعضنا بعضاً، وقلنا: لو فعلتم الذي قال لنا الشيخ ووصاكم به، لم يقع هذا الذي وقع، وكنا قد استرحنا من هذا، فسمعنا الحاكم، فقال: يا فقراء! هذه الطائفة لها أسرار مع الله - سبحانه وتعالى -، فأشتهي أن تخبروني ما هذه القضية؟ فقلنا له: القضية كيت وكيت، وقصينا عليه القصة، وما وصّى به الشيخ، فعرف القاضي السلطان، وأحضر الملاهي، فعندما غنّوا، وضع أربعة أيديهم في النعش، فحملوه، فحلف السلطان أنه لا يركب، ويمشي حافياً.

قال: وحملناه، فلم يكد أحدٌ يصل إليه من كثرة الناس والنساء والبنات، وصُلي عليه، وامتلات تلك الساحات من الجبال والتلال وغيرها، أو كلاماً هذا معناه، فلما صلينا عليه، أردنا حملة، فلم نقدر نحمله، فقال السلطان: يا فقراء! أبقِ معكم وصيةً أخرى؟ قلنا: لا.

فبينما نحن كذلك، وإذا بفقيرٍ أقبل من البرية، فتقدم وصلى على الشيخ،

(١) في الأصل: المياجم.

فسأله عن الشيخ: هل عنده علمٌ به؟ فقال: نعم هو شيخني، وقال لي: إنه يموت في هذا اليوم، وإنه ينتظرني حتى أحضر وأصلي عليه، وأنا جئت من اليمن، وقال: إن نعشه لا يُحمل حتى تقرأ عليه هذه الأبيات، وأخرج رقعةً من مرقعته مكتوبٌ فيها:

يا ويلتا من قلبي القاسي وما جرى منه على راسي
الفقرُ موجود لمن يشتري وإنما الآفةُ إفلاسي
إن ينكروا دُفِّي وشَبَّابتي وهزَّ أعطافي بين جُلَاسي
لا غَرَوْا إن أفتوا على علمهم لأنهم ما شربوا كاسي

قال: فلما غنى المغني بهذه الأبيات، وضع أربعةً أيديهم في النعش، فحملوه، ودُفن ظاهر سمرت - قدس الله تعالى روحه، ونور ضريحه -. انتهى ما نقلناه^(١).

[٧٢٥] أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي^(٢).

بحر الدقائق، وحبر الحقائق، الشيخ الجليل، العارف بالله سبحانه، كان أغلوطة الزمان، وبيمة الأوان، متضلعا من أنواع العلوم، ومرشداً إلى الحي القيوم، إماماً في المعارف والعلوم الإلهية، ولما بلغ من العلوم المنتهى،

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في نقل هذه الحكايات التي تدل على تلاعب الشياطين بهؤلاء المساكين، مع ادعاء الولاية والكرامات، نسأل الله العفو والمعافة في العقل والدين.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٤)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٤٢٨)، «نفحة الريحانة» للمحيي (١/ ٥٤٧) (٥٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٧).

وفاز فيها بالقدح المعلى، جاءه مخاطب التوفيق، والارتقاء إلى سنام التحقيق،
للعلم يهتف بالعمل، إن أجابه وإلا ارتحل، عكف على كتب التقوى واليقين،
وواظب عليها مدة من السنين، وراض نفسه رياضةً يعجز عنها من عرفها،
ودقق فيها وحقق فيها ما راق وأشرق، وله الكرامات المشهورة، والمناقب
الظاهرة الماثورة.

ولد بدمشق، وبها نشأ، واشتغل بالعلوم، وأتقن المنطوق منها والمفهوم،
ولازم الشيوخ العارفين بالله؛ كالشيخ أحمد العسالي، وهو أعظم من أخذ عنه
الطريق، وبه تخرج، وصار خليفته من بعده، ثم تصدر للعلم وتربية المريدين
في دمشق ونواحيها، بعد شيخه المذكور، وأتاه الناس للسلوك على يديه من
أقطار الأرض، وأخذ أيضاً من غيره، ولبس منهم الخرقة، وتلقن الذكر.

ومن شيوخه في الفقه والحديث: الشيخ العلامة إبراهيم بن الأحذب،
تلميذ ابن حجر المكي، والشيخ محمد العلمي المقدسي، والعلامة أبو بكر
السندي، حتى انتهت إليه في عصره معرفة كلام القوم، حتى إن بعضهم كان
يقول: ما ألف الشيخ الأكبر محيي الدين الفتوحات المكية إلا لمثله.

وعنه أخذ خلقٌ من أكابر العلماء، منهم: الشيخ يوسف بن أبي الفتح
السقيفي إمام السلطان، والشيخ إبراهيم الفتال، ومحمد النخعي الحلبي، وقدم
مكة سنة، وأخذ عنه بها السيد أبو بكر شيخان، والشيخ أسعد، والشيخ أحمد
ابن القطبي عبد الرؤوف المكيين^(١)، وصحب سيدنا عبد الرحمن الإدريسي
بها، وأخذ كل منهما عن صاحبه - نفع الله بهما -، وكان السيد عبد الرحمن

(١) كذا في الأصل، والصواب: المكيون.

يعظمه كثيراً، وكذلك الشيخ أحمد القشاشي، كان بينه وبينه مودة أكيدة ومكاتبات.

وله التأليف الجامعة لكل فائدة فريدة، خصوصاً في علم القوم؛ فإنها كثيرة النفع، غزيرة العلم، أخبرني بعض أصحابنا: أنه ألف كتاباً عظيماً، على نمط الفتوحات المكية، فرأى الشيخ محيي الدين بن عربي في النوم، وكان قد غار منه، فقال له: يا أيوب! أتريد أن تُخمل ذكر كتابي بظهور كتابك؟ فلما أصبح، غسله بالماء كله؛ تأدباً مع الشيخ محيي الدين.

وهذا - لعمرى - غاية الأدب مع العارفين، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، فشهادة مثل هذا الشيخ - على جلالة قدره، وتمكنه في العلوم والمعارف - مقبولة، لا يقدر فيها إلا أعمى البصيرة، وكم من عارفٍ وسالكٍ شهد بما شهد به هذا الشيخ!

وشهرة الكون بأسره أقوى شهادة؛ إذ ألفت إليه كبراء العارفين أزمته في زمانه، ووردت عليه الأسئلة من جميع أقطار الأرض بالاستفتاء، في العلوم الظاهرة والباطنة، فيجيب الكل بما لا ينازعه فيه إلا مكابر.

وله ديوان شعرٍ سافر المحيا، لمن طاف وحيًا، وهمزة عجيبة مكسورة القافية مطلعها:

يا غريبًا حَمَوَا حِمَى الجُرْعَاءِ حُبُّكُمْ قَدْ غَدَا دَوَاءً لِدَائِي

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق، غرة صفر، سنة إحدى وسبعين بعد الألف، ودفن بتربة الشهداء، بقرب مرج^(١) الدحداح، وكان له مشهدٌ عظيمٌ

(١) في الأصل: برج، والصواب ما أثبت.

لم يعهد مثله بدمشق في هذا العصر، وقد رأيت، وقبلت يده، وحصلت لي
بركة دعائه، نفع الله به.

ومن شعره قوله مخمساً قول بعضهم:

أفوه إذا يشكو الأنامُ بشكركم وأكتمُ أمري لا أبوح بسرِّكم
أحبُّنا من طيب نشأةِ خمرِكم إذا جنَّ ليلي هام قلبي بذكركم
أنوح كما نوح الحمام المطوق

عسى ولعلَّ الدهر يأتي بهم عسى فأشهدهم عند الصباح وفي المساء
فقلبي من فقد الأحبة قد قسا وفوقي سحبٌ يمطر الهم والأسى
وتحتي بحار في الهوى تتدفق

إذا فاح من نجد لقلبي عبيرها فلا عجبٌ إن إنسي سميرها
وإن خمدت ناري فوجدي يُثيرها سلوا أمَّ عمرو كيف بات أسيرها
تفكُّ الأسارى دونه وهو موثق

ففي تلف الأرواح كم لي إباحة وفي منزل العشاق كم لي سياحة
فيا ويح صبُّ أنختته جراحة فلا هو مقتولٌ ففي القتل راحة
ولا هو مأسور يُفكُّ فيطلق

وقوله:

إذا المرء ربى نفسه بمراده فقد شاد بيتاً على غير أسسه
ومن لم تربيته الرجال وتسقيه كؤوساً لهم قد درَّ من ثدي قدسه
فذاك لقيط قط ما له نسبة ولن يتعدى طوراً أبناء جنسه

وقوله :

الأمر لله فاسلك مسالك الأدبَا من الرضا بالقضا تقضي به الأربَا
فمن أقام على هذا يكن ملكًا لا يقتني فضة كلاً ولا ذهباً

[٧٢٦] بدر الدين بن محمد الهندي النقشبندي^(١).

نزىل المدينة الشريفة، ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال :
شيخنا قدوة الأكابر الأعلام، وشيخ مشايخ الإسلام، الباذل عمره في خدمة
العلم، المتحلي بحلية الوقار والحلم، الناهل من أحلى مناهل أهل الصفا،
المتمم نسكه بمجاورة المصطفى.

كان آيةً في الذكاء والفهم، ووعاءً من أوعية العلم، له في كل الفنون
تحقيق، وفي فهم المشكلات تمكينٌ وتدقيق، إماماً في الأصولين، بارعاً في
اللسانين، ماهراً في المعقولات، باهراً في المنقولات، سلك طريق السادة
النقشبندية، سلوك خريّت هاد، وخبر عنه الشعاب والوهاد.

قدم المدينة سنة ثمان وستين وألف، مع أبناء الشيخ أحمد بن عبد الأحد
السرهندي، معدوداً من عليّة أتباعهم، جاداً في سلوك طريقتهم واتباعهم،
ولم يزل بالمدينة من لدن قدومهم، قاصداً جوار المصطفى، واغتناماً للحج
فيما بعد ذلك من السنين، ولتكثير القربات، في محل مضاعفة الحسنات،
وأقبل في المدينة على نشر العلم وبشه، وبعث رائد التعليم لما يعلم وحثه،
مع شدة إقباله على أنواع العبادة، ولم يمنعه ذلك من الإفادة والاستفادة،

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثنائي (١٧٣١).

ما رأيت أمضى منه عزماً، ولا أكثر منه تأدباً، في ترداده بالحرم الشريف، وعند الزيارة يكنس مع الخدام في غالب الأيام بيده المسجد النبوي .

قرأ على الملا عبد الحكيم الساليكوتي، وهو أكبر تلامذته، وكان يبالغ في الثناء عليه، ويذكر عنه في جودة الفهم، وغزارة العلم، ونفوذ تصرفه في سائر العلوم، ما لا مزيد عليه، وكان له اعتناءٌ بالدراية، أكثر من الرواية، ويرى الاشتغال بها قصوراً، كما هو شأن علماء العجم، وله عارضةٌ في علوم المناظرة.

قال: ولم أر أمراً أغمصه عليه، سوى ضعف علم العربية فيه، لأجل ذلك ربما يقع منه في البحث قصوراً من جهة علم العربية، وله اقتصارٌ على القواعد المتداولة منه، وكان يجري على لسانه كثيراً فتحُ همزة «إن» بعد «حيث»، قال: وكنت أستحي أن أذكر له ذلك، حتى جرى ذكره يوماً، فقلت له: رجَّح أكثر النحاة فيها الكسر، وعدوها من المواضع التي تكسر فيها «إن»، فأنكر ذلك، وأعانه الحاضرون؛ لقصورهم، وقالوا: إن ابن مالك لم يعدها في المواضع التي تكسر فيها إن، وذلك دالٌّ على أنها مفتوحة، فقلت لهم: ليس في كلامه ما يدل على حصره مواضع الكسر، ومع ذلك، فلم يتناولها ضابط الفتح أن^(١)؛ حيث لازمت الإضافة إلى الجمل، فإذا كانت في أول جملة، لزم كسرها، إلى غير ذلك من الحجج، فلم يلتفتوا لقولي، ولم يكن بيدي - إذ ذاك - من كتب الفن ما أستظهر به عليهم، فأعرضت عنهم.

قال: وعلى كل حال، فلم ألق بالبلاد المشرقية كلها أقوى منه عارضةً

(١) كذا في الأصل، والصواب حذف «أن».

في علوم المناظرة وتقريرها، وكان لا يستحسن قراءة الحديث روايةً، ويقول: أي قائلة في سماع الحديث من غير بحث عن معناه، منطوقاً ومفهوماً، وما فيه من عموم وخصوص، والنظر بينه وبين معارضه، وما يؤخذ منه من الأحكام، إلى غير ذلك من فوائد قراءة الحديث.

ولا شك أن ما ذكره هو دراية الحديث وفائده الغائية، ومع ذلك، فلا ينكر فضل رواية الحديث، وفائده وثمرته؛ فإنه علمٌ شريفٌ قد اعتنى به قدماء الأئمة، وتفننوا فيه، وأكثروا فيه التأليف، ونظموا ونثروا، وشرحوا وحشّوا، وقد قلَّ اعتناء أهل العصر به، كما هو شأن علماء العجم، فليس لهم به إمام، ولا لهم عليه تعويل، متقدمهم ومتأخرهم إلا القليل، ولذلك يقع للمفسرين منهم والفقهاء أوهامٌ كثيرةٌ، واستدلالٌ بأحاديث ضعيفة، بل وموضوعة، إلى غير ذلك مما لا يخفى على متأمل كلامهم.

وألّف «شرحاً» بالمدينة على شفا القاضي عياض، وأخبرني بعض أصحابنا: أن بيته الذي كان يسكن فيه، في الرباط المقابل للحجرة الشريفة، فيه كوةٌ تقابل الحجرة، وكان يجلس وقت التصنيف يازائها، مكشوف الرأس، مستقبل الحجرة، بأدبٍ وتواضعٍ، فكأنه يستمد من الحضرة النبوية، وما أجدر بحصول المدد، مَنْ طالب نفسه بالقيام بأدب الحضرة النبوية، وأشعر نفسه بعض ما لها من التعظيم والإجلال! وكان المترجم ممن رزق السعادة في ذلك.

قال الشيخ عبدالله العياشي: ما رأيت في المجاورين وسكان البلد، من يدانيه في ذلك، فضلاً عن يساويه، ولقد كان رحمه الله محل تدريسه بالحرم الشريف، لا يجلس إلا مستقبل الحجرة بوجهه، وإن جلس أحد بينه وبينها بحيث يحول بينه وبين رؤيتها، أقامه، وحَوَّله عن يمينه أو يساره، فتكون حلقة

تدريسه منفرجةً من ناحية الحجره، وفي ذلك أدبٌ منه ومن المجالس؛ لأنه يستدبر بذلك الحجره الشريفه المطهره.

قال: وما أحسنه أن يلقب بين المتأخرين بإمام الحرمين؛ كأبي المعالي في الأقدمين؛ لأنه مكث فيهما زيادةً على المدة التي مكثها أبو المعالي، وهو يعلم ويدرس، ويجيب السائلين، وكان له في بلاد الهند رياسة عظيمة، ونيافة قدر بين علمائها ورؤسائها، وله هنالك أولاد وديار ودنيا عريضة، وترك كل ذلك رغبة في جوار المصطفى ﷺ.

وكتب إليه تلميذه الشيخ عبدالله العياشي أبياتاً، يطلب أن يقرأ عليه شيئاً من كتب المعقول، وأن يلقيه الذكر على طريق النقشبندية، وهي قوله:

أمولاي بدر الدين إني ظمآن	لما أنت فيه من علومك ريان
فإنك بحر بالمعارف موجه	بحر موجه الدهر عرفان
فلا تمنعن ذا غلة من صباية	وقد جاء يسعى نحوكم وهو لهفان
وحاشا ترد الكف صيفراً ونحوكم	على طمع مدّت وعلمك طريان
أنله بفضل حكمة في هداية	فليس بما أنعمت عندي كفران
ومن بإصلاح الجنان بمنطقي	ويقاظ قلب دائماً هو سكران
وتلقين ما لقنتم من شيوخكم	فكان لكم بالله علم وإيقان
وإن مرادي في انتساب إليكم	ينال به عفو الإله وغفران
فإن جدت من قصري بما أنت أهله	فذلك فضل من علاك وإحسان
وإن كان منعي أنسي أنا أهله	وفضلك منه ليس يُمنع إنسان
فلا زلت تولي الفضل من جاء قاصداً	وتكسو لباس العلم من هو عُريان

فأجابه لملمتَمسه، وأقرأه ولقنه، وحصل له منه انتفاع تام.

ولما قدم المدينة الشيخ العلامة محمد بن سليمان الورداني المغربي، كتب إلى المترجم سؤالاً منطقياً، وهو شكل من القياس الشرطي، يشتمل الحد الوسط منه على جزء غير تام، ما كيفية رده إلى أحد أشكال الحمل، وتبجح السائل بأنه صعب المرمى، يقرب من المعنى، فاستسهل الأمر فيه أولاً قبل تأمله، ثم إنه توقف في الجواب بديهة، وطلب مراجعة كتب الفن، فشنع عليه بعض الطلبة استمهاله، مع الاحتياج فيه إلى المراجعة والتوقف.

وصادف ذلك مجيء الشيخ أبي مهدي عيسى الشعالبي المغربي من مكة إلى المدينة، وكانت له عارضة قوية في علم المنطق، فطولع بالسؤال، وكان له علم بتلك المسألة، فأجاب فيها أحسن جواب، فآل الأمر إلى أن كتب في المسألة المترجم، وكتب إلى الشيخ عيسى، فأورث ذلك جفوة بينهما، وزعم أن السائل والمجيب قصدا امتحانه، وقد ألف الشيخ أحمد بن تاج الدين الرئيس المدني رسالة جمع فيها كلام السائل والمجيبين، ونقل كلام كل واحد، و صوب ما ظهر له تصويبه، وحكم بخطأ غيره.

[٧٢٧] أبو بكر بن أحمد صاحب الحال الزيلعي.

ورُفع نسبُه في ترجمة أخيه.

شيخنا الجمال محمد، أحد العلماء الأخيار، الذين يؤثرون الخمول على الظهور، والأولياء الأبرار، الذين لا يشغلهم عن الله سبحانه شاغل، ولا يعترهم من عبادته فتور، ومن المتحلين بالصدق والعفاف، والمتصفين بمحاسن الأوصاف والإنصاف، والملازمين للصلاة مع الجماعة، والقائمين

بحقوق الطاعة حسب الاستطاعة..

وَلِلَّهِ «الْحَيَّة» علم سبعة عشر بعد الألف - كما أخبرني من لفظه - وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوّده، وأخذ عن أبيه، ثم لازمه^(١) بعلمه أخاه محمداً ملازمة كثيرة.

وعنه أخذ جمعٌ من علماء اليمن، وأجمعوا على مهارته في العلوم الشرعية، وقد اجتمعت به ببلده، وبينه محبةٌ أكيدة، ومودةٌ شديدة. ووقع لي منه مكاشفاتٌ عديدة، منها: أني هممت بأمر غير مرضي شرعاً، وصممت على فعله في باطني، فصادفته بعد ذلك، فبمجرد أن رأيته، وسلمت عليه، قال لي: ما هذا الحال يا مصطفى؟ قل: يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك، وكرّر ذلك، وهو في غاية التعب مني، فاقشعر حيثنّ جلدني، ورجعتُ عما أضمرت في قلبي - والله الحمد -.

توفي - رحمه الله - ليلة الأحد، ثامن عشر صفر، سنة ألف ومئة وست، ببلدة اللحية، ودفن بتربة أبيه وسلفه - رحمهم الله -.

[٧٢٨] أبو بكر بن أحمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العبدروس ^(٢).

صاحب دولة إياد، [و]أحد الأسخياء الأجواد، وأحد من ترتجى الرحمة بذكره العباد، المتسرّيل بسربال الورع والتقوى، المتعلق بأستار الوفا والارتقا، الفاضل العالم الفقيه، والعامل الذي لا يقوم الحكماء بما جمع فيه.

(١) كذا في الأصل، والصواب: لازّم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٧٠).

وُلد بـ «بتريم»، ونشأ بها، وحفظ القرآن وغيره من كتبٍ ورسائل، وصحب أباه، وتربى تحت حجره، وحذا حذوه في مده وجزره، ثم اشتاق للسفر، الذي هو رَوْحٌ للنفوس والخواطر، وأشرحٌ للصدور وأقرُّ للنواظر.

فدخل الديار الهندية، وارتفعت رتبته العلية، وهبَّت عليه من ملوكها رُخاء الإقبال، وعاش في أنضر عيشٍ وأنعم بال، واجتمع بأعظم سلاطين تلك الديار في ذلك الزمان، وهو السلطان خُرم شاهجهان، وحصل له منه من يد الإنعام والإحسان، وقرر له مؤنته كل يوم من ملبوس ومطعوم، ثم ترادفت عليه الفتوحات الباطنة والظاهرة، وتزايدت لديه الخيرات في الدنيا والآخرة.

وهو على ما جبله الله عليه من حين خرج من حجر أبيه؛ من إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وبذل الجاه والنفع العام لجميع الأنام، ثم قطن بالمدينة المسماة بـ: دولة إياد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، فصار فيها ملجأً للوافدين، ومأوى للغرباء والفقراء والمساكين، وظله الضافي الوريث ممدوداً على الداني والشريف، والقوي والضعيف، لا يعتريه سأم ولا ملال، ولا يشوبه نقص ولا اختلال، مع خُلُقٍ أطفَ من النسيم، وأعذب من التسنيم، والمواظبة على السنن الشرعية، والوظائف النبوية، ولم يزل بدولة إياد، نفعاً للعباد، إلى أن انصرمت من الحياة أيامه، وقُوِّضت منها خيامه، وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وألف، وقبره هناك معروف.

[٧٢٩] أبو بكر بن أبي القاسم صائم الدهر^(١).

صاحب القبة المنيرة ببيت الفقيه الزيدية، ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤).

محمد النجيب أخى أبى بكر الملقب بالعربادى ، ابن على بن محمد النجيب
ابن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن حسين بن آدم
ابن إدريس بن حسين بن محمد الثقفى^(١) الجواد بن على الرضا بن موسى
الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن
على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - .

كان شيخاً من مشايخ الطريقة ، صاحب كرامات مشهورة ، وأحوال
مذكورة ، روى عنه : أنه قال : من رآني ورأيتي ، دخل الجنة ، وأموت متى شئت
بإذن الله ، وإن شئت أكلت الطعام ، وإن شئت تركته عصمة من الله^(٢) ، روى
عنه السيد الطاهر بن البحر ، وكانت وفاته سنة اثنتين بعد الألف .

[٧٣٠] أبو بكر بن أبى الوفا الحلبي المجذوب .

أحد أكابر الأولياء بحلب ، والمشهورين بها بالكرامات الخارقة ، كان
يغلب عليه الحال ، فيغيب أياماً لا يشعر بنفسه ، ولا يأكل ولا يشرب ، توفي
- رحمه الله - في نيف وأربعين .

[٧٣١] أبو بكر أبو المواهب بن سالم بن أحمد بن شيخان بن على
ابن أبى بكر بن عبد الرحمن عبود بن على بن محمد مولى الدولة بن على
ابن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم^(٣) .

(١) هكذا في النص ، ولعلها سبق قلم من الناسخ .

(٢) هذا كله من دعاوى أهل التصوف ، وإلا من يستطيع القول بضمان الجنة ، أو العلم
بوقت الوفاة ، إلا من أصيب في دينه أو عقله ، نسأل الله السلامة .

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبى (١ / ٨٢) .

الفائق الأوصاف والنعوت، الملحوظ بعين الحي الذي لا يموت،
المتفرغ من دوحة المعارف والعلوم، المترعرع من صاحب السر المكتوم،
البارع في المدارك والفهوم، أحد من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وجلبت
عليه عرائس توارت بالحجاب، ملك نفسه عن المعاصي وحصرها، ولسانه
عن الفضول، فلو شاء العاد أن يعدّ كلماته، لحصرها.

وُلد عصر يوم الثلاثاء، عاشر جمادى الأولى، سنة ست وعشرين بعد
الألف، بمكة المشرفة، ونشأ بها، ولحظته بالسعادة عناية ربه، وغُذي بلبانها،
ورتع في ميدانها، وتربى تحت حجر أبيه، ويث ما فيه في فيه، وصحبه فأغناه
عن التردد إلى غيره، ومنحه ما عنده من خيره وبره.

ولزم العمل والعبادة، وسلك طريق السعادة، ونهَجَ أجداده وسلفه من
السادة، وعُني بطريقة الصوفية، وتدرَّع جلبابها، وتلَفَّع بأثوابها، وأخذها عن
الشيخ العارف بالله أحمد بن محمد المدني الشهير بالقشاشي، وعن السيد
الجليل محمد بن عمر الحبشي، وحضر دروس شيخنا محمد بن علاء الدين
البابلي.

وصحب جماعة من أكابر العارفين، والأئمة المشهورين، منهم: السيد
الجليل علوي بن علي بن عقيل، والسيد محمد بن علي بلفقيه، الشهير كسلفه
بالعبدروس، وأكَبَّ على كسب العلوم وتحصيلها، وجمعها من أهلها وتأصيلها،
وجدَّ في ذلك حتى فاق أقرانه الأفاضل، وحاز فصاحةً وأدباً يقصر عنها^(١) يد
المتناول، ونثرَ ونظم، ففاق من أنشأ ونظم، وقام مقام أبيه بعد موته، وأحيا

(١) كذا في الأصل، والصواب: تقصر عنهما.

مآثره التي كضوء على عَلم، وأثبت في صحائف الصحائف ما يقال عند رؤيته:
ومن يشابه أبه فما ظلم، فكان ينظم من بديع الألفاظ قلائد العقيان، ويزفُّ
من عرائس الأفكار ما تقصر^(١) عن نيله يدُ الأقران.

وأخذ عن والده - أيضاً - الخرقَة الصوفية بجميع طرقها، وكذلك طريقة
النقشبندية، والذكر السري والجهري، واجتمع إليه أصحاب والده، وأقام
أعماله من خالده وتالده، واعتنى بتلك الطرقات، وأحيا تلك الحضرات،
وأعاد عليهم تلك العوائد والصلوات، واستمر ستين على ذلك، ثم ترك تلك
المسالك، وفَضَّ تلك الجماعات، وأقبل على الطاعات، وسار أحسن سيرة،
وما يرضاه عالم العلانية والسريرة.

ولم يزل حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه، حتى انقضت مدته، وتمت
عدته، فانتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد، سادس صفر، سنة خمس
وثمانين وألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، بالحوطة الشهيرة، في قبر
والده وجده وجد أبيه - أسكنهم الله فسيح جنته، وتغمدهم برحمته - .

وله مؤلفاتٌ، منها: «شرحٌ كبيرٌ على منسك الحج للخطيب الشربيني».

وله شعرٌ كثيرٌ، منه قوله... (٢).

[٧٣٢] أبو بكر بن حسين بن محمد بن أحمد بن حسين ابن الشيخ

عبدالله العيدروس^(٣).

(١) في الأصل: يقصر، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر، وترك صفحة ونصف بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٨١).

نزِيل مكة المشرفة، الضرير، السيد الكبير، العَلَم الشهير، صاحب الأحوال والمقامات، والمناقب العليات.

وُلد بـ «تريم»، سنة سبع وتسعين وتسع مئة، وحفظ القرآن العظيم، وكَفَّ بصره وهو صغير، وحفظ بعض المتون، واشتغل بتحصيل الفنون، وسمع بقراءة أخيه علوي، وغيره من مشايخ عصره، وصحب أباه وأعمامه، ولبس الخرقة الشريفة من كثيرين، وبرع في الحديث والفقه والتصوف، لكن غلب عليه التصوف، وأخذَه عن جمعٍ كثير.

ثم رحل إلى مكة المشرفة فحج، وقضى مناسكه العج والثج، وزار جده محمداً عليه السلام، وأصحابه الكرام، وحصل له مزيد الإسعاف والإسعاد، وعاد إلى مكة بالفتح والإمداد، ولقي بالحرمين جماعة لا يلقون بالمشرقين والمغربيين، من العلماء العارفين، والأئمة المعبرين، منهم: السيد المعظم عمر بن عبد الرحيم، والداعي إلى الله في السر والإعلان، الشيخ أحمد بن علان، وغيرهم من الأكابر والأعيان، وشهد له بالكمال، غير واحدٍ من مشاهير الرجال، ولبس الخرقة من جماعة كثيرين، في اليمن والحرمين، وأذنوا له في إلباسها، فلبس منه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌ غفيرٌ.

وجلس للتدريس، في كل علم نفيس، وانتفع به جماعة من العلماء، وغير واحدٍ من الفضلاء، وممن أخذ عنه، وصحبَه في الدين، نحو عشر سنين: شيخنا السيد محمد الشلي - رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين -، وكان من أكمل المتأخرين، في العلم والدين، سالكا سبيل السادة الأقدمين.

وكان له خلقٌ لطفٌ من نسيم الأسحار، وأزهى من محاسن الأزهار،

مع وقارٍ عليه سيما الجلال، وهيبته لا يقوم الضرغام عندها لنزال، يعفو عن هفا، ويحسن إلى من أساء، ويقل من عشر، ويصفح عن الجاني إذا قدر، وكانت له مجاهداتٌ لم تكن لأقرانه بها قُدرة، ولا يعتريه ما كان يعتري غيره من الفترة، وكان أكثر كلامه الوعظ والنصيحة، بألفاظٍ حسنةٍ فصيحة.

ولم يزل بمكة محمود السيرة، على ما يرضاه عالم السر والسريرة، عاكفاً على بث العلم ونشره، مؤرجاً الأرجاء بطيبه ونشره، إلى أن انقضت مدة عمره، وأن أقول قمره، فتوفي بها لتسع خلون من صفر، سنة ثمان وستين وألف، ودفن بالمعلاة، في حوطة بني علوي، وقبره بها معروف - رحمه الله، ونفعنا به -.

[٧٣٣] أبو بكر بن سعيد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدّم رحمه الله، اشتهر جده عبد الرحمن بالجُفري^(١) - بضم وسكون الفاء -^(٢).

الناسك العبادة، صاحب الورع والزهادة، والفضل والاستفادة، محله في ذلك معروف لا يُنكر، وقدره فيه معرفة لا تنكر.

وُلد بقرية «قَسَم»، ونشأ بها، واستوفى ما قدره الله وقسم، وترى في حجر أبيه، وبث فيه ما لديه، ثم رحل إلى مدينة «تريم»، فوجدها مشحونة بالفضل الجسيم، فحضر بها مجالس العلم والعرفان، وأكثر الأخذ عن الأفاضل

(١) في الأصل: بالجعفري.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٥)، «خلاصة الأثر» للمجبي (١ / ٨٤).

الأعيان، وصحب مشايخ عصره، وعلماء دهره.

فمن مشايخه بتريم: الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين، والشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس، والقاضي أحمد ابن حسين بلفقيه، والعلامة أبو بكر بن شهاب الدين، والشيخ الجليل أحمد ابن عبدالله بافضل الشهير بالشودي، والشيخ الكبير زين بن حسين بافضل، وصحب بـ «عينات» أولاد الشيخ العارف بالله أبي بكر بن سالم، منهم: الحسين، والحسن، والمحضر، والحامد، وأخذ عنه العارف بالله حسن بن أحمد باشعيب.

فلما اشتد كاهله، وصفت له من الفضل مناهله، اشتاقت نفسه إلى السياحة، والانتقال من ساحة إلى ساحة، فساح في الأرض، وطوى منها الطول والعرض، ودخل بندر الشحر المعمور، وأخذ به عن السيد حسن باعمر المشهور، وعن النور الأمجد، السيد ناصر بن أحمد، ودخل بندر عدن المحروس، وأخذ به عن جماعة من بني العيدروس، ثم رحل إلى الوهط، للسيد الولي عبدالله بن علي، فأخذ عنه، وصحبه ولازمه مدة.

ثم رحل إلى الحرمين، فأدّى النسكين، وزار جده سيد الكونين، - عليه أفضل صلاة المصلين -، وجاور بهما، وأخذ عن جماعة فيهما، منهم: السيد العظيم عمر بن عبد الرحيم، وصاحب العرفان، الشيخ أحمد بن علان، وابن أخيه محمد بن علان، والسيد محمد بن عمر الحبشي، والسيد سالم بن أحمد شيخان، والسيد أحمد بن الهادي، والشيخ تاج الدين الهندي، والشيخ عبد الهادي باليل.

وكان يحضر شيخنا العلامة محمد بن علاء الدين البابلي، وصحب

السيد العارف بالله محمد بن علوي، وأخذ بالمدينة عن العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، والشيخ الإمام عبد الرحمن الخياري، والسيد العارف بالله السيد زين بن عبد الله باحسن، وغيرهم، ممن يطول ذكرهم.

ورحل إلى الهند، وأخذ عن جماعة بها، فهو أوسع أقرانه رحلة، وأرفعهم نحلة، وما دخل بلداً إلا جنى ثمارها، واقتطف من محاسن أزهارها، وألبسه الخرقه الشريفة أكثر مشايخه المذكورين، وحكموه وصافحوه التحكم والمصافحة المشهورين، وأجازوه في جميع مروياتهم، وجميع مؤلفاتهم، وفي التحكيم والإلباس من الناس، هذا مع تمسك من التقوى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة التي هي خير وأبقى، سالكا من الشريعة على الصراط المستقيم، ومن الطريقة على السنن القويم، ففاح طيب الأعراق من نشرياه، وأشرق الفلاح من محياه.

وكان يحج كل عام بيت الله الحرام، ملازماً للنوافل والأذكار، في الليل والنهار، والقيام في الأسحار، في الحضر والأسفار، مواظباً على الجماعة في الصف المقدم، وزيارة قبر الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، ثم انقطع بمدينة تريم، ولزم درس السيد العظيم، ذي الإرشاد والإمداد، عبدالله بن علوي الحداد، قانعاً من الدنيا باليسير، ومن المؤنة بالحقير، مع مزيد التواضع والتقشف، فهو ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وكانت يده بالكرم مبسوطتين، لا سيما على الفقراء والمساكين، له خلقُ اللطف من النسيم، وحلم معه الأحنف لا يستقيم، وأصيب آخر عمره في أنفه بداء، لم يجد له دواء، وعجز عنه حذاق الأطباء، فاستسلم لأمر الله، ورضي بقضاء مولاه، حتى انقضت مدة الحياة، وانتقل إلى رحمة الله سنة ثمان وثمانين وألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل - رحمه الله -.

[٧٣٤] أبو بكر بن بركات الشيخ تقي الدين الميداني الصوفي الشافعي، المعروف بابن الموصلي، أخو الشيخ أبي الفضل لأبيه، وأمه بنت الشيخ شهاب الدين المحوجب القبياتي^(١).

كان فاضلاً له سخاء وإقدام في الأمور، وكلمة نافذة في أهل محلته، ومساعدة لإخوانه عند الحكام وغيرهم، له دنيا عريضة، وثروة واسعة، وهو ملازم لفعل الخير والإحسان للفقراء، والإعانة لعموم المسلمين في كل أمر مهم.

وبالجملة: فإنه كان من أخيار أهل دمشق وأكابرهم، توفي يوم الأربعاء، حادي عشر جمادى الأولى، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بترتيم، بالقرب من مسجد النارج - رحمه الله -.

[٧٣٥] السيد أبو بكر بن أبي القاسم، هو صاحب النفحة ابن أحمد الأهدل^(٢).

كان على جانبٍ عظيمٍ من العبادة، والورع والعلم والعمل، وكانت أوقاته معمورة بالذكر والعبادة، ونشر العلم، وتوزيع الوقت على الأعمال الصالحة؛ والتدريس والفتوى، وغير ذلك، وله مصنفاتٌ بديعةٌ في فنون شتى، وقريحة من الشعر بليغة، ومسكنه المحط من أعمال رفع، وله بها زاوية مشهورة.

وكان عم والدته السيد الشهير أحمد بن عمر الأهدل، يلقبه بالفقيه العالم، وكان يشبهه بجده أبي بكر بن أبي القاسم المعمر، ولبس صاحب

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٦) (٨١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

الترجمة الخرقه من الشيخ الزين بن الصديق المزجاجي - رحمهما الله تعالى - .

ومن مؤلفاته : «نفحة المندل في أخبار بني الأهدل» المتقدم ذكرها، وهو كتابٌ في غاية الحسن، لم يسبق في بابهِ إليه، ولم يعرَّج أحدٌ على ما عرَّج عليه، نسب السادة المذكورين، وبعض شيءٍ من فضلهم المبين، وجمله من علمائهم الراسخين، والأئمة العارفين، ورشحه بذكر شيوخه ومروياته، وإجازاته ومسموعاته .

وكانت وفاته - نفع الله به - عام ستة وثلاثين بعد الألف، وأمه خديجة بنت محمد بن عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد بن سليمان، وفي محمد هذا تجتمع مع والده - رحمه الله - .

[٧٣٦] أبو بكر بن عبد الله المهندس .

كان شيخاً جليلاً، قرأ على السيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل، وتهذب به، وتوفي بيت الفقيه بن عجيل، رابع عشر شهر رجب، سنة إحدى وأربعين وألف - رحمه الله - .

[٧٣٧] أبو بكر بن صالح الكتامي الشامي^(١) .

الشيخ الإمام، العلامة العارف بالله - سبحانه وتعالى - .

كان من أجلاء أئمة الدين، وأكابر العلماء العاملين، ومن المشهورين بمصر في علوم الهيئة والميقات والفلك، وكان في علم الأوفاق والزائرجا آيةً من آيات الله الباهرة، وكان له يدٌ طولى في وضع كل وفق أراد؛ كالوفق المثني

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٨٥) .

وغيره، وكان منقطعاً في خلوة بجامع الطباخ، قريباً من البيرونية^(١)، قريباً من باب اللوق.

وله ماجريات مشهورة في العلوم الحرفية، ومؤلفات كثيرة منها: كتاب سماه: «المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى لطيف» ذكر فيه جميع ما يتعلق بالاسم الشريف، من الشروط والدعوات، وتقسيم الأعداد إلى خمسة عشر قسمًا، وما يتعلق به من الخواص، توفي بمصر، في فصل مقصود باشا، سنة إحدى وخمسين وألف - رحمه الله -.

[٧٣٨] أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي قعود السنفي الحنفي، الشهير كآبيه بقعود^(٢).

كان من أكابر علماء الظاهر والباطن، وله في علم الخبر والحروف والأسماء الملكة التامة، وكان مشهور البركة بمصر، في التمام والعزائم وأشباهاها، وله معرفة تامة بعلم الأوفاق والأسماء، وله في هذه الفنون مؤلفات كثيرة، وكانت الوزراء والأمراء بمصر تأتيه للتبرك به، وجلالته أشهر من أن تذكر.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وقرأ على والده، وعلى الشمس الرملي، والنور الزيادي، وعلي بن غانم المدرسي، ومن في طبقتهم، وأخذ علوم الطريق عن السيد صبغة الله، وعن تلميذه أحمد الشناوي الخافي، وأجازاه كتابةً ولفظاً، ورجع إلى مصر، وأقام بها، وفي أثناء ذلك توجه إلى دمشق، وأخذ عنه كثير

(١) في الأصل: البرسية.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٧٨)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٤/ ٦٢٧) (٣٥٥).

من علمائها؛ كالشيخ أيوب الخلوتي، وعماد الدين، وشهاب الدين، وإبراهيم ابن شيخ الإسلام عبد الرحمن العميري، ثم عاد إلى بلده، إلى أن توفي يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة اثنتين وستين وألف، ودفن بترية المجاورين. توفي والده أحمد، سنة سبع بعد الألف، وسبب شهرة أحمد بقعود: أنه حج صحبة الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، فأركبه قعوداً كان الشيخ يركبه، فلما وصل إلى المدينة الشريفة، مات القعود، فتعب لذلك تعباً شديداً، فقال الشيخ: لا تتعب، نركبك أحسن منه، فلم يفده، وذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ، وذكر ذلك تجاه الضريح الشريف، فما رجع إلا والجمال جاء إلى الشيخ وهو يخبره وهو يتعجب: أن القعود حي، فسر بذلك، واشتهر من ذلك الحين بقعود، وله في ذلك قصيدة، مدح بها الأستاذ البكري، منها:

أحسُّ إليكم كلما عَنَّ ذكركم ولا غرو إن حنَّ القعودُ إلى البكري
وله تذكرة جمع فيها من لقيه من الشيوخ وعاصره، وكثيراً من نظمه،
وله «منظومة في النحو»، ومؤلفات في فنون.

[٧٣٩] أبو بكر بن عيسى بن أبي بكر بن عيسى... (١) بن محمد بن عيسى ابن الأستاذ أحمد بن عمر الزيلعي.

كان صاحب الترجمة مراد الله في حركاته وسكناته، كثير الاستغراق، قليل الصحو، كبير الحال، له إشارات غريبة، ومقالات عجيبة، وكان إذا غلب

(١) جاء في الحاشية: «بعد لفظ عيسى الأخيرة نصف سطر بياض».

عليه الحال، يخشى أهله سطوته على الناس، ويخافون على أنفسهم منه، فيحلون إزاره الذي يتزر به، فلا يقدر على ربطه، ولا يستطيع القيام من مكانه، ولا يخرج إلى مكان حتى يصحو من غيبوته.

وكان يُخبر بالمغيبات، ويُرجع إليه في المعضلات.

وكان أهل الجلاب إذا سافروا في البحر، وحصل لهم شدة في البحر، يذكرونه، وينذروا له بشيء، فيزوره عندهم عياناً، وينجيهم الله ببركته، وإذا جاءوا إلى «اللحية» طالبهم بالذي نذروه له، وكان كثير الخمول، مغلظ القول، على الدولة، ولا يستطيعون الانتقام منه، ويطلب منهم الذي يريد، ولا يمنعوه^(١)، وإذا أخذ منهم شيئاً، ذهب به إلى نساء ورجالٍ منقطعين.

وكانت وفاته في حياة والده، وهو شابٌ ناهز الثلاثين - رحمه الله - في نيفٍ وسبعين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة جده - نفع الله به -.

ومن كراماته: أن والده جاء إلى بعض أصحابه بعد موته يشكو له ما حل به من التعب بعده؛ من ضيق اليد، وأنه كان في زمنه لا ينقطع الرزق من بيته، فأجابه صاحبه بقوله: إن بركته - إن شاء الله - حاصلةٌ حياً وميتاً، وقام من عنده، فما مضت ساعةٌ حتى أتاه رجلٌ يسأل عن ولده، فأخبره بموته، وكان نذر له بشيءٍ كثيرٍ من المال، فدفعه لوالده - رحمه الله تعالى -.

وأخبرني بعض أصحابنا الصالحين من أهل اليمن: أنهم لما مشوا بجنازته، أظلتها طيورٌ لا يحصى لها عدد، وسمع صوت أعلامٍ كثيرة، وحصل للناس بذلك غاية الخشوع.

(١) كذا في الأصل، والصواب: يمنعونه.

[٧٤٠] أبو بكر بن المقبول بن عبد الغفار بن أبي بكر بن المقبول
قعيش، الصائم رمضان في المهد ابن أبي بكر صاحب الحال الأكبر بن محمد
ابن عيسى بن سلطان العارفين أحمد بن عمر الزيلعي، صاحب اللحية^(١).
كان شيخاً جليلاً، كامل العقل، غزير الفضل، شديد الهيبة، بعيد الهمة،
ذا رأي ثاقب، محباً للفضائل، تاركاً للردائل، باذلاً في أماكن العطاء، ممسكاً
في أماكن الحزم، مرجعاً عند الخطوب، مفزعاً عند ما ينوب، جالياً للمشكلات،
بغريب الكرامات.

ولد باللحية، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ عن والده، وتخرج
بأخيه العارف بالله أحمد السطيحة، وجد واجتهد، حتى صار أحد مفاخر اليمن
على الشام، والمغني بوميضه عن كل بارق، فما أحدٌ لبارق من بعد لائحته
شام.

روي: أنه لما قدم قانصوه باشا، متوجهاً إلى اليمن، كان المترجم بمكة،
فؤشي به إليه، وأنه هو صاحب اللحية وسلطان نواحيها، وواحدها بلا خلاف،
وإنسان عين أهليها، وأنه لا يتم له الأمر حتى يقتله، فأتوا به وقت العصر إليه،
على حالة غير مرضية، وذهب معه تلميذه الفقيه مقبول بن أحمد المحجب،
فلما دخلا^(٢) عليه، قام لهما، وتلقاهما وأجلسهما مكانه.

فلما جلسا، أسكت، ولم يقدر على الكلام والتحريك، واستمر مطرقاً،
وأتباعه والجند واقفون، والجميع مبهوتون، حتى دخل وقت المغرب، فقال

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٧).

(٢) في الأصل: دخل، والصواب ما أثبت.

له: يا قانصوه! قم صل المغرب، فالتفت وقام كالمتنبه من نومه، وقال له: يا سيدي لك حاجة نقضيها لك؟ فقال: لا حاجة لي عندك، وقام من عنده وزادت جلالته عنده، فلما ذهب من عنده، قال للفقير مقبول: لعلك خفت منه؟ فقال: نعم، فقال: والله! ما دخلت عليه إلا وأعطيت التصرف فيه، وفي عسكره جميعاً.

ولما قام من عنده، انقطعت سُبحته، فشرعوا في جمعها، وجمع معهم قانصوه ما تبدد منها، فقال الفقير مقبول: اللهم شتت شمله، وفرق جمعه كما نفرقت هذه السبحة، واستجاب الله دعاءه، فإنه لما وصل إلى اليمن، وطغى وبلغى، وقتل جماعة من السادة الأعيان، قامت عليه عساكره، وأرادوا قتله، فهرب في ليلةٍ منهم، وأتى طائعاً بنفسه إلى السيد الحسن ابن الإمام القاسم، وقال له: ها أنا بين يديك، فافعل بي ما تشاء، فقال له: لو جئتك على هذا الحال، ما كنت تفعل بي؟ قال له: أقتلك شر قتلة، فضحك، ثم سأله عما يريد، فقال له: تبلغني إلى مكة، فأرسل معه من جماعته من بلغه إلى مكة، ثم توجه منها إلى الروم، وتبدد عسكره، ومزق كل ممزق.

ومن خبر قانصوه هذا: أنه لما دخل اليمن، دخل بهيئةٍ عظيمةٍ؛ من كثرة العساكر والجند، وزيادة المال، وقوة السطوة، وكان بعض السادة بني بجر بلغه خبره، فأرسل جاسوساً من أتباعه إلى اللحية، وكان قانصوه بها، وقال: إذا خرج من اللحية، فابتعد^(١) إلى بيت الفقير الزيدية، وانظر هل يذهب لبيت عطا لزيارة سيدي أبي الغيث أم لا؟ فتبعه حتى توجه من الزيدية إلى

(١) في الأصل: فابتعدوا، والصواب ما أثبت.

الضحى، ولم يزره، فرجع إلى السيد وأخبره، فقال: هذا الرجل لا يتم له حال باليمن، ولا يفتح عليه؛ فإن مفاتيح اليمن بيد سيدي أبي الغيث يعطيها لمن شاء، كيف شاء، بإذن الله، فكان الأمر كذلك.

ثم إن قانصوه أتى إلى هذا السيد، وكان قد زاد طغيانه، فقال له: اقرب عليّ عسى أقرأ عليك شيئاً من القرآن، فيشرح الله صدرك، فقال له: أنا صدري مشروحٌ بواسطة سيدي أحمد البدوي، ولا يقدر أحدٌ يتصرف عليّ ببركته، فإني أخذت العهد على خلفائه، وأنا من المنسوين إليه، فقال له: سيدي أحمد البدوي نعلم أنه من أكابر أولياء الله تعالى.

وللمترجم من هذا القبيل كراماتٌ كثيرةٌ عند الناس مشهورةٌ، منها: أنه مرض في مكة مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فدخل عليه حيثُذُ الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، وحزن عليه لما رأى حاله اشتد، ومرضه زاد، وقال في نفسه: إن هذا مرض الموت، فبمجرد ورود هذا الخاطر عليه، قال له: يا مقبول! لا تخف عليّ؛ فإني لا أموت إلا باللحية، فعوفي من ذلك المرض.

وقدم اللحية، فلما دخل بيته، تباشر أهله بقدومه، وفرحوا، وجمعوا نساءً ليفعلوا على جاري عاداتهم من الغطرفة والغناء وغير ذلك، فنادى بناته وقال لهن: ما هذا الذي تفعلنونه؟ أنا ما جئت عندكم إلا أموت عن قريب، فصاحوا؛ لما يعرفوه من حاله، فضايح الكلام حيثُذُ، وقال: كل أحد يموت، وأبقاهم على حالهم.

وكانت وفاته - نفع الله به - عام اثنين وأربعين بعد الألف، وعمره تسعون

سنه - تقريباً - باللحية، ودفن بقرب تربة جده الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي - نفع الله به - .

[٧٤١] أبو بكر بن محمد الدلجي الشافعي^(١).

كان هذا الفاضل متضلعا من علوم العربية، واحداً في العلوم العقلية، وُلد في حدود سنة خمسين بعد الألف بدلج من صعيد مصر، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وقدم إلى مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وحفظ عدة متون في جملة فنون، منها: «الألفية لابن مالك»، وكان يستحضر غالب شرحها للأشموني، ويحفظ أكثر عباراته عن ظهر قلب، وأخذ عن شيوخ كثيرين، منهم: شيوخنا: محمد بن علاء الدين، وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ولازم العلامة منصوراً الطوخي، وزوجه ابنته، واختص به .

وكان - مع سلامة قريحته، وحسن ذكائه، وصحة تصور فطنته ودهائه - مبتلى بالأمراض والأسقام، على مدى الليالي والأيام، مسلماً لقضاء الله، راضياً بما حكم سبحانه وأمضاه، متجرعاً مرارة مذاق الكد على فنون العلوم، منحمل الصبر على استنشاق دخان الآلام بين الفضلاء ذوي الأفهام، لا يزال رطب اللسان في شكر باريه، عذب البيان في ذكر أياديه، حتى حام على فريسته الجِمام، وصال عليه صولة الأسد الضرغام، فتوفي في شهر رمضان، عام خمسة وتسعين بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين .

قرأت عليه عدة كتب، منها: طرف من «شرح الألفية للأشموني»، ومن «الشرح المختصر على التلخيص» للسعد، ومن «شرحه على تصريف العزّي»،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٩٥) .

وصحبته كثيراً، ولازمته سنين وشهوراً، وطالما قلّد عنقي بفوائده متناً، وأذخر
بذلك عند الله أجراً حسناً - رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس، وجمعنا
به في دار القرار - .

[٧٤٢] أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل العمري الدمشقي
الشافعي، الشهير بالعصفوري^(١).

صاحبنا الأديب الشاعر، الكاتب الناثر، له من بديع الشعر فنون، ولطيف
الحاضرة ما يعجز عنه الواصفون، إلى فضلٍ جسيم، وخلقٍ عظيم، وطبع
كريم، وشيمٍ حسنة، وأفعالٍ مستحسنة.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وبرع وتأدب، ورحل إلى مصر وتوطّنها، وأخذ
بها عن جمعٍ منهم: شيخنا حافظ العصر محمد بن علاء الدين البابلي - رحمه
الله -، وغيره، وشرع في نظم جملةٍ من سيرة النور الحلبي، ونظم منها جملةً
كافية، رجزاً بديعاً، ولم يتمه، أوقفني عليه، أجاد فيه كل الإجادة.

وشعره كثيرٌ، جمع منه ديواناً، جعله باسم الأستاذ الشيخ محمد بن زين
العابدين البكري - قدس الله روحه -، وكان من الملازمين لحضرته السامية،
ثم من بعده لولده سيدنا رئيس الديار المصرية، الشيخ زين العابدين - فسح الله
في مدته - .

توفي المترجم يوم السبت ثاني جمادى الثاني، سنة اثنتين ومئة وألف

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨١)، وذكر وفاته في ١٠٩٢هـ، وسماه أبو بكر بن
محمود المشهور بابن عصفور الشامي، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٠٤) (١٧)،
«عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦).

بيولاقي، ودفن بتربة الشيخ فرج، عند قصر الأستاذ البكري - رحمه الله - .
ومن بديعه، وهو مما يتغنى به في عصرنا؛ لأنه في الطريق الغراء في
غاية لا تدرك، قوله مادحاً له، وكان ملازماً لمجلسه العالي بالأزبكية بالقاهرة
المحروسة .

عَيدَتْ بك الدنيا وعِيدَ لك الهنا	واعْتَدَتْ الحسنى وعُدَّ لك المنى
عَجَبًا لمن نظر الهلالَ وما درى	أَن الهلالَ إِذا بَدِيتَ له بدا
شَفْعًا بطلبتك التي قسماؤها	مهما تَنَدَّتْ تنكسفُ شمسُ الضحى
ويغرة قمرية في طرة	سنجية كالبدر في غسقِ الدجى
وبصبح وجهٍ إن تبسم ثغره	يبدو الصباح ويحمد القومُ السرى
غسقٌ على شفقٍ على قمرٍ على	فنيّ على غصنٍ على دِغصٍ علا
ما البدرُ ما الشمسُ المنيرة ما الضحى	ما الظبيُّ ما الرشا الشويدين ما الطلا
أرايت رائحة الفلا أرايت آ	لقة العرا أرايت شاردة المها
مثل الغزالة في السماء وفي الفلا	فهما وأنت إذا اعتبرت سوا سوا
يا قاتلي من غير ما ذنبٍ ألا	تدنو فتبصر ما لقيتُ من النوى
قلبي تمزق فيك كلَّ ممزقٍ	أسمعتَ ما قالوه في أيدي سَبا
ألف الضنى جسمي فلو فارقتَه	لضنيت من أسفٍ على فقد الضنى
وتعودت عيني السهادَ فلو غفثُ	لرأتُ خيالَ السهد في سِنَّة الكرى
وألقتُ سمعَ العذلِ حتى لو صغثُ	أذني لغيرِ العذلِ شقيت القبا
وعلمت أن الصبر مرٌّ طعمُه	لكنني عايشتُه حلوَ الجنى

ونعمتُ بالضدَّينِ حتى استقطرت
 وسهامُ جفنك بعد ما ريشتها
 هيهات تُحسن نزعها من بعد ما
 ووحقُّ أشواقِي لوجهك إن لي
 وجوى تودُّ حُشاشتي لو أنه
 وشفاءُ سقمي في لَمَاك وليته
 ويزيد في قربي إليك حرارة
 يا سلِّمَ الله المحبَّةَ إنها
 يا قاتلي وأنا الفداءُ لقاتلِ
 العينُ بعدك ما سهت والطرفُ بع
 لله جفنٌ تحت وعدك ساهرٌ
 حافظ على صدق العهود فإنه
 أتشكُّ أن الصدقَ ينفعُ أهله
 صهرَ النبيِّ وصنوه وصديقه
 والمنفقَ الأموال في مرضاته
 والسابقَ المتقدمَ الإسلام في
 وخلاك ذمُّ أن تقول هو الذي
 وفَّده في يوم العريش بنفسه
 وقضية الغار التي في صدقها

عيناَي ماءَ الدمع من جمر الغضا
 تغشى الكلا وسقيتها بدم الحشا
 نبتت وأطلعَ غصنُها ثمرَ الهوى
 زفرا تِ وجدٍ لا أروم لها انقضا
 كان الطفاء يسوءها مهما انصفا
 يشفي غليلي برِّدُ ذِيَاك اللَّمى
 كالنوقِ في البيداء يقتلها الظَّما
 نعشتُ فؤادي أسلمتهُ إلى الجوى
 أبداً لغير حديثه لا يشفى
 يدك ما غفا والدمعُ بعدك ما رقا
 أملاً يتوبُ المرسلات بهل أتى
 مما يدلُّ على المحبة والصفاء
 أولست تعرفُ خيرَ صحبِ المصطفى
 وصفيةً وضجيعةً تحت الثرى
 حتى تخلَّلَ بعد ذلك بالعبا
 صحبِ النبيِّ وتلك فاتحةُ العلا
 فضل الأنام الكل بعد المجتبى
 أكرم هنالك بالفِدا وبمن فدى
 أبداً وصحةً نقلها لا يُمنرى

والشمسُ بعد طلوعها لا يمتري
والى هلم لنسله ذرية
سادوا وما شادوا الأكارم عن سدى
ومن الذي يستطيع يحصر فضلهم
وبهم تدور رحى الزمان ودورها
رؤساء ما من سيد فيهم خلا
ومحلُّ زين العابدين ونجله
وسراية الصديق تسرى فيهم
ومحمد فيهم كمثل محمد
مهلاً أبا الصنّوين إن مودتي
واليكها عذراء قد شأت الصبا
اخترتها مقصورةً من أجل أن
جاءت تهني بالمواسم سيداً
ندعوله ولنيريه بالبقا
وله أيضاً:

بتفاحة في الخدِّ وكلَّ لحظه
سها فهوت من خده فهو دائماً
وله أيضاً:

حياً بكأسين من بُنٍّ وصرف طلا
أفديه من غصنٍ يسمو به قمرُ

هاتيك عينٌ ولكن مسحها رمدٌ وتلك عينٌ ولكن كلها حورٌ
وله أيضاً:

إني لأهوى كلَّ من في حيَّه حتى محبيه وهم أعدائي
ولقد هويت لأجله رقباءه ومن العجيب محبةُ الرقباءِ
وله أيضاً:

ترأى لنا بالطاق حتى إذا رنَتْ إليه عيونُ القومِ أعجلَه السُرُ
كما انفرجتْ عن طلعةِ البدرِ مزنةٌ وقد أعجلَتْها أختُها فاختنى البدرُ
وله أيضاً:

طاف بها سوداءٌ مسكيةٌ فنجأنها الأحمرَ دونَ المِلانِ
كأنما الفنجانُ في كفه شقيقةٌ يحملُها غصنُ بانِ
ومما أنشدني له قوله:

أظن كاتبَ ميمِ الثغرِ قد غلطا لأنه فوقَه بالخالِ قد نَقَطَا
أستغفر الله إلا أن يريدَ بها نونَ العِذارِ ولو لم يعِنْها كَشَطَا
والله سبحانه يأبى لمتخِذٍ لمثلِ خَدِّكَ طِرساً أن يَخُطَّ خَطَا
وقوله أيضاً:

ليس بذعاً عتابٌ خيرَ البرايا إنما يعتبُ الحبيبُ الحبيبا
بل عجبٌ تقديمُه العفوَ قبلَ الـ عَتَبٍ حرصاً عليه أن يستريا
وأصل هذا ما ذكره أصحاب السير: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على

النبي ﷺ، وهو ميتٌ مسجى، فكشف عن وجهه الشريف، وقبل بين عينيه، وقال: فديتُ من أقسم الله بتراب قدميه، فقال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ❶ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢]، فديت من قدم الله له العفو قبل العتب بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ إِذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]. انتهى.

ولما قدمت من مكة إلى القاهرة المحروسة، سنة ألف وتسعين، بعد أن فارقتها سنين، كتب إليّ مهتأً بقوله:

نهنّي أنفسنا بالسلامة	ونتحف سيدنا بالكرامة
فما بدأ الله ريعانه	بفضلٍ أتمَّ بفضلٍ تامة
وطالع سيدنا في السعو	د ووردة إقباله في الكُمامة
تفاءلتُ ذلك في بشره	ومن قبلها ما زجرتُ حَمَامَة
كذلكم اشتق وصف النديم	لأن عليه تكون الندامة
ولستُ أريدُ على ما ذكرت	سوى أنسِ عالمه من علامة
وفي بشره ما تلوذ البروق	بصيّته عند بخلِ الغمامة
وفي وجهه القسماتُ التي	يكون إماماً له في الإمامة
وقالوا العمامة زينُ الشريف	فقلتُ وشينُ الوضعِ العمامة
إذا اعتمَّ في الناس غيرُ البليغ	فتلك تكون فِدامَ الغرامَة
وقالوا برامةً أسلافه	فقلتُ وجُلُّ مرامي مَنْ برامه
وقالوا ويهتز بالمكرمات	فقلتُ كذلك فرعُ البسامَة
وقالوا وينفع في النائبات	فقلتُ ويشفع يومَ القيامة

ولو كنتُ أنصفتهُ في المديح	لكننتُ قصرتُ عليه الإمامةُ
عنيثُ إمامةُ أهلِ الحديثِ	وأهلُ الحديثِ قرومُ الزعامةُ
وحيثُ تقرُّرُ أن الأنام من	الأرض فالأرض شتى الرغامهُ
فمنها النضارُ ومنها الأبارُ	وتفليح عن وردة أو ثمامةُ
ومن تكُ طيئته مسكةُ	فكيف يطيق الزمانُ اكتتامةُ
وكل امرئُ خلقه خلقه	وإن الدمامةُ فرع الدمامه
وتشهدُ سيما الفتى للفتى	بما فيه من كرم أو لامةُ
وما عبّر المرءُ عن فضله	بشيء كتفخيم أهل الفخامةُ
وكل الصفات التي ترتضي	إذا مات ملتها في الوسامةُ
وربُّ الجمالِ يرُبُّ الجميلَ	فكيف يعرضُه للملامهُ
وتأتي الطباع بحسب النفع	فمهما استقامت عرثها استقامةُ
ومن تكُ بلدتهُ جنةُ	فحقُّ له الطيبات المدامةُ
فصف أهلها بصفات الكمالِ	وأطلق على كل ليث أسامةُ
وحجَّ فكان سراج الدليلِ	كما كان للسَّفرِ درعاً ولامةُ
وكان يداً فوق أيديهم	وكان على أروس الكلِّ هامةُ
وآب إياب هلال السما	بدرًا وسنبلة الزرع خامهُ
فحمدًا عداد نجوم السما	وما عدّها من يخاف السامةُ
وشكرًا زيادة حسناه أن	يعودَ إلى أهله بالسلامةُ

وكتب إليّ من القاهرة إلى مكة كتاباً صدره بقصيدة أولها :

أغازلُ منه الطرفَ أكحلَ أوْطفاً وأهصرُ منه القدَّ أحورَ أهيفاً^(١)

[٧٤٣] أبو بكر بن الخطيب محمود الدمشقي الحنفي الحكيم الشيخ
نقي الدين بن شرف الدين^(٢).

طلب العلم بدمشق، وقرأ على شيخ الإسلام البدر الغزي، وولده
أحمد، وبرع في العلوم العقلية، وفضل في الخطب، ثم سافر إلى قسطنطينية،
فانتهى أمره إلى أن اتصل بالسلطان مراد، وحظي عنده، وكان يتظاهر بإنكار
المنكرات، فتكدرت منه الموالي.

فبينما هو ذات يوم ذاهبٌ إلى سرايا السلطان، تعرض له جماعةٌ من طلبة
العلم، فمزقوا عباءة فرسه وأهانوه، ثم رفعوا أمره إلى السلطان، وأدخلوا
عليه أموراً مفترأة، أوجبت أن طرد من القسطنطينية إلى ألواح، من ضواحي
مصر، وكان ذلك سنة إحدى أو اثنتين بعد الألف، ثم استأذنه بالمكاتبة، حتى
أذن له بدخول القاهرة، ثم ورد الشام سنة ثلاث بعد الألف، ثم ذهب بعدها
إلى الروم، ولم يمكنه إلى العودة إلى مكانته بالروم، حتى توفي سنة سبع يعد
- الألف رحمه الله -.

[٧٤٤] أبو بكر بن مسعود المغربي المالكي^(٣).

(١) جاء في الحاشية: «يكتب باقيه من «السفينة»، كما قال المؤلف، بهامش صورته،
وترك نصف صفحة بياض».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٥١) (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(٩٦ / ١).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٥٢) (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(٩٧ / ١ / ١).

مفتي المالكية بدمشق، رافق الشيخ أبا الطيب الغزي في الاشتغال بالعلم بمصر، فقرأ في الفقه على سالم السنهوري، وغيره، وأخذ بالشام عن علاء الدين بن المرحل، وكان له معرفة بالعربية، ومهارة بالإفتاء، وولي تدريس الغزالية بدمشق مدة، ومات في أواسط شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير - رحمه الله - .

[٧٤٥] السيد أبو بكر مكين القُدَيْمي .

كان من الأولياء المشهورين، مات آخر دولة عبد الرحيم بن مصك بن شرف الدين .

[٧٤٦] السيد أبو بكر بن علي البطاح الأهدل .

كان سيداً فاضلاً، من شيوخه: عبد الباقي بن الزين المزجاجي، وعلى الربيع بن إسحاق بن جعمان، وإبراهيم بن جعمان، وأخذ بالمدينة عن الشيخ أحمد القشاشي، وكثير، وكان حسن الخط جداً، اجتمعت به مرة واحدة بزبيد، ورأيت منه عالماً نحرياً، وله مؤلفات كثيرة، توفي ببلده الكُدَيْف - بالتصغير - من قرى زبيد، ثالث عشر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف، وكان كثير الحفظ جداً؛ بحيث إنه إذا أملي عليه في ساعة واحدة قصيدة طويلة، حفظها لوقته .

ورأى السيد بكر بن أبي القاسم صاحب «النفحة»، في النوم بعد موته، وقد شق على ظهر رقبته، ووضع فيه شيئاً مثل الزبد، وكان ذلك سبب الفتح عليه في العلوم اللدنية والحقائق، وله كرامات كثيرة .

منها: ما أخبرني به سيدنا السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد الباري

الأهمل: أن بعض العمال جار على بعض السادة من بني الأهمل، وكتب عليه أموالاً كثيرة لا تستحق عليه، فشكا إلى السيد المذكور بزييد حاله، وأراد أن يتوجه إلى العامل؛ ليسقط عنه مما في الدفتر شيئاً، فقال له السيد المذكور: ارجع إلى بلدك، ولا تذهب إليه؛ فإن بعض أصحابك أقوياء، ولا يقدر هذا العامل عليهم، فرجع دفتر العامل إليهم بعد أيام، ولم يجدوا فيه ما جعل العامل عليهم، وسقط عنهم جميع المال المطلوب.

وأخبرني السيد المذكور: أنه كان له جريرٌ يحصد فيه الحب، وكان النمل يتلفونه عليه، فينتقص عليه كثيراً، واستمر هذا الحال سنين عديدة، فجاء إليه يوماً بعض الصالحين، فشكا إليه حاله، وتسَلَّطَ النمل عليه، وأكلهم للحب، فقال: انظر حباً يكون لأيتام قاصرين، وخذ منه حفنةً بغير إذن منهم، وضعها على حبك، ففعل ما أمره به، فانقطع النمل عن الحب، ولم يؤذ به بعد، وكان كل عام يأخذ حفنةً من حبه القديم الذي خلطه بمال الأيتام، فيضعها على الحب الجديد، فلا يأتيه النمل، وسلم من أذاهم، ثم اتفق بعد نحو خمس عشرة سنة: أنه ذكر للأيتام بعد بلوغهم: أنه أخذ من حبه حفنةً بغير إذنه، ورد لهم صاعاً بدلها، وسامحوه، ثم لما ألقى الحب في الجرير بعد ذلك، رجع النمل كعادتهم. انتهى.

وأخبرني السيد عبد القادر المذكور: أنه كان يقول له: أنت بدري المقام، لا تجري عليك الأفلام، وكان يوصيه ويقول له: كن مع العارف كيف شئت؛ لأن لكل شيء عنده احتمالاً.

[٧٤٧] الملا أبو بكر ابن السيد هداية الله الحسيني الكوراني الكردي،

المشهور بالمضيف^(١).

ذكره شيخنا الإمام إبراهيم الكوراني في كتاب «الأمم لإيقاظ الهمم» في ترجمة المشايخ الذين روى عنهم، فقال: إمام علامة، له مؤلفات كثيرة، منها «شرح المحرر للرافعي» في الفقه في ثلاثة مجلدات، انتفع به أهل تلك البلاد، وله كتابان بالفارسية، أحدهما: «سراج الطريق» يشتمل على خمسين باباً، والآخر: «رياض الخلود» يشتمل على ثمانية أبواب.

وكان من أولياء الله تعالى، كثير الاجتماع بالخضر^(٢) - على نبينا وعليه السلام -، وممن أخذ عنه، وبه تخرج: ولده الملا عبد الكريم شيخنا المذكور - نفع الله به -، توفي سنة أربع عشرة بعد الألف - نفع الله به -.

كان؛ كما أخبرني شيخنا إبراهيم - قدس الله روحه - عالماً كبيراً، خصوصاً في الفقه وأدلته، واختلاف الفقهاء، مستحضراً لأقاويلهم، عارفاً بالكتاب والسنة، شديداً في دين الله، جسوراً مقداماً، لا يهاب أحداً، ولا يرهب مخلوقاً، جميل المحاضرة، بديع المجالسة والمذاكرة، مطرحاً للتكلف، متواضعاً لإخوانه، سامياً عن رذائل الأخلاق، قانعاً بالخشن من العيش، شديد الغضب في إنكار المنكر، صادق اللهجة، منجمعاً عن الناس، متوحشاً منهم، قانعاً بالقليل من الرزق، لا تنقضي مجالسه إلا بأحد أمور ثلاثة: إما دعاء إلى الله، أو تحذير مما ارتكبه الناس من المنكر، أو نشر المهمات من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١١٠)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٧١).

(٢) تتكرر هذه الدعاوى عند ادعاء التصوف وأهل الطريق برؤية الخضر عليه السلام وصحبته، وكأنها علامة على كذبهم وزيفهم، نسأل الله السلامة في الدين.

مسائل الأصول والفروع .

مع منطقي يسلب العقول، ويستميل الألباب، وحفظ يجاري فيه سعة
واستحضاراً لما يريد، من غير مراجعة كتاب، مع الفقر والخصاصة البينة،
والعيال الكثير، وله مصنفات كثيرة، وكان يشبه السلف، في سمنته وهديه،
ومنطقه ونسكه، وعيشه وطريقه، وما زال على مكابدة شديدة، وصدق التوجه
إلى الله، والدعاء إليه، حتى توفاه الله لأربع بقين من جمادى، سنة أربع
عشرة وألف .

[٧٤٨] أبو بكر بن محمد بن محمد، الشيخ العلامة البار، تقي الدين
الزهيري الشافعي^(١) .

اشتغل بالعلم على محمد الحجازي، وولده عبد الحق، ثم خالط
الأفاضل، وحضر دروس القاضي محب الدين الحنفي، وكان عالماً في العربية
وغيرها، حسن الخط، حسن السيرة، لطيف العرض، كافاً عن الأذى، ولي
نيابة القضاء، ودرّس بالجوزية، والجامع الأموي، ومات يوم الأربعاء، ثامن
جمادى الآخرة، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بترية باب الصغير، عن
بضع وأربعين سنة - رحمه الله - .

[٧٤٩] أبو بكر بن عدي الصالحي الشافعي ثم الحنفي، المعروف
بابن سعيد .

خادم سيدي العارف بالله الشيخ أبي بكر بن قوام، كان في ابتداء أمره

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٤٥) (٧٧٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(١ / ٩٣) .

خارقة، وفراساتٍ صادقة.

ولم يزل في خدمة مولاه، إلى أن استوفى ما له من الحياة، فانتقل إلى
رحمة الله، سنة خمسين بعد الألف، ودفن بمقبرة الفريط الشهيرة بحضرموت
- رحمه الله تعالى -.

[٧٥٣] أبو بكر ابن العلامة نور الدين علي بن أبي بكر بن الجمال
الأنصاري الخزرجي^(١).

الشيخ النجيب، الفطن الأريب، ذو السمات الفاضل، والذكاء الكامل،
والأدب الظاهر، والحفظ الباهر، والفطنة النقادة، والقريحة المتقادة، الذكي
الليبي، الحافظ المصيب، رأيت ترجمته بخط من نقلها من خط ولده العلامة
علي، وخلاصتها: أنه وُلد سنة إحدى وسبعين وتسع مئة، وحفظ «الشاطبية»،
و«الجزرية»، و«الأربعين النووية»، و«ألفية ابن الهائم في الفرائض»، و«ألفية
ابن مالك»، و«منظومة ابن غازي في الحساب»، وحفظ «متن البهجة»، وكثيراً
من متن «المنهج»، وقرأه على الشمس الرملي، وأجازه به وبغيره.

وأخذ عن القاضي جار الله بن أمين بن ظهير الحنفي، وولده علي،
والشيخ يحيى الخطاب المالكي، وولده محمد الخطاب مؤلف «المتمة»،
وشارح خليل، والشيخ تقي الدين بن فهد الحنفي، والشيخ رضي الدين
القازاني الشافعي، ومحمد بن عبد الحق، وشيخ الإسلام عبد الرحمن بن
عبد القادر بن فهد الهاشمي الشافعي، وأجازه جميع المذكورين - كما رأيتها
بخطوطهم -، واشتغل بالفقه على الشيخ نور الدين البرنبلاي اشتغالاً تاماً،

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٦)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٨٩).

ولازمه، وأذنوا له في التدريس والإفتاء، فدرس وأفتى، وانتفع به جماعة، منهم: الشيخ محمد بن يبري، والشيخ علي طحينة، والشيخ عبد الرحمن الرسام، وغيرهم.

وله الحواشي المفيدة على كثير من الكتب، في كثير من الفنون، وأكثرها في فن الحساب والفرائض، والجبر والمقابلة، وأعمال المناسخات، بالصحيح والكسور والحل، وكانت له يد طولى في هذه المذكورات، ومشاركة تامة في غيرها؛ كفن المعاني والبيان، والنحو والصرف، والقراءات والفقه، وكان حسن الخط نيره صحيحه، يكتب كل يوم كراساً، في قطع النصف، مع اشتغال بالدرس والتأليف.

وكان - رحمه الله - يرى في ليله بما سيقع في غده له.

منها: أنه أخبر بأنه يأتيه رجل بفلفل، يريد بيعه منه، وهو سرقة، وحذره أن يأخذه، فلما أصبح، أتاه رجل بما أخبر، وتبين أنه سرقة كما أخبر.

ومنها: أن جماعة أرادوا به حيلة، فأخبر في منامه بأسمائهم ومرادهم، ولقنه الحجة، فلما أصبح، جاءوه أولئك بحيلهم، فحجهم، وانتصر عليهم، وكان ذلك قبل أن يتزوج، فلما تزوج، انقطع عنه ذلك.

وله نظمٌ بديعٌ، وقصائد عظيمة، منها: في مدح رسول الله ﷺ قصيدتان: تائية، وهمزية مكسورة، ومنها: في شريف مكة حسن بن أبي نمي.

وكان إذا حضر السماع، تواجد، وغاب عن حسه، فكان لا يحضره، وكان له عقيدة تامة في الصالحين والأولياء والعارفين، وكان انتقاله بالوفاة إلى رحمة الله، ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر شهر رمضان، سنة ست بعد

الآلف بمكة، ودفن بالمعلاة.

[٧٥٤] السيد أبو بكر بن علي ابن السيد المحدث محمد بن علي بن علوي خَرَد - بفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء، وبالدال المهملة - اشتهر جده بالمعلم^(١).

الشيخ المعظم، والإمام المقدم، سيد زمانه وعالمه، ومن شادت به أركان التصوف ومعالمه، شديد الزهد والورع، مديد الباع إذا قام في الأمور الشرعية وشرع.

وُلد بمدينة تريم، ولاحظته عناية الرب الرحيم، فحفظ القرآن العظيم، ولازم تقوى الله، ومشى على طريق السلامة والنجاة؛ من الأفعال السارة، والأعمال البارة، ومصاحبة أهل الخير والصلاح، ومواظبة الطريقة الحميدة في كل غلو ورواح، واتصف بالصفات المستحسنة، وتجنب الأمور المستهجنة، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، والحقائق الربانية.

وأخذ عن عالي الرتب، شهاب الدين أحمد باجحدب، وأخذ الفقه وغيره، عن جماعة، منهم: القاضي السيد محمد بن حسن، والسيد الجليل علي بن عبد الرحمن السقاف، وولده محمد، وأولاد الفقيه عبدالله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، وأدرك جده المحدث محمد بن علي، وحكمه كثيرون من مشايخه المذكورين، وألبسوه خرقة التصوف، وأذنوا له في التحكيم والإلباس، وأجازوه في الإقراء ونفع الناس، فجلس للتدريس العام، في مسجد القوم

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٨٩).

الكرام، بعد العشاء الآخرة، وقرأ في العلوم الفاخرة؛ كالفقه والحديث والتفسير، وحضره خلقٌ كثيرٌ، من صغيرٍ وكبيرٍ، وجليلٍ وحقيرٍ، وانتفع به الخاص والعام، النفع المفيد التام.

وله تدريس خاص، بجماعةٍ من الخواص، وتخرج به جماعةٌ من فضلاء الأنام، نالوا به الرتب العالية السنام، الحرّية بالإجلال والإكرام، فجلى لهم عروس فضلٍ زُفّت إلى كفاء مجدها، وشمس علمٍ حلت ببرج سعدتها.

وممن تخرج به من الأفاضل والأماجد: السيد الجليل أبو بكر الشلي، والدُ شيخنا الإمام محمد السيد الشلي - رحمهما الله -، والسيد الجليل عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن عقيل، وشمس الشموس السيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وصاحب العرفان السيد عبدالله بن عمر الهندوان، والسيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب.

وكانت شمائله أرقّ من نسيم الهبوب، وأخلاقه تملأ محاسنها العيون والقلوب، ثم غلب عليه حب العزلة، وعدم الاجتماع بالناس بالجملة، إلا عن حاجةٍ أو ضرورة، أو لزم من ذلك حالة محظورة، وكان ملازماً للطيلسان، في جميع الأزمان، ملازماً على تلاوة القرآن، معرضاً عن أعراض الدنيا، وعن كل ما يعوق عن الرتب العليا، قانعاً بالكفاف، متدرعاً لباس العفاف.

وكانت فصاحته تفوق فصاحة سحبان وائل، وإذا تكلم، فالعلماء الأفاضل تسمع له، فليس أحد منهم بمتفوه ولا قائل، وله كراماتٌ باهرة، وأحوالٌ فاخرة، وأنفاسٌ طاهرة، وكان تلميذه الشيخ عبدالله بن العيدروس يقول: إنه يشفع في أهل زمانه.

ولم يزل ملازماً للتقوى، في السر والنجوى، إلى أن قضى نحبه، وبواه الله تعالى قبره، فتوفي سنة سبع - بتقديم السين - بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبيل - رحمه الله عز وجل -.

[٧٥٥] السيد أبو بكر بن محمد بن الطيب باعلوي^(١).

الطيب بن الطيب، الذي يفوق كرمه على الغيث الصيب، المجمع على كماله شرقاً وغرباً، والمفوّه بفضلته عجباً وعرباً.

وُلد بيندر الشحر، المسمى: سمعون، الذي تنشرح به الصدور، وتقر فيه العيون، وسلك الطريق التي لا عوج فيها ولا أمتاً، وحاز من الفضل فنوناً شتى، وتحلى بالحُسْنَيْنِ نطقاً وصمتاً، ورحل إلى الحرمين، وأدى النسكين، وزار جده ﷺ، ورحل إلى عدة بلدان، وأخذ عن جماعة من أولي العلم والعرفان.

وكان في الثغر المذكور مرجعاً للأعيان، ومجمعاً لفضلاء الزمان، يشار إليه بالبنان، مكرماً للضيفان، مشهوراً بالولاية التامة، معروفاً بنفع الخاصة والعامة، وكان يلبس الملابس الفاخرة، ويسكن البيوت المشيدة العامرة، ولم يزل في الفرح والسرور، إلى أن نزل بساحة القبور، فتوفي سنة إحدى عشرة بعد الألف بالشحر، ودفن به - رحمه الله -.

[٧٥٦] أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن

ابن الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف^(٢).

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٩٣ / ١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٨٥ / ١).

قال شيخنا محمد الشلي في «مشرعه»: الشريف المعروف^(١) كآيه وأهله بابن شهاب، الذي فاق على الأتراب، المنفرد في زمانه بعلو الإسناد، ملحق الأحفاد بالأجداد، النضير الذي لا نظير له، والملجأ الذي إذا نزلت المعضلة، أينعت أغصان دوحته في رياض الفضائل، فاكستت حلالاً، وأشرقت أزهار أفنان سوحته، فغدت الشمس كاسفة، واستتر البدر خجلاً، حوى من العلوم والمعارف ما لا تحصره الأرقام، ولو أن ما في الأرض من شجر أقلام، ومن الفضائل ما اعترف بالعجز عنه الخاص والعام.

وُلد بـ «تريم»، ونشأ بها، فحفظ القرآن العظيم، وعدة متون؛ «كالجزرية»، و«الأجرومية»، و«القطر»، وغيرها، وتفقه بالشيخ الجليل محمد بن إسماعيل، ولازم والده في دروسه، وأخذ عنه علوماً كثيرة؛ من فقه وحديث وأصول وتفسير وتصوف، وكذلك أخذ عن أخيه الهادي بن عبد الرحمن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس.

ورحل إلى اليمن، والحرمين، وسمع بها عن كثيرين، وجاور بالحرمين، واشتغل على السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ أحمد بن علان، وعلى شيخنا عبد العزيز الرومي، في فنون كثيرة؛ كالتفسير والحديث والتصوف، والمعاني والبيان والبديع، وغيرها من العلوم الشرعية والعقلية.

وأكثر الأخذ عن علماء عصره، ممن هو فوقه ودونه ومساويه، وجدّ في تحصيل العلوم حتى دخل في عداد الجماعة، وتخرج في الصناعة، ثم قصده الناس في الاستماع، والاستفادة والانتفاع، فتصدر للتدريس والإقراء،

(١) كلمة المعروف سقطت من الأصل.

وانتفع به جماعة من العلماء، وسمعوا منه طبقة بعد طبقة، وتمثلوا بين يديه حلقة بعد حلقة، فأحيا مدارس العلوم، وأبدى دقائق المنطوق والمفهوم.

وممن تخرج به: شيخنا الإمام عبد الرحمن بن محمد إمام السقاف، والسيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وصاحبنا السيد أحمد بن حسين بافقيه، وأخوه عبدالله، والشيخ أحمد بن عتيق، والصنو أحمد بن أبي بكر.

وأمرني الوالد - رحمه الله تعالى - بالاشتغال عليه، والاكتساب مما لديه، فقرأت عليه الكثير، وأخذت عنه العربية والتفسير، واستفدت منه ما حقه أن تصرف أعنة الشكر إليه، وتلقى مقاليد الإحسان بين يديه.

وكان - رحمه الله - متين التحقيق، حسن الفكرة والتدقيق، يتأنى في التقرير، ويتأمل في التحرير، وكتابته أمتن من تقريره، وقلمه أبلغ من لسانه ولهجته، ورويته أحسن من بديهته، وكان صحيح النقل، وافر العقل، وكان - مع كبر سنه، وتبحره في الفنون - حريصاً على طلب الفوائد ممن يكون، وكان سيدي الوالد - رحمه الله تعالى - يقول: ما رأيت عاشقاً للعلم أي نوع كان مثله، ولا أحداً ممن سلف قبله، وكانت لذته وتنزهه في المجالس والمحاضرة، في طلب الفوائد والمذاكرة.

ومن جميل سيرته: أنه ما استصغر أحداً حتى يسمع كلامه، ساذجاً كان أو متناهِياً، فإن أصاب، استفاد منه، صغيراً كان أو كبيراً، ولا يستنكف أن يعزي الفائدة إلى قائلها، وكان لا يكتب الفتوى إلا في المسائل العزيزة النقل، وإذا سُئل، لا يجيب على البديهة، بل يقول: افتح كتاب كذا، وعدّ من الصفحة الفلانية كذا، تجد المسألة؛ لأنه ﷺ قلّ نظره في آخر عمره، وإذا سُئل عما لم يعلم، يقول: الله أعلم، ويتعجب ممن يتجرأ على الفتيا، ويبادر إليها،

ويتكلف الجواب عما لا يدريه .

وكان غاية في العفاف، قانعاً بالكفاف، معرضاً عن المناصب الدينية، والأسباب الدنيوية، ولما بنى السيد الجليل النبيه محمد بن عمر باقبه مدرسته التي بتريم، فوض إليه تدريسها، فدرس فيها أياماً احتساباً، ثم ترك ذلك، وكان لا يسأل في أموره إلا الله، ولا يعول في قضاء حوائجه على سواه، ولا يخرج من داره إلا لجمعة أو جماعة، أو زيارة صديق أو نحوه، ولا يتردد إلى أحد من الأعيان، لا سيما من له أدنى تعلق بالسلطان، ملازماً للطاعات، في جميع الحركات والسكنات؛ بحيث لا يكاد يوجد في غير عبادة لحظة .

وكان له خلقٌ عظيم، يخجل منه النسيم، وكان يشرح كلام الصوفية وأهل الحقيقة بأحسن بيان، وأتم تبيان ويبحث عما يشكل من ذلك، ولبس الخرقة الشريفة من مشايخه، وحكّموه، وأذنوا له في ذلك، وكان يلبس الخرقة، ويُلَقِّن الذكر، ويُحَكِّم من يشاء .

وكان غايةً في التواضع، لا يرى لنفسه على غيره فضلاً، ولو كان ذلك الغير ندلاً، ولم يزل مواظباً على السيرة الشرعية، والسنن النبوية، والاستقامة المحمدية، إلى أن دعاه داعي مولاه، فأجابه ولباه، فتوفاه الله سنة إحدى وستين وألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبيل - رضي الله عنه، ونفعنا به - .

[٧٥٧] أبو بكر بن أبي القاسم بن إسماعيل الحسيني صائم الدهر .

الشریف العریف، الولي الشهير، قيل: إنه استمهل في آخر عمره تسع مرات، وينسى في أجله، وله الكرامات التي تشهد له، فريدة نادرة، وكان له الجاه العريض مع الدول وغيرهم، وكان صافي القلب، حتى كان يقول:

ما بت ليلةً وقلبي منطوٍ على شنانٍ لأحدٍ، توفي في شهر محرم، سنة إحدى وألف.

[وأبو القاسم بن أبي بكر هذا كان هذا السيد من أعيان السادة الأولياء، وكان مطعماً، وكان من الأبدال، وكان راتبه: يا حي يا قيوم، وكان يقوم في آخر الليل، مات سنة اثنتي عشرة وألف^(١)].

[٧٥٨] أبو بكر المعصراني الشافعي^(٢).

الشيخ الصالح المجذوب، العارف بالله تعالى، كان يتكسب بعصر السمسم، وكان يحضر مجالس الذكر، فحضر في بعض الأيام مجلساً فيه جماعة اجتمعوا على ذكر الله تعالى، منهم: الشهاب أحمد الغزي، والشيخ أحمد الصواف الصوفي، وأحمد بن سليمان، ويات تلك الليلة عندهم، فلما كان وقت الذكر، لاحت له بوارق الحق، فأخذته، فتولّاه، ونزع أثوابه، وتعرى دون عورته، ثم انجلت عنه هذه الحالة^(٣).

وكان كشفه ظاهراً لا شبهة فيه، وله فيه وقائع مشهورة، وكان إذا سريت

(١) ما بين [] جاء في نهاية الترجمة، ولعله إدراج من الناسخ لترجمة لم تكتمل، خاصة وأن تاريخ الوفاة مختلف عما سبق، والله أعلم بالصواب.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٥٨) (٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١١١).

(٣) رحم الله المصنف وغفر له في سرد هذه الحكاية، ولا أدري من أين ساع لأهل التصوف وأدعياء الطريق فكرة التولاه والتعري ويسمونها مرة بالتجلي وأخرى بالكشف، وكل ذلك من نليس الشيطان وتضليله.

عنه هذه الحالة، يلزم الصمت والعبادة، ولا يخرج من الجامع الأموي إلا للوضوء ونحوه، وكان يحصل له في جذبه تخريبٌ وشمٌ للناس، ولا يشتم أحداً إلا بما فيه تأويل ظاهر، مع شدة الحال.

فخطر لي يوماً ما يقاسيه في حالته من الشدة والبلاء، فلما حاذاني، وقف عليّ ضاحكاً مستبشراً، فقال لي بديهةً:

لا تحسب المجدَ تمرّاً أنت آكله لن تبلغَ المجدَ حتى تلعَ الصَّبراً

وسألت الله أن يكشف لي عن مقامه، فرأيت تلك الليلة في المنام، في صورة أسد، ثم تحول إلى صورته، وظهر لي بذلك أنه من الأبدال، فلما كان أول النهار، رأيته وهو في حالته، فضحك، وقال: كيف رأيته البارحة؟
توفي بين العشاءين، ليلة الاثنين، خامس وعشري محرم، سنة أربع عشرة بعد الألف - رحمه الله -.

[٧٥٩] أبو بكر السندي الشافعي^(١).

قال النجم الغزي^(٢) في «الذيل»: الشيخ العلامة المحقق، كان مجاوراً بالطواشية، شرقي الجامع الأموي، تحت المنارة الشرقية، نحو عشر سنين، وكان بارعاً في المعقولات، صالحاً ديناً مباركاً، أثر الخمول والقناعة، وكانت تخطبه الدنيا، ويأبى إلا فراراً منها، ملازماً للعبادة، والصلاة في الجماعة،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٣) (٩١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١١٢/١).

(٢) الغزي: ليست في الأصل.

يسرد الصوم، دائم الصمت، حسن الاعتقاد، متواضعاً، لا يرغب في الحكام، ولا يجتمع بهم، وربما زاره بعضهم، ولا يعبا به.

لزمه الطلبة، وانتفعوا به في المعقولات وغيرها، ودفن مطعوناً وهو صائم، ودام على صيامه حتى مات في يوم السبت، ثالث ربيع الأول، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بترية الغرباء، بباب الفرائيس، ومات قبله بأيام طفيفة، صاحبُه الملا محمد الهندي ^{سورة التوبة} وكان متلازمين في الحياة والممات، وقبرهما متلاصق، قال النجم: فقلت ملمحاً:

عجبتُ لطاعونٍ أصابتْ نبأه وأريت على الخطي والصارمِ الهندي
سطا في دمشق الشام عام وآخر تبسّط في الهندي وما ترك السندي
[٧٦٠] أبو بكر الطرابلسي الحنفي^(١).

شيخ الإقراء بدمشق، أخذ القراءات عن إبراهيم بن كسباي، وبرع في علومها، وكان له مشاركة في علوم كثيرة، وكان ديناً صالحاً وقوراً، متزواً عن الناس، إماماً بالسياغوسية، داخل باب الجايية، وهو آخر مشايخ المقرئين بدمشق، مات يوم السبت، تاسع أو عاشر شعبان، سنة ست وعشرين بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير - رحمه الله -.

[٧٦١] أبو بكر بن الطاهر.

من بني حسان، صاحب التيحتا، كان عبداً صالحاً، قائماً بحقوق

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٤) (٩٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٢).

الوافدين، وله في التصوف يدٌ عليّة، وسيرةٌ مرضيّة، توفي في جمادى الأولى،
سنة اثنتين وستين وألف.

[٧٦٢] أبو بكر العطار الحلبي.

كان من المنطرحين في زوايا الخمول، يعتريه في غالب أوقاته عن هذا
العالم ذهول، وكان في أوائل عمره يتعاطى العطارة، ثم انتقل إلى ما هو أفضل
كسب وأريح تجارة، واشتغل بالعلم، وقطع آماله من جميع الناس، ولبس
لباس القنوط والباس، واتكل على من يمنح الأمانى، وزهد في زخرف هذا
الوجود الفاني، أنشدني له بعض أصحابنا قوله:

فويلك يا دهرُ من أنباك تحسبني أخافُ إقتارًا أو أبكي على طَلَلِ
إني متى ما أخافُ الضيمَ من جهة بسيفِ باسي أقطعُ هامةَ الأملِ

[٧٦٣] فخر الدين أبو بكر بن محمد الخاتوني المكي^(١).

كاتب ماهر، وشاعر قلد الطروسَ من نظم عقود الجواهر، جرى في
ميدان القريض ملءَ عنانه، فاجتنى زهر رياضه، واقتطف ورد جنانه، ولد
بمكة، وبها نشأ على طريقة حسنة، وأخذ عن شيوخ عصره علومًا عديدة،
وبرع في الأدب، وبه اشتهر، وكان عظيم الهيئة، وضيء الوجه، نير اللحية،
يغلب عليه صفاء القلب، ورقة الطبع، والانطباع لعامة الناس، والتغاضي عما
لا يرضى من أحوالهم، توفي بمكة في نيف وخمسين بعد الألف - رحمه الله -.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٢٦) (٣٠٤)،
«سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٠).

ومن شعره قوله في مليحة اسمها غريبة :

رَبِّ سَمَرَاءَ كَالْمُنْقَفِ لَمَّا	خطرت في الغلائل السندية
غَادَةً تَسْلُبُ الْعُقُولَ وَلَا بَد	عَ وَأَعْمَالُ طَرْفِهَا سَحْرِيَّةُ
جُبِلَتْ ذَاتُهَا مِنَ الْمَنْدَلِ الرُّط	بِ فَفَاقَتْ عَلَى الرِّيَاضِ الزَّكِيَّةِ
مَا لَهَا فِي الْغُصُونِ نِدٌّ	وَلَيْسَ النَّدُّ إِلَّا مِنْ ذَاتِهَا الْمَسْكِيَّةِ

منها :

هِيَ لِلْقَلْبِ مَنِيَّةٌ وَلَكُمْ مِنْ	صَدُّهَا الصَّبُّ ذَاقَ طَعْمَ الْمَنِيَّةِ
ذَاتُ لَحْظٍ وَسُنَانٍ يَفْعَلُ مَا لَمْ	يَفْعَلِ السِّيفُ فِي قُلُوبِ الرِّعِيَّةِ
وَمُحَيًّا مِنْ دُونِهِ يَخْسِفُ الْبَدْرُ	إِذَا لَاحَ بِاللَّيَالِي الْبَهِيَّةِ
حَوَتْ الْحَسَنَ كُلَّهُ فَهِيَ مِمَّا	أَبْدَعَ اللَّهُ صُنْعَهُ فِي الْبَرِّيَّةِ
شَبَّهَوْهَا عِنْدَ التَّلَفُّتِ بِالظَّب	بِي وَهِيَّاتٍ مَا هُمَا بِالسَّوِيَّةِ
كُلُّ شَيْءٍ يَخْفَى إِذَا مَا تَبَدَّتْ	وَهِيَ كَالشَّمْسِ لَا تَزَالُ مُضِيَّةُ
لَيْتَ شَعْرِي وَأَيُّ شَمْسٍ بِشَرْقِ	لَكَ تَبْقَى إِذَا بَدَتْ غَرْبِيَّةُ

وقوله يرثي السيد أحمد بن مسعود :

عَلَى فَقْدِ بَدْرِ الْمَلِكِ أَحْمَدَ فَلَتَجِدْ	لِعَظَمِ الْأَسَى مِنْ كُلِّ نَدْبٍ شَوْوَنُ
وَالْأَفْمَنِ يَا لَيْتَ شَعْرِي بَعْدَهُ	إِذَا هِيَ لَمْ تَسْمَحْ تَسْحُ جَفُونُهُ
فَتَى كَانَ وَالْأَيَّامُ لِلْجَدْبِ كُلِّحْ	إِذَا أَمَّه الْعَافِي أَضَاءَ جِينُهُ
فَتَبْصُرُ بَدْرًا مِنْهُ قَدْ تَمَّ حَسَنُهُ	وَتَنْشِقُ رَوْضًا قَدْ تَنَاهَتْ فَنُونُهُ
يَجُودُ وَإِنْ أَوْدَى الزَّمَانُ يَسَارَهُ	بِهَا قَدْ جَرَتْ مِنْ كُلِّ وَقَرٍ يَمِينُهُ

فقل للذي قد جدّ في طلب الندى رويدك إن الجودَ سارتْ ظُعونُهُ
وقد غاب من أفق الكمالِ منيرُهُ كما غابَ من بحرِ النوالِ مَعِينُهُ
وأصبحَ وجهُ المجدِّ للحزنِ كالحَا كأنْ لم تكنْ من قبلُ قرتْ عيونُهُ
سأبكيه والآدابُ أجمعُها معي بدمعِ تودُّ السحبُ يومًا تكونُهُ
ولم لا عليه الفخرُ يبكي تأسفًا وقد حقَّ منه البينُ وهو خدينُهُ
فذاك الذي عن مثله يقبُحُ العزا ويحسنُ إلا من هوانه سكونُهُ
عليه من الله التحيةُ ما وفّت بفرقتِه من كل حيٍّ منونُهُ
ورحمته ما حنَّ أو ناحَ وإلهُ نأى عنه بعدَ التداني قرينُهُ

[٧٦٤] أبو بكر بن يحيى المنيرى .

قال سيدنا القطب الرباني الشيخ أحمد الشناوي، في كتابه^(١) «تجلية البصائر في التمشية على الجواهر» في شأن القطب العارف بالله : كان له جيبٌ من الغيب، في زرّه ينفق منه ما أراد، ولا يرى أحدٌ معه شيئاً، وكان لا يقبل الصدقة، ويقول: الفقراء سلاطين الله في أرضه، وكانت له اليد الطولى في الحديث والفقه والتفسير، ومطارحاتٌ في طامات المسائل، ومعضلات المشكلات، مع سيد العالم صبغة الله - رحمهما الله تعالى - .

[٧٦٥] أبو بكر بن محمد أبي سيرين .

ورفع نسبه في ترجمة والده إلى الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي - نفع الله به - .

(١) كتابه: ليست في الأصل .

كان صاحب الترجمة من الأولياء المعبرين ، والرجوع إليهم في كل حين، كثير العبادة، يقطع ليله في الصلاة، ونهاره في الصيام، حريصاً على فعل الخير، داعيةً إلى البر.

مولده باللحية، عام ثمانية وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وتقدم على الأقران، وقام بمنصب والده بعده أتم قيام، وكانت تخشى سطوته الحكام، إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب جده الأستاذ أحمد بن عمر الزيلعي - نفع الله به - .

[٧٦٦] أبو بكر بن يوسف السُّكْتَانِي الأُمُغَارَتِي المالكي .

كان إماماً عالماً، حجةً في النقل، وعَزَوِ المسائل، آيةً في المسكنة وحب الخمول، لا تغره الحياة الدنيا وزينتها، ولا يصل إليها، ولا يعظم أهلها، ولا يراهم شيئاً، شديد الاحتراس منهم، كثير التحفظ لدينه، كثير العلم والفوائد، محققاً في القراءات السبع والعشر، يعرف من أحكامها ما لا يوجد عند أهل زمانه، وكان كثير النوادر والحكايات، مجلسه أحسن مجلس.

رأيته في مغربنا متواضعاً، يسأله كل أحدٍ، ويجيبه على قدر عقله، صابراً حليماً، ناصحاً محبوباً عند العامة والخاصة، لا يطوي بشره عن أحد، يجلس إلى كل أحد، ويسعى في قضاء حاجته، لا سيما في الشفاعات، ما لم تكن مخالفة للشرع.

وكان يدرس بمراكش بمسجد أم السلطان أبي العباس أحمد، وبمسجد حومته، قرب داره في درب الخلفاء، وبه كان يدرس في زماننا هذا، ورحل إليها ثلاث مرات، آخرها عام أحد وخمسين وألف، وشيوخه بالمغرب

كثيرون، وحدث عن كثيرين من أهل المشرق، في الحديث والعلوم، قراءةً منه عليهم وإجازةً، منهم بمصر: إبراهيم اللقاني، ومحمد مولات الإسكندراني، وبالمدينة عن أبي زيد عبد الرحمن الخياري - رحم الله الجميع -.

[٧٦٧] الأمير أبو بكر بن علي باشا الأحسائي ثم المدني^(١).

أميرٌ جيشه الهمم، وسيفه الحياء والكرم، كان ذا نظرٍ صادق، ونقدٍ خارق، حوى المكارم قليلها وجليلها، والمآثر جملتها وتفصيلها، كان منه ابتداءها، وإليه انتهائها، فلو قيل: أين منبت الجود وربيع الآمال، ومن هو للمروءة كافل، وللفقراء ثمال؟ لما انصرفت إلا إليه الإشارة، ولا دلت إلا عليه العبارة.

ولما وردت المدينة، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، اتحدت بأخيه يحيى اتحاد الشمال باليمين، والإكليل بالجبين، واتخذته أجل صديق، فكان بها درة تاجي، ولمعة سراجي، وأخبرني أن مولد أخيه المذكور بمدينة الأحساء، في حدود الألف، ونشأ على الاشتغال بالعلم، ثم لما حصل لوالده ما حصل، في قصة ذكرتها في ترجمة أخيه الأمير يحيى، رحل مع والده إلى المدينة الشريفة، وتوطنها، وأقام بها على خير، وفي خير.

وكان بها ملازماً للعبادة، مواظباً لقيام الليل، حتى إنه كان يجيء إلى المسجد النبوي، فيقف ببابه نحو ساعة حتى يفتح الخدام، إلى أن أدركه أجله، يوم عرفة بها وهو محرمٌ، فجعل في محفةٍ إلى مكة، ودفن بالمعلاة،

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٣٧٨) (٣٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٦٨).

وتوفي والده علي باشا بالمدينة، سنة إحدى وخمسين وألف^(١).

وشعره نورٌ عاطرٌ، يصيد القلب برقته والخاطر، فمنه قوله مادحاً
للشريف زيد أمير مكة:

رَقَّتْ لِعَزِّ مَقَامِكَ الْعِلْيَاءُ	وَعَلَيْكَ فَضَّتْ رَاحَهَا الْجَوَازُءُ
فَالْبِدْرُ كَأْسٌ وَالشَّمْسُ عُقَارُهَا	فَاشْرَبْ بِكَأْسِ شَمْسِهِ الصَّبَاءُ
وَحَبَابُهَا نَجْمُ السَّمَاءِ فَكَأَنَّمَا	ذَاتُ وَذَاكَ بِشَكْلِهِ الْأَسْمَاءُ
وَأَتَتْكَ بِكَرٍّ قَبْلَ فَضِّ خَتَامِهَا	يَقْتَادُهَا رَاوِقُهَا وَذُكَا
خَضَعْتَ لِعَزِّكَ فَاسْتَقِمَّ فِي عَرْشِهَا	يَا ظَاهِرًا لَا يَعْتَرِيهِ خَفَاءُ
وَانْصَبْ لَوَاءَ الْعَبْدِ مَتَشِّرِ الثَّنَاءِ	قَدْ ضَوَّعَتْ بَعْبِيرَهُ الْأَرْجَاءُ
يَسْعَى بِظِلِّ أَمَانِهِ بَيْنَ الْوَرَى	ذُو الْبَاسِ وَالْأَمْجَادِ وَالضَّعْفَاءُ
فَالْدَهْرُ سَيْفُكَ فَاتَّخَذَهُ مَجْرَدًا	مَتَوَشِّحًا بِالنَّصْرِ وَهُوَ رَدَاءُ
فَالسَّعْدُ قَدْ تَوَجَّهَ فَلَهُ الْهَنَاءُ	وَكَذَا السَّعَادَةُ بَرَجُهَا السَّعْدَاءُ
وَعَلَاقُ قَدْ شَهِدَ الْحَسُودُ بِفَضْلِهِ	وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ
وَحِمَاكَ أَمِنَ الْخَائِفِينَ تَوَكُّلُهُ	شَمُّ الْأَنْوَفِ الْقَادَةَ الْأَكْفَاءُ
وَلَقَدْ حَظِيَّتْ مِنَ الْإِلَهِ بِنَظَرَةٍ	أَرَدْتُ مَرِيدَ الْكِيدِ وَهُوَ هَبَاءُ
وَحُبِّيتْ مِنْهُ بِمَا تَقَاعَسَ دُونَهُ	هَمُّ الْمُلُوكِ الصَّيِّدِ وَالْعِظْمَاءُ
فَاللَّهُ أَظْهَرَ ذَا الْجَنَانِ بِنَصِّهِ	فَالْخَلْقُ أَرْضُ وَالْجَنَابُ سَمَاءُ
لَوْ قِيلَ لِي مَنْ ذَا أَرَدْتُ أَجَبْتُهُمْ	هَلْ غَيْرُ زَيْدٍ تَمْدَحُ الشُّعْرَاءُ

(١) جاء في الحاشية: «وفي هامش المسودة سنة (٢٦) بعد الألف».

فلمسمعي من طيب ذاك غذاء	وإذا أدير حديثه في محفل
وإذا توعد شأنه الإغضاء	ملك إذا وعد الجميل وفى به
فعلى انسكاب ندى يديه نداء	ملك إذا كتمت رعود سمائنا
فسيوفه لخمودها أنواء	ملك إذا ما القرن أوقد ناره
فجنائبه السامي الرفيع وقاء	ملك إذا جار الزمان على امرئ
كأساً هنيئاً ليس فيه عناء	فبسعده أهدى الزمان إلى الورى
قد كللت به بنورها الزهراء	فالله يُقي ملكه السامي الذي
ظهرت بها الآباء والأبناء	ويديمه في الدولة الغرا التي
رُفعت إليك تحفها الأضواء	فإليك بكر قريحة بكريه
ومديحك تسمو به الفضلاء	كلمات حق شُرُفت بمديحكم

وكتب إلى الشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي ثم المكي،
مادحاً بقوله :

ولقد يراك الكل أنت إمامه	يا من سما فوق السماك مقامه
وعلوت قدراً فيك تم نظامه	حُزّت الفضائل والكمال بأسره
لأقول أنت المسك فيه ختامه	لو قيل من حاز العلوم جميعها
عن غير كفاء لم يجب إكرامه	كم صنت من بكر العلوم خرائداً
إن لم يكن ذا الفضل منك تمامه	فاعلم بأنني غير كفاء لائق

ثم أتبعه بثر صورته : لما أضاءت نور المحبة في قنديل القلوب، صفت
مرآة الحقيقة، فظهر المطلوب، فاتضحت الرسوم الطامسة، وبانت الطرق

الدارسة، فاكتحلت عين القريحة، فسالت في أنهر النطق، فأثمرت بالمسطور، وهو المقدور، وأما المقام، فهو أنهى من ذلك وأجل، وليس يدري ذلك إلا من وهل، وأما العبد، فهو مقرر أنه قد قصرت به الركاب عن بلوغ ذلك، وأعاقته عقبات الأسباب عن سلوك هذه المسالك، لكن حيث إن ثياب السر من فضلكم على أمثاله مسبولة، فكون أنه يدخل في ضمن الامتثال مطلوبه ومأموله.

فأجابه بقوله :

الله درُّك يا فريد محامد	أرَبى على البدر التمام تمامه
قد صغت من سر البلاغة مفرداً	فاق الفرائد نشره ونظامه
وكسوته من جزل لفظك سابغاً	وشيت بكل لطيفة أكمائه
وجلوتَه يختال تيهًا آمنًا	من أن يشابه في الوجود قوائمه
أعربت فيك عن اعتقاد خالص	ومكين ود أحكمت أحكامه
وحبوت ذا سكر بنبت قصيدة	وبفض خاتمة العلا أسوائه
أهلاً به فرداً أتى من مفرد	وحباً به ضيفاً يجلُّ مقامه
حتمًا عليّ ولازمًا تبجيله	فوراً وحقاً واجباً إكرامه
لكن على قدري فلست بكفء من	وطيت على هام العلا أقدامه
واليكها عذرا على مهل أنت	خجلاً لمحتدك العزيز مرأه
فاصفح بفضلك عن صحيفة نقصها	فالفضل مؤتم وأنت إمامه
واسحب رداء المجد غير مدافع	فلأنت عنصره وأنت ختامه

ثم أتبعه بنثر صورته: هزم دام جدك في صعود، ومجدك في صعود،
وعجرفة أبرزها فاتر الفكر الأعرج، وقاصر الذهن البهرج، تتعثر في مروط
الخبجل والوجل، وتتعارض لما بها من الخطأ والخبجل، أنت سوح حضرتك
الرحاحة الأرجاء، وأملت أن تفوز من كمال صفحك عن زيفها بتحقيق
الرجاء، فقابل إقبالها بالقبول والإغضاء، والحظها غير مأمور بعين التقريب
والرضاء، فإنك مأوى الفضل ومخيمه، ومفتحه ومختمه.

ولولا نافذُ أمرك المطاع، وواجبُ تعظيمك المتمكن في الأفئدة
والأسماع، لما تراءى لراءٍ^(١) عجرها ولا بجرها، ولا استبان لسامع خبرها
ولا مخبرها، ولكن عند الأكابر تلتمس وجوه المعاذير، ولدى أعيان الأفاضل
يرتجى الصفح عن التقصير، والسلام^(٢).

[٧٦٨] الأستاذ أبو الإسعاد المالكي يوسف ابن الأستاذ أبي العطا
عبد الرزاق بن أبي المكارم إبراهيم بن محمد أبي الفضل بن أبي المراحم
محمد بن أبي الفضل عبد الرحمن الشهيد بن أحمد أخي السيد الكبير
الولي الشهير علي بن وفا ابن الأستاذ الكبير أبي الفضل وأبي التداني
محمد وفا^(٣).

الشيخ العلامة، أستاذ الأستاذين، وجمال الإسلام والمسلمين، أخذ
عن سالم السنهوري، وأبي بكر الشنواني، وعبدالله الدنوشي، والعارف بالله

(١) في الأصل: لرداء، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ربيع صفحة بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ٥٠٣).

فائد الأزهري، وعلي الأجهوري، وغيرهم.

وكان - رحمه الله تعالى - ملازماً لإقراء العلم، والاشتغال به، ويحضر مجلسه البهي، ومحفله الوفي، أكابر العلماء؛ كالأجهوري، والمقري، وفتح الله البيلوني، وغرس الدين الخليلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والعلامة الغنيمي، والحلي، وحجازي الواعظ، وتلميذه علي العزيزي، شارحا «الجامع الصغير»، وكان يقرئ درسه بحضور هؤلاء الأجلاء مجتمعين ومتفرقين، تارة الشهاب أحمد الدواخلي، وأخرى محمد بن ياسين المنوفي، وكان ممن يحضره دروسه: شيخنا علي الشبراملسي، وبركات البحيري السفطي، ومحمد الحنبلي البهوتي الخلوتي.

وحج سنة خمسين بعد الألف، وحج معه جمعٌ من الفضلاء، منهم: شيخنا أحمد العجمي، واجتمع بمكة بالشيخ تاج الدين النقشبندي، وأخذ كلٌ منهما عن الآخر، ورجع مع الحج إلى مصر، فتوفي بها سلخ صفر، سنة إحدى وخمسين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، في محفلٍ لم ير في هذه الأعصار مثله، ودفن بزاوية سلفه السادات بني الوفا، بالقرافة الكبرى، ورثاه الشهاب الخفاجي بقوله (راجع الريحانة)^(١).

وجلس بعده في منصبه، بسجادة بني الوفا؛ لأخذ طريق السادة الوفاية الشاذلية، وإلباس الخرقه الوفاية، وتلقين الذكر، وطبقة الفجر، والمسبغات، والمناجاة، وحزب الفتوح، والإجازة بالذكر، ولده الأستاذ أبو التخصيص عبد الوهاب، وجلس للدرس مكانه، فدخل عليه الشيخ غرس الدين الخليلي،

(١) جاء في الحاشية: «ترك بعد كلمة «الريحانة» صفحة بياض».

وأنشده قوله : إذا رأيت بعيني . . . (١).

ومن شعر صاحب الترجمة :

كيف الوصول إلى اللّحوق بمعشر تركوا الشواغل في رضا مولاهم
سرّ في الطريق ولا تحذ عن نهجهم فإذا فعلتَ فربما تلقاهم

ومن كلامه نفع الله به : ماء زمزم لما شرب له ، وطعام الفقراء لما أكل له . . . (٢).

[٧٦٩] أبو الحسن بن الزبير السجلماسي المالكي (٣).

إمام النحاة في عصره ، ومحقق العلماء في قطره ، أجمع أهل المغرب على جلالته ، وتمكّنه في العلوم العربية ، كان كثير الحفظ لشواهد العرب ، والاطلاع على أخبارهم ، وله المهارة في اللغة ، وكان إذا أورد المسائل النحوية ، يورد لها شواهد عديدة لا يجدونها في الكتب المتداولة ، وكان يحفظ «التسهيل» ، وغالب «شروحه» ، فصيح العبارة ، حسن التقرير ، عظيم الهيئة .

وهو من أجل من نشر العلوم العربية بفاس ، وعلمها للطلبة ، وكان إذا قرر المسألة ، لا يزال يكررها بعبارات مختلفة ، حتى تظهر بأدنى الرأي ، فلذلك كثر الآخذون عنه من أقطار المغرب الأقصى ، على كثرة علمائه إذ ذاك .

أخذ عن إمام النحاة أبي يزيد عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن عبد الله

(١) جاء في الحاشية : «بعد كلمة «بعيني» ثلث صفحةً بياض» .

(٢) جاء في الحاشية : «بعد كلمة «له» سطر بياض» .

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١١٦) .

إهراق المكناسي وكثيرين، وممن أخذ عنه: الشيخ أحمد بن عمران، والشيخ عبد القادر الفاسيين^(١)، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، ومحمد بن ناصر الدراوي، وغيرهم - رحمه الله تعالى -، توفي سنة خمس وثلاثين بعد الألف بفاس.

[٧٧٠] أبو بكر بن عبدالله الحنفي العلواني الحلبي.

كان من فضلاء عصره، له «نظم بستان الشيخ سعدى الشيرازي»، وقت عليه، في غاية الأسجام والسبك، توفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وثلاثين وألف، والعلواني نسبة إلى العارف بالله الشيخ علوان الحموي؛ لأنه من جماعته، وعلى طريقته.

[٧٧١] الملا إسكندر المعجمي.

كان من أكبر العلماء لمحققين، اجتمع بسلامة ملاحيب الله الشهير حرزا جادا، بل بعضهم الملا يوسف القريشي. وأخذ عنه العلوم الرسمية، وكان له ليح لفظي. في استخراج أسرار ثور لستير. وله الأجوبة الباهرة عن غوامض المشكلات الماترة.

وله دأب ومثيرة في الاشتغال، وله رسائل في المنطق والحكميات، وسرعة كتابة، وسمع المشكاة معنا على السيد صبغة الله، وكان عنه بعين، توفي بالمدينة، ودفن بالبقيع، كنا نقله من خط العارف بالله أحمد بن علي الشناوي - قلم الله سره -.

(١) كنا في الأصل، والصواب: الفاسيان.

[٧٧٢] أبو جعفر ابن الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان
القلبي المغربي .

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: من أهل بيتٍ لهم حرمةٌ
وصيتٌ في هذه النواحي كلها، سهلها وجبلها وصحرائها، خصوصاً المترجم،
فله هديٌّ وسمتٌ حسنٌ وتنسك، مثابراً على فعل الخيرات، من حجٍّ وجهاد،
فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين، وربما رجع من
الطريق قبل أن يصل .

ولم يزل ذلك دأبه، إلى أن توفي - رحمه الله تعالى -^(١) سنة إحدى
وسبعين وألف، ودفن عند والده، بمقبرتهم المعروفة بالأبيض، قرب
بوسمفون، وقد حججنا معه سنة تسع وخمسين، ونحن قافلون، وتؤثر عنه
كرامات، وله أتباع، وكان يسير للحج غالباً بنسائه وأولاده، ويعظمه الناس
كثيراً، الأمراء فمن دونهم، ويتبركون به - نفع الله به -، كذا ذكره الشيخ عبدالله
العياشي في «رحلته» .

والقليلة: تصغير قلعة، وهي قريةٌ حسنةٌ بالمغرب، على حجرٍ صلدٍ،
في سفح جبلٍ منقطع عنه، وبها آبارٌ كثيرةٌ طيبة الماء، ونخيلٌ ليس بكثير،
وهي من طاعة سلطان داركلا، وبها عامله .

[٧٧٣] أبو السرور ابن الأستاذ الشيخ محمد بن زين بن الحسن البكري
المصري الشافعي^(٢) .

(١) رحمه الله تعالى: ليست في الأصل .

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٦٥) (٩٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي =

قال النجم في «ذيله»: كان - فيما بلغني - أمثل من أخيه زين العابدين، وكان له ذوقٌ صحيحٌ في معارف الصوفية، والبلاغة الكاملة في إلقاء الدروس البكرية، قال: ولما سافر أخي أبو الطيب إلى القاهرة، سنة اثنتين بعد الألف، صحبه، وكان المترجم يبالغ في إكرامه، وكان يدرس في الجامع الأزهر، وكان له اتساعٌ في الدنيا، ومداخلةٌ في أمورٍ كثيرةٍ، ودرس بالخشائية، بعد الشمس محمد الرملي، ومات سنة سبع - بتقديم السين - بعد الألف - رحمه الله -.

[٧٧٤] أبو السعود بن محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي^(١).

أديبٌ لم يوجد له في عصره مثيل؛ لما له من سرعة البديهة ولطائف التمثيل.

وُلد ونشأ بحلب، ويرع وتأدب، ونظم الشعر البديع، الذي يزري بزهر الربيع، فمته قوله:

كأنما الوجه والخالُ الكريمُ به مع العِذار الذي اسودَّتْ غدائرهُ
بيتُ العتيق الذي في ركنه حجرٌ قد أسبلت من أعاليه ستائرهُ
وقوله:

بدر أدار على النجوم براحة شمسًا فنارت في كؤوس رحيقه

= (١١٧ / ١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٢).

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١٢٣ / ١)، «معادن الذهب» للعرضي (١٦٧) (٤٧)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٦١٩ / ٢) (١٢٧)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٢٦٦ / ٦) (٩٧٥).

شمسٌ إذا لمعت كأن وميضَها برقٌ تلالاً عند لمع بريقه
يسقي وإن عزت عليه ورام أن يشفي لداء محبه وحريقه
فيديرها من مقلتيه وتارةً من وجنتيه وتارةً من ريقه

[٧٧٥] أبو السعود بن تاج الدين البعلبي الأصل ابن محمد بن أحمد

ابن زكي الدين بن بدر الدين، الدمشقي المولد، الخزرجي، الشهير بالقباقي الشافعي^(١).

صاحبنا الفاضل، الأديب الذكي، الفطن الأريب الألمعي، كان طلق اللسان، ثابت الجنان، ذا فهم ثاقب، ورأيٍ سديد صائب، اشتغل بالفقه والعربية في عنفوان شبابه، ولازم علماء بلده، وتقدم على أصحابه، ومن شيوخه: عبد الباقي الحنبلي، والجمال محمد الخباز، ومحمد بن محمد العيني، وغيرهم.

وبرع في فنون، ودرس في شروح ومتون، وكانت حرفته التجارة، والسير في طلب الرزق مع السيارة، ومن شيوخه - أيضاً -: علي القبردي، ومحمد بن بلبان، ومنصور المحلي، وحج كثيراً، وقدم مصر، وذهبت به لشيخنا خاتمة المحدثين محمد البابلي، وخاتمة المحققين علي الشبراملسي، وقرأ عليهما من أول «صحيح البخاري»، وأجازاه بمروياتهما، وحضر دروس شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي.

وكان - رحمه الله - دمث الأخلاق، حسن العشرة، لطيف المحاضرة،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٩).

كامل الأدوات، قوي الحزم، وكان ثرياً في دنياه جداً، مجملاً متجملاً، وأجازه البشيشي المذكور، وكتبت له إجازات بخطي، بأمرٍ منهم، وتوفي بدمشق، في شهر رمضان، سنة أربع وتسعين بعد الألف - رحمه الله -.

[٧٧٦] أبو السعود ابن شيخ الإسلام نجم الدين بن بدر الدين الغزي^(١).

مفتي الشافعية بدمشق، فاضلاً اقتضى آثار آبائه الكرام، وتقلد رئاسة الفتوى بعدهم أعوام، وجدّ في تحصيل ما يثني عليه به في مساعيه، مع حسن سريرةٍ مشتملةٍ على تقوى الإله ومراضيه، وكان جليل الشكل، حسن الصورة، نيز الوجه، عظيم الهيئة، رأيته بدمشق الشام، وقد خضع له الخاص والعام، وهو يدرس بمسجد بني أمية، تحت قبة النسر، في «صحيح البخاري»، وكانت وفاته في حدود سنة سبعين بعد الألف.

ومن شعره قوله :

محاسنُ الشام جَلَّتْ عن أن تُحَدَّ بحدِّ
عن حسنِها فتحدَّتْ وعن سواها فعدَّ
واللهِ لولا فناها لقلتُ جنَّةُ خلدِ

وكان صاحب الترجمة بينه وبين خالي وأستاذي العلامة محمد بن الحسن المنلا مودةً أكيدةً، وأسئلةً مفيدةً، وكان كلُّ منهما يجتمع بصاحبه في كل أسبوعٍ مرتين؛ للمذاكرة في العلوم، وكنت في خدمتهما أقوم وأنا صغير، والله الحمد والفضل.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٩).

[٧٧٧] أبو السعود بن صلاح الدين الدنجيبي الأصل نسبةً إلى دُنْجَبَه - بضم الدال، وسكون النون، وفتح الجيم، بعدها ياءٌ ساكنةٌ وهاء -، وهي قريةٌ من أعمال دمياط، الدمياطي المنشأ والمولد، الشافعي^(١).

صديقي الصادق الوداد، سلالة العلماء الأمجاد، الشيخ الفاضل، البارع في الفقه وغيره من العلوم النافعة، الحسن الخلق والخلق، المليح المحاوره والصحبة، صحب الفضلاء والفقراء، وتخلق بالأخلاق الجميلة.

وُلد سنة ستين - فيما أظن - بدمياط، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، على الشيخ العلامة أبي السعود بن أبي النور الدمياطي، وقرأ عليه في الفقه وغيره، ثم قدم مصر، ولازم حضور دروس شيخنا أحمد البشيشي - رحمه الله -، وجدَّ في الاشتغال، حتى صار من فحول الرجال.

وصحبته في إبان الطلب، وشاركته في اقتناص شوارد العلم والأدب، وكنت ذا عناية بالاجتماع به، والتمتع بأدبه، ثم رجع إلى بلده، وأقام بها على بث العلم ونشره، وقدم بعد سنين إلى مكة حاجاً، وكنت - إذ ذاك - بها، ولم يرد الله سبحانه بالاجتماع عليه، مع كثرة شوقي إليه، والاجتماع مقدر، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

وتوفي - رحمه الله - وهو راجعٌ من الحج بالمدينة الشريفة، أوائل محرم، سنة ألف ومئة وتسع، ودفن بالبقيع - رحمه الله -، ولما وصل خبره إلى والده بدمياط، بعد وصول الحاج إليها، لم يلبث إلا قليلاً، ومات بعده - رحمهما الله -، وله «حاشيةٌ على شرح الغاية للخطيب الشربيني»، و«أخرى

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٨).

على شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا»، ورسائل في فنون عديدة، وكان قبل موته بستين، اجتمعت كلمة أهل دمياط عليه، وصار رئيساً لها، معدوداً من أعيانها، مع ما له من سمو النسب، والرفعة السالفة.

[٧٧٨] أبو الصفا بن أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي.

من الفضلاء المشهورين بالديار الشامية، وممن أنفق نفيس عمره في تحصيل العلوم النظرية، مولده بصالحية دمشق، سنة خمس وأربعين وألف، وقرأ بصالحية دمشق على علي القبردي، ومن في طبقتة من علماء عصره، وأخذ عن والده علوم الصوفية، وحصل طرفاً من العلوم الدينية.

ثم سافر إلى الديار الرومية، ولازم بها شيخ الإسلام يحيى المنقاري، واختص به، ثم رجع، وولي تدريس المرادية بمكة، وأقام بمكة نحو ستين، صحبة عماد آغا، نائب جلة، وكان له به اختصاص، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها، وولي مناصب سنية، ومدارس عليّة، وأقام مدة، ثم حج وجاور بمكة سنة، وكنت لا أفارقه فيها غالباً؛ للصدقة التي بيني وبينه قديماً.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على بث العلم ونشره، ثم ولي إفتاء الحنفية بدمشق، وعظم قدره، واشتهر أمره، وصار مرجع الشام، عند الخاص والعام، إلى أن توفي بها، لعله في شهر جمادى الأولى^(١)، سنة إحدى وعشرين ومئة وألف، ودفن بترية الغرباء، بقرب والده - رحمه الله تعالى -، وأوصاه والده وصية عظيمة تكتب من المجموعة.

[٧٧٩] السيد أبو الغيث البمني، صاحب الها.

(١) في الأصل: الأول، والصواب ما أثبت.

كان شيخاً صالحاً، زاهداً ناسكاً متورعاً، مقصوداً بالزيارة، مشهوراً بالكرامات، روي: أن الناس ازدحموا عليه مرةً، وقالوا له: إنك أنت المهدي المنتظر، فلا بد من الخروج، فمنعهم، فلم يمتنعوا^(١)، ففر منهم، وصعد إلى ذروة جبل عالٍ، صعب المرور، بناحية إبّ، وسكن بها مع رجالٍ من أصحابه وأحابه، وصار منزوياً منقطعاً، بل مجتنباً عن الناس، حتى من الزوار والقاصدين، مشغولاً بنفسه، منجمعاً عن الدنيا بالكلية، وكان يستر وجهه، ولا يكشفه على أحد من الرجال، وله كراماتٌ ظاهرةٌ، وخوارق باهرة.

[٧٨٠] السيد أبو الغيث اليميني.

ساكنٌ بقرية من أعمال تعز، قريباً منها، وله أحوالٌ وكرامات.

[٧٨١] السيد أبو الغيث بن محمد بن إبراهيم الهادي بن عمر ابن الشيخ شجر القديمي، ينتهي نسبه إلى الشريف القديمي ابن الشجر بن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر العرابي بن علي بن محمد النجيب بن حسن ابن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن حسين بن آدم بن إدريس بن حسين بن محمد التقي الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، هكذا نقل نسب السادة بني القديمي العلامة محمد ابن أبي بكر الأشخر في «رسالته»، قال: وأكثر ذرية الشريف الشجر من ولده الشريف القديمي^(٢).

(١) في الأصل: يمتنعوا، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣٩).

كان صاحب الترجمة من أكابر أولياء عصره المشهورين، ومن عظماء السادة المجللين، وله الجاه الواسع عند ملوك مكة الحسينيين، وأمراء الأروام، والخاص والعام، وكان يحب الطيب، ويحیی زواره به، ويتصرف في الناس، ويأخذ ما يشاء منهم، ويصل به الفقراء والمنقطعين.

وكان تارةً يلبس لباس الملوك، وتارةً ينزعه ويبيعه، ويطعمه الفقراء، ويلبس لباس الفقراء، وكانت تجار اليمن وغيرهم يستغيثون به في شدائد البحر، ومضايق البر، فيجدون بركة الاستغاثة به في الحال، وينذرون له^(١)، وإذا حصل لهم الفرج أو الغرض، وفوه، وكان يعمل المولد بالحرم، في الموسم وغيره، على طريقة أهل اليمن، ويعمل أشغالهم، ويلحن ألحانهم بنفسه.

وله رياضةٌ واجتهادٌ في العبادة، وآثارها عليه ظاهرة، توفي بمكة، في شهر محرم، عام أربعة عشر بعد الألف، ودفن بالشعب الأعلى، بالقرب من ضريح خديجة عليها السلام^(٢) بالمعلاة، وهو المشهور الآن عند المكين بأبي الغيث بن جميل.

ومن كراماته: أنه وقف بالموسم، في المكان الذي يفرق فيه الصر السلطاني، بالمسجد الحرام، وقال للكتاب: أعطوني منه ما يخصني، فقال له

(١) وهل تصح الاستغاثة إلا بالرب ﷻ أو النذور لسواه سبحانه وتعالى، كذب المبطلون وخاب المدعون، وسبحان الله وتعالى علواً كبيراً عما يقولون، وغفر الله للمصنف ورحمه فيما دونه وذكره.

(٢) ﷺ: ليست في الأصل.

بعضهم: إن كنت رجلاً كاملاً، فهات لنا تقريراً سلطانياً بما تروم، ونعطيه لك، فما مضت ساعة إلا وأتاهم بتقرير من سلطان عصره، السلطان محمد ابن مراد خان، بجامكية وغيرها، فدفعوا له ما هو مكتوب له في المرسوم السلطاني.

وكان السلطان محمد المذكور من أولياء الله، ومن أهل الخطوات، ويقال: إن صاحب الترجمة بعد أن فارق الكتاب المذكورين، دخل الطواف، فرأى السلطان محمد في الطواف، هو مختفٍ، فأمسكه وقال له: إن لم تكتب لي تقريراً بصر يكون لي ولأولادي، وإلا فضحتك بين الناس، فكتب له مرسوماً في تلك الساعة، فأتى به إليهم، وأمضوه - على ما ذكرناه -.

[٧٨٢] أبو السعود بن علي الزين القسطلاني المكي المالكي^(١).

عالمٌ عاملٌ، وناسكٌ غيثٌ بركته هامل، وإمامٌ بمثله يقتدى، وطودٌ بنجوم هديه يهتدى، وعلامةٌ في علوم العربية، ومثابرٌ على خدمة خالق البرية، كان متقلداً بقلائد العفاف، متخلياً عما يزيد على الكفاف.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بالعلم مدةً سنين، تقارب العشرين، وأخذ عن أهل الفضل والدين، ببلد الله الأمين، منهم: العلامة علي بن جار الله، والشيخ يحيى الحطاب، وغيرهما، وعنه أخذ العلامة عبدالله بن سعيد باقشير، والفاضل حنيف الدين المشهدي، وغيرهما.

ولم يزل ملازماً لخدمة العلم وإفادته، منهمكاً على مطالعته ومذاكرته، مكباً على إسعاف الطلبة، بجواهر النحو والدر، إلى أن وافاه الردى، من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٢).

لا يغفل عن زيد ولا عمرو، فتوفي سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة - رحمه الله - .

وله مؤلفات، منها: «الفتح المبين في شرح أم البراهين»، و«فوح العطر بترجيح صحة الفرض في الكعبة والحجر»، و«إملاء على الأجرومية» شرحاً لطيفاً، وله «منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة وشرحها».

وله شعرٌ حسنٌ منه قوله :

ألايم القوم حتى أن أرى رجلاً أخا مذاكرةٍ للعلم يتسبُّ
أقامَ ذكرَ عهدٍ بالحمى فله أحسنُ ألفاً وبالمألوف أنتسبُّ
كأنني هل إذا فعلٌ يحيزها فالمستضيء بأهل النحو يصطحبُّ

أشار به إلى ما ذكره النحويون، من أن «هل» مختصةٌ بالفعل، إذا كان في حيزها، فلا يجوز هل زيد خرج؛ لأن أصلها أن تكون بمعنى «قد»، تقول: ﴿هَذَا أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حَيْنَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، و«قد» مختصةٌ بالفعل، فكذا «هل»، لكنها لما كانت بمعنى همزة الاستفهام، انحطت رتبته عن «قد» في اختصاصها بالفعل، واختصت به فيما إذا كان في حيزها؛ لأنها إذا رأت في حيزها، تذكرت عهداً بالحمى، وحنّت إلى الإلف المألوف، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما، وإذا لم تره في حيزها، تسلت عنه، وذهلت، ومع وجوده إن لم يشتغل بضمير، لم تقنع به مقدراً بعدها، وإلا، قنعت به، فلا يجوز في الاختيار، هل زيدا رأيت؛ بخلاف هل زيدا رأيت. انتهى.

وقوله :

فبينما الشخصُ يمشي وهو في فرحٍ إذ صلر في النعش محمولاً على الكفِ

فعدّ زاداً هي التقوى وكن حذراً واكثر من الذكر والأحزان والأسف

وقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بروضةً مَنْ بالصدق كان يقولُ
وهل أبصرتُ تلك المعاهد والربا وهل يقعا لي نظرة وقبولُ

وقوله: هل يقعا، جرى على اللغة الضعيفة المشهورة بلغة أكلوني
البراغيث، من إلحاق المسند إلى اثنين، أو جمع ضميرهما. انتهى.

وقوله مخمساً لبيتين نظمهما صاحبه العلامة عبد الرحيم بن حسان:

غرامي لرؤيا الطيف^(١) في العمر مرةً غريمي بأخذ الروح والقلب هجرةً
ومن شدة الإشفاق أنشدُ حسرةً ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
بوادي عقيق حلّ فيه رسولُ

وتُبصر عيني ما بدا من شؤونه وتُبرد ناراً بالحشا من شجونهِ
ويفرح قلبُ حزنه من عيونه وهلا أرددن يوماً مياه عيونهِ
وهل يبدون لي قبةً ونخيل

[٧٨٣] أبو القاسم بن إسحاق بن إبراهيم.

الظاهر أنه ابن جعمان، ورفع نسبه في ترجمة ولده.

كان فاضلاً محققاً، عالماً عاملاً، زاهداً في الدنيا، عُمّر طويلاً، بلغني
أن ولادته سنة سبع عشرة وتسع مئة، وتوفي في حدود الألف، ببيت الفقيه

(١) في الأصل: اللطيف، والمثبت هو الصواب.

ابن عجيل، وقبر عند مسجدهم، وهو شيخ السيد الطاهر بن بحر، والفقيه محمد بن عمر حشبير، وغيرهما - رحمهم الله - .

[٧٨٤] السيد أبو القاسم بن علي، صاحب الضحى .

الولي المشهور، يرجع نسبه إلى محمود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب .

[٧٨٥] السيد أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي القاسم ابن عمر بن علي الأهدل^(١) .

الولي المشهور، شُهر على ألسنة العالم بقائد الوحوش ؛ لأن الله سبحانه سخرها له كرامة؛ من تسلطها كثيراً على من آذاه أو قطعه، عادة التزمها بطريق النذر ونحوه، وشهرة حاله واعتقاده بين العالم، يغني عن وصفه وتفصيل سيرته .

توفي - رحمه الله تعالى^(٢) - في المحرم، ليلة الثلاثاء، لعشر مضين منه، سنة اثنتين وعشرين وألف، في المحط من أعمال رفع، ودفن بها قبل طلوع فجر الليلة المذكورة .

قال ولده السيد أبو بكر: ولقد شاهدنا منه في حالة احتصاره وغسله، ما يدل على حسن حاله وفضله، واطلعنا له عقب وفاته، على مناقب كثيرة، تشهد بأنه كان ذا ولاية كبيرة، وهو والد السيد أبي بكر مصنف «النفحة» .

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ١٤٤) .

(٢) رحمه الله تعالى: ليست في الأصل .

[٧٨٦] أبو القاسم بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل .

كان عبداً حصوراً صالحاً، يقوم بواجب الوافدين، ويطعم الضعفاء
والمساكين، توفي في ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين وألف، وعظم بموته
مصاب المسلمين .

[٧٨٧] أبو محمد حسين بن حسن بن أحمد بن سليمان الحسيني

الغريفي البحراني^(١) .

بحر علم تدفقت منه العلوم أنهاراً، ويدرُ فضلٍ عاد به ليل الفضائل نهارةً،
شب في العلم واكتهل، وهمى صَيَّبُ فضله واستهل، فجرى في ميدانه طلق
عنايه، وجنى من رياض فنونه أزهار افتتانه .

وكان بالبحرين إمامها الذي لا يباريه مبار، وهماهما الذي يصدق خبره
الاختبار، مع سجايا تستمد منها المكارم، ومزايا تستهدي محاسنها الأكارم .

وله نظمٌ منه قوله :

قلت للذي عابَ فعابَ الذي	قُلْتُ وقلت السر مني ضرورن
لا تمتحنها تمتحن أنها	دليّة قد دُلّيت عن مروسن
بل وقناتي صَعْدَةٌ صعبةٌ	تخبر أني الهزبريُّ الشموسن

وكانت وفاته سنة إحدى وألف، ولما بلغ نعيه شيخه، الشيخ داود بن
شافيز البحراني، استرجع وأنشد :

هلك الصقرُ يا حَمامُ فغني طرباً منك في أعالي الغصونِ

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٨٧ / ٢) .

[٧٨٨] السيد العلامة الأصولي النحوي أبو المطهر الحسن بن مطهر
ابن محمد الجرموزي الحسني - رحمه الله -^(١).

قال في «قلائد الجواهر» في حقه: هو رب البلاغات الباهرة، والكلمات
التي هي بالنجوم ساخرة، وخضم الأدب الذي لا يحصى فضله ولا يحصر،
وإمام الفصاحة التي تتلو لنا في ينابيعها: ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ﴾
[الزخرف: ٤٨]، وصاحب النظم الذي هو عقود دُرّ وجوهر.

وله الأدب الذي لم ينسج على منواله، والإبداع الذي أعرب عن تحريك
أشجان كم من واله، ضرب شطراً^(٢) صالحاً من عنفوان شبابه في العلوم،
وتردى^(٣) من كأس رحيق الأدب المختوم، وهذا «قلائد الجواهر» في أنباء آل
المطهر ألفه الفقيه الأديب علم الدين قاسم بن أحمد الخالدي، وكان من
غرس نعمتهم، وممن غُذي بمياه مكارمهم.

وأخذ في صنعاء على جماعة من علمائها، منهم: القاضي وجيه الدين
عبد الرحمن بن محمد الحيمي، والسيد محرم الحسني، والقاضي الطبري
المعروف بالوحش، والقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم السحولي الخطيب،
 وغيرهم من المشاهير، ومن جملة مشايخه: القاضي شمس الدين أحمد بن

(١) «نفحة الريحانة» للمجيب (٣/ ٣٩٠) (٢٢٠)، «نشر العرف» لزبارة الصنعائي

(١/ ٥٠٥) (١٥٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٣٣)، «نسمة السحر» للصنعائي

(١/ ٥٦٠) (٥٢)، «البدر الطالع» (١/ ٢١٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٢٣).

(٢) في الأصل: سطرّاً، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وتروى.

سعد الدين المسوري ، والقاضي عبد الواسع بن عبد الرحمن القلعي القرشي .
وأخذ عن الإمام الأعظم المتوكل على الله ؛ فإنه أيام اتصاله لم يترك
الاشتغال عليه .

وممن تتلمذ له : مولانا أمير المؤمنين المزيّد بالله محدّد بن إسماعيل ،
وصنوه الحسن بن علي ، وأخذ عليه - أيضاً - في النحو : القاضي شرف الدين
الحسن بن محمد المولى ، خاتمة المحققين بصنعاء اليمن .

وله نظم «الكامل في أصول الفقه» ، و«تعليقات على نهج البلاغة» ،
لكنها لم تتم ، ولم يزل بعد اتصاله بالمتوكل بالله يتنقل في الأعمال ، وكتابة
الإنشاء ، حتى كان هو المتولي لكتاب^(١) سلطان الهند ، المعروف بمحمد
أورنكزيب بن شاه جهان ، الواصل إلى مولانا أمير المؤمنين المتوكل في
سنة . . . (٢) صحبة رسوله السيد محمد سعيد .

وهو كتابٌ مجلّدٌ يأتي كراس ، وصنف فيه ما كان بينه وبين إخوته الذين
هم : مراد بخش ، وشاه شجاع ، ودارا شكور من الحروب ، عند قيامه بالمملكة ،
عند عجز والده شاه جهان ، وكان الجواب على منوال كتابهم ، وذكر فيه ما كان
بين المتوكل وسلطان حضرموت من الحروب ، وكان المتوكل قد أمر جماعةً
ممن في^(٣) حضرته ، من فضلاء اليمن بالجواب ، ولم ينفذ غير جوابه ؛
لاستجاءته .

(١) في الأصل كلمة غير مقروءة .

(٢) جاء في الحاشية : «لم تذكر السنة» .

(٣) في : سقطت من الأصل .

ونقله المتوكل من الكتابة إلى حرار، ثم المخا، ولم يزل به أيام المتوكل،
ومدة خلافة المهدي، وخلافة المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، وصدر خلافة
الناصر الهادي محمد بن المهدي، حتى اضطرب أحوال اليمن، وهبت زعازع
الفتنة.

وفي وروده إلى المخا يقول القاضي جمال الدين علي بن صالح بن أبي
الرجال، مؤرخاً ذلك سنة واحد وثمانين وألف:

بعث الإمام إلى المخا بما جِدَ أطفئ بصدق العزم نيرانَ الفتنِ
قرم محارِسمَ الفرنج عن المخا وحمى بحدِّ السيف أطرافَ اليمنِ
باهى المخا به على أقرانه وسما بمقدمه الشريف على عدنِ
ودعا لسان الحال فيه مؤرخاً (ملئ المخا عدلاً بمولاه حسن)

وعمر في المخا قلعة الساحل، ولم تكن قبل ذلك، وجدد غيرها، لما
كان يحصل من الإفرنج - أخدمهم الله -، وجدد بها عمارة الجامع الكبير،
وعمره عمارة أنيقة، وكتب على لوح من الكافور، فيه من شعره مؤرخاً:

جامع مبارك قد سَرَرْنَا عَامُهُ
شادَ بنَاه حسنٌ كما يشا إمامُهُ
وقد أتى تاريخُهُ (وبالهدى ختامُهُ)

وذلك سنة خمس وتسعين وألف.

ومن مآثره: نهر أجراه على نحو فرسخ، في مناخية من جهة حرار،
وفي أيامه ظهرت نارٌ في جبل قر، الذي نار اقلعه فضلى، كانت ترمي بشرر

كالقصر، يسمع منها دويٌّ كالرعد القاصف، حتى غشى دخانها مَنْ في المخا،
وكان يظهر ضوءها في الليل من الجبال.

وقدم في أيامه السيد محمد بن محمد عبد الرسول البرزنجي، رسولاً
من شريف مكة إلى الهند، وحصلت بينهما مكاتباتٌ ومراجعات، وألف برسمه
السيد محمد البرزنجي كتاب «الاهتدا في الجمع بين أحاديث الابتدا».

وفي أيامه وصل الشيخ جمال الدين علي بن علي المرحومي المصري
الضريير، فأكرمه، ورغبه في سكون المخا، وتردد في أثناء ذلك إلى الهند،
وإلى صنعاء ومكة.

ومما كتبه إليه الشيخ علي المرحومي، يطلب منه مملوكاً:

لا يُسْتَرْقُ الْعَبْدُ إِلَّا إِذَا أَدْخَلْتَ هَذَا الرَّقَّ فِي رَقَّةٍ
فَأَنْتَ مَنْ لَوْ يَشَاءُ فِي دَهْرِهِ لَا اسْتَنْزَلَ الْعَيُّوقَ مِنْ أَفْقَةٍ

وفي أيامه كان خروج السلطان أبي الفتح عبد العزيز خان، سلطان
سمرقند وما والاها، وهو سلطانٌ عظيمٌ، صاحب مملكةٍ متسعة، وكان خرج
إلى مكة؛ لتغلب ولد أخيه المسمى شيخان ملي خان على مملكته، وشرحُ
حديثه ومملكته يطول، وتوفي السلطان عبد العزيز في المخا، ونقل إلى
المدينة بوصيةٍ منه.

ومما كتبه صاحب الترجمة إلى شيخه القاضي محمد بن إبراهيم
السحولي - فسح الله في أجله -:

حَتَّامَ تَنْهَلُ الْبَوَادِرُ وَالْأَمَّ أَعْدُو وَالْدَهْرُ سَاهِرُ
وَيَصْدَنِي رِيْمُ الْفَلَا ة أَمَّا لَذَاكَ الدَّهْرُ آخِرُ

وهي طويلةٌ منها :

لا تعجبوا من عملك	في الحب حائر
في المخلص لا ي أحلامي	حديثك لا ولا تعم المزاهر
إلا حديث محمد	فخر الأوائل والأواخر
أنهى الملا حاوي العلا	جسم المناقب والمفاخر
نور العرا سدى القرى	موهي القرا من كل فاخر
إن قال أزرى بالقللا	ند والتمين من الجواهر

فأجابه القاضي عز الإسلام محمد بن إبراهيم - فسح الله في أجله - بقوله :

بين المفاخر والمحاجر	فُتن الأصاغر والأكابِر
وعلى الدما طلب دما	للأوائل والأواخر
وإذا نظرت وجدت سو	دَ الباليات الفـواتِر
بيض السيوف المرففا	ت المشرفيات البـواتِر
ومعاطف البيض السوا	حي للهوى السمر السواحر

ومنها :

فلا تتخون ^(١) خطيئتي إن سلمت	والله غــافز
بمديح مولانا الكريم	م بن الكريم أخي المفاخر
حسن سليل مطهر	نجل الغطارفة الأكابر

(١) كذا في الأصل .

أهلِ الرجاحةِ والفصا
أهلِ العوارفِ والمعا
حةِ والسماحةِ في الضرائرِ
رفِ والمحابرِ والمنابرِ

ومنها:

عذراً إليك متاعُ شعـ
قابلتُ هاتيكَ القـصـ
علمًا بأنك كاملٌ
وبأن حكمك عاذرٌ
قد كان لي من قبلُ نظـ
واليومَ دارتُ للهمـ
ثم الصلاةُ على النبيـ
مري عن مدى عليك قاصرُ
رَ بهذه الدمنِ الدوائرُ
وبأن بحرَ يدك وافرُ
فما أتيتُ به وسائرُ
م تُستمال به الخواطرُ
م على قريحتي الدوائرُ
سي وآله خيرِ العشائرُ

وكتب إليه الأديب الذي أصبح واسطة عقد أهل الأدب، المفضل الحسن
ابن علي بن جابر الهبل، وذلك من أثناء كتاب طويل:

يا بن الأئمة من أبناء فاطمة
يا خير من رقمت طرب أنامله
الله من ماجد حاز العلا فعلاً
أولم يزل همة العليا وسيدها
إن هز أقلامه قالت أنامله
لا زلت تنظم أسلاكاً منضدة
وخير آل النبي المختار خير نبي
وأكرم الناس من عجم ومن عرب
في المكرمات وحاز المجد وهو صبي
وهم أترابه في اللهو واللعب
نبت غصون الرياض آلة الحطب
كما تجود على العافين بالذهب

فأجاب في عنوان الكتاب :

أَمِنْ لآلٍ تَصَوِّغُ النِّظْمَ أَمْ ذَهَبَ	أَمْ مِنْ رَحِيقِ تَعَالَى اللَّهِ أَمْ ضَرْبِ
هَلْ تِلْكَ رَوْضَةُ حَرْبٍ جَادَهَا غَدِيقُ	فَحَفَّتْ دُوحَاتُهَا بِالزَّهْرِ وَالْقُضْبِ
أَمْ تِلْكَ جَنَّةٌ عَدَنِ قَدْ أَتَيْتَ بِهَا	تَجْلُو النُّوَاطِرَ أَمْ عَقْدٌ مِنَ السَّهْبِ
أَمْ تِلْكَ غَانِيَةٌ بِالْحَسَنِ غَانِيَةٌ	عَنِ الْحَسَنِ دَارَتْ بِابْنَةِ الْعَنْبِ
جَاءَتْ تَبْخَتُرُ فِي حَلِيٍّ وَفِي حُلُلِ	وَتُخْجَلُ الْبَدْرُ إِذْ تَبْدُو مِنَ الْحَجَبِ
أَهَانَتْ الدَّرَّ حَتَّى مَالَهُ ثَمَنُ	دَارِ حَصْعَمَةِ الْأَسْعَارِ وَالْحَطَبِ
سَقِيًّا لَهَا دَمِيَّةٌ لَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ	لَبِثْتُ أَنْشَدَهَا مِنْ شِدَّةِ الطَّرِبِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لَشَغْرِ رَاقٍ مَبْسَمُهُ	وَزَانَهُ شَنْبٌ نَاهِيكَ مِنْ شَنْبِ
يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُؤٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدِ	وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبِ
لِلَّهِ مَا طَمَّهَ اللَّهُ رَاحِمَهَا	يَا لِلْعَجَائِبِ كَمْ أَبَدِي مِنَ الْعَجَبِ

وكتب إليه العلامة الشيخ محمد بن الحسين المرهبي بن أبي فاضل
رسالةً ذيلها بأبيات عتابٍ مطلعها :

لَكَ الْخَيْرُ مَا دَامَتْ لَعِبْدُ صَنَائِعُهُ	فَقَدْ رَاعَهُ مِنْ سُخْطِكَ الْيَوْمَ رَائِعُهُ
نَأَتْ فَمَا قَلْبِي بِجَلْدٍ عَلَى الْجَفَا	وَلَا مَسْتَطِيعَ مَا بِهِ أَنْتَ صَانِعُهُ
تَجَافَيْتَ حَتَّى رُبْعَ لِي مِنْ أَرْبَعِهِ	وَقَاطَعْتَ حَتَّى رَقٍّ لِي مِنْ أَقَاطِعِهِ
وَإِنَّكَ قَدْ أَسْلَفْتَ عِنْدِي عَوَارِفَا	أَمَنْتُ بِهَا وَالْدَهْرُ جَمٌّ فَجَائِعُهُ
وَأُورِدْتَنِي مِنْ فَضْلِ نُعْمَاكَ مُورِدَا	تَعَزُّ عَلَى الشَّهْبِ السَّوَارِي مَسَارِعُهُ
وَلَوْ أَنَّنِي فِي أَفْقٍ مَجْدُكَ رِيهِ	فَطَائِرُهُ دُونِي مُحَلًّا وَوَاقِعُهُ

فلا تقصدن بالهدم ما أنتَ بانه ولا تنح بالتخريق ما أنتَ راقعة
إلى أن قال :

وقد رفع الباري محلّك في الورى على كُره أقوامٍ لما الله رافعة
فإن ترع تستوقف ركابَ مودتي ويأتيك عاصي المدح مني وطائعة
ولا فإن الغيثَ باعثُ جيشه إلى ربك العالي وهذي طلائعة
وعش سالمًا فالملك بُردٌ مسهمٌ وأفعالك الغرُّ الحسان وسائعة

ومن مستحسن مطارحه ، ومستبدع سوانحه : ما دار بينه وبين القاضي
أحمد بن صالح بن أبي الرجال ، كتب إليه القاضي المذكور إلى المخا ، في
شهر رمضان ، سنة ثمان وثمانين وألف ، من صنعاء المحروسة :

أحبة قلبي بعد عهدي وعهدهم بأنهم يبنون هدمًا لما بني
أحبنا ما غير النأي حُبنا فقلبي لكم مذ غبتُم خيرُ موطنٍ
أحن إليكم كلما حنَّ راعدٌ وأذكر عيشًا كان لي ولكم هني
وأعقد سطحي لم رنت إليه وساريا وأشرف بالغور اليماني لعلني
ومنها :

سأصبر إذ عهدي وسوء عهوده فمثلي بحفظ العهد والعهد ينقني
وهل أرتضي نسيانكم بعد فضلكم أنيسي كريم الأصل إحسان محسن
فحاصلُ حالي والأخلاء أنهم جَفَوْنِي ولم أجفُ الأخلاء إنني
فكتب السيد حسن الجواب :

فيا لعلّي لعلّي إلى هواه وسعه الطمر^(١) نحو لمن ريقها العذب قَرَقَفُ
 فيا ناقتي خِفّي الخطا لي سريعة إلى حيث أثمار المعالي تقطَفُ
 إلى حضرة السامي عن الخلق عن يد وأكرم من يولي الجميل وينصفُ
 إمام الهدى سَمّ العدى واسع الجدا بحار الندى عن كفه ليس ينزفُ
 إمام به الأيام تضحك فرحة عليها طيور السعد والنصر عُكِّفُ
 بدا لي سماء المجد بدرًا فأشرقت به الأرض وانجابت بذلك أَسْدَفُ
 ومنها:

إذا قال فالدر الثمين جنادل وإن صال فالشم الشواحق تزحفُ
 قد اقتربت أعداؤه فقرأ لهم إذا جاء نصر الله والفتح مرهف
 وله من قصيدة في مدح المتوكل على الله:

مل يرعوي العاذل أو ينزع ويعقل اللاثم أو يسمعُ
 علام تلحو مغرمًا مدنفًا إذا هجع السمار لا يهجعُ
 ومنها:

لو أنه فيما مضى ما ازدهى كسرى ولا قيصر أو تبّعُ
 عمت أياديه جميع الورى ونالها الأقرب والأشعُ
 ألف ما لهندي سمل النقا وأصبح الترك به تهرعُ
 ردّت به للخلق شمس الهدى كأنه بينهم يوشعُ

(١) كذا في الأصل.

كم مشكلاتٍ قد جلاها ولو لاه لمانضا لها برقعُ
وله من أبياتٍ في مدح صنعاء، وتخلص إلى مدح المولى ضياء الإسلام
إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين .

فمنها في وصف صنعاء:

بلدة زينت بكل بديع قد جباها به الملك الجليلُ
جنة الأرض تلك لا ريبَ فيها نهرٌ دافق وظلٌّ ظليلُ
خلع الحسنُ ثوبها^(١) وكساها فهي في بُرده القشيب تجولُ

ومنها في المديح:

وبصنعا طابت لنا الروضة الغند سنا ورقّت أسحارُها والأصيلُ
ذا ولولا مليكنّا الأوحْدُ الند بُ سليلُ الكرامِ إسماعيلُ
زانها ما غدا لدرب السلاطيد من على جميعها تفضيلُ
فله من زُمرد الدوح ثوبُ ومن الزهر غُرة وحُجول

ومن مسامة صاحب الترجمة في الزنبق:

انظر إلى الزنبق الأنيق وقد أبدع في شكله وفي نمطه
كمثلٍ قنديل فضة غُرزت شمسُ تبرٍ تضيء في وسطه
وله:

يا أيها الرشأ الذي ما زال يُعمل في لحظّة

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثوبه .

هلا مشيت بر وفضلا ولو في الدهر لحظّة
ومن نظمه :

بأبي من قد سباني حسنه وغدا قلبي به مرتَهْنا
فالقُ الإصباحِ من غرته جاعلُ الليل عليه سَكْنا
نَمِلَ العشاقُ من عشقته وأفاقوا سكرةً إلا أنا

ومما قاله صاحب الترجمة، في شيخه السيد محرم بن محمد الحسيني،
وقد توفي ليلة الأحد، الثاني عشر من رمضان، عام سبعة وستين وألف،
بمحروس صنعاء :

أين زهر الربيع بعد محرمٍ من رياضِ الدموعِ فليبكِ بالدمِ
رجب سمعها وللجهل شعبا ن على من إلى العلوم يقدم
قالت المشكلاتُ مذ صار في الرمـ س منامُ الجفونِ بعد محرمٍ
كان مفتاحنا ومصباحنا الكشف فإيضاحنا منه نفهَمُ
حلوا الدرس والجوامع غضبي حدوداً من البكاء بعندَمُ
ووجوهُ الطروس أصبحنَ سوداً ولسان اليراع أبكم أعجمُ
ذاك من فوق هامة الدهر تاج ولجيد الزمان عقد منظَمُ

وهي طويلةٌ، وهذا التوجيه بأسماء الشهور بديعٌ، وجميع بيوت هذه
القصيدة عامرةٌ بمعاني البديع .

ومن مقاطيعه :

يا زفرة العين رفقا فالرفقُ أحسنُ صنعا

عجبت كيف يلصت بي قد صار دمعاً
ومن نظمه:

بأبي من سمت عشقته كل يوم منه أمراً عجبا
كان دمعى في هواه فضةً فغدا من نار وجدي ذهباً
ومن بديع نظمه قوله:

إياك أن تستطل إن التواضع محـ حمودٌ كما أن ثوب الكبر مذمومُ
وُسْطَى البنَانِ استطالَتْ فهي عاطلةٌ على الحليِّ وللصغر الخواتيمُ
واجتاز به الشيخ صارم الدين الهندي، فقال فيه:

حدث عن البحر وعن فضل الحسن وعن أثيل مجده وعن وعن
أعد أسانيد العوالي عن عُلا سؤدده الضخم الصحيح والحسن
أرو أحاديث البحار مسنداً أو مرسلأً مسلسلأً عن من ومن
عن سيف دين الله نبراس العلا لا عن رسول لا بن ذي يزن
وهي طويلةٌ، وكان مولده رحمه الله، شهر رجب، سنة خمس وأربعين
وَألف، وتوفي يوم الاثنين، ثامن وعشري شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى
ومئة وألف، بمحروس صنعاء، وعليه قبة قبلي حريمه.

ورثاه الشيخ إبراهيم الهندي، وتوفي الشيخ إبراهيم بعده بثلاثة أيام،
وكان إنشاء هذه المرثية في حال مرضه، ولم يطلع عليها إلا بعد وفاته، وهي
هذه:

هذا ضريح حلّ فيه مزوره فيه من العلم الشريف بحوره

ألقابه شرف الهداية كلها
نجل الأئمة من بني حسن ومن
السيد الحسن الرفيع مكانه
للمجد يصدع بالجبال صخوره
كشفت دياجير الظلام بدوره
المستقر على العلا معموره
ومنها :

فالله ينفعنا به من سيد
واستخلفته من الأطايب سادة
إن رمت يا شمس الهدى تاريخه
زدنا ثم دع حرفاً وقل
قد طاب مورده وطاب صدوره
كل على رقم الهدى مسطوره
(في عام إحدى ساعدتك شهوره)
(حسن المطهر في الجنان مصيره)
وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في الروضة المعروفة بروضة حاتم، وقبر في
المقبرة التي تلي مسجد صلاح حمزة.

وممن رثاه: السيد العلامة عبدالله بن علي الوزير بقوله :

يا ضريحاً فيه روضٌ نضرٌ
أضريح أنت أم غمد فقي
شفع التنعيم فيه بالرضا
رهنك اليوم حسام منتضى
ومنها :

إن يكن في جنة الخلد لقد
أوقضى العمر حميداً فلقد
أو بؤى بيتاً فسيحاً سوّحه
غير أنا قد رضينا بالذي
ترك الأحشاء في نار الغضا
هالنا من بعده صرف القضا
فلقد ضاق بنا رحب القضا
قسم الله فأرضه رضا

وعلى الجملة : فأخباره كثيرةٌ ، ومحاسنه شهيرة :

ما سها نظري منه إلى رتب في الفضل إلا ولاحت فوقها رتب

[٧٨٩] السيد العلامة أبو علي المطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن المنتصر بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يوسف بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن المفضل بن الحجاج بن علي ابن الإمام يحيى ابن الإمام القاسم الداعي ابن الإمام يوسف الداعي ابن الإمام يحيى المنصور ابن الإمام أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١) الحسنى ، المعروف بالجرموزي - قدس الله روحه - .

قال صاحب «قلائد الجواهر في أنباء آل المطهر» في حقه ما لفظه : فرع هذا الشرف ، وخلف ذلك السلف ، يرفع أن يقاس بنظير ، وارتفع فالجوزاء له سرير ، مؤلفاته رياضٌ وأزهار ، وكلماته منها طالع نهار . وساق كلاماً طويلاً في شأنه ، قال : ومن مؤلفاته : «الجوهرة المنيرة في سيرة الدولة القاسمية المنصورة» جمع فيه سيرة القاسم المنصور ، ولديه : المؤيد ، والمتوكل ، وهي ثلاثة أجزاء ضخمة .

وله في أصول الدين : «تنبيه أولي الألباب إلى معرفة رب الأرباب» ، وغير ذلك من الرسائل والأجوبة ، والأصليين ، والفقه ، والفرائض .

(١) عليه السلام : ليست في الأصل .

ولم يزل ينتقل من قبل الأئمة في الأعمال الكثيرة في اليمن، حتى أدركه
الحِمام، واحتجبت شمس مجده بالرغام، سنة سبع وسبعين وألف، وقد بلغ
من السن ثمان وستين، وتوفي وهو عامل بـ «عنة» موفور النعمة، بمحل
يعرف مسماه، فلا زال وابل الرحمة يتغشاه.

ولما توفي، لم يزل يتكرر منه في المنام إنغاص بعض أولاده، ويقول
له: إن في قبري نجاسةً، فأخرجها، فكشفوا عنه، فوجدوا شيئاً من الزبل قد
اختلط مع التراب، ووجدوه كما هو ليس به تغير.

وكان ذا هممة في فعل الخير، عمّر نحو ثلاثة عشر مسجداً، من غير
ما أجراه من السبل، ووقف كثيراً من الضياع عليها.

ورثاه القاضي شرف الدين الحسن بن علي بن جابر، صاحب الديوان
المعروف بـ: «فلائد الجواهر»، فقال:

عزائم آل المطهر في فتى	قضى فقضى المجد المؤئل والندى
أقام بدار الخلد جارا لربه	وأورثنا حزنا أقام وأقعدا
وما كان إلا طود مجدي تهددت	جوانبه أو عقد مجدي تبددا
ولو كان يُفدى هالك حل رزوه	لكان بأرواح البرية يُفتدى
وما دمتُم للمجد والجود بعده	فركن المعالي لا يزال مشيدا
وإن جميل الصبر فيكم لعادة	إذا جاء حكم الحادثات أو اعتدى
تعودتم الصبر الجميل وإنما	لكل امرئ من دهره ما تعودا

وكان له نظم تهش له الأسماع، وترسلات أدبية وقع على حسنها
الإجماع، منه قوله - نور الله ضريحه -:

عجيبٌ لمن غدا فيما نراه من التوحيد جهلاً لا يوافق
وما من صامتٍ في الكون إلا وأنت تراه بالتوحيد ناطق
ورزق عشرة أولاد، كلهم نجبوا، ونظموا الشعر، وهذا قليل النظر،
وغالبهم يصل في الأعمال الكثيرة، وشاع ذكره، وقصدته الشعراء من كل
ناحية، وهم: علي، ومحمد، وحسن، وحسين، وهادي، وأحمد، وعبدالله،
وقاسم، وجعفر، وإسماعيل، وهم بيت طيب، خلف عن سلف.
فأما جد السيد مطهر، وهو أحمد بن عبدالله، فكان من أهل الرسوخ في
المعرفة، وكذلك عبدالله، له مؤلفات مشهورة منها: «الرسالة العمرية» في
الأصول.

ومحمد بن المنتصر كان من المبرزين في العلوم، له «شرح على الأزهار»
روى ذلك القاضي ابن أبي الرجال في «تاريخه»، وله «منظومة في الأصول»،
ومن نظمه في مدح «المنهاج للمهدي في دين الله» في أصول الفقه قوله:

إن كنت تطلب للعلا معراجاً وتروم نحو منالها منهاجاً
فابذل جميع الجهد منك بدرس مع سيار العقول ولازم المنهاج
فهو المناط له وكاشف سره وكأنه فلك حوى أبراج
تأليف من فخرت أئمتنا به وسما سماكاً في السما وهماجا

ولمحمد هذا كرامات مشهورة، منها: أنه أمر بتسجير نار عظيمة،
لمقتضى اقتضى ذلك، بمحضر من أعيان العلماء والقبائل، وما زال يتلو عليها
حتى خمدت، ثم صلى عليها، ومحل هذه النار معروف في هجرة بني جرموز
- على وزن عصفور -، وهي قبيلة مشهورة، على نحو بريدين قبلي صنعاء،

وهو أول من وصل من السادة إلى بني جرموز، وكان غالب مسكنهم جهة أنس، بناحية ضوران.

والمنتصر ومحمد وأحمد - أيضاً - كانوا ممن اشتغل بالعلم، ولأحمد هذا نظمٌ رائعٌ مذكورٌ في ترجمته في «تاريخ ابن أبي الرجال»، وفي «سمط اللآل»، والقاسم بن يوسف كان من أهل المعرفة الراسخة، قتله بنو الروية، في جهة أنس، ظلماً وعدواناً، وأخذ لهم بالثأر منهم الإمام صلاح الدين، وقتل عدةً ممن تمالأ على قتله.

وبنو الروية هذه، قبيلةٌ كبيرةٌ، في جهة أنس، وقد روى قصة قتله واستشهاده ابن أبي الرجال، والسيد العلامة أحمد بن عبدالله الوزير في «الإفادة في أخبار السادة»، وهو كتابٌ حافلٌ، جعله فيمن تفرع من أهل بيته.

وعلى القاسم بن يوسف الشهيد هذا مشهدٌ عظيمٌ، جدد بناءه مولانا الحسن بن القاسم المنصور، عام أربعين بعد الألف، وهو بمحلٍ يعرف بـ«فَيْحَة»، بالقرب من سكن السادة في أنس، في ناحية بني قشيب، وشيد إلى جنبه السيد المطهر بن محمد مسجداً، في عام ثمانية وأربعين وألف، والمرتضى ابن المفضل كان من أعيان سادات أهل البيت، صاحب كراماتٍ مشهورةٍ، عليه مشهدٌ، وإلى جنبه مسجدٌ بقرية السادة، وهو يُقصد للزيارة من الأماكن البعيدة.

وفي المرتضى يجتمع نسبهم مع آل الإمام شرف الدين، وفي المفضل الأعلى يجتمعون مع السادة آل الوزير، وباقي من ذكر في نسبهم أئمة مكرمون - نفع الله بهم -.

وللسيد رضي الدين جعفر في مدح والده:

حَمَامَ الحمى شوقي إليك شديدٌ وللدمع شرحٌ ما عليه مزيدٌ
فلا تظمعي يا وُزْقُ أنك مثله فليس سواء أنةً ونشيدٌ

ومنها:

ألا ليت شعري والأمالى لعله متى نتلاقى والمزارُ بعيدٌ
سقى الله أرضاً حلّها من هواهم معي أبداً ما دمتُ ليس تبيدُ

ومنها في المدح:

ومن يكن المولى المظهرُ قصده فقد نال ما يختاره ويريدُ
إمامٌ على هام السماكِ محلّه ومقصده عند الإله حميدٌ

وهي طويلة. انتهى.

[٧٩٠] أبو السعود بن سلامة بن أبي النور الدميّاطي الشافعي^(١).

الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المقرئ، الجامع للعلوم الدينية، المنهك على طاعة الله في السر والعلانية، الصارف جميع أوقاته في التدريس، في كل علم نفيس، الذي شهدت له بالفضل أعداؤه، فضلاً عن أحبابه، وأقامه الله نفعاً للناس، وجعله من خواص أوليائه.

وُلد بدمياط، سنة أربعين بعد الألف تقريباً، وبها نشأ، وقدم مصر، وقرأ جميع القرآن العظيم بالروايات، على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٣).

في دروسه الفرعية، وبقية العلوم العلمية، سنين عديدة، حتى برع في جميع العلوم، وحضر دروس شيخنا علي الشبراملسي، والشهاب أحمد القليوبي، والشمس محمد الشوري، ومحمد بن علاء الدين البابلي، وغيرهم، وأجازه كثيرٌ من شيوخه، ورجع إلى بلده، وأكبّ الناس على القراءة عليه، وحصل له بها جاهٌ عظيم، ومنزلةٌ جسيمة - نفع الله به -، وله مؤلفاتٌ في علم القراءات - سلمه الله تعالى -.

[٧٩١] أبو القاسم بن عبد الرحمن التربلي، المعروف^(١) بالحاج. من ذرية العارف بالله محمد بن داود، وكان رجلاً فاضلاً، حسن الخلق، جمع من الكتب ما لا يحصى كثرة، توفي سنة ست عشرة وألف.

[٧٩٢] أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم بن أبي القاسم مطير. كان فقيهاً علامةً، له النوادر والنكت، حسن الخلق، لَيّن الجانب، وكان مقيماً في بني معونة، ومات في عشر الثلاثين وألف.

[٧٩٣] أبو القاسم بن المهدي الحكمي العريشي. من أدباء الدهر، الذين أطلعوا في أفق البلاغة بدوراً، وأجروا في حدائقها من تسلسل النظم نميراً، وأبدوا للعيون من ملاحق القول رياضاً وزهوراً، نشأ بأبي عريش، واختص بالسيد جمال الإسلام محمد بن صلاح الاختصاص المشهور، وكتب عنه لطائف المنظوم والمثور، فمنه: ما كتب به إلى القاضي الإمام الناصر بن عبد الحفيظ - رحمه الله - جواب كتاب كتبه إلى السيد

(١) في الأصل: عُرف.

- رحمه الله - عن السيد عز الدين بن فضائل :

يرى فيه خطُّ لابن مقلَّة باهرٌ	وجوهرٌ لفظ يُطرب العين والأذنا
إذا ما سمعنا أو نظرنا لخطِّه	طربنا ومن فرط السرور به ملنا
فراح عيبرٌ حين فاح وعنبرٌ	كأنكم أمستموه لكم رُدنا
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً	بخير كتاب جاء من خيرة الأما
كريمٌ وسيمٌ محسنٌ متفضل	إذا سُئل المعروف مَنْ وما منَّا
وأقربهم ودًا لنا ومحبةً	والطفُّهم لنا وأحسنهم ظنًّا
تراه لجفن العين في السَّلم كاسراً	وإن سل سيفاً في الوغى كسر الجفنا
حماءه إله العرش من كل فتنةٍ	وبلَّغه ربُّ السماء المطلبَ الأسنى
كتابك قد وافى إلينا مسلماً	وناهيك للتعظيم أنا له قُمنَّا
جعلناه فوق العين منا مكرماً	وقبلتُ أفرادَ السطور له مثني
وكان على عز العلا فيه حجة	مبرهنة عنه بتأييد ما قلنا
بتفضيلنا ربعَ العروش على التي	تسمى أزالاً في الفواكه والسُّكنى
فقال لسانُ الحال إذ ذاك منشداً	أفرزت لما أن عنيت بهذا المغنى
فمن بات من ربع العروس معرساً	يرى ما يروق الطرف أو يصقل الذمنا
فإن به الحور الحسنان قواطن	تراهنَّ كالأغصان تجني ولا تُجنى
وإن به دان الجنى في غصونه	من الكرم والرمان في الروضة الغنَّا
ترى عنباً فيه رسا فيه سفرجلأ	وخوخاً وتفاخاً زِد الموز والبُنَّا

وانجاصه والعنبر وزيتونه^(١)
وفيه من الأزهار وردًا وnergسًا
يُرى فوق مغناه حَمَامٌ صَوادِحُ
فيا حبذا طيبُ الزمان الذي به
يميل مقلته من أربُع وملاعبٍ
فيا ليتنا من بعد شط بنا الهوى
بلاد إذا طاف اللبيبُ بأرضها
فلما رأيتُ النصَّ بالعين ظاهرًا
فإن كنت بالمغنى غنيًا فلإنني
فعندي من الأصحاب خيرُ عصابة
وإنني بفضل الله في خير نعمة
وليس عجيبًا ذاك أن إمامنا
وإن حفتُ الأعتابُ عندي بخيلها
وعندي عفريتٌ من الجن قومه
تقرب لي كلَّ الفواكه قبل أن
وقلتم لنا قد سرَّكم وصلُّ أحمدٍ
سررتم بما جد سبانا من فراقه
وقد سرَّكم من بعده وصلُّ ناصر

عظيمًا وثرًا قد على الذرة الدخنا
وأسأل السمي لديهم ولا يكنى
وفي ربه الطيبُ الأغنُّ بها غنى
وبا حبذا بردُ النعيم به الأهنى
أبيتُ حزينًا نادِمًا أقرعُ السنَّ
وأحداثه يضحى به مسلمًا تينا
وشاهد روحيات بها ظنها عدنا
تخيل الذي قد قست قلت قد أقرنا
وحقُّك على أعتاب مغناك لا أغنى
ممنون كلُّ بالثناء لكم أثنى
وفضلٍ إمامٍ بالمكارم ما ضنَّا
سليمان يغني الطيرَ والأنسَ والجنا
متى ساقَت الريحُ المباركةُ السفنا
بشرق بلاد الشام قد علمت الأخنا
أعوَم وأن يرتدَّ طرفُ مغفا الومنا
فقد سرَّكم ما زادنا للنوى حُزنًا
فذاك صديقي أخي صِنوي الأذنَى
فذاك فتى من كل علم حوى فتًا

(١) في الأصل: وزوتوته.

إِذَا رَوَيْتَ فِي عَقْلِ صَقَلَتْ ذَهْنًا إِمَامٌ لَهُ فِي كُلِّ عِلْمٍ دَقَائِقُ
تَعْجَلُ بِالْأَعْتَابِ مَنْ فَضَّلَهُ أَنَا وَيَا اللَّهَ قُلْ لِلصَّنَوِّ أَحْمَدَ ذِي النِّهْيِ
وَقَاصِي الْوَرَى قَدْ حَنَّ شَوْقًا لَهَا حَنًّا إِلَيْهَا لِمُشْتَاقُونَ وَالصَّحْبُ كُلُّهُمْ
يُرِيدُ لَهُ الْأَعْتَابَ وَالْمَوْزَ وَالْمَزْنَأَ فَخَلَقَ الْمَحَبَّةَ الْعَالَمِ النَّدْبَ عَاطِسُ
بِأَنْكُمْ لَا تَقْطَعُوا فَضْلَكُمْ عَنَّا وَحَاصِلُ قَوْلِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَلَهُ عَجَائِبٌ وَغَرَائِبُ .

[٧٩٤] أَبُو الْإِسْعَادِ الْوَفَائِي .

لَهُ قِصَائِدٌ فِي «مَجْمُوعَةِ الْأَشْخَرِ» .

[٧٩٥] أَبُو الْمَوَاهِبِ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِ الْحَنْبَلِيِّ الْبَعْلِيِّ^(١) .

عَالِمٌ اشْتَهَرَ عِلْمُهُ، وَمَاجِدٌ بَهَرَتْ فَهْوُهُ، مُتَضَلِّعٌ مِنْ عِلُومِ الْمَنْقُولِ،
عَارِفٌ بِمَا يَقُولُ، حَسَنُ الْعِبَارَةِ، رَائِعُ التَّجَارَةِ، بَرَزَ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ،
وَأَطْفَأَ نَارَ جَهْلِ الطَّلِبَةِ بِإِفَادَتِهِ وَأَخْمَدَ، وَسَارَتْ فِتَاوِيهِ، وَحَارَتْ عَقُولُ مَنْ
يَنَاقِيهِ .

وُلِدَ بِدِمَشْقَ، وَبِهَا نَشَأَ، وَأَخَذَ فِي بَدَايَتِهِ عَنْ وَالِدِهِ، وَعَمَّنْ شَارَكَهُ مِنْ
شُيُوخِ دِمَشْقَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَأَقَامَ بِهَا سَنِينَ، وَقَرَأَ بِالرَّوَايَاتِ عَلَى
شَيْخِنَا مَقْرئٍ مِصْرِيِّ مُحَمَّدِ الْبَقْرِيِّ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ مِنْ طَرِيقِ الشَّاطِئِيَّةِ،
وَجَعَلَ لَهُ فِي الْأَزْهَرِ خْتَمًا حَافِلًا، فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، حَضَرَهُ فِيهِ عُلَمَاءُ الْعَصْرِ،
عَلَى عَادَةِ أَهْلِ مِصْرَ فِي شَأْنِ ذَلِكَ .

(١) «عَجَائِبُ الْآثَارِ» لِلْجَبْرِتِيِّ (١/ ١٢٧)، «الْأَعْلَامُ» لِلزُّرْكَانِيِّ (٦/ ١٨٤) .

وقرأ في الفقه على محمد الحنبلي البهوتي، وغيره، وفي الحديث على شيخنا محدث العصر محمد البابلي، وفي الفنون العقلية على شيخنا سلطان، وعلي الشبراملسي، وكثير من شيوخ الأزهر، وأجازوه، ورجع إلى دمشق، فصادف موت والده قرب وصوله، فجلس مكانه، وتصدى للإفادة، وتمسك من التقوى، بالسبب الأقوى، وصار مجلس علمه مقصوداً، وظله على الطالبين ممدوداً.

إلى أخلاق حسنة جداً، وأوصاف تكسب كل نادٍ مرت به نداءً، وهو الآن شيخ دمشق المحروسة، علماً وعملاً، وممن أحيا السنة ونشرها بها، وممن جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة، واكتسب بذلك الدرجة الفاخرة - أبقاه الله تعالى -.

[٧٩٦] أبو القاسم بن علي .

السيد الكبير الولي، صاحب القبة المشهورة بالضحي، الشهير، أبو الأولياء صاحب الضحي، هو من أشرف يقال لهم: بنو هريرة من «صبياء»، كان ولي وقته، مستغنياً بحاله عن تعب، ذا حظوة كاملة، ويقيم الأوقات الإقامات، وكان من أصحابه الولي الشهير علي بن العجوز، وكان يرى نفسه في الغاية من الذلة، فخرج السيد للأذان، فقال: تقدم يا علي بن العجوز، فقال: يا ويلى، يا ويلى! فقال: تقدم، ولجلال السيد لا يقدر أحدٌ يعارضه .

فلما صلى دعوا، وذلك في عارضة العباديين، فشد السيد إلى الخيمة ووصل العُرَّاء وغيره، فبقى فيه أياماً، وكان الحاكي يخدم الشيخ من خاصته، قال: وهما في دار السيد منفرد فيها، فإذا رجلٌ يدق الباب، فقال السيد: افتح،

فتحت له، فدخل، فسارَ السيد كثيراً، وقال: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، ثم ودعه، وأصبح راجعاً تهامة، فوصل عقبةً هناك، فقال: انت مع الله إلى يوم القيامة، ثم نزل إلى الضحى.

قال الحاكي: وافتسحت، فلم أشعر إلا وصوت السيد أسمعته وأنا بين الجبلين يدعوني، فشمرت ساعدي، ووصلت السيد ثاني أو ثالث يوم، فإذا السيد قاعدٌ، فسلمت، فقال لبعض الناس: ماءٌ فيه ورد، فأعطي السيد، فتطيب حتى قطرت السرير، ثم خرج السيد، ومات - أعاد الله علينا من بركاته -، وكان يقول: الحمد لله، لا أموت حتى يكون أولادي أولياء، فخلف القمرين المنيرين - نفع الله بهما -.

[٧٩٧] السيد أبو نمي بن عبد الكريم بن الشريف حسن بن أبي نمي.

كان سيداً يُرجع إليه في المهمات، توفي بالمبعوث، يوم الاثنين، سابع رمضان، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وحمل إلى مكة، ودفن بها.

[٧٩٨] أبو القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف المالكي المسراتي

الأصل، القيرواني المولد والمنشأ.

الشيخ الجليل، العَلَمُ الأصيل، عالم القيروان، وعلامتها ورئيسها، الذي أنست برناته وضراعاته خطابتها وإمامتها، ومسندها الذي اتصل به خبر شرفها المشهور، وأوحدها الذي سلمت قضايا فضله بين الخاصة والجمهور، ومدرّسها الذي أبان في تلخيص الإفادة من زبدة البيان والتحصيل، ومفتيها الذي جاءت فتاويه لمستفتيه بشفاء الغليل، وبركتها الذي بدعواته يتداني قصيُّ المطالب، ووليُّها الذي بناقد همته تنقاد عصيُّ المآرب، الحجةُ الثقةُ أبو

القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف، المسراتي الأصل، القيرواني المولد والمنشأ، ألحقه الله أثواب رحمته، وبوأه من غرف الجنان أوسط جتته.

نشأ - رحمه الله تعالى - بالقيروان بلده على طريقة سلفه، وسيما ذوي شرفه، فحفظ بها القرآن وجوَّده، وصرف عِنان العناية لطلب العلم، فأخذ عن والده، ومشايخ بلده، وعن الحافظ الرحلة أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، وأجاز له جميع مؤلفاته ومروياته، وأجاز له أيضاً شيخنا أبو الإرشاد نور الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، والشيخ أبو محمد عبد القادر الدشطوطي البكري، وغيرهم.

ووصل وحصل، وبرع فيما أمّ وأمل، وشارك في فنونٍ من معقول ومسموع، ونظم في قلائد تحصيله فرائد أفراد منها وجموع، ولم يزل على ذلك، حتى صار ببلده المعول عليه، والمنظور في نوازل المسائل إليه، إلى صلاح مكين، وعفافٍ رصين، ونزاهةٍ صافية الجلباب، وسلوكٍ في عمله على جادة الصواب، يخطب ويعظ، وينبه من سِنَةِ الغفلة ويوقظ، ويفتي ويدرس، وينبي ملخص بيانه على قواعد التحرير ويؤسس، مع لين الجانب، وأداء ما لإخوانه في الله من نفل وواجب، وتواضع في الله - زاده الله رفعةً ومجداً -، وتحلُّ بشيمة الإنصاف، أثبت له في القلوب مكانةً ووداً.

وحج غير مرة، ونال من الله في مناسكه فضله وبره، رافقته من ذلك سنة ستين، من داره [في] القيروان إلى بلد الله الأمين، فكان خبره فوق خبره، وآكدُ أصالته في فضله شاهدُ سفره، ثم حج بعدها سنة خمس وستين، ووصل بالعروة الوثقى من الحرمين الشريفين سبيه، ولما رجع إلى مصر، وافاه الحمام المحتوم، ودعاه داعي الأجل المحتوم، فأجاب داعيه، وانقلب إلى عيشة

راضية، في صفر من السنة المذكورة - رحمه الله تعالى وإيانا - . انتهى من
«مقاليد الأسانيد» لحافظ وقته الشيخ عيسى المغربي الثعالبي الجفري المكي
المالكي - رحمه الله تعالى - .

[٧٩٩] أبو الهدى العلّيمي المقدسي^(١).

الشيخ الصالح، ولي الله، كانت له الكرامات الخارقة، وكان ممن أجمع
أهل بيت المقدس على إجلاله وتعظيمه، وممن زهد في الدنيا، فأعزه الله،
مات ليلة الجمعة، ثامن شعبان، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن يومها،
وكانت له جنازة حافلة، حضرها الخاص والعام، ببيت المقدس - رحمه
الله تعالى - .

[٨٠٠] الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي^(٢).

صاحب مكة، كان سيداً سرّياً، تهابه الأشراف والملوك، شجاعاً شهماً،
حسن الأخلاق، ذا تودةٍ وسكينةٍ، وكان يكنى : أبا عون .
وُلد في ذي القعدة، سنة أربع وسبعين وتسع مئة، وأمه هنا بنت أحمد
ابن حميضة بن محمد بن بركات بن أبي نمي .

وكان الشريف إدريس ولي مكة باتفاق من أكابر الأشراف، بعد أخيه

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٦٦) (٩٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٥٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٩٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٧) (٢٦٧)،
«عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧٥)، «منايح الكرم» للسنجاري (٣ / ٦٠١).

الشريف أبي طالب، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وأشرك معه أخاه السيد فهد، ثم خلفه في واقعة ذكرتها في ترجمته، ثم أشرك معه ابن أخيه السيد محسن بن الحسين بن الحسن، وكان للشريف إدريس من العبيد والمولدين ومن الرقيق الجلب، ما يزيد على الأربع مئة، ومن المقادير من العرب جماعة، وكانوا في أشر وبطر، وتيه وعر، يتخيل الواحد منهم نفسه الملك القاهر، وكان من خدامه الوزير أحمد بن يونس، وإن كان ولاؤه لذوي بركات.

واستمر الشريف محسن مشاركاً لعمه المذكور، على صدق الكلمة، والنصح والمساعدة في الأحوال المهمة، إلى أن كثرت الشكوى من خدام عمه، وعمت البلوى بما يصدر عنهم، من الأمور المشتملة على التلبس، ولم يلق سمعه إلى ما ينهى من ذلك اليد، ولا ينصف ممن يشكى منهم عليه، راجعه في شأنهم مراراً، وردد القول عليه تذكرة وإنذاراً، فكانت الشكوى إلى غير منصفه، والدعوى على غير منصفه، بل متعنت فكر، فرأى وخامة عواقب هذا الحال، ونظر فإذا الأمر آل ما إليه من الضياع آل.

فعند ذلك اجتمع أهل والعقد، ومن إليهم المرجع من قبل ومن بعد، من بني عمه السادة الأشراف، الذابين عن هذه الأكناف، والعلماء والصلحاء، وأعيان سكان البطحاء، فرفعوا الشريف إدريس عن ولاية الحجاز، ومنعوه أن تكون له علاقة في ذلك المجاز، ووسدوا الأمر إلى ذلك الشريف محسن، عدة مدة ولايته مجبورة؛ فإن ولايته إحدى وعشرون سنة ونصف - رحمه الله تعالى -.

فأشيع في مكة، في يوم الأربعاء، ثالث شهر المحرم، افتتاح سنة أربع

وثلاثين بعد الألف : أن السادة الأشراف نيتهم إقامة الشريف محسن مستقلاً بالأمر، فحصل اضطرابٌ عظيمٌ بالبلد، وحركةٌ كبيرةٌ، وقسمت آلات الحرب من الجانبين .

فلما كان صبيحة يوم الخميس، ألبس كل منهما بمن معه من العساكر والجنود، ووقف كل منهما عند داره، فبرز من جماعة السيد محسن شرذمةٌ من جانب عقد السيد بشير، بنية النداء في البلد للشريف محسن استقلاً، فقبل وصولهم العقد، رمتهم الجبالية المجعولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق، فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق : السيد سليمان بن عجلان بن ثقبه، والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن، فرجع الباقون .

وفي ضحى هذا اليوم ركب السيد أحمد بن عبد المطلب، ومعه خيلٌ، والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن، ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه، ومن أطفاف الله - سبحانه وتعالى - أن الجماعة بالمسجد الحرام قائمةٌ ذلك اليوم، والأسواق موجودةٌ فيها الأقوات، ولم يحصل تغييرٌ أبداً في ذلك اليوم .

فلما كانت ليلة الجمعة، خامس محرم، وقع الصلح بينهما، على أن يستقل الشريف محسن بالأمر، ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر، منها ثلاثة يكون الشريف إدريس فيها بالبلد، وثلاثة بالبر، فاتفق الحال، ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده، ثم خرج الشريف إدريس من مكة ليلة المولد .

وكان قد أضعفه المرض، فما طاف للوداع إلا في محفة، وخرج من

مكة كذلك، فتوفي في سابع عشر جمادى الآخرة، من السنة المذكورة عند جبل شير، ودفن بمحل يسمى: ياطب، ومن الاتفاق: أن حساب ياطب بالجُمْل اثنتان وعشرون سنة، ووصل علم وفاته إلى مكة، في مستهل رجب، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام - رحمه الله تعالى -.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وألف، توغل الشريف إدريس، وابن أخيه الشريف محسن، في الشرق، ووصلا بالفريق إلى قرب الأحساء، واجتمعا بذوي عبد المطلب، وكانوا في العام الذي قبله نافروا عمهم الشريف إدريس، فقام الشريف محسن في موافقتهم لعمهم، فتم ذلك، ودخلوا في الطاعة، وطابت نفوسهم، ووصل الشريفان بفريقهما إلى الأحساء، وضربت خيامهما قبالة الباب القبلي، من سور الأحساء، وأكرمهم صاحبها علي باشا الكرامة الثامة، ولم يتفق لأحدٍ من أشراف مكة المتولين من القتادين دخول الأحساء، كما اتفق لهذين الشريفين.

ونقل الثقات: أن الشريف إدريس لما ضُويق، وأجلبت عليه السادة الأشراف ومن معهم؛ بحيث إنه أصيبت جويرةٌ بين يديه بالبندق، فسقطت ميتة بين يديه، فارتاع لذلك وحزن، ووضع منديلاً لطيفاً على وجهه، وبكى أسفاً لفقد الناصرين، فدخلت عليه في تلك الحال أخته الشريفة أرينب بنت حسن، فقالت له: علامَ هذا الحزن والعنى؟ دعها لابن أخيك، فقد وليتها مدةً طويلةً، فحيثُ أرسل إلى الشريف محسن والأشراف، وطلب مهلة شهرين في البلد، وأربعة أشهر خارجها؛ ليتأهب للسفر إلى حيث يشاء، فأعطاه الشريف محسن ذلك، وشرط عليه أن لا يحدث شيئاً مدة المحالقات، فاستمر شهر محرم وصفر، فمرض فيه حتى خيف عليه، وفي ليلة المولد خرج من مكة.

[٨٠١] إدريس دده المجذوب .

كان مقيماً بقلعة بحوى، من مضافات أيلة بدون، كان مجذوباً مستغرقاً، معتقداً بدياره، مقصوداً بالزيارة، يذكر عنه كراماتٌ كثيرةٌ، وخوارق شهيرةٌ، يقال: إنه كان من رجال الخطوة - رحمه الله، ونفعنا به - .

[٨٠٢] إدريس دده، المعروف باسكيجي .

هو ساكنٌ بقلعة طمشوار، من بلاد الروم ايلي بئغر أردل، وهو صاحب أحوالٍ صادقةٍ، منجمٌ عن الناس، مشتغلٌ بنفسه، يروى عنه كراماتٌ؛ كطي الأرض، وغيرها - رحمه الله - .

[٨٠٣] السيد إسماعيل بن إبراهيم الحجاف بن يحيى بن الهدي بن

إبراهيم بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن ابن محمد بن الحسين بن محمد بن حيان بن محمد الملقب حجاف بن جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني بن عبدالله بن محمد ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -^(١) .

الإمام الذي بلغ الغاية القصوى، في جميع العلوم العقلية والنقلية، والمفرد الذي عليه المدار، في الأقطار اليمنية، الجهد الذي كرع من معين الفضل سلسيله، وأوضح بتقريره السني دليله وتعليله .

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ٢٤٥) (١٢٧)، «طبيب السمر» للحمي (٢ / ٣٥٤)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٤٠٤) .

وُلد بـ «جبور»، سنة أربع وعشرين تقريباً، وحفظ القرآن الكريم، و«الحاجبية»، و«الأزهار» في الفقه، وغيرهما من المتون، وأخذ عن أكابر شيوخ زمانه، منهم: والده السيد إبراهيم، وجده السيد حسين بن علي بن إبراهيم الحجاف، والسيد علي بن حسين الحجاف، والسيد عبد الرحمن بن حسن الحجاف، وعنه أخذ جمعٌ من الأعيان، منهم: السيد العلامة شرف الإسلام والمسلمين، الحسن ابن أمير المؤمنين بن المتوكل إسماعيل، وغالب إخوته، وسادة أهل بلده.

وكانت وفاته ليلة الجمعة، رابع عشر شعبان، سنة سبع وتسعين بعد الألف، وبها دفن - رحمه الله تعالى -.

وشعره العذب الزلال، والسحر الحلال، منه: قوله يمدح الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم - قدس الله سره - ويحثه على إحياء مدارس العلم، التي كادت أن تندرس:

أصبح الدهر طيبَ الأوقات	كاملَ الحسن وافِرَ الحسناتِ
مشرقَ الوجه باسمِ الثغر يزدا	د بمرَّ الشهور والسنواتِ
كمروسٍ مزفوفة زانها الحلـ	يُّ جمالاً إلى جمال الذاتِ
غادة تسلب العقولَ وتغتـا	ل قلوبَ الأنام باللحظاتِ
بنْتُ سبع وأربعٍ وثلاثِ	برعت في السكونِ والحركاتِ
تنشئ فينشئ من رآها	خافقَ القلب ساكن العبراتِ
جمعت كلَّ مفرد من جمال	وتشت غصناً من المائساتِ
مذ تولى أمرَ الخلافة فيه	أوحديُّ الأفعال جمُّ الصفاتِ

عَيْلُ حَلْفُ الْهَدْيِ حَلِيفُ الْهَدَاةِ	ثَابِتُ الْجَاشِ ثاقِبُ الرَّأْيِ إِسْمَا
وَحَوَى ذَكَرَهُ حَدِيثُ الثَّقَاتِ	الَّذِي بَشَّرَتْ بِهِ الرِّسْلُ حَقًّا
ذَوِ الْكَرَامَاتِ فِي الْوَرَى وَالْبَيِّنَاتِ	فَهُوَ مَهْدِي هَاشِمٍ وَهَدَاها
قَاسِمِي فِي نَسَبَةِ الْأَمْهَاتِ	هَدَوِيَّ فِي نَسَبَةِ مَنْ أَبِيه
بَيْنَ خَيْرٍ وَخَيْرَةِ الصَّالِحَاتِ	تَتَلَقَّى أَطْرَافَهُ فِي الْمَعَالِي
فِي بَرُوجِ الْفَخَارِ وَالْمَكْرَمَاتِ	فَهُوَ فَرْعٌ لِدَوْحَةِ الْمَجْدِ شَمْسٌ
طَالَمَا أَعْجَزَتْ ذَوِي الطَّلَبَاتِ	زَادَهُ اللَّهُ بِسْطَةً فِي عِلْمِهِ
مُسْتَنِيرٍ وَاضِحِ الْمَشْكَلاتِ	وَحَلَاهَا مِنْ لَفْظِهِ بَيَانٌ
عَنْ سِوَاهِ وَأَذْنَعَتْ بِالْثَقَاتِ	رَغِبَتْ فِيهِ بَعْدَ طَوْلِ نَفَارٍ
تَابِعَاتٍ لِفَهْمِهِ طَائِعَاتٍ	وَاسْتَقَادَتْ صَعَابَهَا فِي يَدَيْهِ
يَهْ أَنَا رَأَوْكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ	يَا إِمَامَ الزَّمَانِ قَدْ أَسْعَدَ اللَّهُ
جَمَلَةً أَخْبَرَتْ عَنْ الْبَاقِيَاتِ	شَاهَدُوا فِيكَ مِنْ جَمِيلِ صِفَاتِ
مَعَ خُضُوعٍ وَجُودِهِ مَعَ ثَبَاتِ	عِلْمِهِ مَعَ بَيَانِهِ وَعِلَالِهِ
عَوْدُ عِيدِ الصِّيَامِ بِالْخَيْرَاتِ	وَأَهْنِيكَ يَا بَنَ حَبْرٍ قَرِيشِ
هَ بِمُسْنُونِهِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ	جَاءَ مُسْتَوْهَبًا نَوَالِكَ فَاعْمُرْ
فِيهَا هِيَ أَمْثَالُهُ الْمَاضِيَاتِ	طَامِعًا أَنْ يَفُوزَ مِنْكَ بِفَضْلِ
بِمَا حَزَتْ فِيهِ مِنَ الْقُرْبَاتِ	وَكَذَا شَهْرُكَ الْكَرَمِ مَهْنِيكَ
وَصَلَاةٍ مَقْبُولَةٍ وَصِلَاتِ	مِنْ صَلَاةٍ وَدَرْسٍ عِلْمٍ وَوَحْيِ
وَعَمَرَتْ الْوَرَى بِأَسْنَى الْهَبَاتِ	طَبَّقَ الْأَرْضَ جُودُكَ كَفَيْكَ فِيهِ

يتبارى كفاك والريح جوداً
 صفة من صفات جدك قد جا
 قد هدى الله أمةً قمتَ فيها
 حُطَّتْها عن علائها بمواضٍ
 كل من رام أن يضم علاها
 حجة الله لا برختَ بخيرٍ
 بقيت في الصدور حاجة نفسٍ
 هُجر العلمُ يا إمام البرايا
 كان من زارها أقام بخير
 أصبحت عبرة لكل نسيب
 فتميل القلوبُ تشكو إليها
 ليس خَلَقَ سواك يحنو عليها
 وارتعش أهلها وشيذ بناها
 أنت في الأرض رحمةٌ
 أنت للناس عصمةٌ في معاشٍ
 ختم الله بالرضا عنك سعيًا
 وعلى الطهر خاتم الرسل والآ

فأنافا سبقاً على الذارياتِ
 بمضمونها حديثُ الرواةِ
 قائداً وفَدها إلى الجناتِ
 وجيادٍ سوابقٍ مقرباتِ
 عاد مستولياً على الحسراتِ
 فاصِخُ سامعاً إلى كلماتِ
 ذكرُها لازمٌ من اللازماتِ
 درستُ آيها مع الدارساتِ
 في رياض أنيقةٍ مغدقاتِ
 عرصات من أهلها مقفراتِ
 هجرها دائماً بكلِّ الجهاتِ
 يا أما فوات قبل الفواتِ
 وأعدّها في أحسنِّ الحالاتِ
 أهبطها الله سامعُ الدعواتِ
 ومَعادٍ تمحوبه السيئاتِ
 إنما الفوزُ في رضا الخاتماتِ
 لِ سَلامٍ وأفضلُ الصلواتِ

[٨٠٤] إسماعيل ابن العلامة محمد بن عمر بن صديق بن أبي القاسم

الشافعي الحشيري اليمني .

شيخنا الإمام العلامة، الحجة الفهامة، من أعيان أئمة الدين، وأجلاء عباد الله الصالحين، وبقية العلماء العاملين.

مولده بيت الفقيه الأيمن من وادي سردد، في سابع عشري شهر رجب سنة ثلاث وأربعين بعد الألف، وحفظ القرآن وجَوَّده، واشتغل بعلوم الفقه والحديث والعربية، وغيرها، وأخذ عن الشيخ العلامة علي بن أحمد المدني اليميني الحشيري، وعن القاضي الفاضل محمد بن أحمد صاحب الحال، وغيرهما، وبرع في علوم عديدة، خصوصاً الفرائض والحساب، والجبر والمقابلة؛ فإنه بلغ فيها الغاية التي لا تدرك، ومهر في علم الحديث، ولازم قراءته في العشي والإبكار، مع ملازمة التلاوة والأذكار، والتقيد بطاعة الله في الليل والنهار، واجتمعتُ به بمدينة «اللمحية» عام رحلتي لليمن الميمون سنة أربع وتسعين بعد الألف، وتوفي - رحمه الله - أيام التشريق آخر سنة اثنتين وعشرين ومئة وألف.

[٨٠٥] إسماعيل السيواسي.

أحد علماء الحنفية الكبار بالروم، له «شرح على ملتقى الأبحر» في أربع مجلدات، توفي سنة إحدى وأربعين وألف.

[٨٠٦] إسماعيل بن يحيى الشيخ العلامة المفتي عماد الدين بن محيي الدين القُبَيْبَاتِي الشافعي ثم الحنفي، الشهير بملا عماد^(١).

كان له ذكاءٌ مفرطٌ؛ بحيث إنه كان يشتغل بفنون من العلم مدةً، فيتقنها،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/٤١٦).

وينتقل إلى غيرها كذلك، وأراد أن يسلك طريق الصوفية، فاختلى عنه الشيخ أحمد الحرستاني الكاتب، فنظر في الواقعة ستة عشر يوماً: أنه في فلاةٍ فيها كومٌ من أحجارٍ وخرقٍ وزبالاتٍ، ووجد عليها كسرة خبزٍ، فأكلها، فذكر للشيخ أحمد، فقال له: اخرج من الخلوة؛ فإن لك خولاً في الدنيا.

ثم تعلق بعلم العقائد، وسافر إلى الروم، وتولى بعض المناصب، وحصل له دنيا عريضة، وفضيلة تامة، ثم تفرغ عن جميع ما عنده من ذلك كله، ووهب ما عنده من متاعٍ وغيره، ثم لحق بالشيخ العارف بالله محمود الإسكندراني، وصار من فقرائه، وتوفي بإسكدار، في حدود سنة عشر بعد الألف - رحمه الله -.

[٨٠٧] إسماعيل بن المطهر الجرموزي^(١).

فخر العليا، وزينة الحياة الدنيا.

من شعره:

أراك على خديك أثر الخمار	فألقِ يا بدرُ عليه الخمار
وعُد عميدَ القلب مقروحَه	فما على من عادَ أو زارَ عاز
كم معجز في الحسن يا جبرتي	بخذك الورد وماء وناز
ومثل ذا في فيك واعشقتي	خمرٌ وياقوتٌ ودرٌّ كَباز
يا قاتلَ الرحمنُ الحاظنا	كم ملأتُ أحشاءنا بالشراز
تُقامر الغيد ولا ترتضي	إلا السويداءَ درهمًا للقماز

(١) «طبيب السم» للحمي (٢/ ٢٥١).

[٨٠٨] إسماعيل ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي الإمام المتوكل

على الله^(١).

وذكرت بقية نسبه في ترجمة أبيه .

الذي له المكارم الظاهرة، والمفاخر السائرة، مع الإحاطة بجميع العلوم،
ما هو أشهر من الشمس في الأرض، في طولها والعرض، وكان - رحمه
الله - بعيداً من الخنا والفواحش، يملك نفسه عن المحارم، ويعد مغام
الفاحشة من المغارم .

سار السيرة الحسنة العادلة؛ بحيث لم يكن له همّة بعد الاشتغال بالعلم،
إلا في الفكر في أمر الرعايا، فأمنت السبل في أيامه، ورخصت الأسعار،
ولم يتمكن أحدٌ من ظلم في ولايته، ولو كان كافراً، ولم يجسر أحدٌ من عماله
على ظلم أحدٍ من الرعايا، وأمن الناس على أنفسهم وحريمهم وأولادهم،
وترددت التجار من سائر الأقطار .

وكان حسن الشكل، مليح الوجه، يعظّم الشرع الشريف، ولا يخرج
عن حكمه، ويوقّر من يراه من الفضلاء، وإذا اجتمع بأحدٍ من أهل العلم،
يُقبل بوجهه عليه، ويودّه ويؤانسه، ومن سعادته : أنه كان إذا غضب على
أحدٍ في الغالب، لا يزال كذلك المغضوب عليه في خمولٍ وخمودٍ، وتعسٍ
ونكيدٍ، إلى أن يموت، وبالجملّة : فإن جميع أيامه كانت غرراً، وكل أوقاته
أصيلاً وسحراً .

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٥٣) (١٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١١)،

«البدر الطالع» (١/ ٢٤٦) .

وُلد ليلة النصف من شعبان، سنة تسع عشرة بعد الألف، وأرخ ولادته السيد العلامة إسماعيل بن حجاف بقوله :

خليفةُ الله إسماعيلُ مولانا أوفى البرية عند الله ميزانا
في ليلة النصف من شعبان مولدهُ (فهناك تاريخه في شهر شعبان)

وأخذ عن كثير من المشايخ، من علماء الشافعية والزيدية، وجد في الاشتغال بالعلوم الشرعية والآلية، حتى برع في جميع العلوم السنية، وتولى الإمامة بعد وفاة أخيه محمد المؤيد، وخلع أخيه الإمام أحمد، سنة خمس وخمسين بعد الألف، وأرخ بعضهم ابتداء دعوته بقوله : (توكلت على الله وحده أبداً)، ودانت له الأقاليم اليمنية.

وَألف كتباً عديدةً منها : «العقيدة الصحيحة والدين النصيحة» و«رسالة في التحسين والتنقيح العقليين» وغير ذلك، ومُدح، ووُفد إليه، وأثنى كل الناس عليه، ولم يزل قائماً بأعباء الإمامة، إلى أن توفاه الله إلى رحمته والكرامة، في ليلة الجمعة، رابع جمادى الآخرة، سنة سبع وثمانين وألف بـ «دوران» - رحمه الله، وأسكنه فسيح الجنان -، وتولى بعده ابنُ أخيه الإمام أحمد بن الحسن - رحمه الله تعالى -.

وحج الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، سنة إحدى وأربعين وألف، وكان دخوله من السراة، وخروجه من تهامة، وكان إماماً جليلاً، وملكاً ظلّه ظليلاً^(١)، وعالماً تخفق بالنصر أعلامه، وحاكماً تجري بمصالح الرعية أقلامه،

(١) كذا في الأصل.

بيته مشيّد، وملكه مؤيّد، وصدره للطالّبين مشروح، وبابه لأرباب الفضائل مفتوح، برع في كثير من العلوم، وسلب بأساليب مصنفاته أهل الحلوم، وياشر الأعمال الجليلة، في دولة أبيه وأخيه، ثم ولي إمارة اليمن مدةً طويلةً، وأسدّى إلى أهله ما استوجب به شكر مناقبه الجليلة.

[٨٠٩] إسماعيل دده .

هو في قصبة بازارحق من بلاد روم إيلي، اشتغل بالعلوم المتداولة أولاً، ثم اتصل إلى خدمة الشيخ محمد، المعروف بقورة، وحصل الطريقة عنده، والآن هو شيخُ بزاوية الشيخ المذكور، بقصبة بازارحق .

[٨١٠] إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي^(١).

عين أعيان العلماء، وعنوان ديوان الفضلاء، وقدوة المحققين الأعلام، وأفضل من انفرد في عصره بكمال علم الفقه والكلام، ونور مشكاة العلوم ونبراسها، ومشيد قواعد الفضل وممهد أساسها، وقطب فلك المجد والكمال، وشمس سماء المهابة والجلال .

وُلد بدمشق، ونشأ بها، وأخذ عن بها من أفاضل عصره .

وله أشعارٌ كثيرةٌ، فمن سحر كلامه، وبديع نظامه قوله :

عجبتُ لقلبي كيف يقوى لهيبه	وطوفانُ دمعِي من صدودك طافحُ
وأعجبُ من ذا أن لحظك قاتلي	وأحسبُه من فرط عشقي يمازحُ
وأعجب من هذي العجائب كلّها	تخاصمني يا منيتي وأصالحُ

(١) «نفحة الريحانة» للمحيي (٢/ ١٣٣) (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٤٠٨).

وقوله :

أذكرتِ بأن الحمى يا نسمة السحر

[٨١١] السيد إسماعيل بن أحمد بن محمد بن شمس الدين ابن الإمام

يحيى شرف الدين .

كان سيداً جليلاً، فاضلاً نبلاً، له أشعارٌ حسانٌ سطرت في ديوانه، وولي
حصن «كوكبان» مدةً طويلةً، وكانت له آراءٌ سديدةٌ، وعلوم مفيدة، توفي سنة
عشر بعد الألف، وأقاموا بعده عم أبيه الأمير علي بن شمس الدين ابن الإمام
شرف الدين، وكان مهملاً في شبابه، فطلبوه، وولي أمرهم، وكان الأمير
عبد الرب القائم بالأمر - رحمهم الله تعالى - .

[٨١٢] إسماعيل بن محمد بن صلاح بن علي بن إبراهيم بن المهدي

الحجاف .

مالك نواصي الأدب، البالغ أقصى الرتب، السابق لغايات العلوم،
والمجلي في منظوقها والمفهوم، كان سيداً جليلاً عارفاً، له اليد الطولى في
العربية والبيان، توفي سنة خمس وتسعين وألف بضموران .

ومن شعره قوله :

إذا سلَّ دهري سيفَ كيدٍ ومحنةٍ وسدَّدَ سهمًا بالرماية يرميني
فلي ثقة بالله جلَّ جلاله ولي حسنُ ظنٍّ بالمهيمن يكفيني

وقوله :

إن رمتما تحقيقَ ما حكم الهوى وطلبتما مني عليه شاهداً

فسلا دموعي عند جري عقيقها وقفا على سقف العقيق وشاهدا
وقوله :

سلّ الحبيب عليّ مغمّد لحظه فدهشت من لمعانه وبريقه
وغدوتُ مشتغلاً بنار صباية فعساه يُطفئها ببردة ريقه
وقوله :

جاد الحبيب عليّ بزورة وشفى لهيب صبابتي ورقاها
فلقد سما عندي منابر رفعة وعلوّ مرتبة لديّ رقاها
توفي . . . (١).

والده السيد محمد بن صلاح الحجاف، كان فاضلاً نبيلاً كاملاً، وكان
وزير الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم قائماً بخدمته، مفوض الأمر منه في
غالب شؤونه، توفي سنة ثمان وستين وألف بضوران.

[٨١٣] أسعد بن سعد الدين أفندي (٢).

رأس الدولة العثمانية، في الأيام الأحمدية، العالم النحرير، صاحب
الإتقان والتحريّر، شاع فضله وذاع، وملا الأفواه والأسماع، قدم مكة حاجاً،
سنة أربع وعشرين وألف، توفي بالقسطنطينية، في ثاني عشر شعبان، سنة أربع

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر تاريخ الوفاة».

(٢) «معادن الذهب» للعرضي (٤٧) (٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٩٦)، «نفحة
الريحانة» للمحبي (٧٦ / ٣) (١٤٨).

وثلاثين وألف، وهو مفتي التخت.

ورثاه الشيخ عبد الرحمن العمادي بقوله:

نُح على الكون أحمدَه أعدم المجد فيه موجدَه
قال في عامه مؤرخه (مات مولى الروم أسعدَه)

[٨١٤] إسحاق ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ابن الإمام

القاسم بن محمد بن علي.

ممن اشتهر فضله، وشاع نبله، وشهد بفضله القاصي والداني، وأنه
ليس له في ضروب الكمال مداني، إلى علم غزير، وأدب شهير، وتفنن في
العلوم الغربية، وتصرف في الأعمال المهمة العجيبة، ومعرفة بالعلوم الحرفية
والجفرية، اجتمعت به سنة ثمان ومئة وألف، بقصر صنعاء، وقد ابتلي من
أخيه الإمام المهدي لدين رب العالمين، محمد بن أحمد بن الحسن - حفظه الله
آمين -، مع جماعة من بني عمه.

وذاكرني في أشياء من هذه العلوم، فأجبتة عن بعضها، وكانت عندي
منقولة، فظن أنني من أهل هذه الصناعة، ولست بذلك، فصار يكتابني من
القصر بأشياء، فما رأيته منقولا، أجبتة عنه، وما لم أره، اعتذرت منه، وأخبرته
بحقيقة حالي، وأني ليس لي بهذه العلوم بيان، فلم يقبل ذلك، إلى أن توجهت
من صنعاء، ورجعت إلى مكة، فأطلق من الوثاق، مع جماعة من بني القاسم،
وأقمت بمكة، إلى أن بلغني خبر وفاته، بقعدة سنة... (١).

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

[٨١٥] أسعد الدين بن أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي

الحنفي^(١).

كان من أفاضل مكة المجلّلين، وأبناء العلماء المعظمين.

وُلد بمكة قبل غروب يوم الثلاثاء، سادس ذي الحجة، سنة ثمان عشرة وألف، وبها نشأ، وقرأ على مكي فروخ، وعيسى بن أبي سلمة، والسيد صادق بادشاه، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي، والإمام عبد القادر الطبري، وولده زين العابدين، وغيرهم، وتوفي بالطائف، قبيل فجر ليلة السبت، ثالث وعشري شهر رمضان، سنة تسع وستين وألف، ودفن صبيحة اليوم المذكور، بقرب تربة ابن عباس عليه السلام.

[٨١٦] السيد أسعد البلخي، ثم المدني الحنفي^(٢).

أحد الأجلاء العارفين، والسادة الكرام الميامين، وممن طال باعه في علوم الطريق، وفتح عليه بالتحقيق.

أخذ عن العارف بالله السيد صبغة الله، ووقفت له على كتابات على نصوص المحقق صدر الدين القونوي، تدل على وضوح منهجه القويم، ومثانة عرفانه العظيم.

وكانت وفاته يوم السبت، خامس عشري ربيع الآخر، سنة أربعين بعد الألف بالمدينة، ودفن بالبقيع الغرقد.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٤٠٢).

ومن شعره: ما كتبه إلى السيد سالم شيخان، من طيبة إلى مكة، وهو قوله:

ومن كان في أم القرى مستقره	لما امتطى الوخاد شرقاً ليشرب
لقد حنّ وجدًا للتدلي دُئوه	ليبلونا خيراً لأمرٍ محجّب
أم اشتاق من عزّ الغنى ذلّ فقرنا	أشدّ حنين ياله من تحجّب
كذاك حوى دورَ التسلسل دائماً	لينظّم شملَ الشفل أوج المحدث

فأجابه بقوله:

ومن كان عن أم الكتاب سفوره	بسبعِ مثاني وصفه للتحجّب
فتكوينه تدوين إعجاز محكم	بإمكانه نشرُ الوجوه المغيّب
فأمّ قراه مستقر وجوبه .	ومستودع الإمكان منهل يثرب
إليه امتطى الوخاد من شرق روحه	ليسفر شمس الذات في لوح مغرب
ويطلع بدر الوصف من غرب كونه	بتفصيل تصريف لكنه معرّب
بمن عزّه قد حنّ شوقاً لذلنا	ليبلو فقراً بالغنى خيره الأبى
ويتلو كتاب الجمع من نقش نفسه	على فرض عين في وجود محجب
ليتلوه منه شاهدٌ لاح شاهدا	به الوجه يبدو سافراً يتحجب
لرحمائه عرش على حكمه استوى	بخلق وأمر هجرتي في التغرب
إلى من إليه كلُّ أمر مردّه	مسلسل في أدوار عنقاء مغرب
عليه به صلى شهيد وجوده	بآل وصحب ما تلي المدح للنبي

[٨١٧] السيد أصيل الدين بن حسين بن عبدالله بن زين العابدين بن

أوليا بن مجتبى بن حمزة البدر أبو محمد بن أصيل الدين، الكرمانى الأصل، الحسينى، المكي المولد والدار، ويعرف جده بابن أصيل الدين، ذكر جده عبدالله أو حسين، السخاوي في «الضوء».

[٨١٨] أكمل الدين بن يوسف الكريمي الحنفي الدمشقي.

فاضلٌ لم تنتج مقدمات الأيام بأبدع من لطيف شكله، ولم يجاره أحد من الأنام في مطارح جده وهزله، كان ينظم الشعر بالألسنة الثلاثة: العربية، والفارسية، والتركية، وله في العلوم أوفى مزية، لا سيما علم الموسيقى؛ فإنه كان له فيه المنزلة العلية.

وكان يقول: لو أدركني الفارابي، لم يسعه إلا أتباعي، أو رأني معبدٌ وغريض، لكانا من جملة أتباعي، وكان حسن الصوت، بديع المداعبة، وأكثر ملازمته للمرحوم الأمير منجك، وله فيه مدائح طويلة، وبينهما محاوراتٌ جليلة.

ولم يزل على هذه الحال، حتى أفسدت السوداء عقله، وانقطع عن الناس جملة، وحبه أهله، وقيدوه بالقيود، وصار بين الناس كأنه غير موجود، وقد رأيتُه وأنا صغير، وهو في هذه الحال، وقد ذهب منه الأطيان: الشباب، والمال، إلى أن توفي بدمشق، في حدود سنة خمس وسبعين بعد الألف - رحمه الله -.

ومن شعره يمدح الأمير منجك المذكور:

أنت تختال عجبًا وافتخارًا (١)

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر بقية البيت».

[٨١٩] أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي بن نجيب الدين، مفتي

مكة^(١).

وُلد ليلة الخميس، سابع عشر جمادى الأولى، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة. توفي شهيداً بالأعاضيد، وهو اسم محلّ به نخلٌ ومزارع، بين الطائف والمبعوث، [والمبعوث] إليه أقرب عنه، بعد ليلة الثلاثاء، ثاني عشر شوال، سنة تسع عشرة وألف، ودفن بالسيل - رحمه الله -، وكان الشريف إدريس إذ ذاك بالمبعوث.

[٨٢٠] الأمين بن الصديق بن عثمان، أخي الشيخ العارف بالله الولي

ابن الصديق بن إبراهيم بن أحمد الشهيد بن زيد بن علي بن حسن بن عطية الشُّغذري بلدًا، وهي بطن من همدان، بمغارب صنعاء، ابن علي بن عطية ابن علي بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عاصم بن إبراهيم بن إسحاق الخولاني بن موسى بن محمد بن موسى بن مقبول بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أحمد بن قعر بن شاور بن قُدَم بن زيد بن غريب بن جشم بن حاشد ابن همدان بن مالك بن زيد بن أوسله بن ربيعة بن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن زيد بن مهيابل بن قنبان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر - عليه الصلاة والسلام -، وأمه بتول بنت زيد ابن الولي بن الصديق.

كان من أكابر مشايخ الصوفية، ومن سالكي الطريقة المرضية، ومن

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٤٢٢).

أجل فقهاء المرواح^(١)، وُلد بها عام خمسة وستين وتسع مئة، وقرأ بها القرآن، وعمره نحو عشر سنين، وكان نائماً ذات ليلة، فسمع صياحاً، فانتبه من نومه، فسأل أخويه عبد الرحمن وأحمد عن الصياح، فقالا له: مات الولي بن صلاح، وكان من ذرية الولي بن الصديق، فصاح: الله، الله! وحصل له جذبٌ من ساعته، ولم يتمالك نفسه، فرمى نفسه من أعلى السطح، وخرج هائماً على وجهه، حتى وصل إلى «اللحية» في أسرع مدة، فتبعه أخواه ليردّاه إلى أهله، فامتنع، فلما لم يجداً بداً من ذلك، ذهب معه أخوه عبد الرحمن، ورجع أحمد إلى بلده.

فذهب إلى مكة، فلما وصلاً إليها، قال لأخيه: ارجع لأهلك؛ فإني الآن صحوت مما كان لي من الجذب، ولا أرجع حتى يأذن الله لي، فأقام بمكة خمساً وعشرين سنةً، وهو منهمكٌ على خدمة العلم وأهله، والجد والتعب في تحصيله، إلى أن رأى بعضُ شيوخه النبي ﷺ في المنام، وهو يسقي اثنين من تلامذته، وكان الأمين واقفاً، فناداه ﷺ، وقال له: اشرب بنفسك، فأصبح الشيخ، وأخبره بما رأى في منامه، وقال له: ارجع إلى بلدك؛ فقد حصلت لك العناية النبوية، فامثل أمر شيخه، ورجع إلى اليمن وهو ممتلئ علماً وحكمةً.

ومرّ في طريقه على الشيخ العارف بالله عمر بن جبريل، بمدينة «اللحية»، فأقام عنده، وطلب الأخذ عنه، فقال: بشرط أن تسأل على كل بابٍ من بيوت المِرواح، وتذكر، فقال له: يا سيدي! سلني غير هذا، قال: لا، ففعل ما أمره

(١) في الأصل: المرواح.

به، وكان يُغشى عليه عند كل باب، ثم بلغ مبلغاً عظيماً.

ولما فارقه، أمره أن يجعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وهي قريةٌ تحت المِزَواح بأعلى الصلبة، فوصل إلى المِزَواح، وأقام به، وفعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وكان ينزل إليه كل يوم جمعة، فيزوره فيه أهل الصلبة ومن والاها من القرى، ثم يعود إلى المِزَواح، ولما قرب موته، أوصى أن يدفن بمقامه الذي بناه.

فلما مات، امتنع إخوته وأهل المِزَواح من دفنه إلا عند جده الولي بن الصديق بالمِزَواح، بمسجدهم المعروف بها، وحصل بينهم وبين بني قُطَيْم - مصغراً - أهل الشَّبَجَنَة، منازعةٌ في ذلك، أدت إلى أن رفعوا الحال إلى الأمير عبد الرحيم بن مطهر ابن الإمام شرف الدين، صاحب المَين - بوزن أحمد -، وكان يحب المترجم، ويعظمه كثيراً، فقال: لا تقبر العادية إلا بين أهلها، وأمرهم بدفنه بتربة جده.

فلما أرادوا رفعه من التابوت إلى القبر الذي أعده له في المِزَواح، لم يقدروا على رفعه عن الأرض، وعالجوا أشد العلاج، فلم يقدم ذلك شيئاً، فعلموا حينئذٍ أنها كرامة، ودخل خاله عبد الوهاب بن زيد، وأمر بني قُطَيْم بحمله؛ ليدفنوه بمقامه الذي أوصى بدفنه فيه، فبمجرد أن أمسكوا التابوت، أطاعهم، وحملوه بأيسر ما يكون، ودفنوه في مقامهم الذي أمرهم بدفنه فيه^(١)، وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأول سنة عشر والألف،

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الحكايات، فهذا كله من تلبس الشيطان الرجيم، وإدعاء الجهلة ومدعي الطريق أنها من الكرامات وعلامات القبول، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد زرته - بحمد الله - مرات، لما كنت بالصلبة، سنة ثمان بعد المئة والألف.
ومن مؤلفاته: «الكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان ومقام الإحسان»،
وهو كتابٌ لطيفٌ، ذكر فيه شيوخه وأسانيده في الخرقه، وقد طالعه عدة
مرات، وله رسالةٌ جواب سؤال أَلغازٍ من بعض الفضلاء، في مضاعفة الصلاة
بمكة، غريبة الوضع، كتبت منها نسخةً بخطي لحسنها وكثرة فوائدها.

[٨٢١] إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي^(١).

مفتي مكة، صاحب الشيخ الفاضل، العالم الكامل، وُلد بمكة، وبها
نشأ، وقرأ القرآن، وحفظه وجوده على الفقيه المقري أحمد إسكندر، وحفظ
«الكنز»، و«الهاملية»، وعرضها على ابن عمه حنيف الدين بن عبد الرحمن
المرشدي، ولازم دروسه، حتى حصل طرفاً صالحاً في مذهب الإمام أبي
حنيفة.

وأخذ النحو عن عبدالله باقشير، وأخذ عن الشيخ عيسى المغربي،
ومحمد بن سليمان، وقرأ طرفاً على شيخنا محمد الشلي باعلوي «البخاري»،
و«الشماثل»، و«شرح الأربعين»، وجملة كتب في علم العربية، وقرأ الفرائض
والحساب على أحمد بن علي باقشير، وجد واجتهد في طلب العلوم، لا سيما
الفقه، حتى فاق أقرانه، ولبس الخرقه من السيد العارف بالله عبد الرحمن
الإدرسي.

وولي منصب الإفتاء بمكة وغيرها، ولم يزل على طريقة حسنة، حتى

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٥٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٤).

توفي يوم الاثنين، منتصف جمادى الآخرة، سنة خمس وثمانين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، في سوح السيلة خديجة، على يسار الخارج من القبة، ثم بعد سنين، رفع عليه السيد إبراهيم بن محمد، أخو الشريف بركات، وبُني عليه بناءً مرتفع يشبه التابوت.

[٨٢٢] الشيخ العارف بالله إله بخش، وهو لفظٌ فارسيٌّ معناه: عطية الله، الهندي النقشبندي^(١).

كان صاحب معرفة، وكمالٍ وتكميل، وكانت طريقته طريقة الغشقيه، وكان عالي المشرب، نهاية في المعارف، نقلت عنه التصرفات العجيبة، والكرامات العجيبة، وهو من أجلّ مشايخ العارف بالله تاج الدين الهندي النقشبندي، وله معه خوارق سنية.

منها: أن الشيخ أرسله إلى بلد أمروهة لخدمة، فكان يمشي في الطريق، إذ رأى في أثناء الطريق امرأةً جميلةً، فتعلق قلبه بها، وصار مشغولاً بها، حتى خرج زمام اختياره من يده، ونسي تلك الخدمة، وتبعها، فبينما هو كذلك، إذ رأى الشيخ على يمين تلك المرأة، ينظر إليه، وواضعاً أصبعه السبابة في فمه، على طريق التنبيه والتعجب، فلما رآه، حصل له منه غاية الحياء، وانقلع أصل محبتها من قلبه، ومضى لسبيله، ولما رجع من الخدمة، وصل إلى الشيخ، فلما رآه الشيخ، ضحك منه، وعرف منه أنه كان مشغولاً بذلك.

ومنها: أن واحداً من أصحاب الشيخ إله بخش، كان يقرأ عليه شيئاً في

(١) «خلاصة الآثار» للمحبي (١/ ٤٢٣).

علم التصوف ذات يوم، فجاء الجراد في البلد، ووقف على أشجار الناس وزروعهم، فجاء راعي بستان الشيخ، وأخبره بالجراد، فأرسل الشيخ واحداً من أصحابه إلى البستان، وقال له: قل للجراد منادياً بصوتٍ رفيع: إنكم أضيافنا، ورعاية الأضياف لازمة، إلا أن بستاننا أشجارٌ صغارٌ، لا تحتل ضيافتكم، فالمرءة أن تتركوه، فبمجرد ما سمع الجراد هذا الكلام من الرجل طار، وخرج من بستان الشيخ، ووقع خارجه، وصار زرع كل الناس وبساتينها كعصفٍ مأكول، إلا بستان الشيخ.

ومنها: أن رجلاً جاء إلى الشيخ إله بخش، وشكا إليه الفقر والضيقة في المعيشة، وجلس أياماً في خدمته، فقال له الشيخ: إذا حصل لك شيءٌ من الدنيا وما تُخرج منه لنا؟ فقال: العشر، فقال له: لا تستطيع، فكرر عليه الكلام، حتى استقر الحال على أن يخرج له من كل مئةٍ واحداً، فأمره أن يروح إلى واحدٍ من أهل الدين، فحصل له ببركة الشيخ دنيا كبيرة، في أيامٍ قليلة، فكان الشيخ يرسل إليه الفقراء، ويكتب له بأن يعطيهم، ولا يؤدي إليهم شيئاً، ثم اجتمع عنده دراهم كثيرة من حصة الشيخ، فكتب إلى الشيخ: أنكم أرسلوا واحداً من خدامكم حتى نرسل هذه الدراهم إليكم، فلما وصل مكتوبه، حصل للشيخ غيرةٌ وغضبٌ، وقال: سبحان الله! ما قلع أحدٌ من وقت آدم إلى يومنا هذا شجرةً غرسها بنفسه، إلا أنا أقلعه اليوم، فجاء بعد أيام خبر موته، وله كراماتٌ كثيرة، وإنما أردت التنبيه على عظيم شأنه، لا التعداد والحصر.

وكانت وفاته - نفع الله به - ليلة الاثنين، تاسع عشر رمضان، سنة اثنتين بعد الألف، وعمره اثنتان وثمانون سنة، وهو على ركة تلميذه الشيخ تاج،

وأوصاه أن لا يغسله ويكفنه إلا هو، ففعل، وكفنه بموجب وصيته - نفع الله
الجميع -^(١).



(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».

حَرْفُ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ

[٨٢٣] بدر الخليل شيخ الأربعين .

في بلدة سيدنا إبراهيم الخليل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هو شيخٌ صالحٌ متدينٌ، يحب الفقراء، وهو الذي عمر الأربعين المذكور، وهو الآن ساكن به .

[٨٢٤] بلال الأحمدي .

المقيم بباب الرحمة، بالمدينة المنورة، خليفة الأحمدية، له خلفاء وفقراء، وزاويةٌ معمورةٌ بالأذكار، ومات يوم الجمعة، غرة جمادى الآخرة، سنة عشرين وألف .

[٨٢٥] بيرى دده المعروف بقرة باش .

مقيماً بقلعة بشته، تجاه قلعة بدون، وكان شيخاً صالحاً، مجاب الدعوة، روي: أن الوزير مصطفى باشا، نائب السلطنة بمحروسة بدون، أراد أن يبني بها الحمام المسمى بـ: «إيلجة»، وبني جداره، ولم يقم؛ لكثرة الماء في أساسها، فرجع إلى الشيخ بيرى دده، وشكا له من ذلك، فحضر الشيخ على البناء، ودعا لاستحكامه، ثم بناها، فقام وثبت .

وكان إذا لم يجد قوت يومه، يتوجه إلى الله تعالى، فيأتي له الفتوح سريعاً، عزم على الحج بعد سنة ألف، وتوفي وهو ذاهب بالقسطنطينية - رحمه الله تعالى -.

[٨٢٦] بكر البغدادي.

مترجمٌ في المجموعة التي فيها «رسالة الأشعر»^(١).

[٨٢٧] السيد بركات بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري^(٢).

أحد السادات من بني علوي، صاحب الفضائل الجزيلة، والفعل الحسن الجميل، المتمسك بالسبب الأقوى، من الدين والتقوى، وُلد بمدينة «تريم»، ونشأ بها، ولاحظته عناية ربها، وحفظ القرآن، ولزم تلاوته في سائر الأزمان، وصحبة أكابر الأعيان، وكان يتعاطى أمر التجارة السالمة من الخسارة، المقرونة بالأرباح، المتصلة بالغبطة والنجاح، مع سماحة نفسٍ وكرم، ومحاسن أخلاق، وشيم، وأيادي جسيمة، ومكارم عميمة.

وكان كثير الطاعات، ملازماً للجمعة والجماعات، والقيام بالأسحار، ولم يزل مفوضاً أمره للحي القيوم، إلى أن وافاه القضاء المحتوم، فتوفي سنة ست بعد ألف، بمدينة تريم - بوأه الله جنات النعيم -.

[٨٢٨] السيد بركات بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن أبي نعي^(٣).

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٢٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١).

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨١)، «خلاصة الأثر» للمحيي (٤٣٦ / ١)، =

أمير مكة، مولده سنة أربع وثلاثين وألف، وتولى ثاني أيام الشريق، بعد الشريف سعد بن زيد، بسعي محمد بن سليمان المغربي، وذلك أنه تشفع عنه في شيء، فلم يشفعه، فحج مصطفى باشا أخو أحمد باشا الوزير الكبرلي، فسافر معه إلى الروم، واجتمع بالوزير، وأشار عليه بعزله؛ لما صدر منه في حق حسن باشا، فأرسل عسكرياً لمكة لذلك، فعزل.

وتوجه الشريف سعد من مكة، وتولى صاحب الترجمة، وخرج ومعه من العساكر في طلبه، فسلط طريق الشية إلى الطائف، وكان الشريف سعد قد سلكها، ونزل بالطائف، ثم ارتفع عنه إلى عباسة، ثم إلى تربة، ثم إلى بيشة، فنبه الشريف بركات، حتى قارب تربة، ثم عاد إلى المبعوث، ثم إلى الطائف، وأقام بها، ثم رجع إلى مكة.

وحظي عند السلطنة، وكان مقبول الكلمة عندهم، معتقداً؛ لما كان يكثره من مداراتهم، وكان كثير الإحسان للأشراف، والتعطف بهم، وتقوا في زمنه، وقويت شوكتهم، وكثرت أموالهم، وبسبب ذلك بقي كبار الأشراف وصغارهم تحت طوعه، وكان يخرج بهم لحرب العرب، من حرب، من أهل الفرع وغيرهم، ويكون الظفر فيه له وللأشراف.

ولم يزل كذلك، حتى تغلب عليه غالب الأشراف، وخرج السيد أحمد ابن غالب من مكة، مفارقاً^(١) له في نحو ثلاثين شريفاً، من ذوي مسعود وغيرهم، فدخلت الأشراف في الصلح بينهم، فلم يتم، وخرجوا إلى التركان،

■ «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٩).

(١) كذا في الأصل، والصواب: مفارقاً.

من وادي مر، واجتمعوا هناك، وتأهبوا وساروا قاصدين الأبواب السلطانية، فوصلوا إلى الشام، فأنزلهم متوليها حسين باشا السلحدار، ببيت عظيم، وأجرى عليهم ما يكفيهم من المصرف، وبالف في تعظيمهم.

وعرف بشأنهم إلى الأبواب، فأمرؤا بكتابة عرض بما يشكونه، فكتبوه وأرسلوه مع اثنين منهم، وهما: السيد محمد بن مساعد، والسيد بشير بن بركات بن فضل، فوعدوا بإزاحة شكواهم، وكان الشريف بركات على الأبواب، لما فارق السيد أحمد بن غالب ومن معه: أن الأشراف أتعبوه بالطلب الشطيط، وأنه بالغ في رضاهم بكل وجه، وقال: إني رضيت أن أجعل لهم مثل ثلاثة أرباع البلاد، ويكون لي ريعه، فأبرزوا له أمراً سلطانياً بذلك.

ولما كان حادي وعشري ربيع الأول، وقعت فتنة سببها أن عبداً للسيد حسن بن حمود بن عبدالله، اختصم مع رجل من عسكر مصر، عند البزاييز بالمسقى، فضرب العسكري العبد، وأخذ سلاحه، فحيثئ استحشم السيد حسن الأشراف، والعبد العبيد، فاجتمعوا كلهم عند السيد محمد بن أحمد ابن عبدالله.

ثم انقلب شردمة من العبيد نحو الخمسين، شاهرين السلاح، فوصلوا إلى المروة، فهربت الأتراك، وأرادوا الرجوع، فرماهم بعض الأتراك الساكنين في الربع بالأحجار، فأرادوا الطلوع إليهم، فكسروا بعض الدكاكين التي تحته، يظن أنها باب الربع، فوجدوه ملأناً من النحاس والأثاث، فنهبوا جميع ذلك، وفعلوا بـدكان أخرى مثل ذلك، وصوبوا نحو ثلاثة من الترك بالسلاح، وقتلوا آخر من المجاورين، كان يحتجم عند حلاق بالمروة، ثم ذهبوا.

ثم حزبت الأتراك، وجاؤوا إلى القاضي، وأرسلوا إلى الشريف يطلبون الغرماء، فصبّروا فلم يصبروا، وأتوا إلى بيت الشريف، وبيت السيد أحمد الحارث، وكان به جماعة من عسكر الشريف، فرموهم من بيت الحارث، فقتلوا من الترك اثنين أيضاً.

فرجع الترك حيثنذ، وأرسلوا الشريف بركات إلى الأشراف، يطلبهم الغرماء، فامتنعوا، وخرجوا إلى الشيخ محمود، وقالوا: من يطلب الغرماء يأتنا، وخرج العبيد جميعهم، حتى عبيد الشريف بركات، وعبيد حاكم^(١) مكة، القائد أحمد بن جوهر، إلى بركة ماجن، ووجدوا جماعة من الأتراك المجاورين مقبلين، فأخذوا جميع ما معهم، وسلبوهم، ونهبوا قريب^(٢) من أربع مئة رأس من الغنم، ثم أرسل الشريف بركات أخاه عمراً، فرد العبيد.

ثم قصد الشريف بركات تسكين الفتنة، فأمر على عبيدين كانا محبوسين في سرقه أن يشنقا، فشنقا، فلم تطب نفوس الأتراك بذلك، ثم وجد السيد يحيى بن بركات، وكان يعس ليلة بالليل عبيدين سارقين، فضرب أعناقهما، ورمى بجثتهما تحت جميزة المعلا، فرضي الأتراك حيثنذ، واصطالح الأشراف مع الشريف، ودخلوا مكة.

ثم حصل للشريف بركات مرض، واستمر نحو شهر، إلى أن توفي ليلة الخميس، ثاني وعشري ربيع الثاني، سنة ثلاث وتسعين وألف بمكة، وكانت ولايته عشر سنين، وأربعة أشهر، وستة عشر يوماً، وتولى بعده ولده

(١) في الأصل: حكم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قريباً.

الشريف سعيد، ولم يختلف عليه اثنان من الأشراف، وذلك أنه بعد موته، ذهب السيد عمرو بن محمد في جماعة من الأشراف إلى القاضي، وطلبوا خلعة، فسألهم: هل الأشراف راضون؟ فقليل له: نعم، فأتوا بها إليه، فلبسها، ونودي في البلاد باسمه، ومع المنادي السيد الحسين بن يحيى، والسيد عبدالله بن هاشم.

ثم جُهِزَ الشريف بركات، وصلى عليه ضحى إماماً بالناس الشيخ عبد الواحد الشيبى فاتح البيت، في مشهد حافل، حضره الأشراف والعلماء وعامة الناس، ودفن بحوطة النسفي، على يسار الذهاب إلى المعلاة، بوصية منه، ولم يحصل للناس بموته خوف ولا فزع - والله الحمد -، ثم عقد مجلس يوم الجمعة، ثاني يوم الوفاة بالحطيم، حضره الأشراف والعلماء والأعيان والعساكر، فأظهر الشريف سعيد أمراً سلطانياً، كان برز له لما أرسله والده إلى السلطان: أن الملك له بعد أبيه، فقرأ بذلك المجمع، ولم تقع مخالفة من أحد.

ثم ورد الأمر - الذي كان طلبه الشريف بركات بالأرباع - إلى مكة بعد موته، فأخفاه الشريف سعيد، وكان الأشراف متحققين خبره قبل وصولهم إلى مكة، فطلبوه من الشريف، فأحضره مجلس الشرع، وسجل مضمونه، وقسموا مدخول البلاد والإخوان أرباعاً: ربعٌ لشريف مكة، وربعٌ تشيخ فيه السيد محمد بن أحمد بن عبدالله، والسيد ناصر بن أحمد الحارث، ومعهما جماعة من الأشراف، والربع الثالث تشيخ فيه السيد أحمد بن غالب، والسيد أحمد بن سعيد، ومعهما جماعة من الأشراف، والربع الرابع تشيخ فيه السيد عمرو بن محمد، والسيد غالب بن زامل، ومعهما جماعة من الأشراف.

فحصل بسبب ذلك التشاجر في القسمة، والتعب والتشاحن، ووقع في البلاد السرقة والنهب الصريح، واختلفوا فيما بينهم، وصارت الرعية بلا راع، ولزم من ذلك أن كل صاحب ريع، يكون له كتبة وأخدام، يجمعون ما هو له، وجمع السيد أحمد بن غالب عسكرياً، وانضم إليه من العبيد كثير، فتعب الشريف سعيد من ذلك، وأمره بترك العسكر، فامتنع، وذكر أن السوالم سبقت بمثل هذا لصاحب الريع، وشهد بذلك كبار الأشراف، فذكر الشريف سعيد أنه يتوهم من هذا الفعل، وطلب من يكفل له السيد أحمد بن غالب، فكفله عشرة من الأشراف، واصطلحوا على ذلك.

ثم ادعى الشريف سعيد على الأشراف: أن عبيدهم أتلّفوا البلاد، والقصد: أن أهل الأرباع يرسل كل منهم سيفاً من جانبه يعس البلاد بالليل مع جماعته، فأرسل السيد أحمد بن غالب أخاه السيد حسن، وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات، وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سلمان، في جماعة من الخيالة والمشاة، ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر.

ولما قدم الحاج، وخرج الشريف سعيد لملاقاته على المعتاد، لم تخرج معه الأشراف في العريضة، فبعد أن حج الناس ونزلوا، عقد الشريف سعيد مجلساً فيه أحمد باشا حاكم جدة، وأمير الحاج الشامي صالح باشا، وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك، وأمين الصرة، وأكابر عسكر الحجين، فلما حضروا جميعهم، شكوا من السيد أحمد بن غالب، كتابة العسكر، وأنه مناكذ له في البلاد، وأنه أفسد عليه الأشراف، وأنه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد.

فأرسلوا إليه السيد غالب بن زامل ليحضر، فيظهر ممن الخلاف، فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد، وقال: إن كان القصد الاجتماع، ففي المسجد، وإن كان تتم دعوى، فأوكل وكيلاً يسمع ما تدعون به علي، ثم أرسل إليه من أجل كتابة العسكر وما بعده، فأجاب: بأن هذه قواعد بيننا قد سلفت: أن لصاحب الربع أن يكتب عسكرياً، وأما قولكم: إنه قد حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة، فأطلقوا منادياً في البلاد: معاشر الناس كافة! هل أحد يشتكي من أحمد بن غالب، أو من جماعته، أو من عسكره شيئاً؟ أو أخذوا حق أحدٍ ظلماً؟ أو ضربوا أحداً؟ فإن وجدتم شيئاً، صح ما قاله الشريف سعيد، وإلا، فلا وجه له ولكم، وأما تركنا - معاشر الأشراف - العرض معه، فحفظنا أن يقع شيء، فينسب إلينا وإلى جماعتنا.

كل هذا والأشراف جميعهم أجمعوا على قلب رجل واحد، ولم تزل خيولهم مسرجة، ودروعهم عيابها غير مسرحة، بل لبسوها وملؤوا أجياداً إلى العقد، وتحركت الأنفة الهاشمية، التي تأبى الضيم والضهد، ولما أن سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب، علموا أن لا وجه له عليه، ولا خلاف ينسب إليه، فسعوا في الصلح بينه وبين الشريف سعيد، على أن يكفل كل منهما جماعته من الأشراف، ولا يتعدى أحدٌ على صاحبه، وكُتبت بينهما حجةٌ بذلك، وطلبوا من السيد أحمد بن غالب أن يأتي إلى الشريف سعيد، فأتاه ليلة، ثم أتاه الشريف سعيد ليلةً أخرى، وتم الصلح.

وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم: أنه أمر منادياً ينادي في البلاد بإخراج الأغراب من مكة، من جميع الطوائف، فحصل للناس مزيد التعب، فتكلم العسكر مع الشريف سعيد بذلك، فرجع عن ذلك، ولما رأى

أحمد باشا حاكم جدة اختلال حال الشريف سعيد، تسطى على ريع الحب، الجزية الذي يرد إلى مكة، وأراد الاستيلاء عليه، فبلغ ذلك الأشراف، فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر محرم، افتتح سنة خمس وتسعين، أراد النزول إلى جدة، فحشكت عليه الأشراف، بعد أن كلموه في ذلك، فامتنع، وتحزبوا جميعاً، وقالوا: لا ينزل حتى يعطينا ما هو لنا، ولا يبقى لنا عنده شيء، وكان ذلك بعد أن تقدم أهله وأثقاله إلى خارج مكة، قاصدين جدة، فصار حيثئذ أحير من ضب.

واجتمعوا جميعهم ببيت السيد محمد بن حمود، وأرسلوا إليه السيد ثقبه، فقال له: إن نزلت قبل أن تصلح الأشراف، يأخذوا جميع أسبابك التي تقدمت، وينهبوا حريمك، ويقتلوك، فأذعن حيثئذ بوفائهم، فقالوا: لا نرضى بذلك، حتى تكفل لنا، فكفله كرد أحمد آغا المعمار، وجميع رؤساء العسكر، وكتب بذلك حجة، وأنه إن حصل منه لبعض حقوقهم، يكون عاصي الشرع والسلطان.

ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب، وطلب منهم شريفاً أوصله إلى جدة خوفاً من العرب أن يطعموا فيه، ففعلوا ذلك، وأرسلوا معه السيد مبارك ابن ناصر، ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، وكسرت البيوت والدكاكين، وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد، خوف القتل أو الطعن، وصار العبيد لا يأتون إلا ثمانية أو عشرة، وانقلب ليل الناس نهاراً؛ لأنهم إنما يبيتون سهارى، وترى الناس من الخوف سُكارى وما هم بسكارى، وكثرت القتلى في الرعية، حتى ضبقت القتلة بمكة في شهر رمضان تسعة أشخاص، فضجت الناس من هذه الأحوال.

فأرسل الشريف سعيد ترجمانه إلى الأبواب السلطانية، يذكر فساد مكة،
وأنها خربت، وأحوالها اضطربت، وطلب عسكرياً لإصلاحها، وكانت الناس
في هذه المدة يتوسلون إلى الله أن يصلح من مكة اعوجاجها، ويؤمن طرقها
وفجاجها، فاستجاب الله دعاءهم في الأسحار، وآناء الليل وأطراف النهار،
فاقتضى نظر السلطان، وأركان دولته، أنه لا يصلح هذا الخلل إلا أهله العريقون،
وحماته الذين هم في بيت الملك عريقون، وبرز في الوجود ما كان في علم الله
كائناً، وما قدر لبلده أن يعود كما كان آمناً، فتولاها الشريف أحمد بن زيد،
في قصة ذكرناها في ترجمته .

والشريف سعيد وعمه^(١) عمرو ينتظران الجواب، فلما كان سابع وعشري
ذي القعدة، سنة خمس وتسعين، ركب الشريف سعيد إلى أحمد باشا صاحب
جدة، وكان بالأبطح، ببستان الوزير عثمان بن زين العابدين حميدان، واستمر
عنده إلى جانبٍ يسيرٍ من الليل، ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهباً إلى السيد
غالب بن زامل، وكان نازلاً بذي طوى، فلما جاوز الحجون، إذا هو برجلٍ
على ذلول، فاستخبره: من أي العرب؟ فقال: من بني صخر، فقال له الشريف
سعيد: معك كتاب من يحيى بن بركات؟ فقال: لا، وكان يحيى ذهب لملاقة
الحج الشامي، فأمر الشريف بضمه، فضم، وتهدد بالقتل، فأقر بأنه رسول
من الشريف أحمد بن زيد إلى السيد أحمد بن غالب، وأنه قد جاء متولي
مكة، وأنه لحق الحاج الشامي في العلا.

(١) في الأصل: وعن، والصواب ما أثبت .

وذهب الشريف سعيد ليلة^(١) الثالث والعشرين من الشهر المذكور إلى بيت عمه السيد عمرو، واستدعى الشريف^(٢) غالب بن زامل، والسيد ناصر ابن أحمد الحارث، وعبدالله بن هاشم، وتشاوروا في إظهار هذا الأمر، على أي وجه يكون، فاتفق الأمر أن يرسلوا إلى السيد مساعد ابن الشريف سعد بن زيد، فأرسلوا إليه السيد عبدالله بن هاشم، وأتى به.

فلما دخل بيت السيد عمرو، رأى الجماعة مجتمعين، فجلس معهم، فقال له الشريف سعيد: يا سيد مساعد! لم أرسل لك هذا الوقت إلا قصدي أودعك أهلي؛ فإن عمك الشريف أحمد بن زيد تولى مكة، وإنك تقوم مقامه حتى يصل، وأرسل الشريف سعيد إلى أغاوات العساكر الذين معه، وقال لهم: إن الأمر للسيد أحمد بن زيد، فاخدموا سيدكم، وخرج الشريف سعيد آخر تلك الليلة إلى الوادي، وأقام به حتى سافر الحاج المصري من مكة، فذهب معه إلى مصر، وهو الآن بها مقيم.

[٨٢٩] بركات بن تقي الدين بن الكيال الشافعي الدمشقي^(٣).

الشيخ الصالح، خطيب الصابونية بعد ابن عمه ولي الدين، كان من جماعة شيخ الإقراء العلامة شهاب الدين الطيبي، ثم من جماعة ولده، كان يقرأ القرآن قراءةً حسنةً، نظيف الثياب، يحب الطيب، ويكثر التطيب، وله

(١) في الأصل: ثم ذهب ليلة.

(٢) في الأصل: السيد.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٣٦) (١٢٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٣٦).

حسن سميت واعتقاد، صاحب النجم الغزي، ولازمه في مجالسه سنين، وكان يلزم المحيّا بالجامع الأموي، وجامع البزوري، بمحلة قبر عاتكة، خارج دمشق، في زمن شيخ المحيا العارف بالله الشيخ عبد القادر بن سوار.

وكان يقرأ العشر المعتاد، من سورة الأحزاب في المحيا، ويحصل للحاضرين خشوع، وكان بيته قريباً من الجامع الأموي، بالقرب من بيت الأمير ابن منجك، وأكثر أوقاته معتكف بالجامع، بالحجرة الصغيرة التي كانت بيد شيخه الطيبي، ثم ولده عند باب جيرون، من جهة القبلة، وتوفي في حدود سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير - رحمه الله تعالى -.

[٨٣٠] بركات، المعروف بابن الجمل، الشافعي الشيخ الإمام العلامة

الصالح المعتقد زين الدين^(١).

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان من أخص الناس بأخي شهاب الدين، حمل عنه القراءات والفرائض والحساب والفقه، وكان شديد التحري في العبادة والطهارة، وكان يحفظ كتاب الله تعالى، ويقرأ الأطفال بالتجويد، وقرأت عليه كتاب الله تعالى، وعرضت عليه شيئاً من «الألفية»، وغيرها، وكان من قرأ عليه، تظهر بركته.

وكان قانعاً متواضعاً، خاشعاً عابداً زاهداً، لا يغتاب، ولا يسمع الغيبة، وإذا لم تنفذ كلمته في الإعراض عنها، قام من المجلس، وتركه، ولم يعد إليه، ويكره فضول الكلام، ولا يعتقد من يرتكب الرخص من الصوفية، ولا من

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٣٧) (١٢٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥١).

يتعاطى الشطح منهم، وكان ممن حضر دروس شيخ الإسلام الوالد كثيراً، وقرأ في الفقه على شرف الدين يونس العيثاوي والد شيخنا، وكان يعتقده، ويسأله عن كثير من المسائل، ويرجع إلى قوله، ولا يذكره إلا بالإجلال والاحترام.

وكان إماماً بالمسجد المعروف بالمغيرية؛ لضيق الدرويشية، قائماً بشعاره، حُكي: أنه صلى المغرب، وصعد إلى بيته عند الشاديكية، درجتين أو ثلاثاً، فسقط ميتاً، ليلة الجمعة، ثالث صفر، سنة تسع عشرة - بتقديم المثناة - بعد الألف، ووجد فيه طاعون.

فترجى له الشهادة من ثلاثة أوجه: كونه مات ليلة الجمعة، خصوصاً بعد تمام فريضة المغرب، وكونه مات متردياً، وكونه مات مطعوناً، صلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي بالسيانية، ودفن بمقبرة باب الصغير، بالقرب من تربة بني قاضي عجلون، قريباً من ضريح سيدي بلال الحبشي رحمه الله، إلى جهة الغرب، عن نحو ستين سنة - رحمه الله تعالى -.

[٨٣١] بستان الرومي الحنفي^(١).

واعظ الترك بدمشق، كان من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، ولأكابر الترك وغيرهم فيه اعتقاد، وكان يقرئ «البيضاوي»، وغيره، ومجالس وعظه عليها الهيبة والسكينة، ويحط فيها على المتكبرين، ويبالغ في تقييح أمورهم ونصيححتهم، وهم مع ذلك يحبونه ويحترمونه.

وكان عفيفاً قانعاً، لا يتكلم إلا بخير، وكان من أحسن الروم، دخل

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٣٤١) (١٣١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٤٥١).

دمشق، وقطن بها، غرة ربيع الأول، سنة ثلاث بعد الألف، ومات يوم موته الشيخ علاء الدين المالكي، وصلى عليهما أحمد العيثاوي، بالجامع الأموي، إماماً بالناس، ودفن بباب الصغير، ولقنه أحمد العيثاوي أيضاً - رحم الله الجميع -.

[٨٣٢] بعث الله المصري الحنفي^(١).

وربما قيل في اسمه: بعث، وهو منقول عن الفعل الماضي، والله منقول عن الجملة، من الفعل والفاعل، شيخ المولد النبوي، وأستاذ أهل الصنعة، كان أعمى، وكان يحفظ القرآن العظيم، وكان حفظه له على كبر، وعرضه وجوده على أحمد الضرير المقرئ المشهور، وكان حسن التأدية. وكان أعرف أهل دمشق بالموسيقا، وأحسنهم صوتاً، وأقواهم ملكة، له تصرف عجيب في صوته، مع جهارته ونداوته وظرافته، خصوصاً في عمل المولد، وإيراده فصولاً مرتبة، وكان تأديته للقصائد ما فوقها حسن، وبالجملة: فقد كان من محاسن دمشق وأفرادها.

وحج سنة ثمان بعد الألف، قال النجم الغزي: وكنت حاجاً، وحصل له بمكة حظوة عظيمة، وتوجه إلى الروم قديماً، وعمل للسلطان مراد مولداً، أحسن إليه بسببه إحساناً كبيراً، وسافر إلى بلاد طرابلس، وقرأ للأmir يوسف ابن سيفاً بها مولداً، وحصل له منه خير كثير، وأقام بدمشق، أكثر من أربعين سنة.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٣) (١٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٣).

وكان يحكي: أنه لما أراد السفر من مصر، قال له أستاذه - وكان من الصالحين -: إن شئت فتحت فاك، وإن شئت فتحت يدك، قال: فقلت له: افتح فمي، قال: وظننت أنه يطعمني شيئاً، فقال له: افتح، ففتحت، فوضع يده في فمي، وقال: بسط الله لك الشهرة في الآفاق، فكان اشتهاره بحسن صوته ببركة شيخه ودعائه.

ورزق الحظ العظيم، وكان له خصوصية عن غيره أنه لا ينشد إلا شعراً فصيحاً معرباً، وأكثر [أهل] هذا الفن عوام يغلب عليهم اللحن، حتى إنهم يضربوا لأنفسهم مثلاً: «ما على المطرب أن يعرب»، وكان لذلك يتعزز، ولا يذهب لأحدٍ إلا بعد علاج، وبذل كثيرٍ من الدراهم، فقال في ذلك مامية الرومي الشاعر:

بعث الله ضريراً أورد القلب عذاباً
قلت لما طروه بعث الله غراباً

توفي يوم الاثنين، رابع رمضان، سنة ست عشرة بعد الألف، وصلي عليه بالجامع الأموي، قبل صلاة العصر، ودفن بمقبرة الفرديس - رحمه الله تعالى -.



حَرْفُ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ الْفَوْقِيَّةِ

[٨٣٣] ناج العارفين بن أحمد بن أمين بن عبد العال الحنفي المصري^(١).
العلامة المفيد، الفهامة المجيد، المنتخب من ضَيْضِ الجهابذة الجلَّة،
المنتخب من عناصر الأساتذة، فهو لذلك التفصيل جملة، كان بمصر صدر
المدرسين، الذين تجملت بفوائدهم المدارس، وفخر المقدمين، الذين تكملت
بفرائدهم المجالس.

روى عن والده، ووالده روى عن والده، وهو عن والده، وهو عن
الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأجازه شيوخ عصره بالإفتاء والتدريس، وتصدر
للإقراء بالجامع الأزهر، وأفاد الطلبة وأجاد، وألف مؤلفات عديدة سنية،
ورسائل شهيرة في فقه الحنفية.

ولما سقط من البيت الشريف الجدار الشامي بوجهيه، وانجذب معه من
الجدار الشرقي، إلى حذاء الباب الشامي، ولم يبق سواه، وعليه قوام الباب،
ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس، ومن الوجه الظاهر فقط منه نحو

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١١)،
«خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٤٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٥٨١) (٣٤٣).

الثلاثين، وبعض السقف، وهو الموالي للجدار الشامي، وسقطت درجة السطح، وكان سقوطه كذلك بعيد عصر يوم الخميس، العشرين من شعبان، سنة تسع وثلاثين بعد الألف.

ونقل ما فيها من القناديل إلى بيت السادن، وعلق باقي أخشاب سقفه؛ خوفاً عليه من السقوط، وجمع شريف مكة السيد مسعود علماء البيت الحرام، وسألهم عن حكم عمارة الساقط؟ ولمن هي؟ ومن أي مال تكون؟ فوقع الجواب بأنها فرض كفاية على سائر المسلمين، ولشريف البلاد النائب عن السلطان الأعظم ذلك، وأنه يعمرها بمالٍ حلالٍ، ومنه مال القناديل التي بها مما لم يعلم أنها عينت من واقفها لغير العمارة، وواقفهم على ذلك العلامة محمد بن علان المكي، وأفتى به، وألف رسائل حافلة في شأن ذلك.

ثم ورد السؤال من الديار المكية إلى الديار المصرية عن ذلك، وعليه خطوط السادة المكيين بالجواب عن ذلك؛ ليعرض على حضرة سلطان الإسلام، بنظر قاضي مصر في ذلك الوقت العلامة أحمد أفندي المعيد، فسأله أن يكتب أيضاً رسالة في شأن ذلك؛ لتعرض مع أجوبة المكيين؛ تقوية لهم، فأجاب لذلك، وألف رسالة سماها: «الزلف والقرية في تعمیر ما سقط من الكعبة»، وقفت عليها، وقد أحسن فيها كل الإحسان، وأجاد كل الإجادة.

وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمة من الجوهر، ومنه: ما كتبه إلى العلامة الهمام، مفتي بلد الله الحرام عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي، وهو قوله:

أذكرت ربعا من أميمة أقفرا فأسلت دمعاً ذا شعاع أحمر

أم شاقَكَ الغادونَ عنكَ بسحرةٍ
 زُمُوا المطي وأعنقوا في سيرهم
 ما قُطِرَت للسَّير أجمالٌ لهم
 فكانَ ظهرَ اليدِ بطنُ صحيفةٍ
 وكأنَّها بهوداج قد رفعت
 رحلوا وما عادوا على مضناهم
 إن كانَ جسمي في الديار مَخْلَفًا
 أظهرتُ صبري عنهم متجلِّدا
 وغدا العذول يقول لي من بعدهم
 أقسمتُ إن جاد الزمان بمطلبي
 وشهدتُ بدرَ الحيِّ بعدُ أقوله
 أدبتُ خدمةَ سيدٍ سنَدٍ غدا
 هو عابدُ الرحمن واحدُ عصره
 هذا إمامٌ عَزَفَه فينا حكي
 ذو همَّةٍ تسري على نَسْرِ السما
 وسكينة تلقاه فيها مفردًا
 وقريحةٍ منقادةٍ وقادةٍ
 كم حلبةٍ في البحثِ أظلمَ نفعُها
 آياتُ فضلك مثلُ مجدك أحكمت

لما سرُوا وتيمموا أم القرى
 لله دمعِي خلفَهم يا ما جرى
 إلا ودمعِي في الركاب تقطَّرا
 وقطارها فيه يحاكي الأسطرا
 سفنٌ ودمع الصب يحكي الأبحرا
 واهأ لحظي ليت كنت مؤخرًا
 فالقلب منهم حيث قالوا أهجرا
 وكتمت وجدي فيهم متسترا
 بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا
 وسلكتُ ربعاً بالمناسك عُمرًا
 مذ لاح من أفق السعادة مقيرا
 مفتي الأنام ورائة بين الورى
 فاسأل بذلك إن شككت مخبرًا
 عَزَفَ الرياض إذا سرى متعطرًا
 فيسيف منها هاوياً متحذراً
 معَ لطف جسم بالفضائل عُمرًا
 شُبَّت كَنار ثم سارت أنْهرا
 يمشي جوادُ الفكر فيها القهقري
 وسنا سنائك نفعه قد نورا

وجيادُ فكريكَ كالرماحِ كواعبُ وضيا كمالكِ نَوْرُهُ قد أزهرا
من كنتَ أنتَ له ملاذًا كيف لا يزهو بمدحك رفعةً وتكبرًا
فاسلمْ ودمٌ في ظل عيشٍ أرغِدِ ما اهتز غصنٌ في الرياضِ ونورًا
وكتب إليه - أيضاً - سنة ثلاثين بعد الألف كتاباً صورته :

اليومُ مثلُ الحولِ حتى أرى وجهَكَ والساعةُ كالشهرِ
إن أبهى ما تجملت به السطور والطروس ، وأشهى ما استعذبت به الأنفس
وتطلبت به النفوس ، دعاء على ممر الدهور لا ينقضي ، وابتهاال بأكف الضراعة
للإجابة مقتضي ، أن يديم على صفحات خدود الوجوه ، شامة دهرها ، وواحد
وقتها ، وعلماء عصرها ، خاتمة العلماء المتنوهين ، مالك زمام البلاغة بفضله
المتين ، شيخ الإسلام والمسلمين ، المستجمع لمكارم الأخلاق والشيم ،
والمتفرد بمزاياها عند الخلق والأمم ، المشتهر عند العرب والعجم ، بأنه ملك
من العلم زمامه ، وجعل العكوف عليه لزامه ، فانقاد إليه انقياد الجواد ، وجرى
في ميدانه بحسن السبق والفكر الوقاد ، عالم الغرب والشرق ، ومزِيل ما تعارض
من المسائل بحسن الجمع والفرق ، الجامع بين رياستي العلم والعمل ، والمانع
بإخلاص السريرة من لحوق عوارض العلل ، كثر العلوم والكشف ، بحر الهداية
الذي ارتوى منه بالعبِّ والرشف ، صدر الشريعة الغراء ، شيخ حرم الله بالإفتاء
والإقراء ، من لا يمكن حصر وصفه بالتفصيل ، فإن الإطناب فيه طويل ، وإنما
أحيل على ما قيل :

أنت الذي يقف الثناء بسوقه وجرى الندى بعروقه قبلَ الدم

فالله سبحانه يمتع المسلمين بهذه الأخلاق، ويديم فخار أهل الوجود
ببقاء صاحب هذا الاستحقاق، ولا زال مذهب النعمان متحلياً بعقوده، متوشحاً
بمطارفه وبروده.

هذا وإن التفت خاطره بتذكّار ودوده، والمخلص في دعائه حال ركوعه
وسجوده، فهو بخيرٍ وعافية، ونعمةٍ وافية، نرجو من الله دوامها بلبوام دعائكم؛
إذ لا شك أنا من جملة منسوبيكم وأنسابكم، فإنك الأصل في زكاء هذا الفرع
ونموه، والسبب الداعي إلى اعتلائه وسموه، بأمورٍ يشهد بها الخاطر، فتشهد
بالإقرار بنعم الله في الباطن والظاهر، غير أن الخاطر كله عندكم، وفي تألم
لبعدكم، وما حصل له العام من فقدكم:

روضة العلم قطبي بعد ضحكك والبسي من بنفسج جلبابا
وهبي النائحات متشور دمع فشقيق النعمان بان وغابا
فالله تعالى يجزل لكم الثواب، ويعوضكم خيراً فيمن بقي من الأنجاب.
والسلام.

وكتب إليه - أيضاً - سنة ست وثلاثين بعد الألف : قوله :

ملكك سورة الرحيل عناني وأهاجت سواكن الأشجان
أتمنى أسري وهل يملك السيد رَ طريحُ الندى أسيرُ التداني
يا خليلي وقفه بالمصلى مجد حمد السرى ودرك الأمانى
فاعطفنا وانزلا وبثا سلامي لوحيد العلا فريد المعاني
مرشد الفضل وابنه من يضاهي عالم الدين عابد الرحمن

أنا ما بين لوعةٍ علمَ اللَّـ
 أين مني الحنينُ من ذاتِ طوقِ
 لو تطيقَ النياقُ شوقي لما
 ويقلبي من الرحيبِ إليه
 فوعيشِ الهوى وحيِّ التصابي
 إنَّ قصدي لقياكُ لكن قيادي
 هُ وشوقي إليه بطول الزمان
 سلبتها النوى غصون البان
 حنَّتْ خضوعاً من تربها أجفاني
 مثلُ ما بالنياق من دملان
 وليالي الرضا وأنسِ التداني
 بيدٍ ليس لي بها من يداني

فأجابه بقوله :

يا خليلي بالصفاء أسعداني
 واحملا بعض ما ألقى وثنًا
 جسمه في جياذ والقلبُ منه
 لم يزل شيقاً ولوعاً دوامًا
 يرقب النجمَ ليلَه وإذا أصـ
 هل رأيتم أو هل سمعتم حديثًا
 الصفيِّ الوفيِّ ذي العهدِ —
 هو تاجُ للعارفين الذي قد
 من غدا مفردًا بمصر بل العصر
 خُصَّ بالعلم والرياسة والودُ
 فهو كنزٌ ومجمعٌ لعلوم
 وهو صدرُ الشريعة المشرَّعُ العذ
 ويوصل من الإيَّاسِ عداني
 حالَ صبٍّ متيمِّ القلب عاني
 في قرى مصر دائمُ الخفقان
 شاخصَ الطرف ساهرَ الأجفانِ
 سبح أضحى مُناشدَ الركبانِ
 عن قديمِ الإخاء عظيمِ المعاني
 سدِ النقيِّ التقى فخرِ الزمان
 نال إرثًا عوارفَ العرفان
 ر فلا يسمح الزمان بشاني
 د وهذا مواهبُ الرحمن
 قد حواها بغاية الإنقان
 ب البسيط المحيطُ والبرهان

دام فينا مبلّغاً ما يرّجّي من مرادٍ ورفعةٍ وأماني
ما تغنى على الرياض هَزارٌ وأجابته إلفه بالأغاني
[٨٣٤] تاج العارفين ابن الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري
المصري الشافعي^(١).

كان أكبر إخوته، وأكثرهم مالاً، قال النجم الغزي: رأيت بمكة المشرفة،
سنة سبع بعد الألف، فرأيت ملكاً، حاله حالُ الملوك؛ من الخدم والحشم،
وعظم الهيبة، وكثرة المترددين، وكان منزله بيت البكرية، المعروف عند باب
إبراهيم.

وكان معه في حجته تلك أخوه أبو المواهب، وهو يقاربه في سَمته،
وأخوه عبد الرحيم، وكان مجذوباً مستغرقاً مات بمكة تلك السنة، ورجع
المرجع من مكة إلى مصر، فأدركته المنية قبل وصول الحاج إلى مصر يومين،
وحمل إلى القاهرة، ودفن في أوائل صفر، سنة ثمان وألف.

[٨٣٥] تاج الدين بن زكريا بن سلطان العثماني النقشبندي الهندي
الحنفي^(٢).

محكم عقد التلقين والتحكيم، ومقدم وفد العزيز العليم، الناقد بقلم
فكره الثاقب هيولى ذكر السادة النقشبندية، في ألواح القلوب الصوفية العرشية،
رابطة الإرشاد إلى المنازل للسائرين في السلوك، واسطة الإمداد للمواهب

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٧) (١٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٤).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٦٤).

الرحمانية من ملك الملوك^(١).

كان رحمة الله عليه شيخاً كبيراً مهاباً، لنفحاته المسكية وهاباً، حسن الترية والدلالة، على الوصول إلى الله تعالى لا محالة، صحبه خلق كثير من المريدين، وفاز من سبقت له العناية الإلهية منهم بالنفوذ، فصار من المقربين، ولازم الأستاذ أحمد أبو الوفا العجل العجيل، وولده شيخنا موسى، وشيخنا محمد مرزا، وشيخنا الأمير يحيى بن علي باشا، وغيرهم.

وألّف رحمة الله عليه كتباً، منها: «تعريب النفحات» للعارف عبد الرحمن بن أحمد الجامي، و«تقريب المرشحات»، و«الصراط المستقيم»، و«النفحات الإلهية في موعظة النفس الزكية»، و«جامع الفؤاد»، و«رسالة في طريق السادة النقشبندية» جمع فيها الكلمات القدسية المأثورة المروية، عن حضرة الخوجة عبد الخالق العجدواني، المبني عليها الطريق، وشرحها بأحسن بيان، لمن ألقى السمع وهو شهيد، في معارك العيان.

توفي بمكة، قبل غروب يوم الأربعاء، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة خمسين بعد الألف، ودفن في صبح يوم الخميس، في تربته التي أعدها له في حياته، في سفح جبل قعيقعان، وضريحه ظاهر يقصد للزيارة - رحمه الله تعالى -، وقد أفرد الترجمة لشانه، تلميذه السيد محمود بن أشرف الحسيني، في رسالة سماها: «تحفة السالكين في ذكر تاج العارفين».

قال فيها ما نصه: سمعته - سلمه الله - يقول: إنه قبل أن يصل إلى الشيخ

(١) هذه الألفاظ والمصطلحات لا أصل لها في الدين، ومن بدع المضللين، وخرافات المدعين، نسأل الله الثبات على الدين القويم والسنة المطهرة اللهم آمين.

إله بخش في بداية أمره، في غلبة الجذبات، بعد توفيق التوبة، بواسطة الخضر - عليه السلام -، كان اشتغاله - غالباً - بالسياحة في طلب الشيخ.

وكان جعل على نفسه الأمور المقررة المذكورة في كتب المشايخ: أنه ينبغي للمريد أن يجعلها قبل وصوله إلى الشيخ، ثم بعد وصوله إليه الاختيارُ اختياره، وكان تحضر له أرواح المشايخ، وحصل له الكشف.

فلما وصل إلى بلده «أجمير»، التي فيها قبر قطب وقته الشيخ معين الدين الجشتي - قدس الله سره -، حضرت له روحه، وعلمه طريق النفي والإثبات، على كيفية مخصوصة، في طريقة الجشتية يسمونها: حفظ الأنفاس، وأمره بالاشتغال به، وأمره أن يجلس ويستعمل الذكر بهذه الطريقة، في بلدة «ناكور»، التي فيها قبر الشيخ حميد الدين الناكوري، وهو من أجل أصحابه.

وقال: إني ما جئت إلا اليوم بعد مدةٍ مديدةٍ لأجلك، وإلا، فأنا بمكة؛ لكثرة البدع التي يعملوها على قبره، فسافر بموجب أمره إلى ناكور، وجلس بها يشتغل بالذكر المذكور، ويزور أحياناً قبر الشيخ حميد الدين، ويعلم آداب الطريقة، فكان تظهر عليه الأنوار والتجليات والأحوال، على طبق سلوك الجشتية.

وقال - سلمه الله -: في تلك الأيام كنت أدخل خلوة كانت داخل ثلاثة بيوت، في ليلةٍ مظلمةٍ، وأصك الأبواب كلها، فكان يظهر نورٌ مثل الشمس، ثم يزيد، ثم يحيط بالبيت، ويصير ضوءه مثل ضوء النهار، فكنت أقرأ القرآن في ذلك الضوء، فحصل لي الأنس بذلك النور، حتى إني يوماً من الأيام كنت أمر ببعض الطرق، فإذا رجلٌ عنده رسالةٌ مكتوبٌ فيها: إن بعض الناس يحصل

لهم في أوان الذكر نورٌ، فيغترون به، وأخذ الرسالة وغاب، وما رأيته بعد، فانتبهت، وزاد تعلقي به .

ثم يوماً كنت جالساً عند قبر الشيخ حميد الدين، فحضرت روحه^(١)، وأراد أن يعطيه خرقة الإجازة، وكان مراده أن يأمر في النوم أو الواقعة لبعض من كانوا على مسنده من الخلفاء ليعطي الخرقة، فقلت: لا أريد إلا أن تعطي يدك، فقال الشيخ: هذا خلاف سنة الله، فاطلب منه، فاستأذنت منه، وخرجت في طلب الشيخ، وكنت أسبح في الجبال والبراري والأغوار والأنجاد، وكنت أصل إلى المشايخ كثيراً؛ لما كان يحصل الاعتقاد لأحدٍ منهم .

وكان وصل - في هذه المدة -، إلى الشيخ نظام الدين الناكوري، وكان من مشايخ الجشتية، فأراد الشيخ كثيراً أن يجلس عنده، فما جلس عنده، ورأى كثيراً من مشايخ الوقت، حتى وصل إلى الشيخ إله بخش - قدس الله سره -، فلما رآه حصل له فيه أقصى ما يكون من الاعتقاد، والشيخ ﷺ تلقاه بحسن القبول، وأظهر له أنه كان منتظراً له .

وكان من طريقة الشيخ: أن لا يلحق أحداً إلا بعد إدخاله في الخدمات؛ كما قال الخوجة بهاء الدين نقشبند - قدس الله سره -: بدايتنا نهاية الطريق الآخر، وقال أيضاً - قدس الله سره -: معرفة الحق حرام على بهاء الدين، لو لم تكن بدايته نهاية أبي زيد البسطامي .

وقد قال الخوجة عبيد الله أحرار: إن اعتقاد السلف قد يذهب بالبعض

(١) انظر رحمك الله إلى تلعب الشيطان بعقول هؤلاء المخرفين، وإلا أي روح تحظر أو تغيب، إلا وساس الشيطان الرجيم .

إلى إنكار هذا الكلام، مع أنه لا ينافي أمراً من أمور الشرع، بل حديث: «مثل أمي مثل المطر، لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره» يدل على خلاف ذلك.

رجعُ إلى تنمة الكلام السابق: فقال له الشيخ رحمته الله في الواقعة، أو في الرؤيا: يا شيخ تاج! طريقتنا كذا أنا لا نلقن الذكر أحداً، حتى يحمل الحطب والماء، فاشتغل أنت بحمل الماء إلى المطبخ ثلاثة أيام. قال سيدي الشيخ: فعبرت ثلاثة أيام بثلاثة أشهر، فاشتغل بحمل الماء إلى مطبخ الشيخ، وكان النهر بعيداً من بيته، فكان يستعذب الماء كثيراً فوق الطاقة البشرية، وكانت تظهر منه الخوارق في تلك الأيام.

وأخبرت: أن أهل تلك البلد يقولون: إن الشيخ - سلمه الله - حين كان يحمل الجرة على رأسه، وكان يمشي، كنا نرى الجرة منفصلةً عن الرأس على مقدار ذراع، إلا أنني سمعته يقول: ما لي علم بهذا الأمر.

فبعد ما تم له ثلاثة أشهر، قال له الشيخ إله بخش: اليوم قد تم أملك، باسم الله اشتغل بالذكر، وكان أمره بالخدمة المذكورة بالباطن، وقال له هذا الكلام بالظاهر، فلقنه ذكر العشقية، فاشتغل بها، ولا زال في خدمته، حتى وصل إلى الكمال والتكميل، ثم قال: إن سيدي الشيخ خدم سيدي الشيخ إله بخش عشر سنين، خدمةً خارجةً عن طريق البشر، وأجازه بإرشاد المريدين، وما كان يناديه إلا بقوله: يا تاج العارفين!.

قال سيدي الشيخ تاج: وحصل لي ما كان قد بشرني به الشيخ إله بخش، إلا أن حصوله بالتدريج، وبعد أمورٍ منتظرةٍ، قال الشيخ تاج: وكانت خدمته أنفع لي من الذكر، وإنني كلما وجدت من الأحوال، وجدت من الخدمة.

ثم قال: فصلٌ في ذكر نبذةٍ من خوارقه ومعارفه: سمعت من غير واحدٍ من أصحاب الشيخ: أن سيدي الشيخ كان جالساً يوماً في بلدنا «أمروهة» بالمراقبة، فلما رفع رأسه، انفصل منه نورٌ وقع على شجرة رمان، فبعد ذلك اليوم، كانت تلك الشجرة كلها، ثمرها وورقها وخشبها، درياقاً مجرباً للناس يستشفون بها، وكانت هذه الكرامة ظاهرةً حتى فئت تلك الشجرة.

وسمعت - أيضاً - منهم: أن الشيخ دخل يوماً في بيته وقت القيلولة، فرقد على سريره، وخرج الأصحاب، ثم لما رجعوا، لم يجدوا الشيخ هناك، فجلسوا متحيرين، ثم ظهر الشيخ على السرير، وقام واشتغل بالصلاة، وما استطاع أحدٌ أن يسأله عن ذلك.

وسمعت - أيضاً -: أن بنتاً صغيرةً للشيخ كانت مريضةً، وكان الشيخ يتوضأ، فألهمها الله أن جاءت عند الشيخ، وشربت من غسالة رجله، فشفيت بإذن الله تعالى، ومن ذلك اليوم غسالته درياق مجربٌ، إلى يومنا هذا، كل من فعل ما ذكر شفي بإذن الله تعالى.

وسمعت - أيضاً - واحداً من الصالحين يذكر: أن الشيخ كان يوماً جالساً في مكانٍ يتكلم في المعارف والحقائق، وفي أثناء ذلك الكلام يمزح مع أصحابه ويضحك، فخطر لبعضهم أن مقام الشيخ لا يناسبه المزاح، أو نحو ذلك، فاطلع على خاطره، وقال: إن المزاح من سنة سيد المرسلين؛ فإنه كان يمزح مع أصحابه، ولا يقول إلا حقاً، وذكر قصة وقوع ابن أم مكتوم في حفرة، وضحك الأصحاب في الصلاة.

ومنها: أن واحداً من المكاشفين، كان بشر بعض أصحاب سيدي الشيخ

بأشياء، فلما وصل إلى مكة، كان مع سيدي الشيخ، فخطر له يوماً أن الأمور التي كان بشرني بها ذلك المكاشف ما ظهرت، فما سببها؟ وكان يختلج في قلبه أن ليس لقول ذلك المكاشف أثر، أم كيف شأنه؟ ثم توجه إلى سيدي الشيخ، فقال له قبل أن يظهر شيئاً: إن أحداً من أهل الله تعالى لو بشر أحداً بشيء لا بد أن يظهر، ولو بعد عشر سنين، أو اثنتي عشرة سنة، ففهم، وحصل له السكون.

وسمعت من الشيخ - سلمه الله -: أنه خرج إلى سفر، ووصل إلى بلده، وكان جالساً فيها مع الأصحاب بالمراقبة، فحضر في حلقة رجل لا يعرفه، ف قرب الرجل، وقبل يده ورجله، وقال: إني من الجن، وهذا مكان سكنها، وإنا بعد ما رأينا طريقتكم، أجبناكم، فأريد أن آخذ منكم الطريق، فلقته الطريقة النقشبندية، وكان يحضر عنده في الحلقة، وكان يراه، ولا يراه أحدٌ غيره، وقال للشيخ: كل وقت أردتم أن أحضر عندكم، فاكتبوا اسمي على ورقة، واجعلوها تحت أرجلكم، أحضر تلك الساعة.

وسمعت أيضاً منه - سلمه الله -: أنه حين سافر إلى كشمير النباتات، فلم يقبل الشيخ منه ذلك...^(١).

وكان يلزم صحبة الشيخ، إلا أن الشيخ قال: إن من صحبته كان يحصل لي النفرة؛ فإن الجزء الناري غالب على مزاجهم، فيحصل من صحبتهم الأوصاف الغير مرضية التي نشأت من الجزء الناري؛ من الغضب، والكبر، فأردت أن أفعل حيلة تنفّر مني، فقلت له: إني لا أقبل صحبتك إلا أن تزوجني

(١) الظاهر أن الحكاية هنا ناقصة، والله أعلم.

امرأة منكم، فقال: باسم الله، هذه سعادتنا لو تقبلون، وإن لي اختاً بديعة الجمال، عديمة المثال، إلا أنني أعرض عليكم أولاً حكاية، ثم الرأي رأيكم؛ فإن الألفة والأنس بين الجنى والأنسى متعسر؛ فإن الجن يصدر منه كثير من الحركات، التي لا تعرف الإنس حقيقتها، فلا تستطيع الصبر عليها.

قال: إنه كان هنا واحد من الصالحين، زوجته واحدة منا، فولد لها منه ولد، وكان يوقد هناك ناراً، فرمت الجنية ولدها في النار، فصبر الرجل، ثم ولد لها ولد، فأعطته الكلبة فأكلته، فصبر الرجل، ونسيت الثالثة، فتعب الرجل، وما استطاع الصبر، وغضب عليها، وقال لها: أهلك الأولاد الثلاثة، فأحضرت الثلاثة، وقالت: كنت أعطيهم للتربية لإخواننا من الجن، فخذ أولادك من بعد اليوم، ولا أجلس عندك، وطار من عنده، ثم سافر سيدي الشيخ من ذلك البلد.

وسمعت: أن الشيخ كان في «أمروهة»، فمرضت امرأة صالحة من الشرق، وكانت معتقدة له، فالتجأت إليه، فذهب الشيخ إليها يعودها، فلما رأى حالها، أخذته الشفقة عليها، والرحمة لها، وكانت قد أشرفت على الموت، فأخذها في ضمنه، فبرأت كأن لم يكن بها شيء.

فإن الأخذ في الضمن أمر مقرر عند الأكابر النقشبندية، إلا أنه لا يتصور إلا قبل نزول ملك الموت، فبعد نزوله لا بد من بدل، كما أن الخوجة خاموش - قدس الله سره - كان أخذ واحداً من العلماء في ضمنه، فشفي ساعتئذ، ثم غضب عليه الخوجة، بواسطة تقصير صدر منه، فقال: أخرجه من ضمنني، فمات ساعتئذ.

وقال - سلمه الله تعالى -: إني دعوت الله سبحانه في وقتٍ لا يرد بثلاثة أشياء، وقد استُجيب دعائي، أولها: أن لا يصل إلى أحدٍ ضررٌ مني، وإن غضبت بمقتضى البشرية، والثاني: أن لا يزول مني الكشف، والثالث: أن كل من أخذ الطريق مني تكون خاتمته خيراً، ويجعله الله منكراً علي، ومعرضاً عني، ثم يفعل الله به ما يشاء. انتهى كلامه.

واعلم: أنه - سلمه الله - وإن دعا بزوال الكشف، وكذلك يظهر من كلامه، فإنه يقول كثيراً للأصحاب: إن الشيخ إما أن يكون صاحب كشفٍ، فلا ينبغي للمريد أن يعرض عليه حاله، بل العرض عليه حيثُذٍ سوء أدب، أو لا يكون صاحب كشفٍ، فينبغي أن يعرض عليه حاله، فهم بسؤال أحوال المريدين، فيفهم منه: أنه يظهر أنه ليس بصاحب كشفٍ، إلا أن الظاهر أن له اطلاعاً تاماً وإشرافاً عظيماً على الخواطر والأحوال، فقد جرى لنا معه أحوالٌ، وأمورٌ كثيرةٌ، وكان هذا من قسم الفراسة، التي هي أقوى وأرفع منزلةً من الكشف. انتهى.

واعلم: أنه - سلمه الله - كان قرأ في فنون العلوم كتباً كثيرةً؛ كـ «الكافية»، ونحوها، ثم غلب عليه الجذب، حتى لم يبق منه أثر، والآن ليس فنٌّ من فنون العلم، إلا وهو واقفٌ على دقائقه، التي تتحير أرباب ذلك الفن من إدراكها، وليس قسمٌ من أقسام المدركات، إلا أدركه على الوجه الأتم اللطيف.

وله عليه السلام «رسالة في أنواع الأطعمة، وكيفية طبخها»، وله «رسالة في كيفية غرس الشجار»، وله أخرى في «أنواع الطب»، ودخل تامٌ في معرفة أوضاع الكتابة، وغير ذلك.

ودخل عنده واحدٌ من الأفاضل، وكان له وقوفٌ تامٌ في الطب، فتكلم معه في بعض أسرار الطب.

ودخل عليه يوماً عالمٌ كان له فيه بعض اعتقاد، وبعض إنكار، فتكلم معه بدقائق المنطق، وغيره من العلوم، حتى صار متحيراً، وكان ذلك سبب سعادته، ودخوله في الطريق. انتهى المقصود منه.

ومن مشايخ الشيخ تاج الدين: السيد علي بن قوام الهندي النقشبندي، مولده ومسكنه ومدفنه «جانبور»، من بلاد الهندية في «دهلي»، على مسيرة شهرٍ منه، كان من أكابر أولياء الله، صاحب تصرفاتٍ عجيبة، وجذبٍ قوي. قال بعض الصالحين: ما ظهر في الأمة المحمدية - على صاحبها الصلاة والسلام والتحية - من أحدٍ بعد القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني، من الخوارق والكرامات والتصرفات، مثلُ ما ظهر منه.

حدثنا شيخنا قال: حدثني رجلٌ: أنه كان من طريقة السيد: أن لا يدخل عليه أحدٌ إلى وقت الضحى، وكان في هذا الوقت يغلب عليه الجذب، والناس كلهم قد عرفوا منه هذا الأمر، فما كان يدخل عليه أحدٌ في هذا الوقت، فجاء واحدٌ من الأعراب، كأنه كان من أولاد شيخ السيد - قدس سره -، فمنعه الخادم من الدخول عليه، فلم يقبل قوله، وأراد أن يدخل، فلما قرب، وسمع السيد صوته، قال: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: اهرب إلى وراء الشجرة، وكان هناك شجرةٌ كبيرةٌ، وإلا احترقت، فهرب الرجل، واستتر بالشجرة، فخرجت نارٌ من باطن السيد أخذت الشجرة فأحرقتها كلها، وبقي أصلها، وسلم الرجل، وكفى بهذا إشارة إلى تصرفاته، وكمال جذبته - نفع الله به -.

ثم قال صاحب الرسالة : اعلم أن شيخنا - سلمه الله - مجازٌ من الشيخ
إله بخش - قدس الله سره - بالطريقة العشقية، وبالطريقة القادرية، والجشتية،
والمدارية، وله بحسب الباطن إجازة من رئيس كل طريق .

وكذلك سمعت منه عليه السلام : أنه سلط طريق الكبروية، من رويحانية الشيخ
نجم الدين الكبرى في ربيع النهار، وأجازه، وله رسالةٌ في بيان سلوكهم، ذكر
فيها : أن سلوكهم يتم بتمام الأطوار السبعة، في كل طورٍ يطوي عشرة آلاف
حجاب، حتى يطوي في تمام الأطوار السبعة تمام السبعين، ويصل إلى الله،
ولهذا تفصيلٌ، إلا أنه ليس متقيداً بالتسليك بسلوك النقشبندية - قدس الله
أسرارهم -، فإني رأيت في مكتوبٍ له إلى بعض أصحابه، ينصحه أن الأكابر
النقشبندية هم أرباب الغيرة .

ثم ذكر : أنني بعد ما أجازني الخوجة، ورخص لي، واشتغلت بالتربية،
على طريق الأكابر النقشبندية، كنت لو كان يأتيني طالبٌ يريد الطريق العشقية
وغيرها، ألقنه فيها، وأربيه، حتى إن يوماً حضرت روحانية الغوث الأعظم
الخوجة عبيدالله أحرار - قدس الله سره - للخوجة محمد الباقي، وقال له : إن
الشيخ تاج يأكل من مطبخنا، ويشكر غيرنا، فأخرجناه من النسبة، فقال الخوجة
محمد الباقي - قدس الله سره - للخوجة عبيدالله أحرار - قدس سره - : اعف عنه
هذه المرة حتى أخبره، فكتب الخوجة إلي هذه الواقعة، فتركت كل ما كان
غير هذه السلسلة، وحضرت التربية والتلقين فيها . انتهى كلامه .

فله - سلمه الله - طريق النقشبندية من الخوجة محمد الباقي، ومن
الخوجة الاملنكن، وله من مولانا درويش محمد، وله من مولانا محمد زاهد،
وله من الغوث الأعظم الخوجة عبيدالله أحرار، وله من الشيخ يعقوب الحرجي،

وله من حضرة الخوجة الكبير بهاء الحق والدين المعروف بنقشبند.

وله من أمير سيد كلان، وله من الخوجة عبد الخالق العُجدواني، وله من قطب الأقطاب الخوجة محمد بابا السماسي، وله من حضرة الخوجة علي الراميتي، وله من حضرة الخوجة محمود الجريقوري، وله من الخوجة عارف ربوكري، ومن الشيخ يعقوب بن أيوب الهمداني، ومن الشيخ أبي علي الفارمدي، ومن الشيخ أبي الحسن الخرقاني.

ومن سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي، ومن الإمام جعفر بن محمد الصادق، وله من قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومن سلمان الفارسي، ومن أبي بكر الصديق عليه السلام، ومن سيد الكائنات محمد رسول الله ﷺ، والنسبة للإمام جعفر عن أبيه إلى علي - كرم الله وجهه -.

[٨٣٦] تاج الدين بن محمد بن أحمد الكفر سوسي الأصل، المدني المنشأ والمولد، رئيس المؤذنين، بالمسجد الحرام النبوي - على ساكنه الصلاة والسلام -.

كان إماماً فاضلاً، له مشاركة في فنون كثيرة، عالماً كبيراً في الميقات والحساب والهندسة، والأزياج والهيئة.

أخذ عن جماعة من علماء الحرمين، وأخذ عن العالم العامل، الولي الصالح، الشيخ أبي الغيث القشاش التونسي، وسبب اجتماعه به: أنه توجه من المدينة إلى مصر، ومنها إلى بلاد الروم؛ لغرض له في لقاء سلطانه في ذلك الوقت، فركب البحر من الإسكندرية، فحكم القدر بأسره في أيدي العدو. واستقر في أسره بمالطة - دمر الله أهلها -، فلما بلغ أسره أهل المدينة،

وكانت له فيهم مكانة، كاتبوا الشيخ أبا الغيث في فدائه، وأعلموه بحاله ومكانه، وأنه رئيس المؤذنين بالحرم النبوي، فبذل جهده في فدائه، إلى أن فدي بألف وخمسة مئة قرش ريال.

فركب البحر من مالطة إلى تونس؛ لزيارة الشيخ الذي سعى في فدائه، فلما قدم عليه، فرح بقدومه، واستبشر، وأجله غاية الإجلال، وأكرمه إكرام مثله لمثله، وأجلسه عنده سنة غبطة فيه، فاستفاد في تلك السنة من الشيخ علوماً كثيرة، ثم رجع إلى المدينة.

وأخبر أنه لما كان في الأسر، تكلم مع راهبٍ من رهبانهم، فقال له الراهب: إنكم - معشر المسلمين - تزعمون أن كتابكم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فقال له المترجم: نعم، نقول بذلك، فقال له: أين تجد في كتابكم اسمي؟ فقال له: ما اسمك؟ فقال: كبك، فأخرج له التاج المصحف، فأراه بعد الرء من قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [الانفطار: ٨]، فتعجب الراهب من ذلك، وصدق بأن في الكتاب كل شيء.

ونظيره؛ من اشتمال القرآن الكريم على أخبار كل شيء، حتى علم الحدثان والوقائع: أن السلطان سليم سلطان الروم، وهو أول داخل منهم لمصر، وملكها من يد السلطان الغوري، في سنة ثلاث وعشرين وتسع مئة، كان سبب تملكه لها: أنه لما تملك بلاد الشام، حدثته نفسه بتملك بلاد العراق؛ إذ هي أصل منشئهم، ومساكن أسلافهم التركمان، فخرج من القسطنطينية، التي هي قاعدة ملكهم، فلما وصل إلى الشام بعساكره، تعذرت عليه العلافة؛ لغلاء حصل في تلك الناحية، واحتاج إلى الميرة، والتزود من مصر، فكتب بذلك إلى الغوري؛ ليستأذنه في الامتياز من بلده، وكان الشاه

ملك عراق العجم في ذاك الوقت، لما سمع بتحريك السلطان سليم، كاتب الغوري، وكانت بينهما صداقة، يطلب منه أن يُشغله، وأن يشبطه ما استطاع، وصادف ذلك من الغوري غيراً من السلطان سليم، وأنفةً من تملكه لبلاد الشام، وخشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر، ومصر - إذ ذاك - هي أم البلاد الإسلامية، وملكها أعظم الملوك؛ لانتقال الخلافة العباسية من العراق، بعد واقعة التتار إلى مصر.

وعندما طلب السلطان سليم الميرة، تعلل بأن ذلك لا يمكن في هذا الوقت؛ لغلاء الأسعار، واعتذر بأعذارٍ ضعيفة، ففطن السلطان سليم لما قصد، وعلم أنه إنما أراد تعويقه عن المسير إلى العراق، فحدثه نفسه بالركوب عليه^(١)، وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو مصر، فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء، وذكر لهم عذره، وأن الغوري منعه...^(٢).

ولا بد من إظهار وجهٍ تعتمده الفتاوى الفقهية، فقال ابن الكمال: أيها الأمير! إن هذا - أيضاً - متيسر، وذلك بأن تبعث إلى السلطان الغوري، وتقول له: إني لما قدمت إلى هذه البلاد، ولم يتيسر الغرض الذي قدمنا من لأجله، عزمنا على التوجه للحجاز لأداء فريضة الحج، وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم، فأردنا أن تأذن لنا في المرور على بلادكم، والتزود منها؛ فإنه - لا محالة - ما نُعك، وصادُّك عن المرور ببلده، فإذا صدَّك عن حج البيت، جاز لك قتاله، وصار محارباً، فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك؛ لأن الحيل

(١) كذا في الأصل، والصواب: إليه.

(٢) سقط قدر صفحة من أصل المخطوط.

في مذهبهم سائغة، وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائعة.

فكتب السلطان سليم إلى الغوري بذلك، فرجعه الغوري بجواب سيئ، وصرح بمنعه وصدّه، وأنه لا يشرب من نيل مصر جرعة ماء، إلا إذا مشى على ظهور الموتى، إلى غير ذلك من التهديد، فتقوى حيثئذ عزم السلطان على غزو مصر، وتهاياً لذلك، فكان ما كان من استيلائه عليه، ومحو الدعوة الغورية من مصر، وإنحائه وقتله لأكثر العلماء والصلحاء، والخليفة العباسي، وكثير من أرباب المناصب، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فعظمت بذلك مكانة ابن الكمال عنده، وخيّر فيما شاء من الولايات، فاختر الفتوى، فتولاها، وحسنت سيرته فيها، وتصدى لنشر العلم، وتعظيم أهله - رحمه الله تعالى -.

قلت: الإنكباب على مثل هذا، وتعاطي فهمه من القرآن، مما لا ينبغي إلا للذي بصيرة نورانية، يصدق كشفه فتحة، وإلا، فالهجوم عليه ببضاعة العقل خطر؛ فإن الواقع قد لا يكون كذلك، فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى، وإن كان بالفحوى والإشارة، والقرآن ينزه عن مثل ذلك؛ فإن الله تعالى ما أنزله على عبده ﷺ لهذا، وإن كان موجوداً فيه، وإنما أنزله هدى وموعظة وذكرى لأولي الألباب.

فاستعمال الفكر في معانيه، التي حض الله عليها رسوله ﷺ أولى من استعماله في مثل هذه الأمور، التي لم يرد عن الشارع، ولا عن السلف الصالح اعتبار جنسها في أمثال هذه الأمور، وإن اعتبرها بعض السلف، لكن في غير هذا الجنس؛ كاستخراج ابن عباس رضي الله عنهما، تعيين ليلة القدر، من بعض آيات سورة، وأما المتأخرون، فمنهم من اعتبره في هذا الجنس؛ كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين بن أيوب، من قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ

الرُّومُ ﴿ إلى قوله: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢ - ٤]، إلا أنه أمرٌ نادرٌ لا ينبغي أن يعتمد عليه ذو الحال الصحيح، والكشف الصريح، لا يقتدى به، والله الموفق للصواب.

[٨٣٧] القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد ابن محمد بن تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن أفضى القضاة جمال الدين محمد بن يعقوب بن يحيى بن عبد الوهاب المالكي المدني، ثم المكي، ويعرف بابن يعقوب، كذا ذكر نسبه ابن فهد في «ذيله»، المكي المالكي الأنصاري^(١).

القاضي الفاضل، والعلامة الحُلاحل، كان بمكة صدرَ الخطباء والمدرسين، ومن أكابر العلماء المحققين، وممن شيد ربوع الأدب، وكان بها ترجمان العرب، غَذَّته الفصاحة بدرُّها، وكللت تاجه بدرُّها، مع طيب محاورَةٍ تسكر منها العقول، وتهزأ بالشُّمول، وجاهٍ عند الدولة ظاهر، وكلمة مسموعة عند البادي والحاضر.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره؛ كالعلامة عبد القادر الطبري، وعبد الملك العصامي، وخالد المالكي، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه، وتصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، وطار صيته عند الخاص والعام، وكان إمام الإنشاء في عصره، ومفرداً في المكاتبات في دهره، وله «ديوان الإنشاء» الذي جمع من المكاتبات أغلاها، ومن المراسلات أعلاها، فلا برج

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٨٤) (٢٧٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٣٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٢).

يتفجر ينبوع البلاغة من لسانه، ويتلاعب بأساليب البيان على طرف بنانه .
وله فتاوى فقهية، جمعها ولده أحمد، وأضاف إليها فتاوى شيخه الشيخ
خالد الأجهوري، والخطاب كذلك، ثم ما رفع إلى ابنه من الأسئلة بعد ذلك،
وسماها: «الفوائح القدسية والفوائح العطرية لجمع الفتاوى الفقهية»، وله
«ديوان شعر» [وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمةً من الجواهر]^(١)،
وخطب أنكحة وجمع واستسقاء، ومحاضرات ومكاتبات، وأما ما له من الشعر
والنحو والصرف، وخطب الأنكحة، والمحاضر والإجازات والمكاتبات،
والصلاة على الأموات، فقد جمع ولده ذلك في مجموع سماه: «تاج
المجاميع».

وأما خطب الجمع والعيد والاستسقاء، فجعله مجموعاً مستقلاً سماه:
«خطب منابر النبلاء»، وله رسالة في شرح قصيدة العارف بالله العفيف
التلمساني، التي أولها:

إذا كنت بعد الصحو في المحو سيدا

سماها: «تطبيق المحو بعد الصحو على قواعد الشريعة والنحو»، وله
رسالة في الاستغفار سماها: «فصوص الأدلة المحققة في نصوص الاستغفار
المطلقة»، وله رسالة في الكلام على الأسئلة الواردة من بلاد جاوه، فيما يتعلق
بالوحدانية، سماها: «الجادة القويمة إلى تحقيق مسألة الوجود ومتعلق القدرة
القديمة»، وله رسالة في العقائد سماها: «بيان التصديق» مفيدة جداً، خصوصاً

(١) ما بين معكوفتين ليس في الأصل .

للمبتدئ، وله رسالتان: صغرى، وكبرى، في شرح البيتين اللذين هما: من
قصر الليل إذا زارني . . . إلخ سماها: «منهاج الترجيح والتجريح إلى معراج
المعنى الراجح ومسقط الترجيح».

توفي - رحمه الله تعالى - بمكة، ثاني شهر ربيع الأول، سنة ست وستين
بعد الألف، وأرخ وفاته الشيخ محب الدين بن ملا حاجي بقوله:

لتاج الدين أصبح كلُّ حرٍّ حزينَ القلبِ باكي الطرفِ أوَاهُ
أقامَ بسوحِ بابِ اللهِ حتى دعاهُ إليه أقبلَ ثم لبَّاهُ
فتاريخُ اللقا لما أتاه (جنان الخلد منزله ومأواه)
وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمةً من الجواهر، فمنه: قوله
مادحاً الشريف مسعود بن إدريس:

غُذِّيتُ دَرَّ التَّصَابِي قبل ميلادي فلا ترمِ يا عذولي فيه إرشادي
غَيَّيَ التَّصَابِي رشادٌ والعذابُ به عذبٌ لديَّ كبردِ الماءِ للصادي
وعاذلُ الصَّبِّ في شرعِ الهوى حرجٌ يروم تبديلَ إصلاحِ يافسادِ
ليت العذولُ حوى قلبي فيعذرني أوليت قلبَ عذولي بين أكبادي
لو شامَ برقَ الثنايا والثني من تلك القدود انثنى عطفًا لإسعادي
ولو رأى هاديَ الجيداء كان دَرَى أن اشتياقَ الهدى من ذلك الهادي
كم بات عقدًا عليه ساعدي ويدي نطاقُ مجمعِ المخفي والبادي
إذ أعينُ العين لا تنفكُ ظامنة بوردِ ماءِ شبابي دون أندادي
فيا زمانَ الصُّبا حُيِّيتَ من زمنٍ أوقاته لم تُرغ فيها بإنكادِ

ويا أحببتنا روى معاهدكم
 معاهداً كنُّ مُصطافِي ومُرتَبَعِي
 يا راحلين وقلبي إثرَ ظعنهم
 إن تطلبوا شرحَ ما أيدي النوى صنعتُ
 فقابلوا الريح إن هبت شاميةً
 والهفَ نفسي على مَغْنَى به سلفت
 كأنها وأدامَ اللهُ مُشَبِّهَهَا
 ذو الجودِ مسعودُ المسعودُ طالعُه
 عادت بدولته الأيامُ مشرقةً
 وقلد الملكَ لما أن تقلَّده
 وقام بالله في تدبيره فغدا
 حقُّ لك الحمدُ بعد الله مفترَضُ
 أنقذتهم من يد الأعداء متخذًا
 داركتهم شهدا رمقى فعاد لهم
 بُشراك يا دهرُ حاز الملكَ كافله
 عادت نجومُ بني الزهراء لا أَفَلَتِ
 واخضلَّ روضُ الأماني حين أصبحتِ أَدِ
 وأصبح الدينُ والدنيا وأهلُهما
 يُبِيح هامَ الأعادي من صوارمه
 من العهدِ هَتُونُ رائح غادي
 وكم بها طالَ بل كم طالَ تردادي
 ونازحين وهو ذكري وأورادي
 بمَغْرَمٍ حلف إيحاش وإيحادي
 تروي حديثي لكم موصولَ إسنادِ
 ساعاتُ أنس لنا كانت كأعيادِ
 أيامُ دولةِ صدرِ الدَّستِ والنادي
 لا زال في برج إقبالٍ وإسعادِ
 تهزُّ مختالةً أعطافَ مِيَّادِ
 فخرًا على مرِّ أزمانٍ وآبادِ
 موفقًا حالَ إصدارٍ وإيرادِ
 في كل آونة من كل حَمَّادِ
 عند الإله يدًا فيهم بأنجادِ
 غمضُ لجفنٍ وأرواحُ لأجسادِ
 بشراك يا دهرُ أخرى بشرُها بادي
 بعودة الدولةِ الزهراء للمعتادِ
 أجواد عقدًا على أجيادِ أجيادِ
 في حفظ ملكٍ لظلَّ العدل مَدَّادِ
 ما استحصدت بالتعاصي كلَّ حصادِ

منهم أيادي أبيديهِ ونائله
 يُفْضي مُيَمَّمٌ جدوى راحتِهِ إلى
 بذلُ الرغائب لا يعتدُّه كرمًا
 والعفو عن قدرةٍ أشهى لمهجته
 مآثرٌ كالدراري^(١) رفعةً وسنًا
 تسمو مناقبُ مَنْ كُلُّ الكمالِ حوى
 فأنْتَ من معشرٍ إن غارةً عرضتْ
 كم هجمةٍ لك والأبطالُ محجمةٌ
 بكلٍ أبيضٍ مقصودٍ لمضطهرٍ
 وكلُّ مجتمعٍ الأطرافِ معتدلٍ
 فخرُ الملوك الألى فخرُ الزمانِ بهم
 وليهنَّ حُلَّتْهُ إذ رحّتْ لابسها
 واستجلَّ أبكارُ أفكارٍ مخدرةٍ
 كم ردَّ خطابها حتى رأتهِ وقد
 أفرغتْ في قالب الألفاظ جوهرها
 وصاغها في معاليكم وأخلصها
 يحلو بها العيس حادياها إذا درجتْ
 على الورى أصبحت أطواق أجساد
 طلق المحيا كريم الكف جواد
 ما لم يكن غيرَ مسبوقٍ بميعاد
 صيئتْ وأشفى من استيفاء إيعاد
 وكثرةً فهي لا تُحصى لعداد
 وأنت ذلك عن حصرٍ بأعداد
 خفوا إليها وفي النادي كأطواد
 ووقفه أوقفتْ ليث الشرى العادي
 وللمزايير والمران قصادي
 لذنٍ لعرقٍ نجيع القرن فصّاد
 دم حائزًا ملك آباء وأجداد
 أن أصبحت خير أثواب وأبراد
 قد طال تعينها^(٢) من فقدِ أنداد
 أمّتك خاطبةً يا نسل أمجاد
 سبكا بذهنٍ وريّ الزند وقاد
 ودّ ضميرك فيه عدل أشهاد
 من طول وخد وإرقال وإسّاد

(١) في الأصل: كالزراي، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تعينها.

كأنما الراحُ بالألباب لآعبةُ إذا شدا بين سُمَّارٍ بها شادي
 بفضلها فضلاءُ العصر شاهدةُ والفضلُ ما كان عن تسليم أضدادِ
 فلو غدت من حبيبٍ في مسامعِهِ أو الصفيُّ استحالا بعض حسادي
 واستنزَلا عن مطايا القوم رحلَهما واستوقفا العيسَ لا يحدو بها الحادي
 وحسبُها في التسامي والتقدمُ في عدَّ المفَاخرِ إذ تعدو لتعدادِ
 تقرِبطُها عندما جاءت معارضةُ عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الوادي
 وهي عروضُ قصيدة الأديب الفاضل أحمد بن عيسى المرشدي التي
 مطلعها:

عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الوادي واستوقفا العيسَ لا يحدو بها الحادي
 وعارضها السيد أحمد بن مسعود بقصيدة مطلعها:
 ألوى برسم اللوى الترحالُ والحادي وقرض الصبر عن قلب بأجباد
 وعارضها - أيضاً - العلامة الشيخ علي ابن الشيخ خالد المالكي
 الجعفري، فقال مادحاً بها الرسول ﷺ:

حُبُّكَ أعذبُ من عذبٍ إلى صادٍ لم لا تفين لموعود بإيعادي
 إلى أن يقول:

أبغي الوصالَ لمن حلَّ الوصالُ له وخُصَّ بالقرب وهو الخاتم البادي
 محمدٌ سيدُ الكون غوثُهما مولى الخلائق أتباعاً وأسيادي
 وهي طويلةٌ جداً، وقد ذكرها القاضي أحمد ابن القاضي تاج الدين

المالكي - رحمهما الله تعالى - في «تاج المجاميع»، وعارضهم الأديب محمد ابن أحمد حكيم الملك، بقصيدة مدح بها الشريف زيد بن محسن مطلعها:

صوادحُ البانِ وهناً شجوهاً بادي فمن عذيرُ فتى في فتى أكباد

وقد ذكرتها جميعاً في تراجمهم .

ومن فوائده: أنه سئل عن قول الصفيّ الحلّي:

فلئن بسطت أيدي الفراق وأبعدت بدرًا تحجب نصفه بنصيف
فلقد نعمتُ بوصله في منزل قد طال فيه مربّعي ومصيفي

فأجاب بقوله: لا يخفى أن النصيف هو الخمار، فكان الشاعر تخيل أن الجبين بدرٌ تامٌ، كامل الاستدارة، ستر الجمال نصفه الأعلى، فلما تخيل ذلك، قال: بدرًا تحجب نصفه بنصيف، ثم ضمنه بقوله:

أفدي التي جلبَ الغرام جبينها تحت الخمار لقلبي المشغوف
فصبا له لما تحقق أنه بدرٌ تحجب نصفه بنصيف

وقد سئل عنه - أيضاً - الإمام زين العابدين الطبري الحسيني، إمام المقام، فأجاب بما لفظه: النصيف خمارٌ، وكل ما يغطي به الرأس، والوجه هو البدر في التشبيه، فمراد الشاعر: أنها تلمت ببعض النصيف الذي على رأسها، فصارت ساترة نصف وجهها الأسفل المشبه بالبدر، فصار نصيفاً ونقاباً.

والنقاب: ما انتقت به المرأة؛ كما في «القاموس»، وهو شامل لما كان مستقلاً، أو بعض شيء آخر، كما يقال مثله أيضاً في النصيف، فهو نصيف، وإن غطاء غير الرأس مع الرأس، وهذا الذي ذكرناه هو عادة غالب النساء

الحسان في قطر العرب ؛ فإن الواحدة منهن تنتقب بفاضل خمارها ، فتفتن
العقول بما ظهر من لواظها وأسحارها . انتهى .

وكتب إلى القاضي أحمد بن عيسى المرشدي معذراً عن وصوله إليه ،
بعد وعده له به لعروض مانع له عنه :

أيها المعشرُ الذين إليهمُ واجبٌ أن يكون سعيي براسي
لا تظنوا تركي الوصولَ إليكم لملالٍ ودادِكم أو تناسي
أو تقالٍ عنكم وإن كان عذري هو أني قد بتَ خير أناس
فأجابه بقوله بديهاً :

قد أتاني اعتذاركم بعد أني بتُّ من هجرِك الأليمِ أقاسي
فتلقيتُهُ بِصدرٍ رحيبٍ ولصقت الكتابَ عزاً براسي
غير أني لم أرتضيه إذا لم تُنعموا بالوصول والإيناسِ
وأقلني العثارَ في النظم أني قلُّته والفؤادُ في وسواسِ

وكتب إلى شيخه العلامة عبد الملك العصامي مسائلاً بقوله :

ماذا يقول إمامُ العصر سيدنا ومن لديه ينال القصدَ طالبُهُ
في الدار هل جائزٌ تذكيرُ عائِدِها في قولنا مثلاً في الدار صاحِبُهُ
ومن إبانةٍ همز ابن أراد فهل يكون موصوفُها اسمًا يطالبُهُ
أم كونه علمًا كافٍ ولو لقباً أو كنيةً إن أردتَ الحذفَ كاتبُهُ
أفدُ فما إن رأينا الحقَّ منخفضاً إلا وأنت على التمييز ناصبُهُ

فأجابه بقوله :

يا فاضلاً لم يزل يُهدي الفرائد من	علومه وتروّينا سحائبه
تأنيثك الدارَ حتمّ لا سبيل إلى الثـ	تذكير فامنع إذاً في الدار صاحبه
والابن موصوفه عمّم فإن لقبا	أو كنيةً فارتكابُ الحذف واجبه
هذا جوابي فاعذر إن تجد خللاً	فمصدرُ العجز والتقصير كاتبه
لا زلتَ تاجاً لها مَاتِ العلا عِلماً	في العلم يحوي بك التحقيق طالبه

ومن شعره أيضاً :

غَنَيْتُ بحليّةٍ حَسَنِهَا	من لبسٍ أصنافِ الحلّي
وبدت بهيكلها البديـ	مع تقولٍ شاهدٍ واجتلي
تجد المحاسنَ كلّها	قد جُمِعَتْ في هيكلّي

ولما وقف عليها، ورآها وشاهدها^(١)، وشيد كل أبيات من أبياته قصراً،
وابتز ذلك المعنى باستحقاقه قسراً السيد أحمد بن مسعود، فقال :

لله ظبيٌّ سـرـرُه	يزهوبه في المحفل
قنصرَ الأسودِ بغالبٍ	قيّد الأوابد هيكلّي
ولله الجوارِ المنشأ	تُجو الحشاشة للحلي
من كل رَوْدٍ لحظُها	يسطو بحدّ المفصل
مشتاقها من ثغرها	وأثيها في مشكل

(١) في الأصل: ورآها وشاها وشاها.

فأق الغواني خاليا ت عاطل في هيكلي
ما قال في ظلماته يا أيها الليل انجلي
وحذا حذوهما القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، فقال:

يا ربة الحسنِ الجلي لمؤمل المتأمل
صدري ووجهي منية للمجتني والمجتلي
فالحظُّ بديع محاسني من تحت أنواع الخلي
تجد الهياكلَ والخلي جمالها من هيكلي

[٨٣٨] ناج العارفين بن عبد الجليل الحمصي الشافعي^(١).

الشاب الفاضل العلامة، قرأ في الفقه على أحمد العيثاوي، وعلى تلميذه
النجم الغزي، وقرأ على الشمس الميداني، وصارت له ملكة وشهرة في الفقه،
ومشاركة حسنة في بقية العلوم، وحج سنة سبع بعد الألف، صحبة النجم الغزي،
ومات بدمشق، من نحو ثلاثين سنة، يوم الأربعاء، ثالث عشر صفر، سنة
سبع عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، وصلي عليه بجامع دمشق
- رحمه الله -.

[٨٣٩] القاضي تقي الدين التميمي الغزي الحنفي^(٢).

عالم مشهور، وإمام لواء فضله بين الأنام منشور، أخذ عن أكابر الأمجاد،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٩) (١٣٤).

(٢) «ريحانة الألباء» للخفاجي (٢/ ٢٧) (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٩)،

«الأعلام» للزركلي (١/ ٨٥).

وكان جَوَّاباً في البلاد، يوماً بحزوى، ويوماً بالعقيق، وبالعذيب يوماً، ويوماً بالخليصاء، وألف مؤلفاتٍ وقفت عليها، في مجلدٍ ضخيمٍ، جمع فيها فأوعى، وأحال وأجاد، وسماها: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، أتم تأليفها بمدينة «فوة»، وهو قاضٍ بها، في رجب، سنة تسع وثمانين وتسع مئة، وقرظ له المولى سعد الدين المعروف بخواجه أفندي، والمولى جوي زاده، والمولى زكريا، والمولى عبد الغني، والمولى أحمد الأنصاري.

ومنها: «طبقات الحنفية» جمع فيها جملةً من علماء الروم وعظمائها، وأكابر سرائها ورؤسائها.

وكانت وفاته بمصر، يوم السبت، خامس جمادى الثاني، سنة عشر بعد الألف، وهو في سن الكهولة - رحمه الله -.

قلت: وذكره الخفاجي في «ريحانته»، وأثنى عليه، وذكر أنه كان أول أمره، وإقبال طلائع عمره، حرفته الزهادة، وحنوته السجادة، ثم ساقه القدر والقضا، فرضي بما قدره الله وقضى، بعد ما كان يقول:

من تمنى القضا فلا يعطينه واجعل الموت سابقاً للقضا

وقد قالوا: من تولى القضا ولم يفتقر، فهو لص، والآن وقد افتقرت اللصوص، لما سرقت الأمراء من الخواتم والفصوص، والسارق إذا سرق من سارق، فقد عامله برأس ماله، وقال الربيع والفائدة السلامة من خسران وباله، وما يسلب قاطع الطريق العريان، بل يهديه للسبيل، ويعطيه الأمان.

وأورد من شعره قوله: وقد لبس من القضا خلع المذلة، وحاكت له

الأطماع من نصب المناصب حُلَّة :

أحببنا نوب الزمان كثيرة وأمرٌ منها رفعة السفهاء
فمتى يُفبق الدهر من سكراته وأرى اليهودَ بذلّة الفقهاء

وقوله أيضاً :

ما أبصرت عينُ امرئٍ في الدهر يوماً مثلنا
عشقٌ وحرمانٌ به أبداً ترانا في عنا
الكدونُ لا نرضي به والعال لا يرضى بنا

والعال بمعنى : العالي ؛ كقولهم : لم نبل ، إلا أنها عاميةٌ مبتذلةٌ ، وقيل
لابن المقفع : لم لا تقول ؟ قال : ما يجيء ما نرضاه ، وما نرضاه لا يجيء .

وله أيضاً :

إذا أكثر العبدُ الذنوبَ ولم يكن له شافعٌ من حسنه يوجبُ العذرا
وأبصرتُ مولانا مع الذنب مهملأ عليه فحقق أن بينهما أمرا

وله :

وإذا أساء إليك خادمٌ سيّد فأقره وارحل ولا تتوقّف
واعلم بأنك قد ثقلت وأنه أعطاك إذناً للرحيل فخُفّف

وله مضمناً :

لنا صديق له بالغانيات هوى وأیره لا يزال الدهر طارقا

كأنما هو حرباء الهجير ضُحَى لا يرسل الساق إلا ممسك ساقا

وقد سبقه لهذا ابن الأنباري المصري، فقال :

لا يشغلنك شيء في زمانك عن وصل الملاح وحاذر كل ما عاقا
وكن كما قيل في الحرباء من فطن لا يرسل الساق إلا ممسك ساقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية :

أنى أتيج له حرباء تنضبه لا يرسل الساق إلا ممسك ساقا

والساق فيه : غصن الشجرة، ومن الإنسان معروف، وبه قامت التورية،
وضربه بعض العرب مثلاً بألد الخصام، الذي كلما انقضت حجة، أقام له
أخرى، والحرباء : دويبة تسمى : أم حُبَيْن تتلون ألواناً مع الشمس، وتكنى : أبا
قرة، ويقال : حرباء تنضب، كما يقال : ذئب غَضَا، وهو شجرٌ تتخذ منه السهام،
جمع تنضبة، وفي المثل : «أحزم من حرباء» ؛ ، لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل
يده من غصنٍ حتى يمسك آخر، وهو الذي عناه الشاعر، وضربه ابن الرومي
مثلاً للقبح، ويضرب به المثل في كثير التقلب أيضاً.

[٨٤٠] تقي الدين القُرَبي القادري الدمشقي .

كان من تلامذة الشيخ موسى الكنّاوي، وكان من العلماء العاملين،
والصلحاء الكاملين، ولم يقبل شيئاً من الجهات، حتى توفي بدمشق، في
أوائل صفر، سنة تسع بعد الألف .

[٨٤١] تقي الدين بن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن مصطفى

الحنفي السنجاري المكي^(١).

سابق فرسان الإحسان، وعينُ أعيان البيان والتبيان، رفع للعلوم راية، وجمع بين الرواية والدراية، وغاص في بحار الأدب فاستخرج درره، وسما إلى مطالعه فاستجلى غرره، فنظم اللاكبي والدراري ونثر، وجدّد ما درس من مغاني المعاني ودثر^(٢).

مولده مكة، عام عشرة بعد الألف، وبها نشأ، وبرع وتأدّب، وأخذ عن أكابر الشيوخ، وكانت وفاته عام سبعة وخمسين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، وجاء تاريخ وفاته (تقي الدين في المطالع).

ومن شعره ملفزاً في نخلة، مراسلاً للقاضي تاج الدين المالكي - رحمهما الله -:

أيها المِصْقَعُ الذي شَرَّفَ الدهر	— وأحيا دوارسَ الآدابِ
والهمامُ الذي تسامى فخاراً	وتناهى في العلم والأحسابِ
والخطيبُ الذي إذا قال أما	بعد أشفى بوعظه المستطابِ
والإمامُ الذي تهذب طفلاً	وزكا في العلوم والأنسابِ
وحوى ما حوى الأصول إلى أن	حاز ما لا يُحاز بالاكْتِسَابِ
جئت أرجو كشفاً لشيء تناهى	في العلا واكتفى عن الحجابِ

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٤٧٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ١٢٩) (٢٨٥)،

«سلافة العصر» لابن معصوم (٢٣٠).

(٢) في الأصل: ودر، والصواب ما أثبت.

إن تصحّفه كان فيه شفاءً
 ولك الفضل إن تصحّفه أيضاً
 مفرّد إن حذفت منه أخيراً
 أو وصلت الأخير منه بصدر
 وتبال إن ضُمَّ ثانٍ إليه
 وإذا ما صحّفته لذّ للنفـ
 خلّ نصفاً يحل عنه ويادر
 قلع الله عينَ شانيك يا من
 وابق في نعمةٍ وعزٍّ منيعٍ
 وبه النصّ جاءنا في الكتاب
 بالعطا لا برحت سامي الرحاب
 صار جمعاً له بغير ارتياب
 كان عدّاً برأي أهل الحساب
 فهو خلّ من أعظم الأجاب
 فس مذاقاً في طعمه وشراب
 قلع عين ما إن لها من حساب
 قدره قد سما عن الإسهاب
 ما حدا بالحجاز حادي الركاب

فأجابه القاضي تاج الدين بقوله :

يا إماماً صلّى وسلّم كلُّ
 وخطيباً رقا فضمّخ طيباً
 لم ينافس لدى التقدم إلا
 أشرق شمسُ فضله لا توارت
 دائماً روضُ فكره بعروسٍ
 تقضى مني الجواب وعذري
 شبه في حشاي فقد فتاة
 وانطوت بعد بينها بسنطُ بسنطي
 ليت شعري بمن أهيمُ وشمسُ
 خلفه من أئمة الكتاب
 منبر الوعظ منه فصل الخطاب
 قال محرابه هو الأحرى بي
 عينها من عياننا بحجابٍ
 قد أمدّت أنهارها من عباب
 في جوابي حوشيت أن الجوى بي
 دخلت تمتطي متون الرقاب
 وانقضت دولة الهوى والتصابي
 ما لها من أفولها من إياب

كيف أصبو ووردةٌ كان روض الـ
 لا وعيشٍ مضى بها في نعيم
 هاتِ قل لي يا ملعبَ السرب ما لي
 قال سل حاسب الكواكب عمّا
 أصبحت من بنات نعش وكانت
 فابسطِ العذرا يا أبا الفضل فضلاً
 أتصيبُ الصوابَ فكرةً صبّ
 وتطوّلُ وأسبل الستَرَ صفحاً
 في جوابٍ عن نخلة قد أتنا
 أتحنّتنا باللغز في اسم أختٍ
 وكساها المَروئي من شبه المؤ
 وهي تُرقى من غير سوء فطورا
 ثم طوراً وهو الكثير يرى الجا
 ولها إن تشأ تصاحيفُ منها
 جاء قلبُ اسم جنسه وهو لحنٌ
 ومسمّى التصحيف هذا إليه اللـ
 وهو ذو شوكةٍ وجندٍ عظيم
 ذو دويٍّ في جحفلٍ يملأ الجو
 حيوانٌ وإن تصحف جمادٌ

أنس يزهو بها ثوث في التراب
 لست أصبو من بعدها لكعابٍ
 لا أرى فيك ظيئةً الأتراب
 حار في دفعه أولو الألباب
 بدرَ تمّ فهل ترى من جواب
 إن تجدني أخطأت صوب الصواب
 يحتسي كأسَ فرقة الأحياب
 فهو شأن الخِلّ المحبّ المُحابي
 بجنى النحل في سطور الكتابِ
 لا بينا قضت بهذا الانتسابِ
 من فضلاً في سائر الأحقابِ
 يستحقّ الجاني أليم العذابِ
 ني عليها من أفضل الأصحابِ
 مفردٌ فيه غاية الإغرابِ
 لا تُنافيه صنعة الإعرابِ
 لهُ أوحى سبحانه في الكتابِ
 خلفَ يعسوبه بغير حسابِ
 وكرعد في مكفهراً السحابِ
 مفصح عن مراد سامي الجنابِ

يا خليلي بل يا أنا فاتحادي بك يقضي بذا بغير ارتيابِ
إن صنعي في حلي اللغز باللغز بديعٌ فلا تُفْهَمُ بعتابِ
وابقَ في نعمةٍ وفي جمعٍ شملِ بينك الأفاضلِ الأنجَابِ
ما سرّت نَفْحَةُ الأزاهر تَروي ضحكَ الروضِ من بكاء السماءِ



حَرْفُ الْجِيمِ

[٨٤٢] جمال الدين بن عبد اللطيف بن جمال الدين بن تاج الدين
أبي السعود بن جمال الدين بن محمد أبي الفرج، ابن القاضي الجمال محمد
الكازروني المدني الزبير الشافعي.

وُلد بالمدينة، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وكتباً في المذهب، وكان من
عباد الله الصالحين، وله اعتقاد في الأولياء والعارفين، صحب الأعلام، وتخلق
بأخلاقهم الكرام؛ من لطيف الطباع، وحسن الأخلاق، والمواظبة على
الطاعة، والجُمعة والجماعة، وكثرة الأوراد، وملازمة التهجد، والدعاء
بالأسحار، والبكاء والاستغفار.

وكان له في الأسبوع أيام يلازمها بالصوم، وقد هجر النساء والنوم، مع
التمسك بالتقوى، والخوف من الله سبحانه في السر والنجوى، ولم يزل على
هذا الحال، حتى توفي في رجب - الفرد، عام ثلاثة وستين، بالمدينة الشريفة،
ودفن بالبقيع الغرق، على أبيائه وأجداده - رحمهم الله وإيانا -.

[٨٤٣] جمال الدين الهندي النقشبندي، نزيل المدينة الشريفة.
كان من أجلاء المشايخ النقشبندية، مربياً كاملاً، أخذ بالهند عن آدم

النقشبندي، وبه تخرج، حتى صار من أكابر الشيوخ، ولما قدم المدينة، نزل رباط الشيخ عبد القادر، شرقي المسجد، وكان يجلس فيه للمراقبة، ومريدوه حوله، وكانت له هيئة عظيمة؛ بحيث إن المار عليه يحصل له خشوعٌ وتأدب. وكان في بدايته مشغلاً بالعلوم الرسمية، حتى طرقه طارقٌ من الله، واشتغل بما ينفعه في معاده، وكان يحث مريديه على الإكثار من مجالس المراقبة، وترك الاشتغال بالعلوم الرسمية، ويقول: إنها تشوش الفكر، وتحجبه عما هو بصده، وتحول بينه وبين ما يترقبه؛ من تجلي أنوار الحضرة الصمدية على القلب.

ويقول: إن الذكر لا يشتغل به الإنسان إلا حيث أمكنه ذلك، والمدينة الشريفة قلماً يتأتى ذلك في غيرها؛ لحصول الجمعية بها؛ بخلاف هذه العلوم الكسبية، التي هي من جملة الأمر الصناعي، أينما حاول الإنسان أمرها، أمكنه ذلك، ولو بعد الرجوع إلى بلده، والعامل يقدم ما يخشى فواته على غيره، وإن كان مساوياً، فما بالك إذا كان المخشي بذاته أشرف؟!.

وكان شديد المثابرة على الذكر الخفي، بالقلب والسر، فأثر ذلك فيه حرارة قوية، وخفقان القلب، وانضغاط الروح، في أوقات مخصوصة في الليل والنهار، ومع ذلك هو مقبلٌ على الجد والاجتهاد، فيما هو بصده.

وقد نص كثيرٌ من الأئمة: أن حرارة الذكر تورث مثل ذلك، لا سيما الأسماء المفردة، وخصوصاً الذكر على طريقتهم العلية، بحبس النفس، وضبط الحواس، وسكون الأطراف؛ فإن ذلك مما يقوي حرارة الباطن ويثيرها على القلب، فيحصل له خفقان، وللروح الذي سلطانه في القلب انضغاط.

قال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: «قلت له: يا سيدي! لو مزجت الذكر بغيره من الأذكار، التي يحصل بها التسكين للروح، مثل الصلاة على النبي ﷺ، وغيرها، ومثل مناجاة ابن عطاء الله؛ فقد نص الأئمة على أنها تورث البسط، فإذا استعملها من غلب عليه القبض، اعتدل حاله، فلم يلتفت إلى شيء من ذلك، وقد أنحله ذلك، حتى صار مثل الخلال، وغلبت عليه آثار الجلال، فكل من رآه، علم أنه من الحضرة الجلالية.

قال الشيخ عبدالله العياشي: وأخبرنا عن شيخه آدم النقشبندي: أنه كان لقوة حاله ربما سرى مدده في بعض العجماوات. قال: ومن ذلك: أن كلباً كان يتبع الشيخ في أسفاره، ويلزم محله، ولا يعرف من أين هو، قال: وسافرنا إلى مكة، وتبعنا، فأخذ بعض الفقراء، وربطه إلى شجرة بالبادية، بعد ما ذهب الرفقة، فلم يشعروا إلا وهو معهم في مكة. قال: وغار منه بعض الفقراء، وأنف منه، فقتله، فكانوا يرون أن ذلك الكلب حصل [له] من الشيخ التفاتٌ إليه في بعض أحواله الغالبة عليه.

قلت: ولا بدع في ذلك؛ فقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته» في ترجمة سيدي يوسف العجمي: أنه كان إذا خرج من الخلوة، بعد انتهاء أمره، فأول من وقعت عليه عيناه، ظهر أثر تلك النظرة فيه، واكتسب بها أحوالاً نفيسة، فخرج مرة من الخلوة وقد احمرت عيناه، فلم تقع عيناه إلا على كلب، فصار ذلك الكلب يتبعه الكلاب أينما ذهب، فتسامع الناس به، وصاروا يأتونه، فاشتهر أمره، حتى صاروا يهدون له الأطعمة وللكلاب التي معه، فبلغ خبره إلى الشيخ، فبعث من أتى به، فلما وصل بين يديه، قال له: اخسأ، فدارت عليه الكلاب التي كانت تتبعه، فصارت تنهشه حتى قتلتها.

قال: وكان الشيخ يأسف على تلك النظرة، ويقول: لو وقعت على إنسان، لصار عيناً من عيون الله، أن ينتفع به الخلائق، وهذا أمرٌ لا يحيله عقل، ولا يمنعه شرع، والله في خلقه أسرارٌ لا تحيط بها أفهام كثيرٍ من العقلاء الأكابر، فضلاً عن غيرهم. انتهى^(١).

قال الشيخ عبدالله العياشي: ولما لقيته بمكة، شاورته عما أرومه من المجاورة بالمدينة، فحضني عليها، ورغبني فيها، فقال لي: قد ورد في الحديث: «إن حب الوطن من الإيمان»، والمدينة هي وطن كل مؤمن؛ لأنها وطن الإيمان، فلذلك يحبها كل مؤمن.

قلت: ويشهد لما قال ﷺ من أنها وطن الإيمان، وهو أشرف أوصاف المؤمنين، بل هو في الحقيقة كليته التي بها صار معتبر وجوده، ولولا الإيمان، لكان العدم المحض أفضل منه، فإذا ثبت هذا، ثبت أن وطن الإيمان هو وطن المؤمن.

وقد ثبت بالحديث المتقدم: أن المدينة وطن الإيمان، وفي هذا إشارة حسنة إلى أدب حسن، وهو أنه لا ينبغي لسكان المدينة، بل ولو لمن بات بها ليلة، بل أقام لحظة من المؤمنين، أن يرى في حال إقامته بها أنه غريب، بل يرى نفسه كأنه في ذلك الوقت بوطنه، الذي هو أحبُّ أوطانه بين أهله وأقاربه؛ إذ المدينة وطنه الحقيقي - كما تقدم -.

بل ينبغي أن لا يطلق على أحدٍ ممن في المدينة من أهل الآفاق أنه غريبٌ

(١) وأي صورة أوضح للخذلان وضياع الدين من تمثل الكرامات في الكلاب، غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الخرافات والأباطيل.

أو مجاور؛ تأدباً لما يشعر به ذلك من غربته في وطن الإيمان، الذي هو روحه وحقيقته، ولا يكون غريباً في وطن الإيمان الذي هو، إلا من لا عبرة بإيمانه، فأَي صفة ذات قبح من وصف المؤمن بكونه دخيلاً في الإيمان، غريباً فيه؟! فليتأمل هذه النكتة؛ فإنها حسنة عند من له ذوق سليم، وعرف الإشارة، ولم يتقيد فهمه بصريح العبارة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن كانت المدينة وطنه حِسّاً ومعنى، ونال من جميع الآفات سلامةً وأمناً.

توفي المترجم، سنة ست وسبعين وألف، ودفن بمقبرة شيخه بدر الدين، بالبقيع، بحش كوكب - رحمهما الله تعالى -.

[٨٤٤] جمال الدين الهندي النقشبندي، نزيل مكة، المجاور بالداودية. كان من أفضل الطائفة النقشبندية في عصره، ومن أعبد أهل زمانه، مقبلاً على شأنه، مراقباً للحق في سره وإعلانه، منقطعاً بالحرمين الشريفين لعبادة ربه، ولا مال له ولا أهل، إلا أصحابه المشتغلون بالطريق على يديه، ولهم سيما ولهجة لا تخفى على ذي بصيرة، وطريقهم طريق جد واجتهاد، قريب فتحها، كثير خيرها، بعيد عن الرياء والسمعة، إلا أنها تحتاج - كغيرها من الطرق - إلى مرشد عارف.

توفي في نيف وسبعين وألف، بالمدينة الشريفة، وبها توفي، وقبره الآن مشهورٌ بزار، بجانب قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو [ممن] أخذ عن أحمد بن عبد الأحد السرهندي.

[٨٤٥] جلون بن الحاج المجذوب الثاني.

ظهر بعد سيدي عبد الرحمن المجذوب، وعظم قدره، واشتهر ذكره

بفاس، أخذ عن السيد الحاج محمد الرامي التواني، توفي سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن بباب الجبسة من فاس، وممن أخذ عنه: عالم المغرب الشيخ عبد القادر الفاسي، وغيره.

[٨٤٦] الجيلان بن أحمد هريرة، صاحب بيت عكاد.

من أعيان سادة تهامة اليمن، [كان] ولياً عارفاً، مشهور الذكر، رفيع القدر، له كرامات مشهورة، ولما قرب موته، كان يقول: قرب لقاء الله، وقد اشتقنا إلى لقاء الله.

مات - نفع الله به - في العشر الأول من هذا القرن، ببلده بيت عكاد، بقرب بيت الفقيه بن حشير، المعروفة بالزيدية، وبُني عليه قبة عظيمة، وقد زرته - بحمد الله -، وأعقب ولداً صالحاً اسمه محمد، سكن المخا، ومات بها.

[٨٤٧] السيد الجيلان بن محمد.

كان إماماً عالماً، مدرساً ببيت برّخل، من تهامة اليمن، وكان ينكر شرب القهوة، ويلوم عليه، وكان له تلميذ يشربها سراً، فلما كان ذات يوم، نام إلى الفجر، فقام يفعل القهوة، وأبطأ على السيد، فأتاه، فوجد القهوة، فقال له: أتشرب القهوة؟ أما تخاف الله تعالى؟ فتاب التلميذ وتركها، ومضى مع شيخه، ويات بأسوأ حال، وأصبح مريضاً.

فراى السيد في تلك الليلة رجلاً عنده تنور، عليه مقلاة يحمص بها البن، وينشر لحيته لدخان البن، فقال: من هذا؟ فقال له بعض الناس: هذا رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أتفعل هذا؟ وهل القهوة حلال؟ فقال: هي حلال، [فلما] أصبح، أتى تلميذه، وقال: يا فلان! صب لي قهوة، فقال:

تركها يا سيدي، قال: لا، هات لي قهوة؛ فإنه كان من الأمر كذا وكذا، فحمد الله، وفعل للشيخ قهوة.

[٨٤٨] الشيخ جناح صاحب صنعاء.

كان من أصحاب السيد عبد المعطي الكاظمي، وكان من الصالحين الصابرين الصامتين، مات بصنعاء، وبُني عليه قبة عظيمة، وكان مشهوراً بأنه من النجباء - رحمه الله -، وكان أخبرني بعض أهل صنعاء: أنه توفي سنة خمس وثمانين وتسع مئة، ولكن أخبرني بعض المشايخ الذين أدركوه بصنعاء أنه توفي سنة ألف وواحد - رحمه الله -، وقد زرته، [والله الحمد بصنعاء - نفع الله به -].

[٨٤٩] جعفر باشا الوزير الخطيب^(١).

كان من أكابر أهل العلم، نقلت من «تاريخ الإمام علي الطبري»، قال: سمعت من لفظ والدي - رحمه الله تعالى -، قال: تباحث أنا وإياه في خمسة علوم: التفسير، والحديث، والمعاني، والبيان، والقراءات، فوجدته في كل منها كاملاً.

وذكر محمد بن كاني في «تاريخه»: أنه كان حاكم بلاد الحبشة، فأنعم عليه السلطان ببلاد اليمن، فوصل إلى بندر الصليف، من حدود اليمن، في تاسع عشر شهر ربيع الآخر، سنة ست عشرة بعد الألف، ودخل مدينة صنعاء، في رابع وعشرين شوال، من السنة المذكورة، وكان خليفاً بأن يقال:

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٠) (١٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٨٥).

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها الشمس والبدر المنير وجعفر

لأنه جمع بين محاسن الخصال، ومراتب الكمال، وكان عالماً عاملاً، وفيه من الديانة والتهجد، خليقاً للملك، وكان يحب الفخر، وفيه من التيه شيء لطيف، كان يزينه، ولا يشين حسن خلقه، ومن نظر إليه في بعض مجلس أنسه، وكثرة انبساطه، ظن أن يعتريه الجذب، ولو أمن من سفك الدماء، في آخر مجيئه إلى اليمن، لكان ممن ملك القلوب والأبدان، وهو معذور في هذا الأمر.

فلما وصل صنعاء، تصفح أحوال البلاد، فشهد أن قد تقوى الإمام القاسم، بمساعدة أخيه عبد الرحيم بن المطهر، وذلك بسبب عزم سنان باشا، فاستحسن مصالحة الإمام، فصالحه يوم الاثنين حادي وعشري شهر ذي الحجة، سنة ست عشرة وألف، على جهات معلومة، وهي بلاد الأهنوم، وبلاد عدور، والعصيمات، ووادة، وبلاد برض، وشرط الإمام خروج أولاده ومكافئه وأصحابه من حصن كوكبان، فأطلقهم الوزير المذكور، وأحسن إليهم، وإلى ولده السيد محمد.

وتوجهت العساكر على عبد الرحيم، فأسره، وأرسله إلى العتبة العلية السلطانية، في شهر رمضان، سنة ثمان عشرة وألف، وواجه أخوه الأمير أحمد، والأمير محمد، فأكرمهما بسنجنين سلطانيين، وفتح بلاد حجة، والشرف وبلاده وحصونه، وفتح بلاد نيوه، ووصاب، وشرع في نظام البلاد، وسار سيرة رضية.

فوصلت الأخبار: أن ولاية اليمن قد توجهت من الأبواب العلية، إلى

آغاة الينكجرية، الوزير إبراهيم باشا، فخرج الوزير جعفر باشا قاصداً إلى الأبواب العلية، في حادي عشر شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وألف، ووصل الوزير إبراهيم باشا إلى بندر الصليفي، في سلخ صفر، وخرج إلى البر في غرة ربيع الأول، سنة اثنتين وعشرين وألف.

فطلع من اليمن متوجهاً إلى صنعاء، فمال إليه الأمير عبدالله جلبي كيخية الوزير جعفر، وانضم إلى إبراهيم باشا، ولم يرع لولي نعمته حرمة، ولا راقب فيه إلا ولا ذمة، فعين الوزير إبراهيم مع عبدالله جلبي عسكرياً جراراً، وجعله سرداراً عليهم، وعلى من بصنعاء من العساكر، وأمره بالتقدم قبله إلى صنعاء، فتقدم الأمير المذكور إلى صنعاء، ونهض إبراهيم باشا إلى صنعاء، فوصل إلى ذمار وهو مريض، ثم نهض من ذمار، فلما وصل إلى «منقذة»، وهي على مرحلة من ذمار، انتقل إلى رحمة الله تعالى.

وفي سبب موته أقاويل، وذلك يوم الاثنين، خامس وعشري جمادى الأولى، من السنة المذكورة، وقد كان الوزير جعفر وصل إلى «زبيد»، واستقر بها؛ لأجل تكميل مهمات يحتاج إليها في الطريق، فوصلت إليه الأخبار بموت الوزير إبراهيم باشا، فرجع قاصداً لصنعاء، لما أرسل إليه أعيان البلاد المجتمعين في مدينة ذمار، خارجاً عمن كان مع الأمير عبدالله جلبي؛ لأنه كان وزير السلطان، وأولى الناس بالولاية؛ لأجل الحفظ، حتى يرى السلطان في ذلك برأيه السديد، فلما بلغ الأمير عبدالله جلبي رجوع الوزير جعفر، ضاقت أنفاسه لجرائته، وضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ لإساءته لولي نعمته، وأحاطت به الأوهام، وما أجدره بقول من قال:

أَسَاتَ إِلَيَّ فَاسْتَوْحِشْتَ مِنِّي وَلَوْ جَمَّلْتَ أَنَسَكَ الْجَمِيلُ
فحيثُ اجتمع الذين أساؤوا إليه من الأمراء والجند، فتشاجروا،
وتحاوروا على الخلاف، وكان الأمير عبدالله يعدمهم ويمنيهم بالذي يوافق
أهويتهم، فساعده بقية العسكر، وكان بينهم من ينكر فعلهم، وأظهروا الاستقلال
بالأمر^(١)، ولما وصل الأمير جعفر إلى ذمار، أرسل إليه كتاباً بالصفح والعفو،
فتعذر بالعسكر الذين نصبوه كرهاً، وخوفه من الوصول، بل كان يلوح
بالرجوع.

فلما ترددت الرسل، وما نفع، بل زاد ومن معه عدواناً، عين الوزير
كيخية الأمير حيدر سرداراً على العسكر، والصفح عن الذين يرجعون من
الضلالة إلى الهدى، فلما تراءى الجمعان، انخزل بعض العسكر الجنود إلى
جانب السردار، وثبت بعضهم للقتال، فتقدم بمن معه عليهم، فهزمهم، ولما
بلغ الأمير عبدالله هزيمة أعوانه، تحصن بحصن في صنعاء، فأرسل [الأمير
حيدر] إلى الأمراء بالأمان، وأنسهم، فطلبوا الأمان، فأرسل لهم بالأمان،
فخرجوا إلى حمرا علب، الأمراء والعسكر، فتقدموا إليه، وسلموا عليه،
فحيثُ تقدم الجميع في الحال.

ودخل صنعاء على أحسن حال، وأنعم بال، فما وسع الأمير عبدالله إلا
النزول إلى السردار، والوقوف بين يديه، ولما وصل الأمير عبدالله، شاهد
السردار أشقياء العسكر يتزايدوا ويتناقصوا^(٢) في الكلام، فلأجل حسم مواد

(١) في الأصل بعد كلمة بالأمر زيادة: الأمير عبدالله جليبي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يتزايدون ويتناقصون.

الفتن، قطع رأس الأمير عبدالله، فسكنت الفتن، وخمدت نيران المحن، وذلك في أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين وألف.

ووصل الوزير جعفر باشا بعده إلى صنعاء، وكان نزوله في البستان، الذي هو نزهة الحكام، قبال باب السَّبْحَة، وهو أحد أبواب صنعاء في اليوم الرابع والعشرين من شعبان، من السنة المذكورة، وصام رمضان في قصر صنعاء، وتبع من كان سبياً للفتن، وساعد الأمير عبدالله، فقطع دابرهم، وعفا عن بعضهم.

وكان الإمام القاسم قد غنم الفرصة مدة الفتنة، بين الوزير جعفر وبين الأمير عبدالله، فبسط يده على أكثر بلاد القبلة والمغارب، وتقوت شوكته، فجمع الوزير جعفر جيشاً عرمرماً، وعين كيخيته الأمير حيدر سرداراً عليهم، فتوجه، فظفر بالسيد الحسن ابن الإمام القاسم، في عرة الأشمور، فقبضه، وأرسله إلى الوزير جعفر باشا، فأودعه في دار الأدب.

ثم كانت الحرب بعد ذلك سجالاً، وفي آخر الأمر حصل الحرب الأكيد، فقتل من الجانبين عالمٌ كثير، وجمٌّ غفير، في أماكن متعددة، وبينت الحروب عن قتل السيد علي ابن الإمام القاسم، فكان سبياً لإطفاء نيران الحرب من الطرفين، وفي خلال ذلك وصلت الأخبار بأن ولاية اليمن قد توجهت من الأبواب العلية، إلى الوزير حاجي محمد باشا، فاختاراً^(١) الصلح؛ لاشتغالهما بأنفسهما، فانعقد الصلح بين الوزير جعفر باشا، وبين الإمام القاسم، بأن لكل واحدٍ منهما ما تحت يده من البلاد.

(١) في الأصل: فاختر، والصواب ما أثبت.

والخيار لمحمد باشا، فعند وصوله إلى صنعاء في تمام الصلح وعلمه،
خرج الوزير جعفر باشا من صنعاء، متوجهاً إلى العتبة العلية، يوم تاسع
وعشري شهر شعبان، سنة خمس وعشرين وألف، وكان أول دولته حربٌ
ونصر، وأوسطها سلمٌ وراحةٌ ونعمةٌ لا تكاد تنسى بين الناس، وآخرها حربٌ
وفتنة، ومحنةٌ وحقد. انتهى.

وقال النجم الغزي في «ذيله»: الوزير جعفر باشا نائب اليمن، دخل
دمشق منفصلاً عن اليمن، بعد أن دخل مصر، وأقام بها مدةً، ثم سافر في البر،
ودخل دمشق، يوم الخميس، رابع وعشري جمادى الأولى، سنة ست وعشرين
بعد الألف.

واجتمعنا به في الميدان الأخضر، فوجدناه من أفراد الدهر، فصيحاً في
العربية، عالماً بالتفسير والكلام، ومعرفة مذاهب الفرق، ويحسن الرد عليهم
بالأدلة العقلية، عارفاً بالخلاف بين المذاهب، شديد التعصب على المعتزلة
والروافض والزيدية، لا يعمل من المباحث العلمية، ذائفاً حاذقاً، وسافر من
دمشق إلى الروم، ثم عاد سنة سبع وعشرين، متولياً نيابة مصر، فتوجه إليها،
فمات بها مطعوناً، سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

[٨٥٠] جعفر أبو البحر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد،
الإمام الشهير بالخطي البحراني العبيدي، أحد بني عبد القيس بن شن بن
قصي بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^(١).

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٤٨٣)، «نفحة
الريحانة» للمحيي (٣ / ٢٠٤) (١٨٧).

قال في «السلافة»: ناهجُ طرق البلاغة الفصاحة، الزاخر الباحة، الرحيب
الساحة، البديع الأثر والعيان، الحكيم الشعر، الساحر البيان، ثقف بالبراعة
قداحه، وأدار على المسامع كؤوسه وأقداحه، فأتى بكل مبتدعٍ مطرب،
ومخترع في جنسه مغرب، ومع قرب عهده، فقد بلغ ديوان شعره من الشهرة
المدى، وسار به من لا يسير مشمراً، وغنى به من لا يغني مفرداً.

وكان قد دخل الديار العجمية، فقطن منها بفارس، ولم يزل وهو لرياض
الأدب جانٍ وغارس، حتى اختطفته أيدي المنون، فغرس بفناء الفناء، وخلد
عرائس الفتوة، فكانت وفاته سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

ولما دخل أصبهان، اجتمع بالشيخ بهاء الدين العاملي، وعرض عليه
أدبه، فاقتراح عليه معارضة قصيدته التي مطلعها:

سرى البرق من نجد فهيج تذكاري عهداً لجزوى والعذيب وذو قار

فعارضها بقصيدة طنانة مطلعها:

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري	فسقياً فخر الدمع ما كان للدار
ولا تستضع دمعاً تريق مَصُونَه	لعزته ما بين نوءٍ وأحجارٍ
فأنت امرؤٌ بالأمس قد كنت جارها	وللجار حقٌ قد علمت على الجار
عشوت على اللذات فيها على سناً	سناء شמושٍ مانعين وأقمارٍ
فأصبحت قد أنفقت أطيّب ما مضى	من العمر فيها بين عُونٍ وأبكارٍ
نواضعٌ بيضٌ لو أفضن على الرجا	سناهنَّ لاستغنى عن الأنجم الساري
خرائدٌ يُبصرن الأصول بأوجهٍ	تغصُّ بأموه النضارة أحرارٍ

معاطيرُ لم تغمس يدُ في لطيمة
أَبْخَنَكَ ممنوعَ الوصول نوازلاً
إن ابت تستسقي الثغور مدامةً
أموسمَ لذاتي وسوقَ مآربي
سقتك برغم المحل أخلافُ مزنةٍ
وفجٌ كما شاء المجالُ حسوته
تمرَّسَ بالأسفارِ حتى تركته
إلى ماجدٍ يغري^(١) إذا انتسب الورى
ومضطلعٍ بالفضل زُرَّ قميصه
سميَّ النبي المصطفى وأمينه
به قام بعدَ الميلِ وانتصبت به
فلما أناخت بي على باب داره
نزلتُ بمغشيِّ الرواقينِ داره
فكانَ نزولي إذ نزلتُ بمغديقِ
أساغَ على رغمِ الحوادثِ مشربي
وأنقذني من قبضةِ الدهر بعد ما
جُهلْتُ على معروفِ فضلي فلم يكن

ولما انتهى إلى هذا البيت في الإنشاد، قال - وأشار إلى جماعةٍ من سادة

(١) كذا في الأصل، والصواب: يُعزى.

البحرين -: وهو لا يعرف مقدارك إن شاء الله .

على أنه لم يبق فيما أظنه	من الأرض شيء لم تطبقه أخباري
ولا غرو فالأكسير أكبر شهرة	وما زال من جهل به تحت أستاري
متى بلّ لي كفّ فليس بأسف	على درهم إن لم ينله ودينار
فيا بن الألى أثنى الوصي عليهم	بما ليس تشني وجهه يد إنكار
بصفين إذ لم يلف من أوليائه	وقد عض ناب للوغى غير فرار
وأبصر منهم جنّ حرب تهافتوا	على الموت إسراع الفراش على النار
سراعاً إلى داعي الحروب يرونها	على شربها الأعمار مورد أعمار
أطاروا غمود البيض واكلوا على	مفارق قوم فارقوا الحق كفار
وأرسوا وقد لاثوا على الركب الجني	بروكاً لهدي أبركوه لجزار
فقال وقد طابت هنالك نفسه	رضى وأقروا عينه أي إقرار
فلو كنت بواباً على باب جنة	كما أفصحت عنه صحیحات آثار

يشير إلى همدان، وهي قبيلة من اليمن، ينتهي إليهم نسب الممدوح، وكانوا قد أبلوا يوم صفين بلاءً حسناً، فروي: أنهم في بعض أيامها حين استحرّ القتل، ورأوا فرار الناس، عمدوا إلى غمود سيوفهم فكسروها، وعقلوا أنفسهم بعمائمهم، وجثوا للركب، وبركوا للقتل، فقال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام:

لهمدان أخلاق ودين يزيناها	وباس إذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بواباً على باب جنة	لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال فيهم يوم الجمل: لو تمت عدتهم ألفاً، لعبد الله حقّ عبادته.

وكان إذا رآهم، تمثل بقول الشاعر:

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ همدانِ سنى فتحة البابِ
كالهندوانيِّ لم تفللْ مضاربهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجَّابِ

ذكره ابن عبد ربه في «العقد»، وحمدان: - بسكون الميم، وبعدها دالٌ مهملةٌ -، وأما هَمْدَان - بفتح الميم والذال المعجمة -، فبلدٌ من بلاد العجم، وهي أول عراق العجم، وإليها ينسب بديع الزمان الهمداني، صاحب «المقامات»، التي اقتفى الحريري أثره فيها، وتمايم القصيدة موجودٌ في ديوان صاحب الترجمة، وقد قرظ له عليها الشيخ بهاء الدين تقریظاً حسناً، ذكره في «السلافة».

ومن شعره - أيضاً - قوله:

عاطنيها قبلَ ابتسام الصباح	فهي تُغنيك عن سما المصباحِ
أنت تدري أن المدامة نارٌ	فاقتدحها بالصبِّ في الأقداحِ
فهي تمحو بضوئها صبغةً اليب	ل فيغدو وجه الدُّجى وهو صاحي
وإذا ما أحاط بي وفدُهم	مهدياً لي طرائفَ الأتراحِ
فأسلها ورديةً كدم الكبـ	شٍ أسالته مديئةُ الذَّبَّاحِ
فهي تُقصي إمّا دكتْ واردَ الهمـ	م وتُدني شواردَ الأفراحِ
ألحفت في السؤال هل من فكاكِ	لأسيرٍ ما إن له من براحِ
مزجوها فقيدوها فلو تتـ	رك صرفاً طارت بغير جناحِ

يا خليلي ولا أرى لي من النا	سِ خليلاً إلا فتى غير صاح
يتلقى عدلَ العذولِ بهيها	تَ ويحشو في أوجهِ النّصاح
ألفِ الراحَ فهو بين اغتباقِ	لا ينادي وليدَه واصطباحِ
رُح على الراح بي فليس على الأج	سام غيبٌ في السعي للأرواح
واسقنيها صرفاً فللنّار أنات	جانباً عن وصالِ ماءِ قراح
خيرُ ما يُشرب المدام عليه	وجهُ خُودٍ من الحسانِ رداح
ذاتُ قد تُثني الغصونُ عليها	حين يهفو بها نسيمُ الصباح
فوقه طرةٌ تظل محيّا	جائلاً ماؤه مضيّ النواحي
فهي من نور وجهها وظلام الش	عرٍ في حاليّ مَساً وصباح
وثغورٍ يُخلن في بارد الظل	سم حباباً يطفو على وجهِ راح
ما ترى الدهر كيف رقت ليالي	سه فشفت عن أوجهِ الأفراح

[٨٥١] جعفر بن المطهر بن محمد الجرّموزي الحسني^(١).

السيد المبرز في حلبة البيان على أقرانه، وأديب اليمن وشاعره في أوانه، وفارس سوابق المعاني المسفرة الغرر، ومعدن جواهر الألفاظ المنسقة الدرر، غزير النظم العزيز، في اللفظ الوجيز، هبّ نسيمُ نظمه، فعطر بذكاه المغارب والمشارق، وتزينت بفوائده سطور المهارق، وفخرت بشنوفه الأسماع على تيجان المفارق، مع فضل لا يشق له غبار، وتبخر في العلم لا يُدرك له قرار.

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٤٧٥) (٤١)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٣).

ولما قدمت المخا، عام أربعة وتسعين وألف، واجتمعت بصنوه السيد
العلامة الحسن بن المطهر أمير المخا، أنشدني له أشعاراً، منها قوله:

تمايلت أغصانُ بان النقا فأشبهت أعطافَ أجابي
ومذ صبا قلبي صبا حاجبي إيها على الصاحب والصابي

وقوله:

بي أحمرُ الوجنة مشروطها لذنُ الثني ناعسُ المقلتين
لو لم تكن جفناه مكسورة ما جعلوا تحتها خفضتين

قوله:

عابتهم حين حال ودُّهم عند انعكاس الزمان ممتحنا
قالوا فمن ذا تراه لم يك يسر تحيل بالانعكاس قلت أنا
وفيه لطيفة لا تخفى.

وكتبت إليه وأنا بالمخا، عند سماعي لأخباره، أن يكتب لي نبذة من
أشعاره، كتاباً افتتحته بقصيدة، وهي:

يا نسمة كالعنبري عن ساقٍ جذك شمري
هبي من أعلى مكة بالليل حتى تسفري
وتوجهي نحو الحطيم هم وزمزم والمشعر
والبيت والأركان مع ذاك المقام الأفخر
والمرتوتين ولغلع وجرا وثور الثير

واسري ^(١) إلى أن تبلغني	بلد النبي الأطهر
فتطّبي من طيب ذئب	سيالك الثرى وتعطري
وقفي هنالك ساعة	في روضة والمنبر
ثم ارجعي وهنأ على	أكتاف أرض المخشّر
القدس والطور البهي	وصخرة المتكبر
جاذ الإله ربوعها	صوب السحاب الممطر
ورعى هنالك سادة	لسواهم لم أذكر
بلد الكليم ورسل ربي	والخليل الأكبر
فتبركي بحمماهم	ويتربهم فتعفري
وبكربلاء فعرجي	واسري ^(٢) بروضات الغري
وطفي المشاهد كلّها	وعلى الكناسة فاعبري
ثم اقصدي وادي دمشق	سق ومائه المتحدر
والغوطّة الفيحاً وما	النيرين الكوثر
هي جنة الدنيا وما	وى كل أغيد أحور
وعجبي على مصر وما	في نيلها المتكدر
والروضة الغناء مع	مقياسها الإسكندري
ويديعها والمشتهى	وجبينها والأزهر

(١) في الأصل: وسرى، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: وسرى، والصواب ما أثبت.

أَرْضِ الْخَلَاعَةِ وَالصُّبَا	مَجْرَى الْجِيَادِ الضُّمْرِ
سَقِيًّا لَهَا مِنْ بِلْدَةٍ	فِي حَسْنِهَا لَمْ تَسْهَرِ
فِيهَا أَصِيحَابٌ لَنَا	غُرٌّ كَرَامُ الْمَعْشَرِ
وَاللَّهِ مَذْفَارُ قَتْلِهِمْ	فَارَقْتُ حَسَنَ تَصْبِيرِي
بِاللَّهِ يَا نَشْرَ الصُّبَا	إِلَّا سَرِيَتْ كَمَا تَرِي
حَتَّى تُوَافِي أَرْضَ قَحْ	طَانٍ وَمَغْنَى حِمِيرِ
حَيْثُ الْخُورَنَقُ وَالسَّيْدِ	رُ وَتُبَّعَ ذِي الْمَغْفَرِ
فَخَذِي طَرِيقَ تَهَامَةٍ	وَاسْتَتَجِدِي وَاسْتَخْبِرِي
الصَّادِقَ الْحَبَرَ الرُّضِي	الطَّاهِرَ بْنَ مَطْهَرِ
الطَّيِّبَ الْأَصْلَ الَّذِي	يُنْمِي لِحَضْرَةِ حَيْدَرِ
صَنَوِ النَّبِيِّ وَصِيَّهِ	الْفَارِسِ الْمَتَبَخَّرِ
فَهُوَ الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ	سَمِ أَوِ السَّرِيِّ بْنُ السَّرِيِّ
خَلَقَ كَمَا شَاءَ الْكَمَا	لُ وَرَقَّةً لَمْ تُنْكَرِ
وَتَوَاضَّعَ مَعَ عِزَّةٍ	وَإِذَا سَطَا كَفَّ ضَنْفَرِ
وَمَنَاقِبُ عَلَوِيَّةٍ	مَنْ عَدَّهَا لَمْ تَبْدُرِ
وَفَضَائِلُ وَفَوَاضِلُ	لِمَحَلَّتِي وَمَقْصُرِ
وَمَعَارِفُ وَعَوَارِفُ	لِمَعْرِفٍ وَمَنْكَرِ
وَعِلَومُ آلِ مُحَمَّدٍ	جُمِعَتْ لَهُ بِتَبْخُرِ
قُلْ مَا تَشَاءُ مِنْ مَدْحِهِ	لِذِي عِلَالِهِ وَقَرَرِ

إذ قد متعنا بسيد
 ثم ابليغه تحية
 بتأدب وتواضع
 وتخضع لمقامه
 وصفي له شوقي على
 فالأذن تعشق بالسما
 ثم اشرحي حالي له
 قولي له يا سيداً
 لما اجتمعتُ بصنوكم
 المنتقى الحسن الذي
 يفتى الزمان وفضله
 جمع الفضائل كلها
 وكذاك إسماعيل من
 وجمالية وجلالة
 ولطافة وشهامة
 وتذاكر أخباركم
 وثملت من شعر لكم
 رق أنسجاماً فهو في
 بحلاوة وطلاوة
 ملك جليل المنظر
 مني إليه وكبري
 وتذلل وتحقير
 يا ربح لا تتكبري
 سمعي وإن لم أبصر
 ع لطيب حسن المغبر
 وعلى لساني فاخبري
 قد حار فيك تفكري
 السيد المتبصر
 أوصافه لم تُخصر
 وأبيك باقٍ فاشكر
 فعلى سواه فكبر
 يسمو بحسن تدبير
 ومهابة وتوقر
 وتعفف وتطهر
 فبقيت كالمتحير
 عذب رحيق مسكر
 الفاظه كالسكر
 وملاحية وتعجب

وغيري معني رائق	بسهولة وتيسر
قطع هي السحر الحلا	ل بل النظام الجوهري
فحيب أضحي عاجزا	عن مثلها والبحثري
وابن الحسين مقصرا	عن شأوها وكذا السري
لم أستمع مثلاً لها	في حسننها لم أبصر
فاسمع فديتك مهجتي	لعييد رق أصغر
بالوصل من أشعاركم	لا زلت غير مكدر
فأبو القصيدة مصطفى	للفضل أفخر مشتري
خُذها إليك غريبة	يا ابن المظهر واعذر
بكرًا بنية ليلة	من نازح لم يحقر
مصحوبة بمحبة	في القلب لم تتغير
لا تهملن جوابها	من تحت سبعة أبخر
وعسى الإله يجود لي	بلقائك في ذي الأشهر
في مكة الغراء جمـ	ع والحجيج الأكبر
وأنزه الأحداق في	بستان فضلك الاخضر
وأقول شكراً يا زما	ن فذمتي لم تخفر
واسلم ودم في عزة	تعلو علاء المشتري
ما غردت وزق على	أفنان روض مزهر
ثم ابلغن تحيتي	أولادكم مع معشر

وذريكم وصحابكم بل كل ظبي جزري
فأجاني بقوله :

إن كنت ممن يمتري في الحب فاعشق تعذر^(١)

[٨٥٢] الجنيد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن محمد بن علي بن أبي بكر بن موسى بن عمر النهاري، أخو المولى المشهور محمد بن عمر، بنته حفصة تزوجها أبو بكر بن موسى، فالذرية منه، وعمر هو ابن موسى بن محمد بن علي بن يوسف بن بهاء بن موسى بن عمر بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام النهاري.

السيد الجليل، كان على قدمٍ كاملٍ من العبادة والزهد، توفي تاسع شهر ربيع الأول، عصر الأحد، سنة ست وستين وألف، وقبر في رباط النهاري، قريباً من قرية جده محمد بن عمر النهاري، المشهور بقمر الصالحين - نفع الله به - .

[٨٥٣] الأمير جوهر برهان نظام شاهي^(٢).

ذكره شيخنا السيد محمد الشلي في «تاريخه»، فقال: الموفق بتوفيق الله وعنايته، المسدد بحفظ الله ورعايته، طهر الله من الأغيار باطن سريره، وفتح بنور الإيمان عين بصيرته، واشتهر في الأمصار بحسن سيرته، جُلب إلى الديار

(١) جاء في الحاشية: «ذكر في الهامش: يُكتب من المجموعة، وترك صفحتان يابض».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٦).

الهندية وهو صغير، مع أخ له، فاشتراهما السلطان العادل برهان نظام شله، ثم حفظ القرآن وغيره، ثم سلّم إلى من يعلمه الفروسية، واللعب بالسيف والرمح والسهام، إلى أن مهر في ذلك، ثم ترقى إلى أن صار أميراً على منة فارس.

وكان شافعي المذهب، وسمع الحديث من جماعة كثيرين، وقرأ كتباً كثيرة، وصحب المشايخ، ولازم صحبة الشيخ الإمام السيد شيخ بن عبدالله العيدروس، وألبسه خرقة التصوف، وحكمه، واجتمعت به في رحلتي إلى الهند، وعرفت فضله ودرجته في العلم ومحلّه، فأقمت برهةً أرتع في رياض فضائله، وأكرع من حياض نمير وابله.

وقرأ عليّ في الفقه والنحو والحديث، وشملني بإحسانه الكثير الوافر، وعضدني ببره وجميله المتواتر، وكان له من العبادة والتهجد، والقيام والصيام، والأوراد والأذكار، وكثرة التلاوة، شيءٌ كثير، لا يفتر ساعةً عن تلاوةٍ أو ذكر، أو صلاةٍ على النبي ﷺ، وهي أكثر أوراده، وخشوعه وخضوعه في عبادته يعد من حسناته، وكان له مطالعةٌ في كتب الرقائق.

وكان كثير الاعتقاد فيمن ثبت عنده صلاحه من السادة والعلماء والصلحاء، ومن شدة عقيدته في السادة: أنه إذا شاهد ما يكره منهم، حمل نفسه على قصور الفهم، ويقول: لعل هذا مما يخفى حاله في هذا العالم، فحملُ حاله على الصلاح أسلم.

وكان له بشاشة وجهٍ تسرّ القلوب، وطلاقة محيّا تفرج الكروب، وتغفر للدهر ما جناه من الذنوب، وكان شهماً شجاعاً، ذا سياسةٍ للرعايا، يتلطف

بالعبيد والخدام، ويتفضل عليهم بأنواع الإكرام، وكانت أيامه كلها أيام خير، كأنها أعراس، وكان كثير الغزو والجهاد، لقتال أهل الكفر والفساد، وما قيل له قط يوماً في فعل خير فامتنع منه، بل يبادر إليه، ومن خلاله الجميلة: أنه كان يعرف حق الصحبة، ولا يتغير على أصحابه، ولا يضجر منهم، وهم عنده في حظوة.

ثم رماه الدهر بسهمه الصائب، وصيرَه غرضاً للمصائب، فأصابه مرضٌ طال به، حتى أفسد مزاجه، واستمر به، ثم لم يلبث أن فارق محل مملكته المعمور، وتوجه إلى بلاد «بيجافور»، من أرض الهند، إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ست وخمسين بعد الألف، ودفن بمقبرة السادة والعرب، تحت المدينة، واعتنى السادة بتجهيزه؛ من غسله والصلاة عليه، وإدخاله القبر، والقراءة عليه، وكان له مشهدٌ عظيمٌ - رحمه الله رحمة الأبرار -، وخلف ولدين صغيرين، وأقيما مقام أبيهما، وقررا في محله.

[٨٥٤] جعفر بن علي الودّي الحنبلي المصري.

الشيخ الصالح المشهور بجميل الاعتقاد، وعظيم الحرمة والبركة، كانت له مشاركة في فنون عديدة، وكان من حسن السمات بمكان مكين، متقدماً في علم الميقات، ومداخل الشهور والسنين، وله مؤلفات فيه شهيرة، وكان شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي يشير إليه في هذه الأمور، ويعتمد عليه في مداخل الشهور.

قرأ في بدايته في الفقه على منصور البهوتي الحنبلي، وأخذ جملة من علوم الحديث وغيره عن النور علي الأجهوري، والشمس محمد الشوبري،

وسلطان المزاحي، وعلي الشيراملسي، وأحمد العجمي، وعممو له الإجلزقة،
وقدم الحرمين سنة تسع وثمانين وألف، وجاور بالمدينة، ورجع إلى مصر،
وأقام بها، إلى أن مات في نيف وتسعين وألف - رحمه الله -، وكان يني ويته
مودّة أكيدة، ومكاتبات عديدة.

[٨٥٥] جعفر بن المطهر الجرموزي الحسني^(١).

سيدٌ عقد ليته في نجم السماء أسمى طنب، واستملح نظمته في كل
ناظرٍ، على أنه في الأسماع قد عزب، أكرم بني مطهر، الذين لا يمس صفحاً
مجدّهم إلا المطهرون، وأفصحهم لساناً، فإن سجع، أورقت أقلامه، فتلذ
الأسجاع البديعة فوق الغصون.

كانت جهة العُدين تتيه به على حيلة، وتعز، وتفترض لذة الافتخار بدولته
على سائر البلاد وتهتز، أيام ألقيت إليه بها الإمارة، وظهر عليها من الابتهاج
الأمارة، وما زال جيدها به حالياً، ومورد معنتيه به خالياً، وساعاته مفوفة^(٢)
بالفضائل والفواضل تفويف المطارف، ومقسمة بين إفاضة العوارف ودراسة
المعازف، وأيامه مواسم وأعياد، ومقاماته يرتج وصفها باب وصف الفتح
لمقامات ابن عباد.

حتى أصابت كمال حسن تلك الجهة عين الإحن، وصرف عنها وهو
ذو العدل والمعرفة وذلك من لحن الزمن، ولما استبان بها صرفه، وغفل عن

(١) «نفحة الريحانة» للمحيي (٣/ ٣٩٧) (٢٢١)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٤١)،

«البدر الطالع» (١/ ١٨٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٤٧٥) (٤١).

(٢) في الأصل: لفوفة، والصواب ما أثبت.

حراستها طرفه، ثل عرش الخلافة المهدية، وهوى نجمها، وهوى ركنها،
وطمس من صحف الوجوه رسمها، وهبت من الفتن ريح ذات إعصار، وجرى
من الأرض ما لم يجبر في سالف الأعصار، وبث في ساحاتها عقارب كل
خطب مريب.

وما زال وَثِلُ الفتن ونبُلُها يَصُوب وَيُصِيب، وبقي معتزلاً في داره، رافلاً
من النعيم في حلل هي منتهى أوطاره، لم تمنح منه ديباجة الملك، ولم تنحط
من فلك عزه إلى الفلك، وكانت «مذيخرة» غاية مآربه، ونهاية مطلبه، كم
له بها من قصر زاحم السماء بالمناكب، وجعلها على رأسه تاجاً مرصعاً بلكىء
الكواكب، وحفّت به رياض التفّ فيها أزرق النهر، وأشرقت أجياد غصونها
في حلبة الزهر.

أخبرني أخى الصدر الرئيس شهاب الدين أحمد: أنه لما عزل عن إمارة
العُدين، بأخيه ضياء الدين إسماعيل، وكان عزله أعزّ له وأحمد، عزم عليه في
العزم معه إلى العُدين، لمودة له شد عليها باليدين، فلما ألقاهم إليه الإرقال
والوجيف، تلقاهم في موكبٍ عظيم، وأنزلهم من أنسه في ظلّ وريف.
ولما ارتحل إلى مذيخرة، كتب إليه أبياتاً يستدعيه بها، كأنما هي عقود
الدر، اقترن بها إليه، وهي:

يا أحمَ دعوة ذي ودّ تكفّه	شوقٌ إليك وتوقٌ ليس ينحصرُ
يهوى لقاءك مشتاقٌ ويزعجه	إليك يا أحمدَ الأنفاسُ والفكرُ
في روضة كلّما غنى الهزار بها	وصفّق النهرُ مالت بالنهى الصدر
صلِّ افضلِ اقبل تعال اسعد فما حسنت	إلا بطلعتك الغراء يا قمرُ

فكتب إليه الجواب مع ذلك البريد، بنظمٍ يسحر بالجوهر الثمين، والدر

الفريد:

وهذه الزهرُ قل لي أم هي الزهرُ	هذي الدراري حَقًّا أم هي الدرُّ
صوبُ الحيا أم تمشَى فوقها الحَصِرُ	وهذه الروضةُ الغناءُ باكرها
في نظمٍ ملكٍ له الأملاك تأنمُ	أم ذي طلاسُم من سحر البيان أتت
سواه قَطُّ به ما عشتُ أفتخرُ	قد جاءني منه يدعوني إليه وما
وطاعةً لك يا من سَيَّه البِدَرُ	فقلت سمعاً لأمرٍ منك شَرَّفني

ولما كان من الغد، رحل إليه هو وأخوه السيد صفي الدين أحمد،
والشمس قد توسطت الظهيرة، وألقت من أشعتها الضفيرة، ثم سترت محياها
بنصفٍ من الغيم رقيق، وذر كافور الرذاذ على بحار الشقيق، ولما طمرت
الغزالة في كناس غربها، وصارت كمقلة عليها التهويم، فغارت في غربها،
وصاروا من مذيخرة الفؤاد، ومنشد القول المعتمد بالله محمد بن إسماعيل
ابن عباد:

أهلاً بكم صَحِبْتكم نحوي الدَّيْمُ	إن كان لم ينجح لي بكم حلمُ
حُثُوا المطايا ولو ليلاً بمجهلة	فلن تضلُّوا ومن بشرى لكم علمُ
لأنتم القومُ إن خَطُّوا يجذ قلمُ	وإن يقولوا يُصِبْ فضلَ الخطاب فمُ
لا عيٍّ إن رقموا كتباً ولا حصراً	إن يبتدون ولا جوراً إذا حكموا
هذا فؤادي قد طار السرورُ به	إن كنت تنقلك الوحَّادة الرُّسْمُ

ثم أنزلهم في ذلك القصر، وقد كاد خدامه أن يقوموا لهم على الرؤوس،

وأمر بإسراج الشموع فيه ، فكانها منه بها مطلع الشمس ، والعنبر الأشهب ينفخ
في مجامر اللجين ، وقد أعدّ لهم ما تشتهيه الأنفس ، وتلذّ به العين ، فباتوا
يتروكون في غرفه ، ويتنقلون فيها تنقل البدر في منازل شرفه ، لم يقف لهم
من السرور طرف ، ولم يربهم من الشرور هجومٌ صرف .

ولبثوا عنده أسبوعاً ممنوحين ما تتوق به النفس ، وتلذّ به الحواس
الخمس ، وخيلُ الأفراح مقيمةً لهم في طرادها ، وأمانى الأرواح معطيةٌ لهم من
قيادها .

ومن نظمه الذي تحكيه غمزات الجفون الوُطف ، وتمائله إشارات البنان
الذي لا يكاد ينعقد من اللطف ، ويضاهيه السحر ، إلا أنه خال عن تعقيد العاقد ،
ويشبه الدر ، إلا أن بعض الدر فرائد : قوله :

يا صاحبيّ حمامةُ الـ وادي أصاحت لي غراما
غنت فغنت مغرماً فيهم وهى جسمي وهاما
ففسا سلاماً نبتغي في سجعها قالت سلاما

وفي هذا البيت إبهام التوكيد ، من أنواع البديع ، وهي من المحسنات
التي شأوها رفيع ، اخترعه العلامة زين الدين بن الظفر ، فأتى بما هو دليلٌ على
أنه بكل بديعةٍ مظفر ، واستشهد عليه بقوله :

تعشقت أحوى لي إليه وسائلُ وإصلاحُ أحوالي لديه لديه
أمرُّ به مستعطفاً متلطفاً فينقل تسليمي عليه عليه

ومن بديع شواهدة : قول فخر الدين بن مكاس :

نعم نعم مخضتهم صدق الولاء تطؤلا
ومارعوا عهدا ولا مودة ولا ولا

وهو ما استشهد به عليه العلامة الشهاب الخفاجي، فكشف بصبغه المنير ليل الإشكال الداجي، لكنه قال: وزعم ابن الوردي أنه من مخترعاته العديمة الأشباه، وهي في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولعمري! لقد مال عن الجادة المستقيمة؛ إذ لا جامع بين ما استشهد به من الشعر، وبين الآية الكريمة.

فإن ابن مكناس أتى في شعره بكلمة لا، ثم كررها معطوفة على الأولى بواو العطف، فصارت: ولا، ثم أتى بكلمة أخرى بلا فاصل مثلها في اللفظ، وفي أولها واو أصلية، وهي: ولأ: اسم من الموالاة، التي هي ضد المعادة، فكان الكلمة الأولى مع واو العطف قبلها مع الكلمة الأخرى جناساً مركب.

ومع ذلك، فإنه قد يصح اشتراكهما في اللفظ والمعنى، وذلك إذا جعلت الواو التي للعطف في الكلمة الأولى أصلية، فتصير الكلمة الأخرى مؤكدةً للأولى، وإذا جعلت الواو الأصلية التي في الكلمة الأخرى للعطف، مثل الواو التي في الكلمة الأولى، فيصيران كلمتين مكررتين، اكتفي بهما عن كلام لم يذكر؛ لوجود القرينة الدالة عليه، وحيث لا يمتنع التأكيد؛ لفصل الواو بينهما؛ لأنه لا يفصل بين المؤكد والمؤكد؛ لشدة اتصال كل منهما بالآخر، فإيهام التوكيد حاصل في الكلمة الأخرى؛ لصلاحيتهما للتوكيد، إذا لاحظنا أصالة الواو فيها، وفي الواو التي قبلها، وعدم صلاحيتها للتوكيد، إذا لاحظنا عدم أصالة الواو فيها، وأنها حرف عطف.

وهذا ليس في الآية الكريمة، ولا في قول ابن الوردي، وإن كان فيه التكرار الموهم لإيهام التوكيد، فقول ابن مكناس هو الأليق بإيهام التوكيد؛ فإنه رقى منه أوجه، وغدا بما اشتمل عليه من المحاسن والإبداع في الصنعة، أشرف من النيرين وأوجه.

ولا يخفى اختلاف الإعراب في الآية الكريمة التي استشهد بها الخفاجي، وأنسب منها قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]، لاتفاق الإعراب، كما هو في أبيات ابن الوردي، وفوق كل ذي علمٍ عليم، ومنه قلبي:

يا من أطعت حُبهم	مخالفًا معنًى
الله فني محافظ	على الولا وفي وفي

قلبي:

وبديع الطوق له صدحُ	في الدوح يثير به الحُرَقا
أبدى منا فرقا فرقا	غُصْنَا لَدُنَا وَرَقَا وَرَقَا

وقولي:

لله غزالٌ واصلني	سَحَرًا فمَلَّت به جَدَلَا
وأبان عواذله فجلا	كربًا مني وحلا وحلا

وقولي:

ما أول بعدك عن كليفٍ	بالصدِّ إذا ما أوله
فأرحمه وصله فإن له	بك فرطٌ هوَى وله وله

وقولي:

إذا لم يكن يا غصنُ وصلْ فإنني سأقنع بالأوراق منك على كمد
فقدَ فقدَ الطرفُ القريحَ منامه وقد وهن القلب الجريح وقدَ وقدَ

ولصاحب الترجمة:

أقسمتُ بثغرك إنَّ له معنَى يصطاد به المَهْجَا
ما شام له فلحاً فلحاً فيه أحدُ فرجَا فرجَا

ومن شعر صاحب الترجمة وقد دخل الحمام هو وصديق له، فاتفق
أن تولى خدمة الصديق رجل أحمى، فلما أخذ في خدمته، تساقط العرق منها،
فقال مرتجلاً:

خويدم الحمام ذو لحية مثألهما في الطول لا يشهرُ
قلنا وقد بَلَّلْنَا ماؤُها ما ذاك إلا عارضُ ممطرُ

انتهى. نقلته من «طوق الصادح المفصل بجواهر البيان الواضح» للشيخ
الفاضل العلامة يوسف بن علي بن الهادي الكوكباني - سلمه الله تعالى -^(١).



(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».



حَرْفُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ

[٨٥٦] السيد حاتم بن أحمد بن موسى الأهدل الحسيني^(١).

السيد السند، الشريف الأمجد، المحقق الباهر المبجل، العارف بالله الأكمل، قطب دائرة المشرق، وعماد بيت المجد العالي المشرق، وبحر العرفان الخضم، وصدر المكارم الذي جمع شملها وضَمَّ، سالك مسالك الشريعة والحقيقة، ومالك ممالك الفضل الذي أظهر حقه وتحقيقه.

ذو الكرامات الظاهرة، والمقامات السامية الباهرة، الجامع بين الفرع والأصل، والعارف بمواقع الفضل والوصل، المتحلي من حلى الأدب بما أبان تفضيله، والحائز من محاسنه ما تحكم له شواهد السبق، وتقضي له إن نثر ماء زهر الربيع، يختال في وشيه الربيع^(٢)، أو ترسّل إلى النظم وتوصّل، فما عقد الثريا يتعرض بعرض أبناء الوشاح المفصل.

رحل إلى كثير من البلدان؛ لطلب العلوم والعرفان، وأقام مدة بالحرمين

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٧)، «خلاصة

الأثر» للمحيبي (١ / ٤٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحيبي (٣ / ٤٤١) (٢٣٥).

(٢) كذا في الأصل.

الشريفين، ونال خير الدارين، ولما أراد الله تعالى بأهل المخا خيراً، أطلعه في أفقه بدرأ منيراً، وقدر له أن توطن هذا الثغر الشهير، وصار له فيه الشأن العظيم الكبير، والشأوى التي تجل عن التعظيم، فزانت به البلاد، وافتخرت به العباد، كما قال بعضهم:

تأهبت بكم أرض المخا وتجملت فالبندر المحروس زهواً يرفل
لما طلعت بأفقه متهللاً أمسى ويات بنوره يتهلل

وكان يدخل المخا في أيامه السعيدة، مراكبٌ عديدة، من البنادر البعيدة، وكل من حل عليه نظره، تبدلت أحواله السيئة المعهودة، بصفاتٍ محمودة، وحكي أنه قال: ولأنني النبي ﷺ هذه البلاد، وهذا القطر.

وقصده الناس من البلاد، من كل ناد، وأذن بفضل كل مناد، واهتدى به جمٌ غفير، وتخرج به جمعٌ كثير، منهم: ولي الله بلا نزاع، وأحد الإمامين بالإجماع، السيد محمد بن علي باسعد، والشيخ نور الدين علي ابن الفقيه عبد الرحمن الجازاني، والشيخ عبد الوهاب بن فتح الله الهندي، وغيرهم ممن صاروا كالنجوم، يهتدى بهم في المعارف والعلوم.

وقد أفرد ترجمته السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، في كتاب سماه: «الدر الباسم من أرض السيد حاتم».

وبالجملة: فكل أحواله ﷺ، وأقواله وإشاراته وأفعاله، له كراماتٌ ظاهرة، وآياتٌ باهرة.

وحكي: أن السلطان في بعض السنين جدد السكة، وكان بعض السادة من أهل زبيد، رأس ماله كله من الدراهم القديمة، فتضرر لذلك جداً، وشكا

حاله على^(١) السيد حاتم، فدلّه على بعض الأولياء بزييد، فذهب إليه، فقال له: السيد حاتم أقدر مني على قضاء حاجتك، ولكن اذهب إلى المكان الفلاني، تجد شخصاً في المسجد، فذهب ووجد الشخص، وقال له: ادخل حتى تجد في المحل الفلاني رجلاً يخرز النعال القديمة، فدخل ووجده كذلك، وعنده إناء فيه ماءً متغير الرائحة من النعال التي يخرزها، فجعل الخراز يجر الخرز بقوة؛ لكي يلحقه الرشاش فينفر عنه، فأدخل الرجل يده في الماء المتغير، ورش على نفسه، فعرف الخراز أنه لا بدّ له منه، فأخذ الجراب الذي فيه الدراهم، وجلس عليه ساعة، ثم أعطاه إياه، فإذا هو على السكة الجديدة، ثم قال له: الرجل الذي لقيته بالمسجد هو الخضر - عليه السلام -، وجعل يقول: فضحوني، ومات بعد ثلاثة أيام - نفعنا الله بالجميع -.

[٨٥٧] السيد حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علي الأهدل الحسيني^(٢).

قد أفرد ترجمته السيد الجليل عبد القادر بن شيخ العيدروس، في كتاب سماه: «الزهر الباسم من روض الستاذ حاتم»، وهو مجلّد حافل في نحو أربعين كراساً، فمما نقلته منه ملخصاً:

إنه قطب الوجود، وإمام أهل الشهود، والإنسان الكامل، والخير الذي

(١) كذا في الأصل، والصواب: إلى.

(٢) كرر المصنف رحمه الله تعالى الترجمة، وزاد في أخبار المترجم له.

غداً لكل شامل، أبو الأرواح، وشيخ الأشياخ، صاحب المخا، وأخو الحاتمي، وسَمِيَّ حليف السخا، وفارس ميدان هذا الشأن، وترجمان الحقيقة بالدليل والبرهان، العارف بغوامض الحقائق، الجامع للطائفت أسرار الدقائق، الدال بالقول والفعل على الله، والناصر بسيف الحجة لدين الله، المعرب عن مغيبات الأسرار، المغرب بلدنيات الأخبار، مظهر الصفات الأزلية، مهبط الرحمت الأبدية.

كان من آيات الله الكبرى، وأعجوبة الزمان الذي بهر الوري، ليس له نظيرٌ في أحواله وأقواله ومقاماته، وكانت له يدٌ طولى في جميع العلوم، لكن غلب عليه علم التصوف، فكان ابنَ عربي في زمانه، وبونِيَّ أوانه، بل أبا^(١) يزيد عصره، وجنيدَ دهره، لم ير مثل نفسه، ولا رأى الراؤون مثله في كماله وبراعته.

جمع بين علم الشريعة والحقيقة، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة، وكانت له أحوال فاخرة، وكراماتٌ باهرة، ظهرت بركات أنفاسه على خلق كثيرٍ من العصاة، فتابوا وأنابوا إلى الله تعالى، ووصل به خلقٌ إلى الله ﷻ، وصار له أصحابٌ وأتباعٌ كالنجوم.

وكان ﷺ متضلعا من العلوم الظاهرة، جامعاً لفنونها؛ من تفسيرٍ وحديثٍ، ونحوٍ وأصول، وفقهٍ وآداب، ومعانٍ وبيان، وبديعٍ وشعر، وعلم التعبير، وعلم الطب، وكانت جميع هذه العلوم قد صارت له بها ملكة، فكان لا يراجع كتاباً، ولا يرى يطالع في كتاب، وإذا سُئل، أجاب على البديهة

(١) في الأصل: أبو، والصواب ما أثبت.

بما يحير الألباب، وأتى من ذلك بالعجب العجائب، حتى كان جميع الكتب؛ من الحديث والأصول، والفروع والرقائق، على طرف لسانه نقل مسطرة.

وكان بعض أئمة العلوم والمعارف، ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الربانية يقول: والله! لا ندرى من أين هذا الكلام الذي نسمعه من هذا الأستاذ؟ ولا نعلم له أصلاً يؤخذ منه، ولولا أن العلم يسدّ باب النبوة، لاستدلينّا بما نسمعه منه على نبوته.

وقال بعض أهل عصره مادحاً له:

إذ ما ذكرنا الأكرمين فإنه هو الكوثر الفياض والعارف الندي
ومهما مدحنا الصالحين فحاتم به نختم الذكر الجميل ونبتي

وسمعت الأديب أحمد بن رضي الدين القازاني المكي - رحمه الله -، وكان شاعراً مفلحاً يقول: ما كنت أحسن نظم الموشح والحميني، وغيرهما من أنواع الشعر، حتى لقيت الأستاذ حاتم - نفع الله به -، فاستفدت منه أشياء في ذلك، وكلامه - نفع الله به - نظماً ونثراً يدل على كثرة اطلاعه على العلوم، وتبحره فيها، مع ما خصه الله به من جودة الفهم، وحسن الحفظ، وحلاوة العبارة، وحسن الأداء والتقرير، مع كون ما يلقيه من ذلك كله في ألفاظه مخترعة، بالغة في الفصاحة والبلاغة، والجزالة والإيضاح، إلى الغاية التي ليس وراءها - مع كون أكثرها أو جميعها مسجعاً مقفياً، معرباً - موضوعاً في محله الذي لا يرى أولى به.

ولم يحفظ له أحدٌ هفوةً من ألفاظه؛ من جهة إعراب أو تصريف، أو تقديم أو تأخير، أو غير ذلك من هفوات الألسنة، في تقرير العلوم.

وقال محمد الدهدار - رحمه الله -، وكان من أهل العلم والعقل، ولقي كثيراً من الشيوخ: ما رأت عيناى مثل الأستاذ حاتم الأهدل - قدس الله روحه -؛ فإنه لم يكن له نظير في التصوف والحقائق.

وحكى الشيخ عبد الوهاب، قال: جاءت إلى الشيخ الكبير، والعلم الشهير، سراج الدين عمر بن عبدالله العيدروس - نفع الله به - أسئلة في التصوف، فأرسلها إلى الأستاذ حاتم، وكان منفرداً في عصره، بعلم الأسماء والحروف، والتكسير والأعداد، بل وعلم الصناعة، حتى قيل: إنه يعرف الاسم الأعظم، والحجر الكريم.

ومع كون علم الأسماء علماً شريفاً، غامضاً دقيقاً، بل كادت العقول الكاملة أن لا تهتدي إليه، إلا بمحض الكشف، كان الأستاذ لا يفتح لأصحابه باب التعلق به، بل ربما أشار لهم إلى الإعراض عن تعلمه، والتعلق به، وإنما كان يأمرهم بملاحظة أقواله وأحواله وأخلاقه، والاقتداء به في جميعها، نظير ما كان النبي ﷺ يأمر به أصحابه، وذلك لكمال متابعتة النبي ﷺ، وعظيم شفقتة على أصحابه.

وأما زهده في الدنيا، فيستدل على الزهد في الدنيا، بالزهد في الرياسة، ويستدل على الزهد في الرياسة، بالزهد في الاجتماع، حتى إن الوزير الكبير حسن باشا طلب منه أن يقدم عليه، فامتنع من ذلك، ومن زهده: أنه لم يكن له معلوم، ومنه: أنه خرج من الدنيا، وما وضع حجراً على حجر، ولا اتخذ بستاناً، ولا استفتح سبباً من أسباب الدنيا، ولا خلف وراءه رزقاً، مع أن الزهد وصف من أوصاف القلوب.

وأما توكله على الخالق، ورفضه...^(١).

[٨٥٨] حسام الدين العشاقى.

كان من قصة «عشاق» في بلاد الروم، سحب الشيخ بيكيت باشا مدةً، إلى أن صار من جملة خلفائه، ثم لقي رجلاً شريفاً، ومرشداً كاملاً من السياحين، وكمل عليه الطريقة، وصار مجازاً بالإرشاد، فتوطن بلدة «معنيا»، واشتغل بإرشاد الطالبين، واشتهر اسمه، واعتقده الناس.

ويقال: إن السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان العثماني، لما كان والياً ببلده المذكور، قبل التسلطن، ومعلمه المولى سعد الدين كانا مريدَيْن ومعتقدين له، فلما تسلطن، جاء معهما إلى دار السلطنة، وسكن بها مدةً، ثم حج بإعانة السلطان، ورجع، فلما قرب إلى قسطنطينية، ونزل بمنزل يقال له: محار نال، توفي به، فأتوا بجنازته إليها، ودفن بقاسم باشا، وذلك في سنة اثنتين بعد الألف تقريباً.

[٨٥٩] حسن بن أحمد ابن الشيخ إبراهيم المصري، المعروف

بالكلشني.

كان من أحفاد الشيخ إبراهيم الكلشني^(٢).

[٨٦٠] حسن بن أحمد إبراهيم باشعيب الحضرمي^(٣).

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «رفضه» بياضٌ صفحتان».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران ونصف بياض».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١٤ / ٢).

الشيخ الإمام، العالم العامل، الزاهد الموصوف، العابد الذي علا فضله معروف، كان قدوة في القول والعمل، وإماماً ينيل من أمه غاية الأمل، أخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتخرج به، وصحب جماعة من أكابر العارفين، واشتغل بالعلوم الشرعية، حتى حصل منها طرفاً صالحاً.

وحج، وأخذ بالحرمين الشريفين عن الشيخ أبي بكر الشامي الجبامي، وقرأ عليه في الفقه وغيره، ثم رجع إلى بلده، وانتهت إليه رئاسة العلوم والمعارف في بلده، وكان بها كهفاً للوافدين، وأخذ عنه جمع كثير، منهم: الشيخ زين العابدين العيدروس، وأخوه شيخ، وابن أخيه سقاف، والسيد أبو بكر بن أحمد الشلي، والسيد محمد بن علوي، والسيد عبد الرحمن المعلم.

وصنف كتباً مفيدة، منها: كتاب «سرور السرائر وفسحة الأرواح وراحة القلوب وترويح النفوس والأشباح في سالك أسباب الريح والفلاح»، وهو كتاب مفيد جداً، وكتابه «حقيقة زيد لبن الشريعة بحركة محض سلوك الطريقة»، قال: ووسمته بهذا الاسم؛ ليكون اسمه دالاً على مسماه، وعنوانه على مقتضى معناه، وكتاب «عافية الباطن وسلامة الدين والصدق الصحيح بنفي كل مين ورين»، وهو شرح الأبيات التي أولها:

الحمد لله الذي كَوَّنَ الكون وَقَطُّ لا يشبهه كـون

وشرح قصيدة السوداني التي أولها:

غريب أمطرت بلادك إلى كم سيكون قعادك

سماء: «التعرض للنفحات الفيضية للحضرة القدسية في شرح القصيدة السوديّة»، و«شرح قصيدة السوداني» - أيضاً - التي مطلعها:

شاهد جمال المحيّا غايّة الطلب

وكان حلو العبارة، لطيف الإشارة، توفي - رحمه الله - سنة ثلاثين بعد الألف، بالعزّة الشهيرة بالواسطة، من أعمال حضرموت، وقبره بها معروف يزّار.

[٨٦١] حسن أبو البقاء بن علي بن يحيى بن عمر العجمي المكي الحنفي^(١).

شيخنا جامع الفنون العلمية النافعة، والمقدّم فيها على أقرانه، والحائز قصب السبق في حفظ نفائس الفوائد الغريبة الشريفة في زمانه، وممن جمع الله له بين العلم والعمل، والعقل الرصين، ومزيد المعرفة والتمكين، والفصاحة والحفظ العجيب، وقوة الفهم، والاستحضار الغريب، وله القدم الراسخة في علوم الحقيقة والتربية، وسلوك الطريقة، ومعرفة جيدة لكلام المحققين؛ كالشيخ الأكبر محيي الدين.

وُلد سنة تسع وأربعين - بتقديم التاء - بعد الألف، كذا أخبرني من لفظه، وذكر أنه وجده بخط والده بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وعدّة متون، وأخذ عن أكابر علمائها؛ كالشيخ زين العابدين الطبري، وعلي بن الجمال، وعبدالله ابن سعيد باقشير، والسيد صادق، وحنيف الدين المرشدي، وحافظ العصر محمد البابلي.

وأخذ بالمدينة عن سلطان العارفين في زمانه، وختم عصره وأوانه،

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٤٤٣) (٨٥١)، «هدية العارفين» (١/ ٢٩٤)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٨٨٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٥).

أحمدَ القشاشي، وتلقن منه الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه علوماً جمّة، ورباه وأحسن تربيته، وأخذ عن جمعٍ من الوافدين إلى مكة، منهم: الشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي المالكي، لازمه كثيراً، وبه تخرج.

ومنهم: محمد بن محمد العيشاوي الدمشقي، وعبد القادر بن أحمد الغصين الغزي، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي المغربي، وعبدالله العياشي المغربي، وأجازوه جل شيوخه.

وكتب إليه بالإجازة غالبُ مشايخ الأقطار الإسلامية؛ كالشيخ أحمد العجيل اليمني، وهو من المعمرين، وشيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وعبد القادر الصفوري الدمشقي، والسيد محمد بن كمال الدين نقيب الأشراف بدمشق، وعالم المغرب عبد القادر بن محمد الفاسي.

وشيوخه الذين أخذ عنهم، وأجازوه كثيرون، لا يحصرهم عدّ، ولا يحيط بهم حدّ، وله اعتناء تامٌّ بأسانيد الشيوخ الأعلام، وجلس للتدريس في جميع العلوم بالمسجد الحرام، وانتفع به جماعةٌ من الفضلاء العظام؛ كالشيخ الفاضل علي المزجاجي، وسليمان حنون، وتاج الدين الدهان، الحنفيين المكيين، والشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن علي المدرس المدني، وغيرهم.

قرأت عليه - حفظه الله - كثيراً، وانتفعت به، واستفدت منه أشياء كثيرة، لم أستفدها من أحدٍ من المكيين، ومما قرأته عليه: طرفٌ من «إحياء علوم الدين» للغزالي، ومن «قوت القلوب» مدونة التصوف لأبي طالب المكي، وجميع «الأمر المحكم المربوط فيما يلزم طالبي طريق الله من الشروط» للشيخ

الأكبر، وطرفاً من «موطأ مالك»، وجميع «شرح إيساغوجي» لشيخ الإسلام، وغالب شرحه للمحقق الشمس الفناري، وجملته كافية من «الشرح المختصر على تلخيص المفتاح» للسعد التفتازاني، وغير ذلك مما يطول ذكره، وأجازني بمروياته، بإجازة كتبها لي بخطه الشريف - سلمه الله - .

توفي - رحمه الله - ظهر يوم الجمعة، ثالث شوال، سنة ألف ومئة وثلاث عشرة بالطائف، ودفن بقرب تربة ابن عباس عليه السلام.

[٨٦٢] حسن البدوي المحلي البصير .

الشيخ الإمام العالم الكبير، والقطب العارف الشهير، المجمع على ولايته، وفضله وجلالته، وتمييزه بالكرامات الكثيرة الخارقة على أقرانه، من أهل زمانه، حتى قال تلميذه العلامة علي المحلي : لو جُمعت كراماته، لكانت مجلداً ضخماً.

اشتغل في بدايته بالعلم، وأخذ عن النور الزيادي، وغيره من علماء وقته، ولازم الشيخ العارف بالله عز الدين السمنودي، وأخذ عنه الطريق، وانتفع به، وكان الشيخ يحبه، ويشير إليه كثيراً، ويقول في حقه : لم يقع لنا إلا ذلقوط، وهو باصطلاح أهل مصر نوع من السمك يقال له : القرموط .

أخبرني به شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي، ثم اشتهر حاله، وظهرت بركاته، وكان ملازماً لتلاوة القرآن آتاء الليل، وأطراف النهار، مواظباً للجماعة، متقيداً بالأوراد والأذكار، وأخذ عنه العلم كثير من أكابر شيوخ العصر، وانتفعوا به، ومنهم : شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، لازمه مدةً مديدة، وكان في ابتداء طلبه عليه يمس بدنه، ويقول له : يا أحمد!

أضلاعك ملائمة من العلم، وقد حقق الله لشيخنا ذلك ببركاته، وهذا من كراماته .

ومنها : ما أخبرني به صاحبنا الفاضل محمد النبلاوي الدمياطي : أن رجلاً كان له ولدٌ ليس له غيره، فمرض مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فأتى إليه، وقال : يا سيدي ! إن ولدي في غاية المرض، وأنا واقعٌ عليك، فتوسَّلْ إلى الله أن يعافيه، فقال له : هات خمسة قروش، فتوقف الرجل عن دفعها له، فقال له : ما يرضيك هذا العبد يكون فداه، وثمانه خمسون قرشاً؟ وكان عبداً للشيخ - نفع الله به - واقفاً بين يديه، فدفعها له، فقال الشيخ للعبد : اذهب للبيت نام، فلما وصل للبيت، نام، فمرض فمات، وعوفي الولد .

ومنها : أن رجلاً كان له ولدٌ، ففقد أربع سنين، وهو لا يعلم له خبراً ولا أثراً، فأتى والده إليه، وقال : يا سيدي ! إن ولدي فقد منذ أربع سنين، وأخبره بخبره، فقال له : قم افعل لنا بسياسة، وتجتمع بولدك في هذا اليوم، وكان الشيخ محمود القباني تلميذه من أكابر العلماء حاضراً، فخطر له في سره أن قال : إن هذه مجازفةٌ من الشيخ، في قوله : تجتمع بولدك في هذا اليوم .

فذهب الرجل، وأتى بالسياسة، وقدمها للشيخ، فنادى الشيخ الجماعة الحاضرين يأكلوا معه، وقال للشيخ محمود : إن أكلت منها، مرضت سنة، فما تجرأ أن يأكل ؛ لعلمه بحاله، وعرف أن الشيخ اطلع على سره، فلما فرغ هو والجماعة من الأكل، قال لوالده : اذهب إلى مسجد الطريني الكبير، وهو مسجد في بلدة المحلة، كان غالب جلوس الشيخ - نفع الله به - فيه، تجد ولدك ببابه، فذهب الرجل كما أمره الشيخ، فوجده كما قال - نفع الله به -، فحصل

لوالده دهشة لما رآه من الفرح والسرور الذي حصل له، وقال له: من أين جئت؟ فقال: ما شعرت بنفسي إلا هنا، وكان في بلد أخرى، ثم أخبره بخبره.
ومنها: أن الشيخ العلامة محمد الشبيتي الدمياطي أخبره: أن والدته محتضرة للموت، وكانت في نفس الأمر كذلك، فقال له: هات نصف قرش، واذهب للبيت تجدها تتغدى، فأعطاه إياه، وذهب فوجدها جالسة تأكل، وقد أفاقت.

وكان من خبره - نفع الله به - مع الشيخ عز الدين: أنه كان جالساً عنده مع جماعة من تلامذته كثيرين، فدخل عليهم رجلٌ مجنوب، فمجرد دخوله عليهم، ونظرهم إليه، بال جميع من بمجلس الشيخ دماً، فذكروا ذلك للشيخ، فأطرق رأسه، وظهر عليه الغضب والتغير، فما كانت لحظة إلا والمجنوب يصيح بأعلى صوته وهو خارج: قتلني عز الدين، قتلني عز الدين، ويكرر ذلك، حتى وصل إلى مكانه، فمات بمجرد وصوله إليه.

وصحب الشيخ العارف بالله عبدالله الخلفي السمنودي، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيدة، وكان دائماً يهدي له عسل النحل، ويقول الشيخ حسن: إني ما أكلت قط أحسن من عسل الشيخ عبدالله، وكان الشيخ عبدالله من أكابر الأولياء.

أخبرني شيخنا أحمد البشبيشي - حفظه الله تعالى -: أنه كان بينه وبين والده مودةٌ كبيرة، فاتفق أن الشيخ أتى ليلةً، ونام عندهم، فقال له: يا شيخ عبدالله! قم بنا نشرف على الجُرن، وكان له جرن فول؛ فإن مرادنا نكيهه، وكان عادته يأتي دائماً معهم نحو أربعين إردباً، فلما جلس يكيهه، جلس الشيخ عبدالله على الجرن، وكان معه رجلٌ آخر، فبلغ نحو مئة وعشرين إردباً،

فتعجبوا من ذلك، وقالوا للشيخ عبدالله: بركته يا شيخ عبدالله، فقام حيثنذ، وعرفوا أنها من كراماته - نفع الله به -.

ومنها: ...^(١).

[٨٦٣] حسن بن أحمد بن إلياس بن أبي سعيد المكناسي المالكي^(٢).

مولده بمكناسة الزيتون، سنة اثنتين وخمسين وألف، قرأ على محمد ابن أحمد الفاسي، نزيل مكناس، وحضر دروس سيدي عبد القادر الفاسي وكثيرين، وقدم مصر سنة أربع وسبعين وألف، وحج، واجتمع على سيدنا السيد عبد الرحمن المكناسي، وحضر دروس شيخنا علي الشبراملسي، ومنصور الطوخي، وأحمد البشبيشي، ويحيى الشاوي، قرأ عليه غالب كتاب «التسهيل».

وله «منظومة لطيفة في العقائد» وقفت على كثير منها، وهو من أعز خلاني وأحابي، وممن اختصصت به أيام شبابي، وكان فاضلاً نحريراً، له مهارة في علم الكلام والأصول والعربية، ومشاركة في العلوم كلية، وكان يحفظ كتب الإمام السنوسي، ويستحضر غالبها، ويحفظ «منظومة ابن ذكرى» في علم الكلام، ويستشهد بها في مجالسه الكلامية، وكان حسن الخط، بقاعدة المغارية جيدة؛ بحيث يضرب بخطه المثل في الحسن.

وكان يغلب عليه السوداء والخمول، وأقام مدة بمصر، بخلوة بالظاهرية، التي بين القصرين، لا يشرب إلى الدنيا وزيتها، ولا يعبأ بما تلهي به السلاية

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٩).

من طيبتها، وكان عفيفاً فقيراً، لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي البحث، لا يكاد أحد يجاريه في بحث.

وكان يبحث على قواعد الجدلين، مع شدة الحلم، وعدم الغضب، ولو استغضب، مع شدة حدته، وطالما تمتعت بخطابه، واكتسبت من آدابه، وكان - رحمه الله تعالى - لا يفارقني، في غالب الأيام، حتى توجهت إلى بلد الله الحرام، وبلغني انتقاله إلى رحمة الله ورضوانه بالقاهرة غرباً، في شهر ربيع الثاني، سنة إحدى ومئة وألف، فشق ذلك عليّ، وهذا مصير كل حيّ.

[٨٦٤] السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال.

كان مبرزاً في الفنون على أنواعها، وهو من أهل بيت كبير، ومنهم: العلامة صلاح بن الجلال، صاحب «تكملة الشفا»، ومن مؤلفات السيد الحسن شرح على «الفصول» سماه: «نظام الفصول»، وشرح على «الأزهار» سماه: «ضوء النهار»، و«شرح تهذيب المنطق»، وهو أحظاها، و«شرح الحاجية»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح شرح مقدمة البحر»، وحاشية على «الكشاف» سماها: «منح الألفاف».

[٨٦٥] القاضي الحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي الجمالي، المعروف بالحيمي^(١).

(١) «نفحة الريحانة» للمجبي (٤٢٩ / ٣) (٢٣١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢٩١ / ١) (١٥٤)، «البدر الطالع» (١٨٩ / ١)، «خلاصة الأثر» للمجبي (١٦ / ٢)، «نسمة السحر» للصنعاني (١ / ٥٥٦) (٥١)، «طيب السمر» للحيمي (٩٠ / ١)، «الأعلام» للزركلي (١٨٢ / ١).

قال ابن أبي الرجال : كان من عليّة أبناء الزمان ، وحيداً في صفات الفضل ، منقطع القرين في كل فضيلة ، يعد في الحكام ، بل هو الحري بقول أبي الطيب :

قاضي إذا التبس الأمران عن له رأي يفرق بين الماء واللبن
وهو من العلماء الجلة ، محقق في الفقه والعربية ، وله إشراف على أيام العرب كلي وعلى الأمثال ، حتى كان يأتي على أمثال «المستقصى» غياً ، وكان عالماً بالحديث ، وكان من أعيان أصحاب المؤيد بالله محمد بن أبي القاسم ، وجعله سفيراً إليه إلى السيد أحمد بن الحسن أيام نفوذه إلى جهة يافع ، فأحسن القاضي السفارة ، وحمد أثره ، وانتظمت به الأمور .

وأما الإمام المتوكل على الله ، فكان القاضي أحد أساطين الدولة من الكفاة ، والناهضين في الوزارة والمشورة ، وهو السابق في هذا المضمار ، وهو من أبرع الكتاب في حضرته ، وله مع ذلك ولايات وأمور منوطة به نحو أقاليم الحيمة ، وكانت أعمال كوكبان تصدر وتورد عن رأيه .

ومع هذه الكلف ، كان صدره أوسع من الدهنا ، وعظائم الأمور لا تغير له ذهنأ ، لأصحابه منه الحظ الأوفر من الأدبيات ، والملاطفات الإخوانيات ، والتدريس في العلوم على أكمل وجه ، وكان مظهره مظهر أمير ، وقلبه قلب مسكين خاشع فقير ، ولا ينبئك مثل خبير ، وله في النظم يد طولى ، وسابقة أولى ، وبالجملّة : فما من فضيلة يحتاج أهلها إلى شيوخها عند مهماتهم إلا وهو في ذلك بغية الطالب .

ووجهه الإمام المتوكل على الله إلى جهة حضرموت لما اتفقت الفرقة

بين السلاطين إلى كثير منهم ممن تخلف على رسوم رسمت عليه، فقدمه الإمام يفتقد معالم من هو قدم الصديق من السلاطين، ومن نكث، لمن السداد منهم، ويزيل المناكر، ويظهر من المعالم، ويقرر من القضاة من رضىه، ففعل، وكان فتحاً مبيناً، ومقدمة لنزول الجنود المتوكلية تحت لواء السيد أحمد بن الحسن بن القاسم.

ووجهه الإمام - أيضاً - إلى مدينة «دنيا» من أعمال الحبشة إلى سلطانها سَجَد، وذلك أن السلطان أرسل مراسلة أطمع في نفسه، وأفهم أنه قابل للحق، فسارع الإمام إلى إرساله، فتوجه من بندر المخا نصف شعبان سنة سبع وخمسين وألف، ونفذه في طائفة من المسلمين نحو خمسين رجلاً، ثم توجه، فلبث في الطريق مدة مجموعها من وقت شخوصه إلى دخوله محل السلطان تسعة أشهر.

ولقي في الطريق أهوالاً جساماً ولكن الله سبحانه تولاه بحياطته، ولما وصل إلى السلطان، كان ذلك اليوم يوم عيد النصارى، فتقدم القاضي، وكان قد أظهر السلطان بشارته وأبهته، وجميع أمراء دولته وكبار مملكته، فدخل القاضي لا بساً شعار الإسلام من الثياب البيض، وكان معه من الفقهاء جماعة، فعظم وصوله، وكان السلطان... (١) يريد ما فهموه، إنما قصده مراسلة الملوك، وأنه يرسل للإمام طالباً إصلاح طريق من أطراف الحبشة مما يسامت «المخا» إلى «دنيا».

فلما استقر القاضي، أراد السلطان أن يخلع عليه، فوجه إليه بخلعة من

(١) يباض في الأصل قدر كلمة.

الحرير الخالص، وسوارين من الذهب الخالص، فقال القاضي: هذا لا يحل في شريعتنا، وإنا - والله الحمد - من حملة العلم المحمدي، فما أخالف، وقد كان النصارى أغضبوا قبل هذا على عالم لهم يسمى: الأيون بلسانهم، وكل عالم يكون بذلك المنصب يسمونه: الأيون، فعابوا عليه أشياء، ففعلوا به أموراً شنيعة، فقال لهم القاضي لما لم يرضوا عنه: أستم عبتم على الأيون مخالفة الشريعة العيسوية؟ قالوا: نعم، قال: وهذه إن فعلتها في الملة المحمدية هفوة أخاف أن لا أجد الإقالة فيها.

فسأل السلطان رجلاً سيداً بخارياً عن هذا الأمر، فقال: الأمر كما قال القاضي، هو محرم في شريعة محمد ﷺ، فقال له السلطان: ما بالك أنت تلبس الحرير؟ فقال: أما أنا، فوجدتكم على هذه الحالة، فتركت ديني، فأعفاه السلطان عن لبس ذلك حينئذ، ولكن بعد هذا تلقى القاضي هدية السلطان بالقبول، وجعله موثقاً لأولاده وبناته، واستطاب ذلك السلطان، منه وصار مجللاً معظماً.

ثم إن القاضي طلب السلطان في إيابه إلى الديار الإسلامية، فتناقل عنه، فتوسل بوزير من الوزراء، قال القاضي: هو أعقل من رأيت منهم، فقال: في غد نجمعك بالسلطان، وتستأذنه في السفر، فأذن له، فأخذ الوزير في أهبة توجيه القاضي، فوجهه بعد مدة، وكان مجموع إقامته عند السلطان نحو ثلاث سنين، ووجه معه السلطان وزيراً لضيافته، ووصل القاضي إلى «شهاره»، فلقبه الإمام بالطبول، وعظمه كثيراً.

ثم لم يزل في الحضرة المتوكلية تارة، وفي منزله «شيام» لمهمات لا يقوم بها غيره، وقد صنف مؤلفاً مشتملاً على أحوال هذه الرحلة، وفيها

عجائب وغرائب، ومن أعجب ما أكتبه هنا: ما أخبرني به الثقة: أن في إقليم الحبشة سحائب تمطر النار، ليس لها وابل غير النار، فتقع على البلد فتهلكه، وسحائبها معروفة، وهي لاتزال على ذلك، ولا تستغرب أهل الحبشة أمرها.

ومن شعره أيام إقامته هنالك:

على كل سعي في الصلاح ثوابٌ	وكلُّ اجتهد في الرشاد صوابٌ
وليس على الإنسان إذ ذاك عابةٌ	ودون مداها للعيون حجابٌ
ولو علم الساعون غاية أمرهم	لما كان شخصٌ بالشورور يصابٌ
فقل لأمير المؤمنين لقد دعا	وحُقَّ له بعد الدعاء يجابٌ
ولكن دعا قلب يظنون أنهم	رموا غرضاً في دينهم فأصابوا
ترأى لهم لمع فهم يحسبون ^(١)	شراباً فأضحى ذاك وهو سرابٌ
يقولون إن الله جل جلاله	هو الروح عيسى إن ذا لعجابٌ
وحسناً وقالوا بالآقانيم فريّة	فيحصرها ضبطٌ لهم وحسابٌ
وقالوا هي الربُّ الثلاثةُ كلُّها	بذلك ^(٢) أفتت فرقةً وأجابوا
ولكن يقولون الثلاثةُ واحدٌ	وهو لتكميل الإله نصابٌ
وهذا ضلالٌ بينٌ وجهالة	تفطرُ منه الصمُّ وهي صلابٌ
عذيري من دينٍ خسيسٍ فما له	نكالٌ وخزيٌّ دائمٌ وعذابٌ
لقد ضاق ذُرعي [في] احتباسي بأرضهم	وكُدِّرَ مني مطعمٌ وشرابٌ

(١) في الأصل: يحسبون، ولا يستقيم معه الوزن.

(٢) في الأصل: بذاك، ولا يستقيم معه الوزن.

وحبّ أوطاني إليّ بأن لي
 وللعدل والتوحيد فيها مسارح
 فهل لي إلى تلك المنازل عودة
 وهل أردن للشرع مورده الذي
 وهل أسمعن صوت المنادي بجمعة
 وهل أنظر الدار التي ضربت لها
 فإن لم تكن يا دهر عتبي فطالما
 ولكنني أقفوا مقالة شاعر
 إلى الله أشكو أنني في منازل
 تمر^(٢) الليالي ليس للنفع موضع
 أرى الكفر مفسوخ القناع وأهله
 فشمز أمير المؤمنين لحربهم
 وأنت سليل القاسم القائم الذي
 إذا طلعت منهم طلائع مارد
 وناد بني المنصور من آل قاسم
 وقل يا بني الهادي أجيوا إمامكم
 بها جيرة طاب الزمان وطابوا
 وربيع منيع شامخ وجناب
 وهل لي إليها مرجع ومآب
 يدلّ عليه سنة وكتاب
 ينادي بأعلى صوته فيجاب
 مدارس علم حولها وقباب
 عتبت فلم ينفع لديك عتاب
 فالقول^(١) حكم بالغ ولباب
 تحكّم في آسادهنّ كلاب
 لدي ولا للمعتفين جناب
 يظنون خيراً فخاب وخابوا^(٣)
 فهم بعد اليبدا وأنت عقاب
 رمت شهبه أهل الضلال فغابوا
 تلقاه من تلك الرجوم شهاب
 تجذهم لثوب الحرب ليس تهاب
 يجيب شيوخ منهم وشباب

(١) كذا في الأصل، والصواب: ففي القول.

(٢) في الأصل: ثم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يظنون خيراً فيه خاب وخابوا.

يفادون بالأرواح دون إمامهم
 ونادِ بأبناء المكرَّم حمزة
 إذا صَبَّحَ الأعداءَ منهم سريةً
 ولا تنسَ أشرافَ القواسمِ إنهم
 هم السَّمُّ للأعدا يرون قتالهم
 ونادِ بني الحور الكرام بأسرهم
 هم القوم كلُّ القوم يا أمَّ مالكٍ
 ومن كان من آل الحسين فلإنهم
 أولئك أبناء الشهيد الذي به
 ومن بعدِ هذا نادِ من كان يقتدي
 فهم نِعمَ أشياعُ لآل محمدٍ
 إذا أقبلت يوماً طوائفُ جمعهم
 فحسبُك بعد الله مَنْ قد ذكرته
 ولا تسمعَنَّ قولَ العذولِ فربما
 يقولُ بلادُ الكافرين بعيدهُ
 وكلُّ مشيرٍ لا يرى غيرَ ظنه
 ورأيي الذي قد شاهدَ الحالَ راجحٌ
 والله علمٌ سابقٌ في أمورنا
 ويصدقُ طعنُ منهم وضِرابُ
 تجنُّك سيوفُ منهم وحرابُ
 تصب منهم جيشاً وليس تصابُ
 أسودُ لديها صولةٌ ووِثابُ
 يسيراً فإن^(١) قالوا الحرابُ صعبُ
 لتُجلبَ خيلُ منهم وركابُ
 على الحرب شَبَّ الأصغرون وشابوا
 هم العلب يوماً كان فيه عِلابُ
 أصبناكم غم القلوب مصابُ
 يريد إماماً جِذاك صحابُ
 ونعمَ رجالُ النائبات حسابُ
 تضيقُ لهم عن شَطْطهن رحابُ
 وتُمطر بالنصر العزيز سحابُ
 يشير بقولٍ بالخمول يُشابُ
 وقد حالَ من دون البعيدِ عُبابُ
 وليس على ما يقتضيه تعابُ
 على رأي من لم يشهده وغابوا
 فما كان فيه ليس عنه ذهابُ

(١) كذا في الأصل، والصواب: وإن.

فَارَبُّ وَقُّنَا وَأَيُّدُ إِمَامَنَا فَأَنْتَ لِكُلِّ فِي الْأُمُورِ مَشَابُ
وَصَلُّ عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ مَا جَرَى عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الزَّمَانِ خُطَابُ
وَأَصْحَابِهِ الْغُرَّ الَّذِينَ مَشَوْا عَلَى مَنَاهِجِهِ فِيمَا يَدِينُ وَحَابُوا
وله من قصيدة:

مَنْ لِقَلْبٍ وَطَرْفٍ مَا هَجَعَ وَلِصَبٍّ لَمْ يَزَلْ حَلْفَ الْوَجَعِ
ومنها:

يَا بَنِي الْمَنْصُورِ أَنْتُمْ عَصْبَةٌ أَسَدُ حَرْبٍ لَيْسَ يَشِيهَا الْجَزَعُ
فَانصُرُوا الدَّاعِيَ مِنْكُمْ وَاذْكُرُوا حَرْبَ بَدْرٍ ثُمَّ رَدَّوْهَا خَدَعُ
فَالَّذِي قَامَ بِهِ وَالذُّكْمُ وَجِبَالُ الْكُفْرِ فِيهَا قَدْ صَدَعُ
وَالْفَتَى إِنْ يَتَّبِعْ وَالِدَهُ فَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ بِالْمَبْتَدَعِ
توفي في ذي الحجة، عام أحد وسبعين وألف، ببلده «شباب»، ورثاه
كثيرٌ بقصائد طنانة، منهم: القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال،
ذكرها في «تاريخه».

[٨٦٦] السيد الحسن بن أحمد الجلال اليمني^(١).

الإمام العلامة الذي بهر بتحقيقه، واعترف الفضلاء لتدقيقه، له المؤلفات

(١) «خلاصة الأثر» للمحمي (١٧/٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/٢٨٧) (١٥٢)،
«البدر الطالع» (١/١٩١)، «طيب السمر» للمحمي (١/٣٦٦)، «الأعلام» للزركلي
(١/١٨٢).

الشهيرة، والمحاسن السائرة المنيرة، وهو أحد شيوخ شيخنا الحسين بن الناصر، وبينه وبينه مراجعات في علوم كثيرة، أحسن من النجوم السوائر، وأشرف من الشمس الزواهر.

ومن مصنفاته: تكملة الكشف على الكشف، سماها: «منح الألفاظ»، و«شرح على التهذيب» و«على الشمسية»، و«شرح على الفصول في علم الأصول، للسيد إبراهيم بن الوزير، سماه: «نظام الفصول»، و«شرح على الكافية» في النحو، و«شرح على منتهى السؤل لابن الحاجب»، وله «مختصر في علم الأصول» شرحه شرحاً يدل على فضله، واختار اختيارات كثيرة مخالفة لعلماء الأصول، وشرح على الأزهار سماه: «ضوء النهار»، و«شرح تهذيب المنطق»، وهو أحظاها، و«شرح على الحاجبية»، و«شرح مختصر المتهى»، و«شرح مقدمة البحر»، و«حاشية على الكشف».

وله شعر طيب النفس، في فنون كثيرة، ومن شعره القصيدة البائية، وله عليها شرح مبين لمقاصدها، سماه: «نبض الشعاع الكاشف القناع عن أركان الابتداء»، وأولها:

يا هائماً بقياسه وكتابيه	العلم علم محمد وصحابيه
إرثاً تنوِّس عن هدى أصلابيه	ولآله منه الخلاصة كلُّها
فجنَّوا به الإيمان بالمتشابه	علموا بمُحكَم كلِّ آي كتابيه
لله غيْثهم بأمْننا به	أصرهم ^(١) والعلم كلُّ فنونه

(١) كذا في الأصل.

بلغ الوقوف على طريقته بهم
 رأوا^(١) حقيقة أمر أمرهم به
 وتجنبوا في الدين داء جدالهم
 وتبادروا الأعمال حين تيقنوا
 إن أبهم القرآن حكماً أبهموا
 ويقوا على حكم الأصول لعقده
 قد كان لا أدري لهم في علمهم
 بل آثروا حب الكتاب لهم على
 فالمرء يلزم غير حكم نفسه
 قد أبدع الرهبان رهبانية
 وأبو حنيفة إذ رأى الإيجاب في
 تالله ما عجزوا ولا من دونهم
 أو يدعوا نقص النصوص ليحبطوا
 فيفرقوا ديناً لأمة أحمد
 ومنها:

وعن الحديث نهى العتيق وحمله
 وعن ابن مسعود مقالاً مقسوطاً
 كتباً محرماً حذار كذابه
 ويطول بسط القول من أضرابه

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فرأوا.

بالاجتهاد قضوا ولكن رخصة
ومى طويلة، يقول في آخرها:

يا راكبا يهوي لقبر محمد
واقرا السلام عليه من صب به
وقل ابنك الحسن الجلال بجانب
لا عاجزا عن مثل أقوال الورى
بالمشكلات شواهد في أننى
لولا محبة قدوتى لمحمد
يا سيد الرسل الكرام دعاء من

عرج به مستمسكا بترابه
تبلغ ألد القدس في محرابه
من قد غلا في الدين من تلعبه
أو خائفا في علمهم لصعبه
أشرفت كل مدق بلعبه
زاحمت سرطاليس في أبوابه
أودى به الهجران من أحبابه

ومنها:

ولك الشفاعة والكرامة عنده
سل لي وراثه كنز علمك فالغنى
وقد انفردت عن الرجال ومؤنسى

فاشفع فجاهك ما له من جابه
يغنى نفيس الكنز في أعقابيه
قرب إليه أعود جلس فثائه^(١)

ومن نظمه:

رفعت عمامتي فرأت
فراحت بعد تنكرنى

برأسى شيئا اشتعلا
فقلت لها أنا ابن جلا

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: قبابه.

ومن نظمه :

قالوا بلغت من العلوم مبالغاً قصرت خطا العلماء عن إدراكها
لو كان فيك سلامة من جدّة عين الكمال رمتك عن أشراكها
فأجبتهم موسى أحدٌ وقد سما فوق السّمك وعدٌ من أملاكها
وكانت وفاته - قلّس الله روحه - في منزله بالجراف، من أعمال صنعاء،
سنة تسع - بتقديم التاء - وسبعين وألف .

[٨٦٧] الحسن بن أحمد الحيمي اليمني^(١) .

فاتق أقرانه، وسابق ميدانه، وأحد أعيان الأفاضل، الذين بدا سنا الإقبال
في سيماهم، وأعرب مبتدأ عمرهم عن متهاهم، وممن غدا نجم نجابته سابقاً
لائحاً، وراح مسك شذا رشده متعبقاً فائحاً، وطبعه في صياغة الشعر آية، إذا
راه اللبيب يقضي له بأنه آية .

كان - فيما أخبرني به تلميذه سيدنا العلامة صالح بن المهدي المقبل -
إماماً في الفقه، له مشاركة تامة في غيره من العلوم، صاحب تدير وسياسة،
ومعرفة بالأمور المهمة، معظماً عند الدولة، مشاراً إليه، ولذلك أرسله الإمام
المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم رسولاً إلى الحبشة، في أغراض مهمة،
فُضيت بنظره على أحسن حال، وهو والد سيدنا القاضي محمد المتقدم ذكره،
ويحيى الآتي ذكره .

(١) «نفحة الريحانة» للمحيي (٣/ ٤٢٩) (٢٣١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩١)
(١٥٤)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٩)، «خلاصة الأثر» .

ومن شعره قوله :

فؤادٌ على هجرِ الأحبة لا يقوى وكيف وربُّ العامرية قد أقوى
وصبرٌ ولكن غاله الهجر والنوى فلا نفعٌ للمهجور فيه ولا جدوى
ولكنني قد دُبتُ في الوصل بالرجا وكم ذي لبانات تمتع بالرجوى
فيا أيها الخِلُّ الذي أنا صَبُّه عليك بآداب الحديث الذي يُروى
ومُنَّ علينا بالرسائل إنني رأيتُ حديثَ المنِّ أحلى من السلوى^(١)

[٨٦٨] السيد الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي^(٢).

كان آيةً من آيات الله في كل خصلة، أما الفقه، فكان يعرفه أحسن المعرفة، وأما النحو، فكان فيه بارعاً، وأما بقية العلوم، فكان فيها مذكراً أحسن المذاكرة، وكان في مظهر ملكٍ عظيم الشأن، واسع الجنود، ما عرف الناس حواشي أصحابه، فضلاً عنه، فإنه كان يركب معه من الكبراء جمعٌ غفير.

وناهيك بما استأصله من أعيان الدولة الرومية؛ كحيدر باشا، بعد أن كان استعجل أمره، وعرف اليمن معرفة أهله، وأطاعه غالبهم، ثم عابدين باشا، ثم كانت الطامة الكبرى على قانصوه باشا، الذي عسف ما دخله من البلاد، ولا أظن أن يقوم في وجهه أحد، ونفذ إلى اليمن بجنودٍ لا يعلمها إلا

(١) جاء في الحاشية: «مكررة»، فيها ما لم يكن في المتقدمة.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥٠)، «خلاصة الأثر» للمحيي (٣٩/٢)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٢٤٣/٣) (١٩٣)، «الأعلام» للزركلي (١/٢١١).

الله سبحانه، فشتت شمله، وفرق جمعه، ورجع بعد هذا إليه خاضعاً، ليلغنه مأمنه، ففعل ذلك، وكان آخر من وصل من أمراء الروم إلى اليمن.

واشتغل المترجم باليمن، واختط الجبل المسمى بـ: «ضوران» - بضاد معجمة مضمومة -، فبنى به الحصن المشيّد، المسمى: حصن الدامغ، ثم في حدود سنة أربعين وألف، وعاش بعد فتحه مدةً، وأحيا أرضه وأوديته، وعمارة جوامعه وحماماته، وبنى الدور الواسعة، وصار مدينةً يضاهي صنعاء، وأجرى الله الأنهار فيها، حتى صارت روضةً من الرياض، وفيها السعة الكلية، وأما الطرق، فإنه فعل نحو عشرين نقيلاً مدرجةً إلى جهات، والمزارع يقال: إن المثمر من البن عند موته، مئة ألف غرسة.

وفي هذه السنين، غزا جيوش تهامة، وفيها بقية الأروام، وأخذ منهم زيد، والمخا، وحيس، وبيت الفقيه الزيدية، وبيت الفقيه ابن عجيل، واللحية، والحديدة، وموشيح، والصليف، وموزع، فضلاً عن جزائر البحر؛ نحو: كمران، ومواضع عظيمة في البحر، هي تبع لهذه المذكورات، وهذا كافٍ في معرفة حاله، وكان همّ بغزو البلاد القاصية، إلا أنه فاجأه الأجل.

مولده بعد صلاة عشاء ليلة الاثنين، غرة شهر رمضان، سنة ست وتسعين وتسع مئة، ووفاته أول المغرب من ليلة الأحد، ثالث شوال، عام ثمانية وأربعين وألف، بمرض ذات الجنب، ودفن بالحصين، أسفل ضوران، وبنى عليه قبة عظيمة إلى جانب مسجده الذي أسسه وأتمه ولده محمد، وأجرى المياه هنالك إليه، وكان مرضه نحو ثمانية أيام، وحصل بموته التعب العظيم، والأسف العميم؛ لعموم نفعه، ورياسته وشجاعته، وحسن أخلاقه.

حتى إنه لما انتصر على الأروام في زبيد، كان يغريه المجالسون بالإيقاع بهم؛ لما صدر منهم من حربه، فلم يؤثر فيه العذل، بل عفا عنهم، وكساهم، وأحسن إليهم، وكانت مدة إمارته بعد خروجه من صنعاء، نحو خمسة عشر عاماً.

وحضر موته، والصلاة عليه ودفنه، صنؤه شقيقه الحسين بن القاسم، وقرر أحوال العسكر، ونظم البلاد، وعرفهم بما يجب له، واستقر في الحصين بعد موته، وتجهز للعود إلى صعدة، فبلغ إلى مقام عمه الإمام المؤيد بالله، وبلغه الخبر بموت والده، فردّه الإمام، فوصل مبادراً إلى عمه الحسين، وقد كان يظن هو وأخوه أحمد أن الإمام يجعل لهما ولاية البلاد، التي كانت لوالدهما.

فرأى الإمام أن يجعل النظر في جميع البلاد، التي كانت للحسن بتأديها وحصونها وغيرها، إلى أخيه الحسين، ويكون تصرف ولدي الحسن، على نظر عمهما الحسين، وأرسل الإمام إليه بولاية عظيمة، وكتب إلى الرؤساء بذلك، فلم تطب نفوس خواص الحسن وولديه بذلك، ولا انطلقت أعمالهم باستئذانه، بل كل واحد تصرف على ما يريد.

ثم استقر السيد محمد بن الحسن في ذمار، بأكثر أعيان والده، وخيله ورَجَله، وأخوه السيد أحمد بن الحسن في الغراس، من أعمال ذي مرمر، كذلك بجماعة من الخيل والرجل، وفي النفوس ما فيها.

وكان المترجم مع اشتغاله بالحروب، وقيامه بأمر الملك على ضروب، يهتز للشعر هز النشوان، ولا يشغله شاغلٌ عن المذاكرة في كل آن، فلوراه ابن الرومي، لما قال:

ذهب الذين تهزّمهم مُدّاخُهم هَزَّ الكمأة عوالي المران

وكان يبيّن بجودة ذهنه التقاد، الجواد والمقصر في ميدان الإنشاد، وكان عظيم العطاء، كثير المعروف، محباً لفعل الخير، وكان يجلب أولاد الأولياء والعلماء، ويعرف لهم حقهم، ولذلك تم له الدّست، وكان سعيداً منصوراً في حروبه، وما اتفق أنه ركب في جيش إلا وعاد منصوراً.

وبالجملة: فكان حسنة في بني القاسم، على وجه الزمان، ولا يدانيه في شجاعته في عصره مُدان، وأما ما قيل فيه - رحمه الله - من المدائح، فيطول ذكره، وللقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين أرجوزة كتبها على قبره، ذكرها القاضي أحمد بن صالح في «تاريخه»، وهي بديعة.

[٨٦٩] الحسن ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم

ابن محمد بن علي .

ورفعُ نسه ذكرناه.

كان هذا السيد من أكابر أئمة اليمن ووجوههم، ومن أعيان بني القاسم ورؤوسهم، له المنزلة العظيمة، والمكانة الجسيمة، إلى ما حوى من لطيف الشيم، والجمع بين فضيلتي السيف والقلم، أما الحلم، فكانه مقصوراً عليه، وأما البذل والعطاء، فشيء جبله الله عليه، وحيه إليه، وله من الحزم وسياسة الأمور، ما لا يدانيه فيهما مدان في سائر الأمور، ومن المعروف والإحسان، مكاناً أي مكان.

ولي المناصب الجليلة في حياة والده، منها: بلاد رازح وما يتبعها، ثم أمره والده على تهامة، فولّي جازان، واللحية، والحديدة، وما والاها من البلاد

العظيمة، وأقام باللحية، وجُيِّت إليه الأموال من كل جانب، وخفقت عليه
البنود، وانقلدت إليه الجنود والكتائب.

ولم يزل وهو مقيمٌ في أرغد عيش ونعيم، حتى ولي الإمامة محمد بن
أحمد بن الحسن، فعزله عن عمله، وجهز عليه العساكر، ففر في سفينة
إلى جدة، وقصد شريف مكة، وأمير جدة؛ ليعينه بالعسكر، ويأخذ اليمن
لسultan الروم، فلم يتم له مراده، فرجع لليمن ثانياً، وألزمه الإمام محمد
بالجلوس بيته بدمار، وبدل ذلك الصفو بالأكدار.

مولده في نيف وخمسين بعد الألف، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم،
وأخذ عن شيوخ، منهم: السيد العلامة إسماعيل بن حجاج، والسيد الجليل
الحسن بن المطهر الجرموزي، وجدّه في الطلب، ويرى وتألمع عن كسبه، وله
العناية بالكتب وتحصيلها، والحرص على مطالعتها، والإدلاء على القراءة.

مع ما هو عليه من تقلد الأعمال المهمة، وتسيير المملكة، وسياسة
العساكر، وحفظ البلاد، وكثرة الاشتغال بالوافلين والمترددين، لكنه - مع
ذلك - لا يشغله عن ذلك شاغل، وإذا قدم عليه أهل العلم، عظمهم، وفضل
عظيائهم على غيرهم، وإذا مدحه الشعراء، أحسن جوائزهم، وقد اجتمعت
به في رحلتي لليمن، وحضرت بعض دروسه في الأصول والكلام، ومدحه
بفوائد طنانة، منها قولِي:

فقد دعا داعي الهوى للمُدام	باكز إلى الحانِ بيدِ التمام
شعراً بديع السبك والانسجام	وحرك الأوتار وانشد لنا
لك الوقتُ وقم يا غلام	واغنم الأوقات إذا طاب

وعاطني صهباء مشمولةً قد عُنُقْتُ من عهدِ سامٍ وحامٍ
وصانها للفرس كسرى ومن تلاءُ من تلك الملاك القدم
توفي يوم السبت، سلخ شهر ربيع الثاني، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن
بقبة عمه الحسين بن القاسم.

[٨٧٠] الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن حسن بن
عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة
ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي
ابن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن
الحسن السبط ابن أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب،
وابن البتول فاطمة بنت الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).

قال الشهاب الخفاجي - رحمه الله - في ترجمته: خلقه الله حسن، ومن
حديثه مناقبه مستفيض حسن، وما محاسن شيء كله حسن؛ فقد سارت بمآثره
الركبان، وتحلى بذكره كل لسان، فالحلُّ يعرفه والحرم، والمجد ينطق
بمحامده والكرم:

إنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى
خفقت في الخافقين رايات مكارمه، ونصبت على أعلام كماتها بين
معالمه، سرت سحائب كرمه ولها من غرته بريق، وتفرقت أنهار جوده في كل

(١) «ريحانة الألباء» للخفاجي (١/ ٣٨٨) (٥٧)، «خلاصة الأثر» للمجيب (٢/ ٢)،
«عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١٨).

فريق، حتى طغت على هضاب العذيب والعقيق، وله فضل قضاء علوي حل
بين الرفق والبأس، وأيس عن إدراك حديثه فيه إياس، بين حماسة وسماحة،
وفصاحة وصباحة :

إذا زان قوماً بالمناقب واصفٌ ذكرنا له فضلاً يزين المناقب
وجلالة هية لا تريد حاجباً، وشيم شُئ لو تجسمت، لكانت لوجه
الدهر عيناً وحاجباً، فكم أورد النجيع سيفه المجرد عن العلائق، وأصدره
ثائراً على غدير لأمته من الدماء شقائق، من فتية إذا تصافحوا بالصفاح، تهللت
ضاحكةً بالنجيع ثغور الجراح. شعر :

حليمٌ إذا ما الحِلْمُ فكَّ حزامه وقوفٌ ولو كان الوقوفُ على جمر
مع محاضراتٍ لو سمع الراغب، سعى إليها راغباً، وأبكار أفكارٍ
لا يكافئها إلا من كان بمتاع الحياة خاطباً. شعر :

ما عذرٌ من ضربت به أعراقه حتى بلغن إلى النبي محمد
أن لا تُمدَّ إلى المكارم باعه وينال غايات العلا والسودد
متخلعاً حتى يكون ذيلُه أبد الزمان عمائمًا للفرقد

انتهى كلام صاحب «الريحانة» .

وُلد لسبع بقين من ربيع الأول، سنة ثنتين وثلاثين وتسع مئة، وأمه
فاطمة بنت سباط بن عنقا بن وبر بن محمد بن عاطف بن أبي نعي بن أبي
سعد بن علي بن قتادة، حملت به سنة وفاة جده بركات، ونشأ في كفاالة والده
سعيداً رئيساً حميداً، ولبس الخلعة الثانية بعد وفاة أخيه أحمد، سنة ثنتين

وستين وتسع مئة.

ثم فوض إليه والده الأمر، فلبس الخلعة الكبرى، التي هي لصاحب مكة، ولبس أخوه ثقبه الخلعة الثانية، واستمر مشاركاً لوالده في الإمرة، إلى أن انتقل والده [إلى رحمة الله] يوم تاسوعاء، افتتح سنة ثنتين وتسعين وتسع مئة، فاستقل بسلطنة الحجاز، وقام بها أحسن قيام، وضبط الأمور على الأحكام، على أحسن نظام، وأمنت البلاد...^(١).

أظهره الرحمن في ربيع بطل سوح الحرم المنيع
أشار إلى أنه شريف من أمه أيضاً - كما قدمناه -، وأنها حملت به عام
أحد وثلاثين وتسع مئة، وهو حساب ظلا الذي ذكره:

فلم يزل يصعد في المعالي ويرتقي بصعدة العوالي
حتى أنه صفوة الخلافة منقادة طوعاً بلا مخافة
في عام إحدى بعد ستين مضت من قبلها تسع مئين حفظت
فشارك الوالد في الملك إلى أن أم بدء عام حنف نزلا
أشار بقوله: أن أم، إلى انتقال والده، عام اثنين وتسعين - كما تقدم -،
واستقلاله بعده بجميع الأمور:

وذبت عن بيت الإله بالأسل منزهاً عن التواني والكسل
وآمن السبل جميعاً وحمى كل المخاليف فأضحت حرماً

(١) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

فطالما قد شُدَّتِ الرحالُ موقرةً من فوقها الأموالُ
من مكة لبصرة ونحوها قاطعةً لقفريها وبدوها
ولم يكن معها سوى حاديها من حاضر البلدة أو باديها
فتصلُ المقصدَ وهي سالمة ثم تعود مثل ذاك غانمة
وشاع هذا الأمن فيه وانتشر معطراً باقي الممالك الأخر
فكلُّ من حجَّ إلى البيت الحرام وشاهد الأمن استخار في المقام

أشار بذلك إلى : أنه لم يزل حامياً حوزة بيت الله المعظم، وذاباً عن
سوحه المطهر المفخم، حتى إنه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم،
ورعى الذئب مع الغنم، وأمن السبل الحجازية، ومهد الطريق الحرمية، فكانت
تشد الرحال في سائر جهاتها، وليس معها خفير، سوى الأجير، لا يُفقد منها
صواع، ولا يُختلس منها ولا قدر صاع، وربما ترك المتاع، أو المنقطع في
الفقر السبب، ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركبه، فيوجد سالماً من الآفات،
ولو طالت الأوقات، مع كثرة الطارقين لتلك المعاهد، والسالكين لهذه
المواطن والمقاصد.

ولم يعهد هذا إلا في زمن هذا الملك العادل، ولم ينقل مثله عن مثله
من الملوك الأوائل، فلقد كانت هذه الطرق إلى مبدأ ولايته مخوفة، والمخالف
كانت كلها غير مألوفة، حتى إن من أراد أن يعزم من مكة إلى التنعيم للاعتماد،
لا بد له أن يأخذ خفيراً من أرباب الدولة الكبار، وإن لم يفعل ذلك، يعطب
في نفسه وماله، ولا يرثى [له] في أخذ الثأر بحاله.

وطالما نهبت الأموال ما بين مكة وعرفة، ليلة الصعود إليها، وسُفكت

الدماء في تلك المشاعر، وجُنِدت الأجساد لديها، وإذا سرق متاع، قلّ أن يُظفر به، وربما قُتل صاحبه عند طلبه، في سببه، وكل ذلك من العرب المحيطين بأطراف البلاد، الساعين في الأرض بالفساد.

قد بسط الله بساط الأمان بولايته، ألزمهم بحراسة هذه المواطن، وغُرم ما يذهب للناس بهذه الأماكن، وعاملهم بصنوف العقاب، وأنواع العذاب، من الصِّلْب وقطع الأيدي، وتكليف منهم بالقتل أن يدي، إلى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية، والآراء السلطانية المرضية، حتى صلح حال العالم غاية الصلاح، ونادى منادي الأمن بالبشر والفلاح.

فاطمأنت النفوس، بإقامة هذا الناموس، واعتدلت أحوال الرعايا، واتصل ذلك إلى علم الملوك البقايا، فشكر كل سعيه في هذه المآثر الحميدة، وحمد الله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة المجيدة، وكثر حجاج بيت الله العتيق، وضربوا آباط الإبل إليه من كل فجٍ عميق، فيرون ما كانوا يسمعون به عياناً، فيستخبرون الله تعالى، في أن تكون بلده لهم مسكناً، وأهلها إخواناً.

فمن هنا مكّة صارت مِضْراً	محسودةً بالعالمين طُراً
وقبل هذا العهد لم يقم بها	إلا أناسٌ شُغِفُوا بحبّها
نحو ذوي البيوت ممن قطنوا	دهراً بها واستوطنوا وسكنوا
لذا انتهت إليهم الرياسة	بطيهم مناصبَ النفاسة
والغير يدعى بمنادي الملك	يا من قضى مرامه من نُسكٍ
ارحل إلى بلادك الأصلية	من يمنٍ أو جهةٍ شاميّة
فإن هذا البلدَ لحراماً	وإدٍ بلا زرعٍ يرى ولا ما

فيرحلون ما عدا من ذكرا من أهلها خلص من قد أمرا
فلإنهم شوكته القويصة وخادمو حضرته العليصة
فلم يزالوا هكذا أبأ باب مقتربين من أعالي ذا النسب

أشار إلى : أن من القواعد القديمة، لولاية مكة المكرمة : أن يتادوا بعد تمام الحج : يا أهل الشام! شامكم، ويا أهل اليمن! يمنكم، فيرحل كلُّ إلى بلده، ولا يقيم بمكة إلا خواص سكانها، من ذوي البيوتات القديمة، فلما تولى مكة، شاع ذكره، ورغب كل أحد في المجاورة بها، وصارت مصراً من الأمصار.

فعندما قد أفضتِ الخلافة لحسن وجاوزتِ خلافة
ومهد المسالك المخوفة وشيّد المعاهد المألوفة
وكثر بعدله الأرزاق وعمرت بأمنه الأسواق
وفجّر الله عيون الأرض بيمنه الباقي ليوم العرض
أقام كلُّ بفنا البيت العتيق وأملوه من ورا الفج العميق
ونال كلُّ منه ما قد أمّله لما أتاه قاصداً وأمّ له
والناسُ في عيشٍ بعدله خصب وقد حوى من فضله كلَّ نصيب
أما أولو العلم ففازوا بالنعم ونشروا على رؤوسهم علم
وتوجّجوا لديه بالوقار فما رآهم قطُّ باحتقار
لا سيما من منهم ينتسب إليه بالإخلاص وهو السب
ويخدم الخزانة المعمورة بكل آية له مسطورة

من كل تأليف عظيم المنقبة	به استحقَّ نيل المرتبة
وهم لعمري فرقة كبيرة	ومنهم ناظم هذي السيرة
فإنه في كل عام شمسي	يُبدع تأليفاً بديع الأنس
مما ذكر نادرة الأصداف	أسسها في ذروة الأوصاف
كذا عيون لمسائل حوى	من العلوم أربعين بالسوا
وشرحه القصيدة المقصورة	لابن دريد نسبة مشهورة
وشرحه أيضاً لحسن السيرة	بماله من حسن السريرة
وغير ذا من غرر القصائد	وكل نثر زين بالفرائد

أشار إلى : احتفاله بالعلم وأهله ، حتى ألفوا له التصانيف اللطيفة .

وكم بشعر فائق النظم امتدح	من كل قطر أم قصداً وامتنح
ومدحه في كل عام لو جمع	لكان أسفاراً كباراً يجتمع

إشار إلى : كثرة ما قيل فيه من المدائح ، وممن مدحه : الناظم ، والشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي ، والإمام محمد علي بن إسماعيل الطبري ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة .

وكل هذا خدمة للسيد	الحسن الشريف عالي المحتد
فهو الحقيق دائماً أن يُخدما	وأن يكون مالكا للعلما
لبرّه إليهم وعطفه	عليهم بنشره ولطفه
يُجيز بالآلف على التأليف	ويصنف الشخص على التصنيف

ثم إذا قُدم تَأليفٌ له	طالعه غالبه أو كلُّه
وأظهر الرغبة فيه جِدًّا	وبالمدح لربه أَمَدًا
وزاد في رفعتِه وقدرِه	ليعلم العالم شأنَ فخرِه
قصداً لترغيب الورى في العلم	مُشجِّداً لفكرهم والفَهْم
وكل ذا ابتغاء وجهِ الله	من غير ما شك ولا اشتباه
فمن هنا تبادر الناسُ إلى	درس العلوم بعدَ درسِ وبلا
فأنجحت مكةُ بعد العُقْم	أفاضلاً شَتَّى كائناً أُم
ملتحمين في العلوم والأدب	كلحمة في سببٍ أو في نسب
نالوا علومًا جمَّةً مرتبةً	علَّوا بها على الشيوخ مرتبةً
ما ذاك إلا حيثُ كان السيدُ	ملتفتًا لما بَنَوْا وشيدوا
ولم يَضِعْ صنيعُهم له سُدَى	لا زال منصفًا بحقٍّ أبداً

أشار إلى : أن الأفاضل كانت تتقرب إلى خدمته، ومنهم : العلامة خضر بن عطاء الله الموصلِي، ألف له : «الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف»، ومنهم : الناظم، خدمه بكتبٍ منها : «شرح المقصورة الدريدية»، وأجازه عليه بألف دينار، واتفق أنه حكم تاريخه قوله :

أَرْخَنِي مَوْلُفِي	بَيْتِ شِعْرِ مَا ذَهَبَ
أَحْمَدُ جُودَ مَا جَدِ	أَجَازَنِي أَلْفَ ذَهَبَ

فلما قرأ البيتين، قال له : والله ! إن هذا لنزراً جداً بالنسبة لهذا التأليف، ولكن حيث وقع الاقتصار عليه، فعلى الرأس والعين، وأعطاه ذلك .

وما أرى ذا الأمر إلا أثرا	لطالع السيد حيث أثرا
في أهل عصره السعيد الأبدى	فإنه آله فعل الأحدي
وليس بدعاً فلهذا السيد	طالعُ سعد فالتى للجلمد
فما رأيناه أحبَّ أحداً	إلا وكان كاملاً مسدداً
ينمو كما تنمو الثمار بالعلل	ولم يزل دهرًا بجانب العلل
ويُرزق القبولَ والمحبة	فكلُّ من خالطه أحبة
ولم يكن ينقص شخصاً إلا	كان لدى الأنامِ رذلاً نذلاً
يَذُبُّل دهرًا ثم يضمحلُّ	وعندنا لكل قسمٍ مثلُ
وحكمة التأثير عند العالم	أن المليك مثل قلب العالم
فلم يزل مؤثرًا للبسط	والقبض شبه آله للربط

ينبغي أن يعلم : أن ما تقدم من صلاح الزمان وأهله، فهو من طالعه،
قال الأبوصيري :

وَإِذَا سَحَّرَ الْإِلَهِ أَنْسَاءَ لِسَعِيدٍ فَلَمَنَّهُمْ سُعْدَاءُ

والمثل المشهور : لأجل عين ألف عين تُكرم، والأصل فيه قوله تعالى
لنبيه ﷺ : ﴿ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] ، وقد اتفق
العلماء على أهل التنجيم، أن للطالع تأثيراً، وكل ذلك بمنزلة الشرط والآلة،
والإلا، فالتصرف للفاعل المختار، لا له، وقد منحه الله بأنه ما توجه لأحد
بالرضا إلا ونما .

فمن ذلك : المولى خضر بن عطاء الله المذكور، فإنه ورد إلى الديار

المكية بحالة من الفقر لا تذكر، فلما حصل عليه نظره، تقلب في النعيم، إلى أن جنت يده عليه، ورمت بسهام العذر إليه.

وقد ورد من البصرة رجلٌ من أهل العلم، يُسمَّى: نجم الدين، حصلت له عنده حظوةٌ، فنال منها خيراً عظيماً، حتى وقعت منه زلةٌ قدم ردتَه إلى الحضيض.

وكذلك أحمد بن إبراهيم بن ظهيرة، فإنه كان في غاية من الإجلال، ونهاية من الرعاية في سائر الأحوال، حتى تجرأ بسوء أدبه، لينحط بذلك عن رتبة، فعامله بمتعلقات السحر في نفسه الجليلة، وأثر ذلك عنده مدةً طويلة، حتى أطلعه ببركة طالعه على هذا العمل، فتفحص عنه وسأل، فوقف على أنه هو الصانع لذلك، فأدبه بالضرب، ثم تركه وحاله، وتركه ظهرياً، إذ كان بعواقب الأمور غيباً.

وبهذا القدر يكتفي اللبيب العاقل، ولا بدع فيما ذكره لملك ظل الله على عباده.

وقد حكى: أن بعض الملوك توجه بجمع قليلٍ على بعض البغاة، وهم طائفةٌ كبيرة، فمذ رأوه سلّموا له البلد، ولم يقاتله منهم أحد، فقبل لهم في ذلك، فقالوا: رأينا شخصين بين يديه امتلأنا منهما رعباً، فسئل بعض الأولياء عن ذلك، فقال: هذان الخضر والقطب، ما زالا يؤيدان كل ملك يقيمه الله ويختاره على عباده.

وناهيك أن قلب الملك بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، وهو بمنزلة القلب للعالم، فبسطه يسري إليهم، وقبضه ينشر عليهم،

ولله درُّ بعضهم بقوله، وقد عاد ملكاً عليلاً:

ولما اشتكى اشتكى كلُّ ما على الأرض واعتلَّ شرقٌ وغربُ
لأنك قلبٌ لجسم الزمانِ وما صحَّ جسمٌ إذا اعتلَّ قلبُ
هذا وما عاداه قَطُّ أحدُ إلا وخابَ خيبةً لا تُجحدُ
فكم نوى جانبَه بالأسوا جماعةً فامتحنوا بالبلوى
وهلكوا في مدة يسيرة فليعتبرْ ذا من له بصيرة
وعنه كافاً كلُّ من والاهُ وكفَّ عنه كلُّ من عاداهُ
فقد جرى لجده النبي هذا الولا وأبسه عَليُّ
من كراماته: أنه ما عاداه أحدٌ، إلا وعاد بالخيبة، وقبح الأوبة، ولا نواه
أحدٌ بسوءٍ، إلا ودارت دائرته عليه.

ومنها: أن الوزير الأعظم مصطفى باشا قصده بالأذى على قدر ما يشاء،
وجهاز العساكر الرومية، إلى الديار المكية، وصمم على إيذاء هذه الذرية،
الباقية من خير البرية، فما زال كلُّ من في قلبه ذرة إسلامٍ يشبطه عن هذا العزم
إلى البلد الحرام، فلم يجد فيه نفعاً، فاجتمع جماعةٌ من أهل الخير، وقرؤوا
الفاتحة، وقالوا: إن كان هؤلاء الجماعة أولاد النبي ﷺ، فنسأل الله بحرمة
جدهم وحرمتهم، أن يرينا في الوزير أن يكون عبرةً لمن اعتبر، فما فارقوا
مجلسهم، إلا وجاءهم الخبر بأنه أصيب بالقولنج، ومات لوقته، فأدخلوا
الخبر على السلطان، وقصوا عليه القصة، فرجع عن ذلك، واستغفر الله.

ومنها: أن الشيخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن عيسى المرشدي،
قصد السفر إلى اليمن، فاستأذنه، فلم يأذن له، فكان منعه له عن السفر عين

المصلحة، والنجاح والظفر؛ فإن الأمر - بعد ذلك - أسفر عن تغيير قطر اليمن، وانقطاع سبله، وكثرة الخوف في طرقه؛ بموجب بعض الفتن؛ فإنه قام ثمة قائم من أهل البيت، يسمى بالقاسم، وادعى الإمامة، وقويت في الجبال دون التهمة شوكته، والناس حيثئذٍ إذ ذاك في أمرٍ مريع، وقد عزم جماعةٌ إلى تلك الديار، فعادوا مبادرين إلى الفرار، وأراد الله للمذكور الراحة؛ حيث استقر، والسلامة من وعشاء السفر، بدون نيل الظفر.

من أنه من مستجابي الدعوة	وماله في عمره من صَبْوَةٍ
وكيف لا وقد حمى البيت الحرام	بنفسه خمساً وأربعين عام
مؤيداً شرائع الإسلام	مشيداً مشاعر الإحرام
مع أنه في زمن أيّ زمن	مَظَنَّةٌ لكلّ هولٍ وفتن
وقد حُكي بين الوري عن السلف	وذاك محفوظٌ لهم عند الخلف
أن وليّ مكة يصير في	مرتبة القطب يقيناً فاعرف
فمن هنا الصلاح في الرعايا	وفي ملوك الدول البقايا

وقد اشتهر عنه أنه مجاب الدعوة، منها: أنه كان في عام أربعة بعد الألف، بمحلٍ يقال له: غدِير، فأصاب الناس غاية التعب من الظمّ، فورد إليه رعاءٌ إليه، وتفاوضوا معه في ورودها، ومن أي محل ترد؟ فعددت أماكن بعيدة عن منزلهم هذا، فما ارتضى ذلك، فتوجه إلى الله قائلاً: اللهم اسقها، اللهم اسقها، فما كان بينهم وبين السقيا إلا ليلتهم تلك، فانهلت عليهم السماء كأفواه القرب، ثلاثة أيام، حتى إن الإبل صدرت متهلة من مباركها، واستمروا مدة لا يردون إلا من مآثر دعوته المباركة.

ومنها : أن الناس أرجفوا سنة ثلاث بعد الألف، بوصول عزيز أحمد
باشا إلى مكة، في عدة من العساكر، وكذلك وزير اليمن حسن باشا، فانزعجت
لذلك الرعية؛ إذ صح عزمها للجهات المكية، فتوجه بخاطره إلى الله سبحانه،
فصرف الله أولئك عن العزم، وأشغلهم بموت السلطان مراد بن سليم.

وقد حُبِّي بِصَالِحِ الذَّرِيَّةِ	مَمْتَعاً بِعِيشَةِ رَضِيَّةِ
أَمَّا الْبَنُونَ فَهَمَّ عَشْرُونَ مَعِ	أَرْبَعَةٌ فَخَذَهُمْ مِمَّنْ جَمَعَ
لَا قَى إِلَـهَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَّةِ	إِذْ عَلِمُوا الدُّنْيَا يَقِيناً فَانِيَّةِ
مَنْ بَعْدِ أَنْ قَدْ مَلَكُوا أَوْ سَادُوا	وَلِلْمَعَالِي أَسْوَا وَشَادُوا
ثُمَّ الْبَنَاتُ وَبَنُو الْأَوْلَادِ	كَثُرَتْهُمْ تَسْمُو عَلَى التَّعْدَادِ
كَذَا الْأَقَارِبُ الَّذِينَ وَصَلُوا	إِلَيْهِ أَوْلَاهُمْ جَدُودٌ أَوَّلُ

وقد تقدم ذكر أولاده، وقد مات قبله منهم ثمانية : أبو القاسم،
والحسين، ومسعود، وباز، وعقيل، وهزاع، وعبد العزيز.

إِنْ رَكَبُوا فِي مَوْكَبٍ فَلِنْهُمْ	كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ وَهُوَ بِدَرُهِمْ
لَا سِيماً إِذْ يَلْبَسُ التَّشْرِيفَا	ثَوْباً سَنِياً فَاخِراً شَرِيفاً
يَأْتِيهِ مِنْ سُلْطَنَةِ الرُّومِ الْعِظَامِ	فِي غَايَةِ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنِّظَامِ
مَا نَالَ مِنْ أَسْلَافِهِ مَا نَالَ	مِنْ التَّشَارِيفِ وَذِي الْجَلَالِ
فَإِنَّهُ قَارَنَ فِي ذِي الْمَدَّةِ	مِنْ الْمُلُوكِ الْأَكْرَمِينَ عِدَّةَ
مِنْهُمْ سَلِيمَانُ مَلِكُ الرُّومِ	ثُمَّ سَلِيمٌ صَاحِبُ التَّكْرِيمِ
ثُمَّ مَرَادٌ ثُمَّ مَلِكُ الْعَصْرِ	مُحَمَّدٌ لَا زَالَ رَبُّ النَّصْرِ

وفو لعمرى قمنٌ جديرُ
فما سمعنا مثلَ نشرِه الأمانُ
ومن رأى تاريخَ مكةٍ أقر
يُعين من يقيم بالإحسان
ما أحدٌ من الملوك صنعا
بمال بيتِ المال تقريراً لمن
ومنذ دهرٍ لم يقم ذا الواجب
حتى أتى الله بمولانا الإمام
فرتبَ المالَ لذي الحاجاتِ
منزهاً لنفسه عن مالهم
أكرمَ بها منقبةً عظيمةً
ما أحدٌ يُقصدُ في قطرِ الحجازِ
له الكراماتُ التي لا تُحصر
وما غزا إلا وفازَ بالظفرِ
له مغازٍ في الأنامِ عِدَّةُ
أما سراياه فذاتُ كثرةٍ
ولم يكن مؤمراً فيه سوى
وقلما أمرَ غيرَهم على
وحاصلُ الأمرِ بأن النصرَ

بكل ما قد صرَّح المنشورُ
قطُّ ولا في صدور سابق الزمان
بذاك فهي الآن أولى مستقر
فضلاً بلا منٍّ ولا تواني
صنيعه فإنه تبرعاً
يحتاج طبقَ ما مضى من الزمن
ولم يكن لبيت مالٍ راتب
غيث بني الآمال بل غوث الأنام
والعلما وخالصي الثَّباتِ
وموصلاً لهم إلى آمالهم
ورتبةً فاخرةً فخيمةً
حقيقةً سواء من غير مجاز
والكرمُ الذي دهوراً يُذكر
وافتح البلدان فتحاً استمر
حكى به فيها أبه وجده
وكلُّها مقرونة بالنصرة
أولاده الكرام أرباب اللوا
بُعوثه والكلُّ منهم ذا علا
خادمه دهوراً طويلاً عمراً

لم يتفق ورثنا الشكور له انكسار بل هو المنصور
 كأنما ملائك الرحمن جنوده في سائر الأزمان
 وليس بدعاً فهم في بدر كانوا جنود جده الأغر
 سراياه كثيرة شهيرة، لم يؤمّر فيها إلا أولاده النجباء، وممن بعثه منهم:
 ولده الحسين، ومنهم: أبو طالب؛ فقد أرسله غير مرة، ومنهم: مسعود،
 ومنهم: عقيل، ومنهم: عبد المطلب، ومنهم: عبدالله، فكان بعزمه إصلاح
 جهة اليمن.

فاق الملوك بالنهي والحدس كما به يشهد عدل الحس
 وكم له قضية شهيرة بين الوري كالشمس في الظهيرة
 قد فاق الملوك بمزيد الفطنة، وله في ذلك قضايا مشهورة.

منها: ما وقع في بعض السنين، وهو إذ ذاك بجدة: أنه سرق من الفرضة
 السلطانية وهي مغلقة، جملة كثيرة من صنوف الأقمشة، ووجد حبل معلق
 على جدار الفرضة، فرفعت القضية إليه، وكثر الكلام من أمين جدة، ومن
 باقي الأروام، واتهموا بذلك جماعته؛ لحلولهم في البندر، ففكر ساعة، ثم
 طلب الحبل الذي وجد على الجدار، فجيء به إليه، فأخذه وتأمل فيه، ثم
 شمه، فأمر بإحضار من بجدة من العطارين، فحضرُوا، فأشرفهم على الحبل،
 وسألهم: هل اشتراه أحد منهم؟ فقال شخص منهم: نعم اشتراه فلان مني،
 وكان من جماعة أمين جدة، فطلبه وسأله، فأنكر، فأمر بالهجوم على محله،
 فذهب جماعة لذلك، وفتحوه، فإذا هو خالٍ من الأمتعة، فمشوا في وسطه،
 فإذا الأرض تنخفض بهم، فكشفوا الفراش، وحفروا الأرض حفراً خفياً،

فإذا السرقة تحت التراب، ما فقد منها شيء، فأخرجوها، ووصلوا إليه بحضور جمع من الناس، فخجل الأمين؛ حيث ظهرت خيانة جماعته، ويرا الله ساحة جماعة الشريف.

ومن ذلك: أنه اختصم عنده رجلان: مصري، ويمني في جارية، وادعى كل منهما أنها له، وأقام بذلك بينة، فأجال فكرته الوقادة، وطلب قليلاً من الحَبِّ، وقال لها: ما اسم هذا في بلادكم؟ فقال: بُرٌّ، فحكم لليمني، فظهر بعد ذلك أنه مالكها.

ومن ذلك: أنه اختصم لديه رجلان: شامي، ومصري في جمل، وادعى كل منهما أنه له، وأقام بذلك حجة، ثم قال لهما: إني سأحكم بحكم، فإن ظهر لي أن الحق بيد أحدكما، غرمت الآخر ثمنَ الجمل، فأمر بذبح الجمل، فذبح، وأمر باستخراج مخه، فاستخرج، فتأمله، وقضى بالجمل للشامي، وأمر المصري بتسليم القيمة، فقبل له في ذلك، فقال: رأيت مخه منعقداً، فاستدليت بذلك؛ فإن أهل الشام يعلفون دوابهم الكُرْسَنَةَ، وهي تعقد المخ، وأهل مصر يعلفونها الفول، وهو يعقد الشحم دون المخ، فظهر الحق بعد ذلك كما قال.

ومن ذلك: أن شخصاً دفن مالاً بالمزدلفة، وكان شخص يرقبه، فلما قصد النفر منها إلى منى، وجد المال قد حفر عنه وأخذ، ولم يظفر بأثر من آثار الغريم، إلا بعضاً ملقاةً، فأخذها، ورفع شكواه إليه، وذكر له القصة، فسأله: هل وجد من أثر؟ فقال: نعم وجدت عصاً ملقاةً، فطلبها منه، فأحضرها، ثم تأملها، فأمر بإحضار جماعةٍ مخصوصين من العرب، فحضروا، فأشرفهم على العصا، وسألهم: هل يعرفون صاحبها؟ فقالوا: نعم، هي عصا فلان،

فأحضره، وسأله، فأنكر، فشدد عليه، فأقرّ بالمال.

ومن ذلك: أن شخصاً من سادات اليمن، وصل إلى مكة بجارية حسنة، سنّها نحو العشر سنوات، فتعصب عليه طائفةٌ من الجبّرت، وادعى بعضهم أنها حرة الأصل، وأنها بنت فلان، وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك، واستخلصوها من يد ذلك السيد قهراً.

فرفع القضية له، فطلب الشاهدين، وأخذ يستدرجهما بمدحهما، وأنهما من مشاهير من جاور بمكة، من مدّةٍ طويلةٍ، وأن شهادتهما مقبولة، ثم سألهما عن الشهادة، فأدياها على ما سبق، وأنها بنت فلان الجبرتي، ولدت ببلده، ونحن بها قبل وصولنا إلى مكة، فقبل شهادتهما.

ثم سألهما عن مدة إقامتهما بمكة، وهل خرجا منها بعد دخولها، فذكرا أن المدة تنوف عن ثلاثين سنة، وأنهما ما خرجا منها إلى بلدهما بعد أن دخلاها، فشاغلهم بالكلام ساعةً، ثم سألهما عن سن الجارية، فقالا له: نحو عشر سنين، فأخذ يسبهما، ويتكلم عليهما؛ حيث شهدا بولادتها وهم ببلدها، وقصد إتلافهما، وأعاد الجارية إلى سيدها، وكانت هذه الحكومة منه حكمةً بالغة؛ فإنه فطم بها طائفة الجبّرت عن مثل هذا؛ لأنهم سلكوا مثل هذا المسلك مدة، واستخلصوا.

هذا ومولانا رفيعُ العَلَمِ	ممن حظي بسيفه والقلَمِ
فإنه إنَّ بالمدادِ رَقَمَا	فكل ما أبداه كان حِكْمَا
له الكلامُ الجامعُ المهدَّبُ	في فهمه لكل شخص مذهبُ
وكم له من حسن المحاضرة	ما فات للعرب به والحاضرة

كم ليلة لذ بها طول السهر	قد ذقت من حديثه حلو السمز
على بساط السمع من غير مرا	فلفظه الدر إذا ما نُثرا
أجل لما فيه من النبوة	كانه من نفس النبوة
قد أوتي الحكمة منه جمعا	فطالما أوقرت منه سمعا
فإنه آثار تلك الحكيم	وكل ما فيه أنا من نعم
منها ويُغنيني بهذا السيد	فالله يُقيها ويبقي مددي
ولن يشوب صفوه شرب الكدر	دهراً طويلاً سالماً من الغير
وناشراً لنصرة ذاك اللوا	ممتعاً له خصوصاً بالقوى
من عين كل حاسد مُلئة	وكافيته كل ما أهمة
بطالع السعد الذي حواه	يُبد بالقدرة من عاداه
يخذه وذاك مولانا الحسن	ومن تولى نصره الله فمن
موصولة منه بحسن الخاتمة	والى عليه ربنا مكارمة

وأما ما قيل فيه من المدائح، فلا يحصر، غير أنني أذكر منه هنا ما يُستحضر.

فمنه: قول الإمام العلامة عبد القادر الطبري، على لسان ولده زين العابدين:

فتتسي بأعين غزاة	خود خدرِ تفوق كل غزاة
وأرتسي من الجبين هلالاً	مخجلاً بالسنا ضوء الغزاة
لاح في جهة تفوق ضياء	ولها حندسُ الغدائر هالة

فاخر الشمس بالبها فأقرت
 حلّ في قلبٍ عقربٍ لحماه
 وأقامت عليه إكليل شعير
 ما بدا للعيون إلا وقلنا
 يا أهيل الهوى المقيمين شكا
 سطعت للعيون أنواره من
 من على خصره المناطق شدت
 رية الدلّ ما مدحت محيا
 حيث يدعى للبدر وهو اسم
 حسن الاسم والمسمى أمير ال
 الإمام الخليفة العدل أعلى
 الهمام الذي تأزرر بالمج
 وبه الفخر لم يزل في فخار
 من أهبّ الإله في موطن النص
 ويسعد الإمداد مدد منه
 الوقور الحلال الملك الشه
 الرؤوف الذي لرافته ما
 من على رأسه ترى طائر الع
 منحة من إلهه إذ رآه

في مقام الفخار أن البهالة
 صنعت من ذوائب أوفعى له
 أظهرت من جناه لي أفعاله
 جلّ ربّ السما أهلّ هلاله
 في حماه مستيقنين هلاله
 أفق وجه الحبيب ربّ الجمالة
 كي نراها لردفه حمالة
 منك إلا لكونه شبه آله
 نجل المصطفى صانه الإله وآله
 مؤمنين الجليل حاوي الجلالة
 مجده ربّنا وزاد جلاله
 يد وأضحى مجددا أسماله
 حيث يدري بأن ذا أسمى له
 صرّ صباه من الصبا وشماله
 ساعديه يمينه وشماله
 همّ الذكيّ الأديب صفو السلاله
 لاذ شخص بحبه وسلاله
 عز مقيما والسعد أضحى حباله
 حاميا سوح بيته وجباله

ما رأينا من أمّ فضل جده
 عمّ إحسانه الأنام جميعاً
 هو بحر الندى وكهف المناهي
 وهو من بالحياه أنعم فضلاً
 وهو ليث العرين عند كفاح
 لم ينزلهُ مقلّم قط إلا
 لم يكابر في سعد مولى الموالى
 كيف والسعد منزلُ البدر حقاً
 يا إمام الورى ومَلِك البرايا
 ومليكاً بعدلِهِ وهده
 هالك عذراء مدحة هلّبتُها
 هي من عبك الذي مدحك المش
 مخلص الودّ باذل الجهد زين الـ
 لكن قد زفّها يروم تشاراً
 دمت في صحبة وصفو سرور
 وصلاة على النبي وآل
 وقوله - أيضاً - على لسان ولده الإمام زين العابدين، مادحاً له - أيضاً - :

رَبِّ رَبِّ الأخدار من شممه
 لا يراعي التقص في ذممه
 حجب الأبصار رؤيته
 وتجلّى في خبا خيمته

وأرى أحبابَ حضرته
ما يراه حالَ نفرتِه
زرتُه والعزمُ يسعفني
جُنحُ ليلِ مسفر بسنا
فحداني عَرَفُ ساحته
فَبَدَا لي في الحجابِ فَمِنْ
هو للرائي معاينةُ
هِمَّتْ من حبي له زمناً
أنظِمُ الآدابَ من غزلِ
لنسيب في المديح يُرى
سيداً من آلِ حيدرِ
وحكيماً في ممالكه
فاقُ قُتّاً في فصاحته
وابنُ سعدى لو يقاس به
هَزِرُ للمكرمات سَنًا
كيف لا يهتزُّ مغتبطاً
وملوكُ الأرض قاطبةً
جدُّه طه الشفيعُ فيا
طب نفساً يا مليكُ به

غضباً ما كان من شيمه
غيرُ من باري بسفك دمه
أملأ منه ابتسام فيه
طلعتَه المأمول عن ظلمه
وهداني مرتقى أكمه
راسه نورٌ إلى قدمه
مثلُ طيفٍ مرّ في حلمه
في رُبى نجد وفي سلمه
أسنه الإعجاز عن كلمه
حسناً عند اجتنائنا نعمة
وعريقاً باقتفان عصمه
قَطُّ ما انحلت عُرا حِكْمه
وسما الطائي في كرمه
كان مطروحاً بهزيمه
عنصرٍ منه انتهت هِمَمه
وكتاب الله في عظمه
كلُّهم والله من خَدَمه
فوزَ من ياوي إلى علمه
في غدٍ طوي لمعتصمه

أُمُّكَ الزَّهْرَاءُ ابْتُئِشْهُ	وَأَبُوكَ السُّبُطُ مِنْ رَحِمَةٍ
أَبَدَ الرَّحْمَنِ قِبْلَتَهُ	بِكَ وَاسْتَحْمَى حِمَى حُرْمَةٍ
وَحِبَاكَ الْمَجْدَ أَجْمَعَهُ	حَيْثَمَا ذَيَّبَتْ عَنْ حُرْمَةٍ
قَسَمًا بِاللَّهِ يَقْسِمُهُ	عَبْدُ بَرٍّ بَرٍّ فِي قَسِمَةٍ
إِنَّكَ الْمَهْدِيُّ وَحُجَّتُهُ	عَدْلُكَ الْمَعْدُودُ مِنْ قَسِمَةٍ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ	شَادَ بِالْعِلْيَا عُلَا أَطْمِنَةٍ
خَذَ مَدِيحًا كُلَّهُ دَرُّ	جَاءَ يَسْعَى نَحْوَ مُسْتَلِمَةٍ
هَزَاتٍ بِالسَّافَجَرِ غُرَّتُهُ	حَيْثُ لَاحَتْ مِنْ دَجَى لِمَةٍ
نَظْمُ عَبْدٍ نَثَرُ مَدْحِكَ مَا	زَالَ يُرَوَّى عَنْ حِجَا قَلَمَةٍ
هُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ وَمَنْ	طَبَّرِي بِدَا ^(١) مَخْتِمَةٍ
قَالَهِ طِفْلاً وَسَوْفَ تَرَى	بَعْدَ مَا يَأْتِيكَ مِنْ خَدِمَةٍ
فَابْسِطِ الْأَعْذَارَ وَادْعُ لَهُ	إِنْ هَذَا أَخِيرُ مَغْتَنِمَةٍ
دَمْتُ مُوَلَاةً وَسَيِّدَهُ	مَا شَدَا الْقُنْزِيُّ فِي نَغْمَةٍ

[٨٧١] الحسن بن أبي القاسم بن علي .

كان من أجلاء السادة، وأكابر الأولياء، عظم حاله بعد موت أخيه الحسين، وارتفعت درجته، ويعدُّ صيته .

[٨٧٢] السيد العلامة الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بَدْءُ.

محمد بن علي^(١).

السيد العارف بالله، المتسربل بثوب الخمول، والقاطع لنفسه - مع كماله - عن دواعي الفضول، له معرفةٌ جيدةٌ في النحو، وأصول الفقه، وسائر الفنون، وأما علم المنطق والتصوف، فمما انفرد به في قطر اليمن.

ومن مؤلفاته: «شرح تهذيب المنطق» لم يكمل - فيما أحسب -، و«حاشيةٌ على شرح التهذيب» للسيد الحسن الجلال، لم يدع شيئاً مما أورده السيد إلا ردةً أحسن رد، ومنها: «حاشيةٌ على شرح التهذيب للنيردي»، و«شرح رسالة الوضع العضدية»، ومنها: «شرح عقيدة عمه الإمام إسماعيل»، ومنها: «شرح لب الأساس» للإمام محمد المؤيد بن إسماعيل، ومنها: «شرح منظومة الورقات» للسيد محمد بن إبراهيم المفضل، وله «مؤلفٌ لطيفٌ في التصوف»، وغير ذلك من الفوائد، وله نظمٌ بديعٌ، أغلبه في منهج التصوف.

مولده سنة أربع وأربعين وألف بالدامغ، الجبل المشهور بجهة ضوران، ووفاته في شهر جمادى الأولى، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بصنعاء، ودفن بحريمه - رحمه الله تعالى -.

قرأ على السيد علي العبالي، «هداية العقول» لوالده.

وله شعرٌ بديع، منه: هذه القصيدة الرفيعة، والحكمة البديعة، وهي قوله:

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢٩٧/١) (١٥٩)، «البدر الطالع» (١/١٩٧)، «نشر العرف» لزيارة الصنعاني (٤٦٨/١) (١٣٩)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/٥٠٦) (٤٥)، «طبيب السمر» للحيمي (١/٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/٢٦٤) (١٩٨).

لِكَمَالِ ذِكِّكَ فِي الْمَوْجُودِ تَطْفُئِي
وَلَوْجَهَكَ الرَّاهِي بِحَسَنِ جَمَالِهِ
وَلِذَا اسْتَلَمْتُ الرُّكْنَ كُنْتُ مُسَلِّمًا
وَلِذَا سَعَيْتُ فَلِلصَّفَا ضَحْوُ الصَّفَا
يَا مَنْ تَمَنَعُ أَنْ أَرَاهُ حَقِيقَةً
أَرْضَى الْحِجَابَ وَلَوْ تَجَلَّى مَسْفَرًا
وَمَحَتِ وَجُودِي سَاطِعَاتُ جَمَالِهِ
لَوْلَاهُ مَا ظَهَرَ الْأَنَامُ وَوَصَفُهُمْ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْكَوْنَ مَعْدُومٌ إِذَا
إِنَّ الْقَدِيمَ لَهُ التَّفَرُّدُ وَالْبَقَا
فَإِلَيْكَ أَشْكُو مِنْكَ فَاجْعَلْ بُغْيَتِي
فَالنَّفْسُ قَدْ حَبَسَتْ بِسَجْنٍ مَظْلَمٍ
وَالْبَعْدُ أَضْرَمَ فِي الْحَشَا جَمْرَ الْغَضَى
لِلَّهِ أَيَّامُ اللَّوَى اللَّاتِي مَضَتْ
حَيْثُ الْحَصَى دُرٌّ وَتَرَبُّ مَسِيلُهُ
فَتَبَدَّلْتُ تِلْكَ الْمَسْرَةَ تَرْحَةً
يَا كَعْبَةَ الشَّرَفِ الَّتِي طَافَتْ بِهَا
جُودِي عَلَى رُوحٍ بِلَطْفٍ إِفَاضَةٍ
فَالنَّفْسُ تَطْلُبُ عَطْفَةً تَحْيَا بِهَا

وَلَوْ لِي وَصَلْتُكَ فِي الْحَيَةِ تَطْفُئِي
حَجَّيِي وَتَضَوَّافِي بِذَلِكَ الْغَرَبِ
قَلْبِي الْمَتِّيمَ لِلْمَيْمِكَ الْأَرْفَعِ
وَلِإِنْ اعْتَمَرْتُ فَلِلْجَنَابِ الْأَمْنِ
إِلَهِي لِي مِنْ حَسَنَةِ الْمُتَمَنِّعِ
لَا نَدَّكَ طُودُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْمُطْلَعِ
وَجْهٌ بَغِيرِ النُّورِ لَمْ يَتَرَقَّعِ
فَوْجُودُهُمْ مِنْ جُودِهِ فَاقْهَمِ وَعِ
لَمْ يَرْتَبِطْ بِوُجُودِهِ الْمُتَرَفِّعِ
وَالْإِنْعَادُ لِحَادِثٍ مَتَّقِشُوعِ
كَشَفَ الْغَطَاءَ لَغَيْرِ قَهْرٍ مَفْرَعِ
تَرْجُو مِنْ السَّجْنِ الْخَلَاصَ فَاسْرِعِ
وَالْعَيْنُ تَسْقِيهِ لَفَيْضِ الْأُدْمَعِ
مَا كَانَ أَطْيَبَهَا بِوَادِي لَغْلَعِ
مَسْكٌ يَفُوحُ بِنَشْرِهِ الْمُتَضَوِّعِ
لَمَّا تَنَاءَى عَنْ جِمَاهَا مَوْضِعِي
تِلْكَ النُّفُوسُ لَسْرُهَا الْمُسْتَوْدِعِ
لَتَعُودَ سَامِعَةً بِمَا لَمْ تَسْمَعِ
أَبْدًا وَلَا تَصْنَعِي لِرُوعٍ مَرْوَعِ

بمعادها ارتفعت وعزّت بعدما هبطت إليك من المحلّ الأرفع

[٨٧٣] السيد الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي،

ورفع نسبه في ترجمة جده القاسم.

من أكابر علماء العِثْرة، وعظمائهم وسرائهم وكبرائهم، مقيمٌ بصنعاء، لا يعرّج على الدنيا، ولا ينظر إليها، وله تصانيف تدل على غزارة علمه، ودقة نظره وفهمه، منها: «شرحٌ على عقيدة عمه الإمام إسماعيل المتوكل»، وبينه وبين شيخنا القاضي الحسين المهلا مكاتباتٌ ومراجعات، منها: ما كتبه إليه، وقد أرسل إليه مؤلفه المذكور، وما علقه السيد الهادي بن أحمد الجلال:

الحمد لله المحمود بنطق كل حامد، والصلاة والسلام على الرتبة الجامعة لجميع المحامد، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الهادين لأشرف المقاصد، الحضرة الجامعة لفنون المحاسن، التي تقرر رؤيتها عيون الأعيان، والرتبة المطهرة لعوارف المعارف، التي تتشرف بسماعها آذان الأذهان.

فجانبها الرفيع مشرقٌ بأنوار التدقيق، ومدرجها المنيع مطلع على دقائق أسرار التحقيق، الذي لو ذاقه الفخر الرازي، لما كانت نهاية إقدام العقول له عقال، ولو فهمه المعلم الأول والثاني، لاتضححت لهما جليلة الحال، ولم يلتفت إلى وساوس أهل الجدل، وهواجس أهل القيل والقال:

لمن غدا لذوي الألباب والفِطْنِ	يهدي إلى مسلك الآراء والسننِ
ومنْ أثارَ المعاني من معادنها	وساق منهاجها العالي على سننِ
ومنْ أقام مباني العلم فارتفعت	فقصره شامخُ الأركان في اليمنِ
وسوحه ممتعٌ للنازلين به	مُسْلٍ عن الأهل والأحباب والوطنِ

سيدنا العلامة، مبرز التحقيقات الرضية الدقيقة، وبركتنا الأوحد الفهامة،
مظهر التدقيقات المتينة، الفائق منطقته بروج أوج المفاخر، وسما فخراً كسمو
الظاهر، شمس العلوم والدراية، وبدر الكمال والنهاية :

نجلُ الأفاضل من صَفَّوا قلوبَهُم لفيض إشراقِ سرِّ الروحِ في العَظَمِ
ففاض منها على العافين بحرٌ هدى رواهم من معينٍ غير ذي أسنِ
أعني الحسينَ الذي أبدى لنا نُحْنًا من علمه طَوَّقَتْنَا أعظم المننِ
لازال في نعمة موصولة برضًا ما دام يُذكر اسمُ الحق في الزمنِ

من رقا بشريف همته أرفعَ المقامات العلية، وصعد بصحيح عزمه إلى
منتهى الحضرات السنية، ورفع الله سبحانه به منار الحقيقة، وأعلى شرف
الإسلام والمسلمين، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، شيد الله
بعلومه أركان الهداية القويمة، وأوضح بفهمه منهاج الطريقة المستقيمة.

وساق الكلام فيه حتى قال : إنه صدر إليكم، مع ما اقتضيتم إصداره
من الحضرة الجلالية، والبرزة الرفيقة الكمالية، حضرة سيدي الوالد، السيد
العلامة معدل معاني المنقول والمعقول بميزان الاعتدال، الهادي بن أحمد
الجلال - أنار الله العالمين بنور علمه، وهدى السالكين لطريقه المستقيم بطريق
فهمه - شرحٌ لرسالة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين
إسماعيل ابن الإمام المنصور بالله القاسم - زين الله بعدله الآفاق، ونفع بعلومه
أولي الفهم والأذواق ..

أخرجه حكم الوقت إلى حضرة الإمكان، على يد العبد الفقير، المعترف
بالعجز والتقصير، والخطأ والنسيان؛ ليتشرف بالمشول بين يدي نظركم

الشريف، ويأتي بقبس يهدي إلى العروج إلى معارج العلم المنيف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأخذ المترجم عن السيد عز الدين العبالي علوم المنطق، وعن السيد الهادي بن أحمد الجلال، قرأ عليه «شرح المنتهى للعضد»، و«الشرح الصغير على التلخيص»، وأخذ عن القاضي صالح بن أحمد العيشي علوم العربية. وله من المؤلفات: «حاشية على شرح السيد حسن بن أحمد الجلال على شرح التهذيب للسعد المسمى بالتهذيب»، و«شرح على التهذيب»، و«شرح^(١) على الرسالة الوصفية» بسيطاً ومختصراً، و«مختصر في علم الكلام»، و«شرح على الإيجاز مختصر لتلخيص المفتاح» للشيخ لطف الله العباب، و«حواش على مواضع من البدر الساري» في علم الكلام للسيد محمد المعنى.

توفي - رحمه الله - في شهر محرم، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بصنعاء. ومما كتبه إلى القاضي الحسين المذكور - أيضاً -: هذه الرائقة الفائقة، وهي قوله:

إلى مَنْ به سحبُ المعارف أغدقتْ	فروى غليل الطالبين نَميرُها
ومن سره النفسُ النفيسةَ أزرتْ	نتائجَ فكرٍ لاح في الخلق نورُها
وحازت به تلك المعاني فأظهرتْ	له ملكاتٍ فاق فينا ظهورُها
وصار له المعلوم منها مشاهداً	فإن رام بحثاً لم يَعْقُه حصورُها

(١) كذا في الأصل، والصواب: شرحان.

وما وقفت بالمستفاد بل ارتقت
وانني لأرجو أن تراني قابلاً
فيخرج لي من دُرِّ بحرِ علومِها
فيا من بهم تلك الصفاتُ تحققت
ومن أدركوا غاياتِ كلِّ فضيلةٍ
ومن أوضحت أنظارهم لأولي النهى
ومن عمروا ركن الحقيقة وارتقوا
ومن أنشقوا الأنفاسَ عطرَ هدايةٍ
ومن كشفوا عنا حجابَ شكوكنا
ومن أنباؤنا^(١) عن لطيفة كونهم
بعثت إليكم قطرةً من علومكم
فجودوا على الصادي بنهله شاربٍ

إلى عقلها الفعلي دام حبورُها
لفيض نوالِ ناله مستميرُها
عقودَ لآلِ قلدته نحورُها
ولولاهم لم يلف منها عشيرُها
فمنهم إليهم عوذُها وصدورُها
خفايا المعاني فاستتارت بدورُها
ذراها فطالت في الأيام قصورُها
تضيّع رثاها وفاحت زهورُها
وقد أسدلت في الأكثرين ستورُها
بما دلنا أن الجنانَ مصيرُها
تغطّت بأموج لديكم بحورُها
فيرانُ أشواقِي شَبَّ سعيُها

وبعدها نثرُ أشار فيه إلى دقائق العلوم، وأتى فيه بما يعجز عنه أرباب
المنثور والمنظوم، وكتب إلى شيخنا الحسين المذكور قوله:

هل في ربوعِ بجرعا الحمى طللُ
وهل لمن لم ينل في الدهر بُغيته
يا جيرةً طاب بين الخلق ذكرهم

يحلُّه من له في حبههم سُغلُ
من آل ليلي وصالٍ ليس ينفصلُ
لأجلكم بُعثت ما بيننا الرسلُ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أنبؤنا.

فعاملونا بقدر الود إن لنا بشأنكم همّة دانت لها الأول
وما انتفاع أخى الدنيا بعزمته إذا تحولت الأحوال والدول
فإن تقاعد كان العجز غايته وإن تقاعس أضحى غابة الأسل^(١)

سيدنا الذي مقدمات قياسه بديهة الإنتاج، وموضوع محموله بجده
الأوسط ظاهر الاندراج، تمثيل استقرائه حجة يقينية، وترتيب دلائله أشكال
اقترانية، شرطياته الاتفاقية لزومية، وافتراض عكسه مسقط لعقم الجزئية،
وكيف لا وقد أشرقت به مدارس العلم وشرفت، وعمرت أركانها بمشيد
أفكاره وما اندرست.

فهو شرف الدين، والشرف على حدود الفلك بل خلاصة اليقين،
واليقين أقوى أوصاف الملك، فأنهار علومه لا ينضب ماؤها ولا يغيض،
الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ - حفظه الله بالمعقبات من أمره، ولحظه
بعين العناية من سره وجهره، وأهدى إليه من السلام أتمه، ومن الإكرام
والإنعام أوفره وأعمه -.

وإنه ورد إلي ما أنتجه طبعه السليم، وفكره المستقيم، من فوائد ذلك
الشكل الكريم، فحملني ثالثاً^(٢) على وضع هذه الرسالة، مجارة سوابق
الأفاضل، ومباراة لسهام المناضل، فإن جاءت مقبولة، فذلك ما كنت أبغي،
وإن عادت مردودة، فمما أطرح وألغي، ومن لديكم من الطلبة والإخوان
الكرام، مخصوصون بالتحية والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

والسلام على رسول الله .

فأجابه بقوله :

يا من حلا بهم التفصيلُ والجملُ	هل في ربوعٍ بجرعاءِ الحمى طللُ
به مظاهرُ آياتٍ بهم بهرت	يحلُّها من له في حبهـم شُغلُ
وهل لمن لم ينل في الدهر بغيتَه	من وردهم سهل ^(١) يرتاح أو عللُ
فما مرامي سوى علم يكون به	من آل ليلي وصالٍ ليس ينفصلُ
يا جيرةً طار بين الخلق ذكرُهم	عليّ من ودّكم ما دونه الأملُ
بعثتم من علوم الجفرِ أسرحها	لأجلكم بُعثت ما بيننا الرسلُ
فعاملونا بقدر الوُدِّ إن لنا	لرتبةٍ فيه راقـت عندها الوصلُ
لا تتركوا جانب الأحاب إن لهم	بشأنكم همةً دانت لها الأولُ
وما انتفاع أخى الدنيا بعزمته	إن لم يكن مستقيماً عنده العملُ
وما استقامتها إلا بهمتَه	إذا تحولت الأحوال والجِللُ
فإن تقاعدَ كان العجزُ غايته	وما له في المعالي بعدَ ذا نُزلُ
وإن تقاعس أضحى غابة الأسـل	وبعد ذاك فللجوزاء يتنقلُ
كما عدى ابن أمير المؤمنين لنا	كهفًا به نعم الخيار يتصل ^(٢)
فإن للحسنِ المولى الذي شرفت	به مدارسُ علم منه يعتدلُ
ما لستُ أحصر من علم ومن عمل	يا حبذا منه ذاك العلمُ والعملُ

(١) كذا في الأصل، ولعلها: نهَلُ.

(٢) الخيار جاءت في الأصل غير منقوطة، ولعل الصواب: نعمُ الجبارِ تتصلُ.

مولانا الذي اطلع على أسرار العلوم الشرعية والعقلية، واستولى على ممالكها الذاتية والآلية، من أوتي في العلم مقاماً جليلاً، وبلغ فيه الرتبة التي أحلته منزلاً رفيعاً جميلاً، وعَلِمَ من جاره فرأى باهرَ علمه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، إمام العقل والنقل، وصاحب القول الفصل الجزل، وبركة جهابذة هذه الأمة، الذي تنتهي إليهم رسالة العلم والعمل، وبقية سلف الأمة، الهداة الذين استووا على عرش الكمال في تلك الحلل، شرف الإسلام والعلوم والفضائل عن كمل، ومرجع الأئمة في مهمات الدين لتعود رائقة الحلّى والحلل، طيبة الفروع والأصول والوُصل، الحسن بن الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، خمسة أسماؤهم من سرب صوب الغمام، أيده الله بتأييده، وقرن أموره بتسديده، وأبقاه ملاذاً للعلم وأهله، موصولاً بسلامه ورحمته وفضله، وإنه وصل إلى مترفه في أحسن ساعة وحالة، وعليه رونق البهاء والجمال والجلالة، مصحوباً بنفيسات تلك الأسرار في تلك الرسالة.

وإن الكامل ليقصّر عن درك براهينها اللمية، ويتحقق عند ذلك معنى الخطاب: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، إلى ما من الله به من تلك العلوم الوهبية، إذ معنى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾: ما أعطيتم، فجعلها موهبة لا عطية، وقال في عبده الخضر - عليه أشرف التحية -: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] بالإشارة إلى تلك المكرمة اللدنية، وقال في السورة الرحمانية: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١ - ٢] مشيراً إلى ما يؤخذ عن الملكة السرية.

ومن هنا ذهب ذاهبون إلى أن المراد بالعلم الذي آتاه: هو ما خُصّت به

العترة الزكية، وأتباعهم المرتقين^(١) إلى الدرج السنية، من العلوم الوهية، وأن لو كان المراد به ما يشمل الكسبية، لقال: أوتيتم الطريق إلى تحصيل تلك اللطائف، ونحن نقول: المراد به: مطلق العلم؛ ليشمل العلمين، وذلك حاصل من فضله بلا ميين، ونحن نعلم أن ثم علماً اكتسبناه من أفكارنا وحواسنا، وأن ثم علماً يفتح الله به علينا عند النظر فيما أهمنا من علومنا، تشرق به شمس النظر، وتتحدى به الآراء والفكر.

وقد يمنُّ الله سبحانه بأمرٍ من العلم عظيم، ويورده على أبواب العلم والتعليم، موهبةً منه وفضلاً، وإن فضله لعظيم، ومن هنا اختلف في العلوم الحاصلة عن التقوى أو هبة هي أم مكتسبة؟ رجح قوم الثاني، فهي الثانية في الرتبة؛ إذ التقوى مما جعلها الله سبباً وطريقاً إلى علوم هي عينها متسبية، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فما أعظم فضل الله وأطيبه!

وعلى هذا: فالتقوى طريقٌ إلى العلم بالمعلومات؛ كالفكر، والنظر، والعلم الوهبي مما يمن الله به، لا من طريقٍ على الحد المعبر، وهو السر المطلوب من اسمه عبد الوهاب عند أبواب النظر؛ فإن الوهاب هو الذي يكون عطاؤه على هذا الحد الذي بهر؛ بخلاف الاسم الإلهي، أو الكريم، أو الجواد؛ كما هو مبسوط بما هو أظهر من القمر.

ولذا كان العارف بحقائق العلوم، وحقائق الأسماء لخالق القوى والقدر، عارفاً كيف ينزل الثناء على الوجه اللائق، بمن خلق الإنسان في أحسن تقويم،

(١) كذا في الأصل، والصواب: المرتقون.

وَشَقَّ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَمِنْ هُنَا وَصَلَ أَرْيَابَ الْفَضْلِ الْمُؤَيَّدِ، الْمَأْخُوذِ مِنْ
طُورِ سَيْنَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ، إِلَى رِيَاضِ عُلُومٍ وَمَعَارِفٍ، وَمَحَاسِنِ وَلَطَائِفٍ، فَأَنْشَدُوا
بَيْنَ تِلْكَ الْمَطَارِفِ:

خَلِيلِيَّ إِنْ الْجَزْعُ أَضْحَى تَرَائِيهِ مِنْ الطَّيِّبِ كَافُوراً وَأَغْصَانَهُ نَدَاً
وَأَصْبَحَ مَاءُ الْجَزْعِ خَمِراً وَأَصْبَحَتْ حَجَارَاتُهُ دُرّاً وَأَوْرَاقُهُ نَدَاً
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ مَشَتْ بِجَنَابِهِ أُمِيمَةً أَوْ جَرَّتْ بِتَرْبَتِهِ بُرْدَاً

وَعِنْدَ بُلُوغِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْمَشَاهِدِ، وَكَرَوَعِهِمْ مِنْ^(١) سِلْسِلِ تِلْكَ الْمَوَارِدِ،
قَالُوا:

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَصَلٌ حَظُّهُ النَّدَمُ وَمَنْ تَكُنْ هَمَّهُ تَسْمُو بِهِ الْهِمَمُ
وَنَازِلٌ فِي سَوَى الْأَسْبَابِ حُقٌّ لَهُ يَقْتَصُّ مِنْ جَفْنِهِ بِالْدمْعِ وَهُوَ دُمُ
وَالسَّمْعُ إِنْ جَالَ فِيهِ مَنْ يَحْدُثُهُ سَوَى حَدِيثِكَ أَمْسَى وَقَرَهُ الصَّمَمُ
مَنْ الْمَنَازِلُ لَوْلَا أَنْ تَحَلَّ بِهَا وَمَا الدِّيَارُ وَمَا الْأَطْلَالُ وَالْخِيَمُ
لَوْلَاكَ مَا شَاقَنِي رُبْعٌ وَلَا طَلَلُ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى نَحْوِ الْحَمَى قَدَمُ
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ عَيْنٌ أَرَاكَ بِهَا مِنِّي وَفِي كُلِّ عَضْوٍ بِالثَّنَاءِ فَمُ
فَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِكُمْ وَكُلُّ قَلْبِي مَشْغُوفٌ بِحُبِّكُمْ
سَعَيْتُ كُلَّ طَرِيقٍ [لَسْتُ] أَعْرِفُهُ إِلَّا طَرِيقاً تَوَدُّنِي لِرُبْعِكُمْ

أَمَّا أَسْرَارُ تِلْكَ الرِّسَالَةِ الَّتِي بَرَزَتْ فِي تِلْكَ الْحَلَةِ، وَظَهَرَتْ مِنْ نَحْوِ كَرِيمٍ

(١) فِي الْأَصْلِ: فِي، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ.

تلك الجلة، المصدرة بالمبدع الأول في مراتب الحرفية، الخبرة عن مقام الخليفة مقام المستخلف في العلوم الجفرية، ناطقةً عن الألف عنه بالواحد الذي لا يتجزأ، مشيرةً إلى القلم الذي صدر عنه أول ما أصدره الله من تلك الأجزاء، لمناسبته القلم في تلك الصورة اللطيفة.

ولذلك كان ما بعده من الحروف في تلك الاعتبار الشريفة، وقد شرح أرباب العلوم الجفرية ذلك، ووسعوا في درك تلك المدارك؛ نظراً منهم إلى أن الحرف ومظهره هنالك، ليس هذا الذي يكتب في الصفحات والمسالك، ولكن فيه معناه الشريف؛ إذ هو أصل مظهره، ومنه مبدؤه، وإليه عودُ معناه، وخبره ومخبره، ولذا استخرج عندهم من صورته، التي هي أ ل ف عده اسماً من أسمائه تعالى، وأعظمها اسم...^(١).

[٨٧٤] حسن باشا^(٢).

... يحب الأشراف، وينصفهم غاية الإنصاف.

ومن أعجب الأمور: أن بعض أعداء آل المطهر حسن له القبيح إليهم، فقال: لا أغير نعمة لآل رسول الله ﷺ، ولا أرميهم بالنار؛ رعاية لجدهم المختار ﷺ، وفي دخوله إلى صنعاء دبر وفكر، وطول وقصر في أحوال اليمن، وشاور العقلاء، وجالس ذوي الفطن من الرؤساء، ثم نهض لحرب اليمن.

ونحن نذكر من فتوحاته نبذةً على جهة الاختصار، فعين على العساكر المنصورة كتخذه الأمير سنان بيك، وفتح حصن ظفار داود في سنة تسع

(١) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (٧٣ / ٢).

وثمانين وتسع مئة، وقبض على حاكمه السيد محمد بن الناصر الحوفي، وفتح حصن عمران في شهر صفر، سنة تسعين وتسع مئة، وفتح حصن مدع في شهر صفر المذكور، وحصن ذي مرمر في ذي القعدة من السنة المذكورة، وخرج إلى يده حاكم الحصن المذكور، السيد لطف الله بن المطهر.

وفتح صعدة وبلادها في سنة إحدى وتسعين وتسع مئة، وقتل حاكمها السيد أحمد بن الحسين المؤيدي، وسلم الفقيه عبدالله بن المعافى حصن السودة طاعةً للسلطان، فكافأوه بالسجق السلطاني، وقررت بلاد السودة تحت يده، وهي الآن تحت يد أولاده، في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة، وفتح حصن ثلا في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وخرج إلى يده السيد علي يحيى بن المطهر، وقبض على الإمام الحسن بن علي المؤيدي، وفتح بلاده في شهر رمضان، من السنة المذكورة، من الصاب بجبل هنوم.

وفتح حصن عفار في ربيع الأول، من السنة المذكورة، وخرج إلى يده السيد غوث الدين بن المطهر، وفتح بلاد أصاب، في سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وقبض الوزير حسن على أولاد المطهر المذكورين؛ لأنهم بعد طاعتهم لم يسكنوا من إثارة الفتن، وأرسل بهم إلى الأبواب العلية السلطانية، وذلك في شهر ذي القعدة، سنة أربع وتسعين وتسع مئة، وهم: الإمام الحسين بن علي المؤيدي، وعلي يحيى بن المطهر، ولطف الله بن المطهر، وغوث الدين ابن المطهر، وحفظ الله بن المطهر، ومحمد بن الهادي بن المطهر.

وعين الوزير حسن باشا ففتح بلاد يافع كيخية الأمير سنان بيك سرداراً على العساكر، فتقدم على بلاد يافع في العشر الأوسط من ذي القعدة، سنة ست وتسعين وتسع مئة، فلم يزل الأمير سنان يغادهم ويرأوهم بالحروب،

فكان بينه وبينهم ثلاث مئة وقعة سجالات، تارة عليهم، وتارة عليه، فأعطاه الله النصر عليهم، وفتح بلاد يافع في سنة سبع وتسعين وتسع مئة.

وفتح حصن أحوب، وحصن الغراب، ورجع سالماً غانماً في شعبان، سنة تسع وتسعين وتسع مئة، وقد فتح اليمن بأسرها، ولما استولى حسن باشا عليها، وسكنت عنه الفتن، وساعدته الأقدار، ودانت له الأقطار، ونامت عنه عيون الحوادث، استكثر العساكر وجوامكهم، وشرع في تقليدهم، فظهر في بلاد الشرف الإمام القاسم بن محمد بن علي، وادعى الإمامة في سابع وعشري محرم، سنة ست بعد الألف، فأطبق أكثر أهل جبال اليمن على طاعته، وسارعوا إلى إجابته، وصاروا من جملة جماعته، فاشتعلت نار الفتن، وثار من الناس الحفائظ والإحن.

وضاقت أحوال الوزير من تردّد أصحاب الإمام إلى صنعاء، وتقلّت البلاد من يديه جميعاً، وقام عليه الأعلى والأدنى، وحاربه من كان لديه بالمحل الأسنى، وله عليه التفضل الأهنى.

ولم يبق مستقيماً على قدم الطاعة للسلطنة العلية - أعز الله أنصارها، وضاعف علوها واقتدارها - إلا الأمير شمس الدين أحمد بك بن محمد بك ابن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، الحاكم بمحروس كوكبان؛ فإنه لزم ما التزمه والده الأمير محمد من الطاعة للسلطنة، حسبما تقرر بينه وبين الوزير الأعظم الحاج سنان باشا، فبذل المذكور النفس والنفس في إشادة نصرها المأمول، حتى نال بذلك ما نال، وفاز فوزاً عظيماً.

وقفاه ما فعله ولداه: الأمير وجيه الدين، [و]عبد الرب، فشيدها من الخدم

السلطانية ما فاقا به غيرهم، فنهض الوزير حسن باشا، وجمع أهل النجدة من الرجال، وبذل الأموال، وعين كيخية الأمير سنان بيك سرداراً على العسكر، وأمدّه بالمال والرجال، وطلب حاكم الحبشة علي باشا الجزائري، فوصل، وكان لوصله تأثيرٌ في تسكين الفتن من بلاد اليمن الأسفل، ثم توجه على بلاد بنوه، فاستشهد بها سنة ثمان بعد الألف، وانضافت خزائنه بالعساكر إلى جانب الوزير حسن باشا.

وتوجه السردار الأمير سنان إلى جهة كوكبان، فاجتمع هو والأمير أحمد ابن محمد بن شمس الدين بن شرف الدين، ففتحوا به كوكبان جميعها، بعد استيلاء أصحاب الإمام عليها، ثم توجه السردار على سائر البلاد، ففتح بلاد ثلا، وحصن ثلا، وبلاد عمران، وحصن مدع، وحصن عفار، وبلاد الظاهر، وبلاد نهم، وبلاد حصور، وبلاد الحيمة، وبلاد سخان، وبلاد مغرب آنس وذمار، وبلاد يريم، وفتح بلاد جبل اللوز، وبلاد خولان.

ثم عطف على بلاد الظاهر، فاستقر بخمر والصَّرارة، وهما بلدان يتوسطان بلاد الزيدية، فوصل إليه الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر، وكان المذكور موالياً للسلطنة، فحصره الإمام القاسم في حصن مَبِين ببلاد حجة، فاستولى الإمام على بلاده، فخرج من حصن مَبِين إلى عند الإمام بالأمان، فلما أتى إلى عند الإمام، أخذ عليه العهد بأنه منه وإليه، فأرسله الإمام لحرب السلطنة.

فكان طريقه من عند الإمام إلى عند السردار، فافتتح بلاده بلاد حجة، وألزمه السردار باستفتاح بلاد الشرف، فاستفتحها، فلما شاهد الوزير حسن باشا علو همته، ومناصحته ومحبه لجانب السلطنة، أنعم عليه ببلاد الشرف،

وقرره على بلاد حجة والشرف، وكانت له إنعامات من جانب السلطنة تبهر العقول، فلم يرع لحقوق السلطنة في آخر مدته، بل طغى وبغى، وقد قيل: من رفع إنساناً فوق قدره، فقد أطفاه، وسنذكر فيما بعد ما آل إليه أمره.

واستولى الإمام على بلاد صعدة، فقام على ساق الحرب الأمير مصطفى بيك، وانتقل إلى رحمة الله، ثم قام مقامه الأمير محمد بيك الكردي، فاتفق الصلح بينه وبين السيد محمد المؤيدي، فحصل الفتح بمساعدة السيد المذكور، فأنعموا عليه بالسنبق السلطاني، ونال من السلطنة ما رغم به أنف أعدائه، وكان ذلك في شهر صفر سنة سبع بعد الألف.

وضعت شوكة الإمام القاسم، ولم يبق في يده إلا حصن شهارة، في بلاد الأهنوم، فتحصن به، فعين السردار الأمير سنان عسكرياً وسرداراً، فأحذقوا به، وحازوه في حصنه، فخرج الإمام، وهرب من الحصن متنكراً، ولم يشعر به أهل حصنه، فضلاً أن يشعر من كان في حربه.

وبقي ولده محمد متحصناً في مكان أبيه، وعجز عنه، وخاف حاله، فخرج بالأمان، وأن يكون محل قراره عند صاحب كوكبان، فأعطوه الأمان على ذلك، وقبض حصن شهارة، فخرج السيد محمد بمن معه من إخوانه وأهله، وسكن في كوكبان، وسنذكر سبب خلاصه كيف كان من الأسر - إن شاء الله تعالى -، وكان ذلك سنة عشر بعد الألف.

ولما طالت مدة صاحب الترجمة باليمن، عزل عنه، وخرج على وجه مستحسن، فتوجه إلى الروم، يوم حادي وعشري صفر، سنة ثلاث عشرة وألف، وتولى بعده سنان باشا كتبخده، ثم توفي حسن باشا في القسطنطينية، في سادس عشر رجب، سنة ست عشرة بعد الألف.

[٨٧٥] حسن باشا بن عبدالله المعروف بشوريزي حسن^(١).

كان جندياً بدمشق، ثم ترقى به الحال إلى أن صار من أمراء الجند، ثم ثار عليه الجند، وأرادوا قتله، فسلمه الله منهم، ووصلحوا بعزله، فسلك طريقة التيمار، حتى صار جاويش السلطان، وسافر إلى القسطنطينية مراراً، وكل مرة يأتي الشام بحسنة إلى بعض المستحقين من العلماء والصلحاء، إما وظيفة، وإما صدقة.

وكان يستنهضه الناس في استخراج براءات لهم سلطانية، فيأتي إليهم بها حسبةً، وكان له اعتقاد في العلماء والصلحاء، وكان يحنو على الأيتام، وحضن كثيراً منهم، ممن لا ولي له، وثمر أموالهم...^(٢).

له محاسنُ لا تُحصى لكثرتها	وطالما هطلت خيراً شأبيهُ
يحب تعمير أوقاف المساجد لا	يألو وقد حُستت فيها تراتبيهُ
وكان يُحسن للأيتام محضنهم	تجري على مستوًى فيه أنابيهُ
... ^(٣) دمشق ومن فيها له وغدا	تجرهم غير إباء مجاوبه
وربما مسّ منه الظلمُ بعضهم	وعاث في الناس تؤذيهم يعاسيهُ
يُباديُ الناس بالترهاب يوهّمهم	مما يبلغه عنهم ديايديهِ

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٣) (١٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤).

(٢) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

(٣) جاء في الحاشية: «قبل كلمة «دمشق» كلمة غير ظاهرة».

أخَلَّتْ مَنِيَّتُهُ مِنْهُ الدِّيارَ فَقَدْ أَمَسَتْ خِلالَهُ تَبَكُّيَهُ شَناجِيَهُ
 مِنْ بَعْضِ ما أَقْلَجَتْ مِنْهُ مَفاصِلُهُ وما نَفَتَ عَنْهُ أَسقاماً تَقارِيَهُ
 كَانَتْ تَسَوِّمُ فِي عَرَضِ مَراكِبِهِ فَصار لِلأَرْضِ وَانْفَكَتْ تَراكِبُهُ
 فَلِيعْتَبِرُ كُلُّ جِبارٍ بِمِيتَتِهِ ما قَدْ خَلَدَتْ كِلا وَنِيَّتِهِ^(١)
 يا طالِما يَنْصُرُ الآياتِ ظاهِرَةً وَالقَلْبُ ما فَعَلَتْ فِيهِ تَقالِيَهُ
 وما عَـتَبَرنا بِما التَّاطَتْ وما نَشَبَتْ فِي ذا الزَّمانِ بِأَهْلِيهِ مَخالِيَهُ
 نَجَرُبُ الدَّهْرَ تاراتٍ فَنعْرِفُ ما يُجْريهِ لَمْ تَلونا عَنْهُ تِجارِيَهُ
 طَوْبى لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِالدَّهْرِ مَنخَدَعاً وَلَمْ تُمَلِّهِ عَنِ التَّقوى مُحايِيَهُ
 بِالْخَيْرِ يُذَكَّرُ أَوْ بِالْشَرِّ كُلُّ فَتًى قَضَى فَلَا أَسَدُهُ تُخشى وَلَا ذِيَهُ

ذَكَرَهُ النُّجُومُ الْغَزِي فِي «الذَّيْل»^(٢).

[٨٧٦] حَسَن دَدَه.

كَانَ بَقْرِيَّةَ قاي فِي صَحْراءِ مَرْتَضَى آباد، قَريباً بِقَصْبَةِ أياش، وَكانَ شَيْخاً
 صالِحاً، صابِحَ رِياضَةٍ وَكُشَف، تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ بَعْدَ الأَلْفِ.

[٨٧٧] حَسَن دَدَه.

السَّاكِنُ الآنَ بِبِلَدَةِ أَرْضِ روم، كانَ عالِماً صالِحاً، يَعْظُ النّاسَ فِي
 الجامِعِ، وَلَهُ أَصْحابٌ وَمَريدون^(٣).

(١) كَذا فِي الأَصْلِ.

(٢) جاءَ فِي الحاشِيَةِ: «بَعْدَ هَذا سَطْرانِ بياض».

(٣) جاءَ فِي الحاشِيَةِ: «بَعْدَ ذَلكَ سَطْر بياض».

[٨٧٨] حسن الدَّيْر عَطَانِي^(١).

الشيخ المجنوب، كان من قرية عطية، بالقرب من النبك، من ناحية جُبة عُسال، وكان مجاوراً بالجامع الأموي، لا يخرج منه إلا قليلاً، وكان لا يقتات إلا بالخبز الخشن، ويأتمم بالخل والزيتون، وكان لا يقبل من كل أحد شيئاً، بل يقبل من جماعة مخصوصين، فيظهر لامتناعه في الغالب حكمة، فيكون امتناعه لشبهة فيما يدفع إليه، أو عدم إخلاص.

وكانت له مكاشفات ظاهرة، وأحوال باهرة، وليس عليه سوى قميص أزرق، ويلبسه صيفاً وشتاءً، وقيام في الجامع، وهو نظيف البدن والثوب، وإذا كان شهر رمضان، ذهب إلى بلده، فصام بها، وترك الجامع؛ لاجتماع الناس فيه في ليالي رمضان، وكثرة لغطهم.

وسمعه مفتي الحنابلة بدمشق أحمد الوفاي، قبل واقعة ابن جانبولاد، وهو يقول: اظلم ظلموا، اظلم ظلموا، فقال له: يا سيدي! عمن تقول؟ قال: عن هؤلاء الظلمة، يشير إلى عسكر دمشق، سوف ترى كيف يسلط الله عليهم علي بن جان بولاد، فلما تلاقوا معه، انكسروا، ثم هربوا، وتشتوا في البلاد.

قال النجم الغزي: وكنت يوماً ماراً عليه، وأنا في مهمة لي، فقلت في نفسي: يا شيخ حسن! خاطرك معنا، فخاطبني شفاهاً بقوله: قضيت الحاجة، قضيت سريعاً، ثم بعد أيام قلائل مررت به وهو مغضب، فقلت له: مالك

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٠٥) (١٤٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٧٨).

يا شيخ حسن؟ فقال: أئمة الجامع هؤلاء الفاعلة التاركة، يؤذنون الفقراء، ويحملونهم الحملات، فتلطفتُ به حتى سكتَ.

وكان الحافظ أحمد باشا نائب الشام يعتقد، ويعرض عليه الأموال، فلا يقبلها منه، ويقول له: رُدَّ عن الفقراء هذه السوق، الذين يبيعون الشهوات الطيبات، ويؤذون الفقراء، وإنما يشير إلى أن مثل هذه الأمور التي لا يقصد بها إلا ردُّ ما يتأذى منها، فكيف لا يتأذون من ظلم الحكام؟ وكان ينكر على السوق بيعهم للمأكَل الطيبة، ويقول: إنهم يكدرون على الفقراء عيشهم، ويؤذونهم.

وتشكى قبل وفاته يوماً أو يومين، من غير انقطاع ولا اضطجاع، وأكثرُ الناس لم يعرفوا ذلك، فلما كان يوم الأحد، تاسع شعبان، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، أراد الخروج من الجامع، وقتَ الضحى، فسقط قبل أن يصل إلى باب العنبرانيين ميتاً، ودفن بمرج الدحداح، خارج باب الفراديس - رحمه الله تعالى -.

[٨٧٩] السيد حسن المجذوب المعتقد.

كان من بعض ضواحي الشام، ودخل دمشق، فجاور بالجامع الأموي عند باب الغزالية سنين، يأكل من غيب الله، وكان معتقداً، ثم انتقل إلى جامع يلبغا، تحت قلعة دمشق، وجاور به، فبينما هو ثمة ذات يوم، جلس بالقرب منه رجلٌ من المولوية، فجاءت هرةٌ تناولت من بين يدي المولوي شيئاً، فذبّحها المولوي، فقام السيد حسن فذبّح المولوي، وعُرض على حسن باشا ابن محمد باشا الوزير، وكان نائب الشام يومئذٍ، فسأله: لم قتلت هذا؟ فقال: لأنه قتل قطي، فأطلقه لجذبه، وعدم شعوره، ثم تبين أن المولوي قتل نفوساً

كثيرةً، وكان لصاً، ولم يُقتص منه .

ثم انتقل بعد هذه الكائنة إلى بستان بأرزه من المزارع، فقطن بها سنين، وأخبرني جماعةً من أهل تلك الأرض : أنه كان في زمن الشتاء لا يصيبه الثلج إذا وقع، ولا يصيب المكان الذي هو فيه، وكان لا يتضرر من حر ولا برد صيفاً ولا شتاءً، وكانت الناس تقصده بالزيارة، ويأتونه بالطعام والشراب، ويرون منه المكاشفات .

ثم انتقل إلى سفح قاسيون، وأقام بمغارة الشَّيَّاح، بين مغارة الدم وكف جبريل، وانضم إليه الشيخ حسن الرومي، وكان يتعبد بذلك الوادي قبله سنين، والشيخ أبو بكر الصباغ، إلا أنه مات قبلهما، ويقيا بعده، ثم كان الناس يطلعون إليهما للزيارة رجالاً ونساءً، وكان يُقصد لأمر، فتحصل على أحسن وجه، وكان مستغرقاً لا يعقل .

ولما كان يوم الاثنين، ثالث عشر صفر، سنة ثمان عشرة وألف، وكان ثامن آيار، قبيل وقت العصر، جاءت سحابةٌ فيها رياح قواصف، وعودٌ شديدةٌ، وبروقٌ متواترة، ثم تكاثفت وتراكم غمامها، ثم جاء بردٌ شديدٌ كبيرٌ بقدر البندق، ووقع غالبه على الصالحية والجبل، ومعظمه كان على الجانب الغربي منها، وكثيرٌ منه على دمشق، حتى امتلأت منه الأقنية والطرقات، ثم سالت أودية الصالحية، لا سيما الوادي الذي فيه مغارة الشَّيَّاح، فأخذ السيل دوراً وقبوراً، فأمات الله فيه من الأحياء كثيراً، واستخرج من الأموات جمعاً كأنهم قد نشروا نشوراً، وفتح في تلك الأرض مع صلابتها خنادق عميقة، وأطلع من تلك الأرض صخوراً عظيمة .

وكان من جملة من أخذ السيل : المترجم ، ورفيقه حسين الرومي ،
واستُخرج صبيحة يوم الثلاثاء ، رابع عشر صفر ، سنة ثمان عشرة بعد الألف ،
وحضر جنازته الجُمُ الغفير ، وكان من جملة من حضره : العارف بالله الشيخ
محمد بن سعد الدين ، وصلى عليه إماماً بالناس النجمُ الغزي - رحمه الله - .

[٨٨٠] حسن بن الذُّكْرة الحلبي .

هذا الأديب ، كان من أجمل أهل زمانه ، متميزاً في جميع المحاسن
والكمالات على جميع أمثاله وأقرانه ، حسن الصوت والأوصاف ، قريب
الصحبة والمنادمة والائتلاف ، وله على كتب الأدب اطلاع زائد ، وأغصانُ
روضِ حسنه ما بين مائل ومائد ، ورأيت له أبيات ، هي على كمال فضله آياتُ
بينات ، وهي قوله :

وأغيدَ بات يسقيني معتقَةً	كأنها ريقه أو حسنُ فعلتهِ
أحوى حوى ملحاً في وجهه فغدت	مرآة ذات منه صبحُ غُرَّتِه
يريك غصن النقا من قدّه غصناً	عليه بدرٌ بدا في ليل طُرَّتِه
ما زلتُ أشربها صرفاً وربتما	كان المزاجُ لها معسولَ ريقتهِ
حتى اثنتيت أرى المريحَ من خدمي	وأن أدنى ارتفاعي فوق رتبتهِ

[٨٨١] الحسن بن زيد العيزري .

القاضي العلامة ، النبيه الفقيه ، أستاذ المشايخ ، كان من أهل العقل
الرصين ، والثبات في الأمر ، والشهامة الكلية ، حميد الرأي ، موثقاً به في
جميع أحواله ، محققاً في علوم العربية والأصول ، والفقه والفرائض ، رحل

إليه كثيرٌ للأخذ عنه، منهم: القاضي أحمد بن سعد الدين، قرأ عليه طرفاً من «الرضي»، وتخرج به، وانتفع بحلمه وعلمه، كثيراً ما يروي عنه، ومنهم: ولده إبراهيم، ورحل المترجم إلى عبدالله المهلا النسائي إلى باب الأهجر، وقرأ على ابن قيس الثلاثي في الفرائض.

وكان ملازماً لحضرة أبي طالب أحمد ابن الإمام القاسم، متولياً للقضاء، وله من أبياتٍ قالها إجازةً لنصف بيتٍ رآه في النوم السيد أبو طالب أحمد بن القاسم، بعد فتح عمران، رأى أنه قال في منامه:

أَقْمُنَا عَارَ عَائِرِنَا فَقَامَا

فقال المترجم:

شددنا خيلنا العُربَ الكراما	وَحَرَّمْنَا الإِقَامَةَ وَالْمَنَامَا
وجدنا عرارَ العزم حتى	أَقْمُنَا عَارَ عَائِرِنَا فَقَامَا
وَشَرَّدْنَا الأَعَادِي وَانْتَقَمْنَا	بِمَنْ اللهُ أَقْوَاماً طَغَامَا
بنصر الله دَمَّرْنَا عِدَانَا	وَنَرَجُو أَنْ يَكُونَ لَنَا إِزَامَا
ونملك أرضهم شرقاً وغرباً	مَعَ السَّرَوَاتِ نَمْتَلِكُ التَّهَامَا
مع الحرمين نملك أرضَ بصرى	وَبَغْدَاداً وَمِصْرَ وَالشَّامَا

توفي يوم الخميس، تاسع عشر محرم، سنة ثمان وثلاثين وألف، ودفن بالعايزة، عند المسجد - رحمه الله -.

[٨٨٢] السيد الحسن بن شرف الدين بن صلاح الدين بن يحيى

- ويلقب بالهادي - بن الحسين بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن

محمد - الملقب بتاج الدين - بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن ابن يحيى بن عبدالله بن الحسين العالم ابن الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي - سلام الله عليهم -^(١).

كان عالماً عاملاً زاهداً، واسع الأخلاق دمثها، متبلج المحيّا، محباً للضيوف، حنقاً على أعداء الله، وهو الذي افتتح حصن ثلا وعفار، على وجه تمنعه العادات؛ فإنه دخلهما عنوةً، على ضيق ملكه.

ومما روي عنه: أنه حين تقدم على أحد الحصنين، صلى ما شاء الله، ثم قال: أستوهب من الله هذا الحصن، وسماءه، فانفتح بعد السهر والعلو، بفضل الله، مع سهولة من معه.

ومن شعره يحرض الناس على الجهاد:

أمثلُكم يطيبُ له المنامُ	ويهنأه الشرابُ أو الطعامُ
ويضحك ضاحكٌ عجباً ولهواً	حرامٌ ذلكم منكم حرامُ
وكيف يلدُ للأحرار عيشٌ	وسوحٌ ثلا تعاوره الطغامُ
وشرد ساكنيه بكل نجد	وأعقبه لهم يومٌ وهامُ
فحيناً من بُغاثِ الترك يعدو	وأحياناً تفاديه شبامُ
أحصنُ ثلا حماه الله يرضى	بأن يعلوه قهرٌ واهتضامُ
ومولانا الإمام له جنودٌ	يضيّق السهلُ منها والأكامُ

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ٣٠١) (١٦٣).

وسادات الأنام بكل قطر	لكل منه خشن لهام ^(١)
فصخ منهم واسمع إن أجابوا	ونبّهم إذا ما هم نيام
وقل أحبابنا كم توعدونا	أما يرجى لموعدكم تمام
فيا أنصار مولانا قعدتم	فليس يرى لمقعدكم قيام
غفلتم بل رقدتم ثم نمت	فكم ذا تغفلون وكم تناموا
أجدوا في الجهاد فقد دعاكم	إمام لا يقاس به إمام
إمام من بني المختار طابت	أرومته وأسلمه كرام
ويدر من بني الزهرا تجلّى	يزول بنور غرته الظلام
فحمّد ربنا إذ قام فينا	أخ برّ وهو منا غلام
فجازاه الإله جنان خلد	بخير حين يدخلها السلام

توفي يوم الجمعة، تاسع ذي القعدة، عام ثمانية وعشرين وألف، وصلى عليه الإمام القاسم، عقب خروجه من صلاة الجمعة، ودفن في آخر مسجد ذي الشرفين، أيمن الباب الغربي، من غير فصل، وعمره نحو ثمانين سنة. وفي قبره يقول السيد البليغ محمد بن عبدالله الحوثي، في آخر تعزيتة للإمام القاسم، عند موت المترجم:

شرف على شرف بحصن شهارة	فاعجب لقبة قبر ذي الشرفين
حوت المحامد والمفاخر والتقى	والمجد أجمع من كلا الطرفين

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

وتوفي ولده السيد العابد، الكريم المفضل، قرين العبادة، وخدين الزهادة، محمد بن الحسن، يوم الجمعة، آخر شعبان، عام ثلاثة وستين وألف، ودفن إلى جنب والده، وكان ومن وجوه أهل البيت المطهرين، لا يغلق بابه دون طارق، ولا يفارق حضرة الإمام في سعة ولا ضيق، وإذا جاءه طلاب الإمام، وما حضر طعامه، أخذ من شيء يسمى: الرّهي - بالراء المهملة -، وهو من مقدمات اللحيح، فيناولهم منه ما يسد الرمق، وكان ميموناً في مقاصده، وكل من قرأ عليه، فتح عليه - رحمه الله -.

[٨٨٣] السيد حسن بن شذقم الحسيني المدني^(١).

أحد السادة الذين جمعوا إلى شرف العلم عز الجاه، ونالوا من خيري الدنيا والآخرة بضاعةً غير مزجاة، دخل الديار الهندية في عنفوان شبابه، فصدره الشرف في مجالس أهله وأربابه، وما زال يورق في رياض إقبال عوده، حتى أسفر في سماء الإسعاد سعوده، فأملكه أحد ملوكها ابتته، ورفع في مراتب العلياء رتبته، فاجتلى عرائس آماله في منصات نيلها، واستطلع أعمار سعده في نواش ليلها، واقتعد الرتبة القعساء، وأصبح وهو رئيس الرؤساء.

وكان من أحسن ما قدره، من حزمه ودبره، وحرره في صفحات عزمه وحبيره، إرساله في كل عام إلى بلده جملةً وافرةً من طريف ماله وتالده، فاصطفيت له به الحدائق الزاهية، وشيدت له القصور العالية، ولما هلك الملك أبو زوجه، وهوى قمر حياته من أوجه، انقلب بأهله مسروراً، وتقلب في تلك

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٤٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢ / ٢٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٣٢٧) (٣١٦).

الحدائق والقصور بهجةً وسروراً.

إلا أن الرياسة التي تمت له في تلك الديار، والمكانة العظيمة اللتين تميز بهما، لم يجد عنهما في وطنه خلفاً، ولم ترض أنفته أن يرى في وجه جلالته كلفاً، فانشئ عاطفاً عنانه وثانيه، ودخل الهند مرة ثانية، فعاد إلى أبيته الفاخرة، وبها انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

وله شعرٌ بديعٌ فائق، اقتطفته من أزهار تلك الحدائق، منه قوله :

وليس غريباً من نأى عن دياره إذا كان ذا مال ويُنسب للفضل
وإني غريبٌ بين سكان طيبةٍ وإن كنت ذا علم ومال وفي أهل
وليس ذهابُ الروح يوماً منيةً ولكن ذهابُ الروح في عدم الشكل

وقوله :

لا بد للإنسان من صاحب يُدي له المكنون من سرِّه
فاصحب كريم الأصل ذا عفةٍ تأمن إذا عاداك من شرِّه

[٨٨٤] الحسن بن شمس الدين بن حجاف^(١).

كان سيداً عالماً، سهل الطريقة، دمث الأخلاق، متواضعاً يألف الفقراء ويألفونه، أقام بصنعاء، بجوار مسجد الأخضر، في الجانب القبلي، وكان له بيتٌ ملاصقٌ للمسجد، من جهة اليمن، ينسب إلى الإمام الفقيه العابد إبراهيم الكسعي، وكان مأوى الفضلاء، لا يزال مزوراً بعيون العلماء، في غالب الأوقات.

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/٣٠٣) (١٦٥).

وكان عالماً كبيراً في الكلام والمنطق، قرأ بمكة: «الرسالة الشمسية»
على الشيخ الصوفي أحمد بن علان، ومعه جماعة، منهم: السيد محمد بن
عز الدين المفتي، والسيد علي بن بنت الناصر، وأتموها في ثمانية عشر شهراً،
قراءة تحقيق، وقرأ عليه أيضاً: المطول للسعد، وهو الشرح الذي سُمي بـ:
«اليزدوي» كما قال الدماميني.

وكان له نظمٌ حسن، واتفق أن الباشا حبسه؛ لما ظنه فيه من خلطته
للإمام القاسم، فكتب من الحبس إلى تلميذه القاضي العلامة إبراهيم بن يحيى
الشجري^(١) السحولي:

يا صاحبي إما إن حبستَ فلا تكن قنوطاً فإن اللطف يا صاحبي ملاري
لعل وراء الغيب أمر يسرنا بقدرة من في علمه الخالق الباري

فذيّل البيتَين القاضي إبراهيم بقوله:

واني لأرجو غارة نبوية تفك بعون الله عُسري بإيساري
دَعُونَا على رفع النوائب عاجلاً فيا خالقي حقق رجائي وإضماري

ومما كتبه السيد إلى القاضي المذكور ملاطفاً:

يا فقيه الإمام يا من عليه عمدة المسلمين فقهاً ونحواً
وله في الأصول حظٌ جزيلٌ في قياس وفي صفاتٍ وفخوى
ما الذي يفعل المحبُّ إذا ما شاقه شادنٌ من التركِ أحوى

(١) في الأصل: السجري.

وقوام كغصنٍ بانٍ ووجهٌ من بدور الكمال أسنى وأضوى
هل له أن يقبل الثغر منه افعلوا للمحب في ذاك فتوى

فأجابه القاضي - رحمه الله تعالى - :

قد حكمنا بمنع ذاك وإن الـ حكم لا شك قاطع كل دعوى
فاسل عما ذكرت وأذرع الصب ر وخذ في نهج الشريعة مشوى
إنه عندنا حرام وأما عند أهل الهوى فخذ فيه فتوى

قلت : وأذكرني هذا : ما كتبه بعض العلماء إلى الشيخ أبي جعفر أحمد
ابن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي ؛ نسبة إلى طحا ، من
صعيد مصر :

أبا جعفرٍ ماذا تقولُ فأفتنا إذا نابنا خطبٌ عليك نُعوّلُ
ولا تُتكرنْ قولِي وأبشِرْ برحمةٍ من الله في الأمر الذي عنه تسألُ
أفي الحب عارٌ أم العارُ تركهُ وهل من لحا أهل الصباية يجهلُ
وهل ذا مباحٍ فيه قبل متيمٍ تهاجره أحبُّ به وتوصّلُ
فرايكَ في ردِّ الجواب فإني بما فيه تقضي أيها الشيخ أفعلُ

فأجاب الطحاوي :

سأقضي قضاءً في الذي عنه تسأل وأحكم بين العاشقين وأعدلُ
فديتكَ ما بالحب عارٌ علمتُهُ ولا العارُ تركُ الحب إن كنتَ تفعلُ
ومهما لحا في الحب لاج فإنه لعمرُك عندي من ذوي الجهل أجهلُ

ولكنه إن مات في الحب لم يكن له قودٌ عندي ولا فيه يُقتلُ
ووصلك من تهوى وإن صدَّ واجبٌ عليك كذا حكمُ المقيمِ يفعلُ
فهذا جوابٌ عندي فيه قناعةٌ لما جئتَ عنه أيها الشيخُ تسألُ

وفي «طبقات الأسنوي»، في ترجمة أبي محمد الباقي - بالموحدة
والفاء -: أنه جاءه غلامٌ حَدَثٌ، بيده رقعةٌ، فدفعها إليه، فنظر فيها مبتسماً،
ثم أجاب عنها، وردّها، وكان فيها بيتان، وهما:

عاشقٌ خاطر حتى اسـ ستلب المعشوق قبلـه
أفتني لا زلتَ تفتني هل يبيحُ الشرعُ قتلـه
فأجاب:

أيها السائلُ عما لا يُبيحُ الشرعُ قتلـه
قبلـه العاشقُ للمعـ شوقٍ لا توجبُ قتلـه

ويشبه هذا: ما نسب إلى أبي محمد عطاء بن أبي رباح:

سألتُ الفتى المكيَّ هل في تراوِرٍ وضمةٌ مشتاقٍ الفؤادِ جُناحُ
فقالَ معاذَ اللهِ أن يذهبَ التقى تلاصقُ أكبادُ بهنٍ جراحُ

فقال عطاء: والله! ما قلت هذا.

ومما تقوِّله الشعراء على عطاء: قوله:

سألتُ الفتى المكيَّ ذا العلم ما الذي يحلُّ من التقييل في رمضانِ
فقال لبي المكيَّ أما لزوجةٍ فسبعٌ وأما خلة فثمانِ

وكان السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم الحجاف يتردد إليه لسماع
«الشرح الصغير على التلخيص»، فجاء يوماً والمترجمُ غائب، فكتب في
الجدار:

وصلتُ إلى ربيعكم سادتي فلم ألقكم في الجنبِ الرحيبِ
فعدتُ إلى منزلي آيًّا وأيقنت أن اللقاء عن قريبِ
فكتب تحته:

وصلتَ إلينا فلم تلقنا وكنا نحسُّ لقاء الحبيبِ
فحفظ حُرمناه لكتنا نفوزُ الغداة بأوفى نصيبِ

وكان يوماً بمنزله، والسيد البليغ محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين
يصلي أحد العصرين، فقال لي: حضرني الآن حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه الذي
رواه مسلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كن في الدنيا كأنك غريب،
أو عابر سبيل، واعدد نفسك في الموتى، فإذا أصبحت، فلا تحدثها بالمساء،
وإذا أمسيت، فلا تحدثها بالصباح، إلى آخر الحديث»، فعقدت ذلك، فقلت:

صاح إياك والركونَ إلى الدنـ يا فإنَّ الرحيل عنها قريبُ
كن بها مثلَ عابرٍ لسبيل أو غريبٍ فانت فيها غريبُ
والحياةُ الدنيا طريق إلى الـ أخرى وما استوطنَ الطريقَ أريبُ

وكان بينه وبين السيد لقمان مشاعراتٌ حسنةٌ.

ومن شعره من قصيدة نبوية قوله:

ما لي أرى الغادة الحسناء فاهجرها وأهجرُ الكأسَ واللذاتِ والطربا

وأهجر الخوذَ معسولاً مُقبَّلها وكنتُ قبلُ أهوى أن يقال صبا
ما ذاك إلا لأن الدهر أكسبني حلمًا وأفضله ما كان مكتسبا
وقال لي زاجرٌ من نية صلحت والوجدُ يُشرقني بالدمع منسكبا
لا درْ دركٌ يا هذا أما نظرت عيناك ما قد أتى في الدهر أو ذهباً

وله شعرٌ على «لامية العجم للطغرائي».

توفي بصنعاء، ودفن بجربة الروض، عند العلامة النحوي - رحمه الله -.

[٨٨٥] حسن بن عبد القادر البكري الشافعي^(١).

الشيخ الفاضل الصالح، بدر الدين، كان شاباً صالحاً متعبداً، منزوياً عن الناس، منقطعاً عنهم، يقيم كثيراً بجامع السقيفة، خارج باب توما، ولأهل دمشق فيه محبةً واعتقاد، قرأ على والده، وعلى تاج الدين القرعوني، وكان يلزم مجلس المحيّا، والصلاة على رسول الله ﷺ في آخر أمره.

قال النجم الغزي في «الذيل»: فأخبرني: أنه كان ينكر على شيخ المحيّا، الشيخ عبد القادر بن سوار إخباره بكثرة رؤياه للنبي ﷺ، قال: فبينما أنا نائم في بعض الليالي، رأيت في المنام: أن الجامع الأموي ملآن من الناس، وهم ينتظرون، فقلت: ما ينتظرون؟ قالوا: ننتظر رسول الله ﷺ.

فبعد ذلك، دخل عليهم النبي ﷺ، فأقبلوا عليه يقبلون يديه، وكنت فيمن قبل يده، وقلت له: من أنت يا سيدي؟ فقال: أنا رسول الله، الذي يقول الشيخ عبد القادر بن سوار: إنه يراني كثيراً في منامه، وقد جئت لحضور

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٩١) (١٤٣).

مجلسه، فلما استيقظت، تبت عن الإنكار، وصار بعد ذلك يلزم مجلس
الشيخ عبد القادر، ويقبل يده، ويعتقده.

توفي في أوائل جمادى الأولى، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن
إلى جانب أبيه، بمقبرة الشيخ رسلان، عن بضع وثلاثين سنة - رحمه الله
تعالى -.

[٨٨٦] حسن بن عبدالله الشاويش التعزي اليمني.

من أكابر الشعراء والأدباء في هذا العصر.

من شعره قوله :

أهدى إليّ سواك من ثغره قد بلّ من ماء الحياة الكوثر
يروى العقيق مع العذيب وبارق وأراك تروي عن صحاح الجوهر

[٨٨٧] الحسن بن علي بن صالح بن سليمان الأكموع.

فريد أوانه، ووحيد زمانه، واحد حسنات الأيام، وأجواد الزمان،
وكرماء الأوان، ولا يختلف في ذلك اثنان، وكان شجاعاً يطير للحرب طيراناً،
ويفعل فعل من لا يهاب الموت، وكان مسعوداً في حروبه، وكان كثير الولوع
بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]، وظهر أثر
بركتها عليه، ومما شاع عن بعض الفقهاء: لو صلح غير قرشي للإمامة،
لصلح لها المترجم. توفي، ودفن بقبة ذي الشرفين بشهارة، ورثاه عبدالله بن
المهدي صاحب الظهرين.

[٨٨٨] السيد الحسن بن علي بن صلاح بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن أحمد بن محمد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبدالله بن
إسماعيل بن عيسى بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم
- رحمهم الله تعالى - العُبالي^(١).

كان إمام المعقول والمنقول، شيخ العلماء الجلة الجهابذة الفحول،
عالي المنزلة، شريف المرتبة، حاوياً للفضائل، مرجوعاً إليه، [لا]سِيَّما في
علوم القرآن، أخذ عن الشيخ العلامة لطف الله بن الغياث الظفري، وهو أستاذ
الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان ينوّه بذكره، وكان مطاع
الأمر في الدولة المتوكلية، وله شعرٌ جيدٌ، لكنه لا يظهر إلا قليلاً.

توفي بظفير حجة، في جمادى الآخرة، سنة ست وخمسين وألف،
ودفن بالمشهد الأحمدي.

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وعملت أبياتاً تكتب على
قبره، ولم تكتب، منها:

عُجَّ بالضريح فإنَّ فيه واحداً طلقَ الجبين وشامخَ العِزِّينِ
قد بذَّ في المنقول كلَّ محقِّقٍ وأغارَ في المعقول سعدَ الدينِ

[٨٨٩] الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن
جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن محمد
ابن عبدالله بن المختار بن القاسم بن أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن
القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣١٤) (١٧٣)، «البر الطالع» (١/ ٤٠٧).

السيط بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - المؤيدي^(١).

قام باليمن في نصف رمضان، سنة خمس وثمانين وتسع مئة، وقام معه الشيعة في صعدة، فخرج منها إلى جبل الأهنوم، فاشتعلت الأرض ناراً، وفتح جملة قرى، وأرسل رسله بالرسائل، وكتب إلى لطف الله بن المطهر، فلم يجبه، واضطربت عليه البلاد، وكتب إلى محمد بن شمس الدين بمثل ذلك، فلم يجبه - أيضاً -.

وكتب إلى علي يحيى بن المطهر، فكاد أن يجيبه، وغره أحد إخوان الإمام، فأجاب، وسلم إليه بعض الحصون، فوجه لطف الله عبدالله بن أحمد ابن شمس الدين، والنقيب مرجان شاويش، فخرجوا إلى الخشب، وفتحوا ما قد خالف، ثم خرج الأمير سنان إعانة لهم من قبل مراد باشا، فهزموا أصحاب الإمام، وسكنت بلاد مرمر، وعاد سنان إلى صنعاء.

ثم في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة، توجه سنان المذكور، لحرب الإمام الحسن إلى الأهنوم، واستولى سنان على أكثر بلاد الإمام، وضايقه. وفي شهر رمضان، من السنة المذكورة، فتح سنان جميع الأهنوم، وانحصر الإمام الحسن، في محل يقال له: الصاب، فجنح إلى السلم، وخرج إلى بلاد الأمير سنان، في سادس عشر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة.

ومن عجيب الاتفاق: أنه دعا بالإمامة في النصف من رمضان، سنة ست وثمانين، وأسر في النصف من رمضان، سنة ثلاث وتسعين، ووصل

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٢/ ٢٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣١١) (١٧٢)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٠٤).

الإمام الحسن، صحبة الأمير سنان، إلى الوزير حسن، آخر يوم من رمضان، فأودعه الحفظ، وفي ليلة الاثنين، خامس عشر شوال منها، وجه الوزير الأمير سنان، بالإمام الحسن وبأولاد المطهر: لطف الله، وعلي يحيى، وحفظ الله، وإبراهيم، وعبدالله، وجماعة آخرين إلى الروم، لما رجع جواب سلطان الروم لوصولهم إليه، فسار بهم إلى المخا، وأركبهم السفينة وعاد، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فمات أولاد المطهر بالروم، واحداً بعد واحد.

وتوفي صاحب الترجمة، في رجب، سنة أربع وعشرين بعد الألف، بالروم أيضاً - رحمه الله تعالى -، وكان من أعظم الأئمة علماً وعملاً، وقد أحرز العلوم جميعها بذكاء وقاد، وهمة سامية، وكان يحفظ أربعة عشر مختصراً غيباً، وكذلك القرآن، وكان يخطب الخطب البليغة، المشحونة بآيات القرآن غيباً.

[٨٩٠] الحسن بن علي بن جابر الهبّل - بفتح الهاء والباء -^(١).

القاضي الفاضل، الأديب العديم المماثل.

وُلد بصنعاء، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وكرع من مشاريه، وتأدب بأدابه، وبرع وترعرع، وفاق أقرانه، خصوصاً في علوم الأدب، لكن لم تطل مدته، فاخترمته المنية وهو شاب في حياة والده، فكانت وفاته سنة تسع - بتقديم التاء - وسبعين بعد الألف، بمدينة صنعاء.

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٣٠ / ٢)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٥٥٣ / ٣) (٢٦١)،

«البدر الطالع» (١٩٩ / ١)، «نسمة السحر» للصنعاني (٥١٥ / ١) (٤٦)، «طيب

السمر» للمحيي (٤٥٣ / ١)، «الأعلام» للزركلي (٢٠٥ / ١).

وله ديوان شعرٍ حافلٌ في مجلدٍ كامل . ومن شعره قوله :

ملكُتم فاعدلوا في الصبِّ أو جوروا	ذنبُ الأحبة في العشاق مغفورُ
وقد تقرر في قلبي مقرُّكم	دون الورى فأقيموا فيه أو سيروا
يا مُخربي ربيعَ صبري بالجفا عبثاً	الحمدُ لله ربُّع الودِّ معمورُ
ويا مطوّلَ هجراني بلا سبِّ	أما بدا لك في الهجرانِ تقصيرُ
ومنكرأ ما ألاقى من محبته	حيي كصرفك بين الناس مشهورُ
أنا الكئيبُ المعنَى في هواك وإن	أظهرتُ أني بما ألقاه مسرورُ
ألا خلاصٌ لقلبي من صبابته	فإنه في تعاطي الحب مغرورُ
كم ذا أكابد ما لو مرَّ أيسرُه	بالطول دُكُّ منه من ثقله الطورُ
وكم أرى طاوياً كشحي على شَجَنٍ	ونارُ شوقي لها في القلب تسعيرُ
وكم أراقبُ ساري الطيفِ يقربني	وإنما الطيفُ تخييلٌ وتزويرُ
يا للحمى كم على واديه طُلَّ دمٌ	وكم فداء محب تم ما سورُ
وفي مليكٍ جمالٍ سيفُ مقلته	مظفرٌ بقلوب الناس منصورُ
بني حسن له من روض وجنته	جناتُ عدن ومن ألحاظه حورُ

وقوله :

يا من أطالَ التجنِّي	منك الصدودُ ومنِّي
مولاي إن طال هذا	عليّ فاعلم بأنِّي
أفديك قل لي ماذا الـ	لذي بدا لك منِّي
تركتني مُستهماً	حيرانَ أقرعُ سنِّي

أشكو إليك الذي بي وأنت تُعرض عني
ولم ترق لحالي ولا رثيت لحزني

وقوله:

أصخ لشكيتي وارفق بجسم فيك قد نحلا
وقل لي من أحل دمي ومن ذا حرّم القُبلا
وإن تنكر ضنا جسدي ولم تعطف عليّ ولا
فكف النبيل من عيني لك يكفي بعض ما فعلا
ولا تطلع لنا خذا ك ورد رياضها الخضلا

وقوله - وفيه الجناس الكامل -:

رويدك من كسب الذنوب فأنت لا تطيق على نار الجحيم ولا تقوى
أترضى بأن تلقى المهيمن في غد وأنت بلا علم لديك ولا تقوى

وقوله:

افزع إلى الباري وكُن مما جئت على وجل
وارجُ إليه فلم يخب راجي إليه على وجل

قد سبق إلى هذا في قول القائل:

كن من مدبرك الحكيم م علا وجل على وجل

وقوله في الثقة بالله - وفيه الجناس الكامل أيضاً -:

ثقت بالذي خلق الورى ودع البرية عن كمل

إِنَّ الصَّدِيقَ إِذَا اكْتَفَى وَرَأَى غَنَى عَنْكَ مَلْ

وَقَالَ - وَقَدْ رَأَى شَعْرَةً بَيْضَاءَ فِي رَأْسِهِ، وَفِيهِمَا التَّوْرَةُ وَالْإِكْتِفَاءُ - :

شَبَابٌ غَيْرُ مَذْمُومٍ تَوَلَّى وَشَيْبٌ قَدْ أَتَى أَهْلًا وَسَهْلًا

مَضَى عَمْرِي الطَّوِيلُ وَمَرَّ عَيْشِي كَأَنِّي لَمْ أَعِشْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا

وَقَوْلُهُ فِي الثِّقَةِ بِاللَّهِ ﷻ :

رَضِيتُ بِرَبِّي عَنْ خَلْقِهِ وَعَنْ هَذِهِ الدَّارِ بِالْآخِرَةِ

سَأَسْعَى لَطَاعَتِهِ طَاقَتِي وَإِنْ قَصُرَتْ هِمَّتِي الْقَاصِرَةُ

وَقَوْلُهُ :

أُذِنَ النِّدَاءُ عَنْ سَمَاعِ نِدَاءِ الشَّعْرِ صَمَاءُ فَلَيْسَ يَجْدِيكَ إِنْشَاءٌ وَإِنْشَاءُ

يَا قَالَةَ الشَّعْرِ مَهْلًا لَا أَبَا لَكُمْ رَوَيْدَكُمْ مَا لَزَنَدِ الْمَدْحِ إِيرَاءُ

إِنَّا فِي زَمَنِ وَدِّ الْفَصِيحُ بِهِ لَوْ أَنَّهُ أَلَكَنُ فِي الْقَوْلِ فَأَفَاءُ

كَمْ تُمَدِّحُونَ وَلَا تَعْطُونَ جَائِزَةً كَأَنَّمَا مَدَحَكُمْ بِالْمَنْعِ إِغْرَاءُ

مِنْهَا :

قُلْ لِلْمَسَاكِينِ أَهْلِ الشَّعْرِ يَا تَعَبَ الدِّ أَفْكَارِ إِنْ لَمْ يَصْبِهِمْ مِنْهُ إِثْرَاءُ

هَٰذَا الْمَلُوكُ مَلُوكُ الْأَرْضِ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى سَنَنِ الْمَعْرُوفِ مَشَاءُ

كَمْ قَدْ مَدَّحْنَا فَمَا أَجَدْتَ مَدَائِحُنَا لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْطُونَ مِنْ شَاؤُوا

مِنْهَا :

مَا لِلْقَوَاقِي إِذَا أَقَوْتُ مَعَاهِدَهَا أَفِي زَمَانِكَ يَوْمِي الشَّعْرِ إِقْوَاءُ

من ذا الذي من مقام الذلّ يُنهضها إن نالها بنعال الذلّ إيطاء
أف لها حطة يشقى مُلابسها ضاقت بصاحبها للأرض أرجاء
وحرفة أزجيت فينا بضاعتها فربحُ بائعها فقرٌ وإكداء
إيها أغث مستغيثاً أنتَ قَطُّ له الـ مرجوٌ إن مسّه بأمسٍ وضراءُ

وله دو بيت :

كم أكتُمُ لوعتي وكم أخفيها والدمعُ إذا جرى دمًا يُيديها
يا مالكَ مهجتي رويدًا بشجٍ ها مهجته لديك فانظر فيها

وله تعليل كسوف البدر، وفيه لزوم ما لا يلزم :

لا بدعَ أن يُكسف بدرُ السما ذاك لمعنَى قد تحقَّقْهُ
لما بدالي وجهه مشبهًا وجهَ حبيبٍ حين فارقْهُ
ذكرتُ محبوبي فمن أجله صَعَدْتُ أنفاسي فأحرقتُهُ

كان هذا الرجل أديباً، جيد الشعر، له ديوان شعر، اشتمل على أنواع، لكنه دَنَسَهُ وسَوَّدَ وجهه بما وَلَعَ به، وصار ملهَجَ لسانه، وهمَّ شأنه؛ من سب أصحاب رسول الله ﷺ بالقصائد المطولة، والتعرضات لأعراضهم البريئة المشرفة المقدسة، وما كان أغناه [عن] ترك التعرض لما لا يعنيه ولا ينفعه، من التشنيع الرحمي بسببهم، ولا يغنيه^(١).

(١) وهل يضر البحر ولوغ بعض الكلاب فيه، وإنما يسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، من لا حظ له في الإسلام ولا نصيب، وإنما هم كما قال عنهم الرب سبحانه وتعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

ولقد كان له خبرٌ عند وفاته، فيه أعظم موعظة، وأكبر زاجر، وما له من الله من ناصر، وسمى ديوانه: «قلائد الجواهر»، والمعتني بجمعه القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن ناصر بن عبد الحق العلابي.

[٨٩١] حسن بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى^(١).

وتقدم رفع نسبه في ترجمة أخيه محمد النعمي الحسيني.

السيد العلامة ذو الفضل^(٢) السامية، والمحامد العالية، بدر المكارم الصاعدة العلية، ومصباح الغرة النبوية، وحجة الأسرة من العصابة الفاطمية، من انحطت لمعالیه المشيدة طوالع الشهب، وقصُرت عن أياديهِ المديدة هوامعُ السحب، ونطقت بمفاخره العديدة الآيات والكتب، وأحد الكمل الفضلاء الذين تبوؤوا من الطاعات داراً، واتخذوا روضات الجمعة والجماعات مسكناً وقراراً، وجعلوا أردية الفضل وافية الكرم والبذل شعاراً ودثاراً.

وُلد - فيما كتب إلي صاحبنا الأديب علي بن هادي المنسكي - عام تسعة وعشرين بعد الألف بالدهنا من أعمال صبيا، وبها نشأ، وأخذ عن السيد العلامة علي بن الحسين النعمي، وغيره، وبرع في الفنون العلمية، والمحاضرات الأدبية، وتوفي في ثامن شهر رجب سنة تسع - بتقديم التاء - وسبعين بعد الألف بعد أخيه محمد الذي تقدمت ترجمته بثمانية عشر يوماً.

وله أشعار أنيقة رفيعة.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٨)، «خلاصة الأثر للمحيي» (٣٦ / ٢)، «نفحة

الريحانة» للمحيي (٤٢١ / ٣) (٢٢٩).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

منها: ما كتبه لعلي بن الهادي المذكور، معتذراً إليه في إبطاء كتبه عنه، وهو قوله من كتاب:

ما بعد كتبي عن الأحباب نسيانُ	وقطع وصلي لهم والله سلوانُ
أو سلوةً بسواهم وحقَّهم	إني على عهدهم باقي وإن بانوا
وكيف أسلو من الأحشاء منزلهم	والقلب ربيع لهم والجسم أوطانُ
ومن إذا شئتُ برقاً نحو ربِّهم	مُلئت من الدمع أردانُ وأجفانُ
ومن إذا الطيفُ منهم زارني عجلأ	يشبُّ من مهجتي جمرٌ ونيرانُ
أو جاء يوماً لطيفٌ من حديثهم	تعاورَ القلبَ أحزانُ وأشجانُ
عمري ولو قلبت بطحاء سيلهم	لترى مني لها قلبٌ وجثمان

ومما كتبه إلى القاضي الفاضل الحسين بن الناصر المهلا الشرفي: قوله
متشوقاً:

لأنتَ لمدلهم الأمرِ بدرُ	يضيء وشمسُ معرفةٍ وبحرُ
وطودُ مكارم وسيلُ حقِّ	لليلِ دجى من الشبهات فجرُ
ونورُ هدى لمن يعرفه جهلُ	ويمُ ندى لمن فاجاه فقرُ
وفضلكَ شاعَ في العلماء حتى	تداولَ ذكره حلبٌ ومصرُ
بيوتُ علاك شامخة طوالُ	وروضُ هداك ناضِرُه يسرُ
وفضلكَ جاءني فاهتزَّ عطفُ	له مني وطابَ بذاك صدرُ
علوُّك أصبحتَ عسلاً مصفى	وفي أنهارها لبنٌ وخمرُ
وحورُ حسانها متبختراتُ	بدورُ ثنائها ولهنٌ نشرُ

وأشبهه بالنسيم الرطب شيئاً	عتاب فيه للمعتوب فخر
لنا خير الرسائل منك غنى	وذلك بين أهل الود فخر
وأنت حميت نور سواد عيني	ورق ولاي تحت ولاك حجر
فإن لكم لدى بني المهلاء	وداداً لا يحول ولا يفر
لأنكم بحور علوم آل النـ	سبي وأنجم للعلم غر
فجد لي يا حسين بخير صفح	فمن يعفوله فضل وأجر
عليك تحية وسلام رب	رحيم ما أنار وضاء بدر

ومما كتبه أيضاً لديه يتشوق لمروره بمحله :

منتظر القلب متى وصلكم	فحالتنا شق به الانتظار
وشوقنا لما يزل صالياً	جوانح القلب بخمر وناز
وربّعنا تهتز أكنافه	شوقاً إليكم يا خير الخيار
لا زلتم للحق قوامه	وفي المعالي قادة والفخار
وقد جعلت الناصر المرتضى	أباك إذ ذاك المصفى النضار
معتصماً من هجركم سابقاً	وملجأ من مثله مستجار

ومن جواب القاضي حسين عليه :

يا بدر أفتي في الليالي أنار	ومن لأفلاك المعالي أدار
يا رافعاً دار العلا في الملا	فداره أضحي رفيع المنار
وساكناً أرضاً وأضحت به	غراء يئضا كشمس النهار

ومنبع السؤدد والمجد في دار له صار به خير دار
وافى إلينا النظم كاللؤلؤ الـ منظوم في حوراء فيها نَحَار
فهو لقلبي وفؤادي شفا وليمينني ويساري يسار
وهي طويلة.

وله من كتاب: وقد جاء من تلقائه الكتاب الكريم الشافي، بوصلي من
نحوه المثل الفخيم الوافي، جلت طوالعه المضيئة من حنادس الهموم، وجلت
بفوارعه فوارس البلاغة، في يوم مشهود له بالناس، وذلك يوم معلوم،
فما تنزل به روح أمانيه، من بيان سماء بلاغته، إلا لشفا أوامى، ولا تدلى أمين
براعته، على بيان بداعته، إلا لبراء أسقامي، فما أحلى ما شربت من زلال
المعين شافياً، وما الذي ارتويت من برد نميره صافياً، وما أنور ما تبسم به
نغره عن لؤلؤ عتاب كريم، وما أعطر ما تنسم به فخره عن روح غفران من
المولى، وسلام قولاً من رب رحيم.

[٨٩٢] الملا حسن علي ابن العلامة عبدالله اليزدي.

شارح «التهذيب»، الخلف الصالح، وقدوة كل فالح، العالم الذي طبق
العجم علمه، وملاً أكنافها حذقه وفهمه، أخذ عن والده، وبه تخرج، حتى
برع في سائر الفنون العقلية، وجنى فيها منزلة عليّة، وتصدر للتدريس، وجدّد
رسم العلم الدريس، واستمر على ذلك حتى توفي سنة تسع وستين بعد الألف
بأصبهان - رحمه الله تعالى -.

[٨٩٣] الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن

أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الحسن بن عبدالله بن المنتصر

محمد بن المختار القاسم ابن الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى
ابن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، ووالدته فاطمة بنت صلاح
الدواري^(١).

من أعيان علماء عصره، كان رحمته الله أبيض اللون، يضرب إلى خضرة،
ربع القامة، أفتى الأنف، عريض الجبهة والمنكبين، كث اللحية، جعد الشعر،
سامي العنق، ليس بالضجر ولا بالنزق، أحب المجالس إليه مجالس العلم
والذكر، أقبل على العلوم الدينية، وشمر عن ساق، وبرز في كل فن من فنون
العلم، وصار المشار إليه بالبنان، في ذلك الأوان.

قدم من صعدة إلى صنعاء، وأخذ بها عن السيد فخر الدين المطهر بن
محمد بن تاج الدين علوم العربية والتفسير، وكان يتعجب من فطنته، وخرج
إلى سودة شطب، وأخذ بها عن السيد جمال الدين علي بن الناصر الحسيني
الناصري، الواصل من الجبل والديلم إلى اليمن، علم المنطق، وقرأ عليه عدة
كتب من الفروع والحديث، ثم انتقل إلى جهات الشرق، وأخذ عن السيد
جمال الدين الهادي الوشلي، فقرأ عليه الأصولين، و«الكشاف»، ثم رجع
إلى صعدة.

وكان محفوظاته: القرآن العظيم، و«الحاجية»، و«مقدمة التصريف
والتلخيص»، و«الشمسية»، و«المتهى في الأصول»، وغير ذلك، ومسموعاته

(١) «طيب السمر» للحمي (٢/ ٤٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩)، «البدر
الطالع» (١/ ٢٠٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٤).

كثيرة، وكان حليف العبادة والورع والزهد، والانقطاع إلى العلم، والتحلي به، والتوزيع لأوقاته في الأعمال الصالحة.

وكان حسن الخلق، لطيف الفكر، ثابت النظر، قوي الفراسة، ثابت القلب، قوي الجأش، متواضعاً أديباً كأحد إخوانه، في علو شأنه، واستظهار سلطانه، يلبس الخشن من الثياب، ويأكل الميسور اليسير من الطعام، وينصف من نفسه، حسن المعاشرة، شديد الحرص على الهداية والإرشاد، إن وعظ، تصدعت لوعظه القلوب، وإن رغب فيما عند الله، فكأنه يُطلع السامع على الغيوب، وكان له من حسن العبارة والمحاورة ما لا يوجد في غيره، خطيباً مَضْمُوعاً.

وكانت دعوته الإمامة بعد صلاة العشاء، ليلة الجمعة، رابع عشر رمضان، سنة ست وثمانين وتسع مئة بالهجر، وبإيعه جميع علماء مصره^(١) من أهل إقليمه، وأجمعوا على طاعته، ثم توجه إلى الأهنوم بمن معه، وافتتح ذلك الإقليم، وكتب بالرسائل العامة إلى البلاد اليمنية، فأطاعوه عن آخرهم، ثم خالف عليه بعض أولاد الإمام شرف الدين، ثم جهز عليه الأتراك المحاط، وأحاطوا به من كل ناحية.

ثم اتفق الحال بينه وبين الأمير سنان أن يسلمه بشرط سلامة من يتعلق به، وأنه يقيم في صنعاء، في نفرٍ من أصحابه، وأمر السيد إبراهيم بن المهدي الحجاف أن يحلف الأمير، ويؤكد العهد بذلك، ولما صار بأيديهم، نزلوا به إلى الهجر، وأقاموا فيه نحو أسبوع، ثم جهزوا به مع أولاد المطهر بن شرف

(١) في الأصل: بصره.

الدين جميعاً إلى الروم أسيراً، ولم يزل أسيراً بالروم، حتى توفي في شهر ذي القعدة، سنة خمس وعشرين وألف بالقسطنطينية - رحمه الله تعالى -.

[٨٩٤] الحسن بن علي بن جابر الهبّل .

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: بديع الزمان، وقريع الأوان، من لا عيب فيه سوى قرب بلاده، وقرب ميلاده، فالمندل الرطب في أوطانه خشب، وأما صغرُ الميلاد، فلله أبو الطيب حيث يقول:

ليسَ الحداثةُ من حِلْمٍ بمانعةٍ قد يوجد الحلمُ في الشبان والشيبِ
وأما بُعد البلاد، فأمر لا يعتبره الحدّاق، وإن قالوا: القرب المفرط، مانع لإدراك الأحداق، وقال بعض الناس:

عَذِيرِي مِنْ عَصِيَةِ بِالْعِرَاقِ قَلْبُهُمْ بِالْجَفَا قَلْبُ
يُرُونَ الْعَجِيبَ كَلَامَ الْغَرِيبِ وَأَمَّا الْقَرِيبُ فَلَا يُطْرَبُ
وَعَذْرُهُمْ عِنْدَ تَوْيِيخِهِمْ مَغْنِيَةُ الْحَيِّ لَا تُطْرَبُ

لكن العاقل الفاضل لا يجنح إلى التقليد، حتى في تفضيل الحصباء على لآئى الجيد، وإن الإنصاف من أجمل الأوصاف .

وُلد صاحب الترجمة بصنعاء، وبها نشأ على العبادة والزهادة، ومودة العترة الطيبة السادة، لا يلويه عن ذلك لارٍ، واشتغل بالعلوم والآداب، حتى برع على الشيوخ، فضلاً عن الأتراب .

وله ديوان شعرٍ فائق، وسحر حلالٍ رائق، في كل معنى مليح، نهج مناهج الأدباء، وجاراهم في رقيقهم وجزلهم، وجدهم وهزلهم، وهو مع

ذلك السابق المجلي .

ولقد رأيت له مقاطيعَ باهرة، وقصائدَ فاخرة، ونفسه أشبهُ بشعر الأديب الحسين بن حجاج، غير أنه مصونٌ عن الإقذاع، وإنما هو في الفصاحة والنصاعة، وجودة السبك والصناعة، وقد كان يقال: ابن حجاج يشبه نفسه نفسَ امرئ القيس .

ولم يزل صاحبُ الترجمة واسطةَ عقد الأدباء النظيم، وآية مفخرهم العظيمة، حتى نقل إلى جوار ربه الكريم، فتوفي بصنعاء، وهو شابٌ في حياة والده، في صفر، سنة تسع - بتقديم التاء - وسبعين بعد الألف، ودفن غربي القصر السعيد - رحمه الله - .

ومن شعره في الوعظيات :

أبْن استقرَّ السفرُ الأول	عما قريب بهم ينزلُ
مَرُّوا سراعًا نحو دار البقا	ونحنُ في آثارهم نرحلُ
ما هذه الدنيا لنا منزلًا	وإنما الآخرة المنزلُ
قد حذرتنا من تصاريفها	لو أننا نسمعُ أو نعقلُ
يطيل فيها المرءُ آماله	والموتُ من دون الذي يأملُ
يحلوه ما مرَّ من عيشها	ودونه لو عقلَ الحنظلُ
ألْهَتْهُ عن طاعة خلائقه	واللهُ لا يلهو ولا يغفلُ
يُذَبِّرُهُمُ الموتُ إن أدبرت	ويُقبلُ الهمُّ إذا تقبلُ
يا صاحٍ ما لذة عيشٍ بها	والموتُ لا تدري متى ينزلُ

يدعو إلى الأحباب من بيننا
يا جاهلاً يجهد في كسبها
ويا أخا الحرص على جمعها
لا تتعبن فيها ولا تأسفن
ما قولنا بين يدي حاكم
ما قولنا لله في موقف
إذا سُئلنا فيه عن كل ما
ما الفوز للعالم في علمه
وقوله :

أضعت العمر في إصلاح مالك
أراك أمنت أحداث الليالي
وملئت لزخرف الدنيا غرورا
وقد أتعبت بالآمال قلبا
ولم يكن الذي أملت فيها
فعث فيها خميص البطن واعمل
تجيء إليه منقادا ذليلا
إليها في شبابك ملئت جهلا
فمهلا فهي عند الله أدنى
وإن جاءتك خاطبة فأعرض
وما فكرت ويحك في مالك
وقد ضمرت لغدرك واحتيالك
وقد جاءت تسيروا إلى قتالك
تحمل ما يزيد على احتمالك
بأسرع من زوالك وانتقالك
ليوم فيه تذهل عن عيالك
ولا تدري يمينك من شمالك
فهلا ملت عنها في اكتهالك
وأهون من تراب في نعالك
وقل مهلا فما أنا من رجالك

إِلَيَّ تَتَزَيَّنِينَ لَتُخْدَعِينِي
أَمَا لَوْ كُنْتَ فِي الرَّمْضَاءِ ظِلًّا
صَلِّي مَا شَتَّتَ هَجْرَانِي فِإِنِّي
فَلَيْسَ النَّبْلُ مِنْ ثَعْلٍ إِذَا مَا
حَرَامُكَ لِلوَرَى فِيهِ عَقَابٌ
وَكُنْ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ وَإِلَّا
فَمَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ بَنِيهَا
فَكَمْ شَادُوا الْمَمَالِكَ وَالْمَبَانِي
وَأَنْتَ إِذَا غَفَلْتَ عَلَى ارْتِحَالٍ
وَدَعَ طَرَقَ الضَّلَالِ لِمَبْتَغِيهَا
إِلَامٌ وَفِيمَ وَيَحْكُ ذَا التَّصَابِي
تَنْبَهَ إِنْ عَمَرَكَ قَدْ تَقَضَّى
وَعَاتِبَهَا عَلَى التَّفْرِيطِ وَانْظُرْ
وَقُلْ لِي مَا الَّذِي يَوْمَ التَّنَادِي
وَمَاذَا أَنْتَ قَائِلُهُ اعْتَذَارًا
فَخَفْ مَوْلَاكَ فِي الْخَلَوَاتِ وَاجْأزْ
وَرَاقِبْ أَمْرَهُ فِي كُلِّ حَالٍ
وَلَا تَجْنَحْ إِلَى الْعَصِيَانِ تُدْفَعْ
وَإِنْ أَمْرٌ بُلِيَتْ بِهِ فَصَبْرًا
فَمَا أَبْصَرْتُ أَقْبَحَ مِنْ جَمَالِكَ
إِذَا مَا مَلْتُ قَطُّ إِلَى ظَلَالِكَ
رَضِيتُ الدَّهْرَ هَجْرًا مِنْ وَصَالِكَ
رَمْتُ يَوْمًا بِأَصْمَى مِنْ نَبَالِكَ
عَلَيْهِ وَالْحَسَابُ عَلَى حَلَالِكَ
هَلَكْتَ فَإِنَّهَا أَصْلُ الْمَهَالِكِ
زَوَالُهُمْ يَدُلُّ عَلَى زَوَالِكَ
فَأَيْنَ تَرَى الْمَبَانِي وَالْمَمَالِكَ
فَخُذْ فِي جَمْعِ زَادِكَ لَارْتِحَالِكَ
فَطُرُقُ الْحَقِّ بَيْنَهُ الْمَسَالِكِ
وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي ضَلَالِكَ
فَعَدَّ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْهَوَالِكِ
لَأَيِّ طَرِيقَةٍ أَصْبَحْتَ سَالِكَ
تَجِيبْ بِهِ الْمَهِيْمَنَ عَنْ سَوَالِكَ
إِذَا نَشَرُوا كِتَابَكَ عَنْ فَعَالِكَ
إِلَيْهِ بَانْتِحَابِكَ وَابْتِهَالِكَ
يَفْرُجْ فِي الْقِيَامَةِ ضَيْقَ حَالِكَ
إِلَى لَيْلٍ مِنَ الْأَحْزَانِ حَالِكَ
لَعَلَّ اللَّهَ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ

فَرَبَّ مَصِيْبَةٍ مَرَّتْ وَمَرَّتْ عَلَيْكَ كَأَنَّمَا مَرَّتْ بِيَا لِكَ
وَكَمْ قَدْ ثَقِفْتُ مِنْكَ الرِّزَايَا وَأَحْكَمْتَ اللَّيَالِي مِنْ صَقَالِكَ

وقوله :

لَا تَعْتَبِرْ ضَعْفَ حَالِي وَاعْتَبِرْ أَدْبِي وَغُضُّ عَنْ رَثِّ أَطْمَارِي وَأَسْمَالِي
فَمَا طِلَابِي لِلدُّنْيَا بِمَمْتَنِعٍ لَكِنْ رَأَيْتُ طِلَابَ الْمَجْدِ أَسْمَى لِي

وقوله في العفاف :

مَا زِلْتُ مِنْ دُونِ الدُّنَايَا صَائِتًا عَرْضًا غَدَا كَالْجَوْهَرِ الشَّفَافِ
فَإِذَا جَرَى مَرِحًا بِمِيدَانِ الصُّبَا مَهْرُ الْهَوَى الْجَمُّثَةِ بَعْفَافِ
وَإِذَا هُمُو وَصَفُوا مُحَاسِنَ شَادِنِ مُسْتَكْمِلِ لِمُحَاسِنِ الْأَوْصَافِ
أَبْدَيْتُ فِيهِ مِنَ النَّسِيبِ غَرَائِبًا وَوَصَفْتُ فِيهِ مَا عَدَا الْأُرْدَافِ

وقوله قريباً من هذا المعنى :

تَغَزَلْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو هَدَى^(١) وَشَبَّيْتُ حَتَّى قِيلَ فَاقِدُ أَوْطَانِ
وَمَا بِي مِنْ عَشْقٍ وَشَوْقٍ وَإِنَّمَا أَتَيْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْبَدِيعِ بِأَفْنَانِ

وقوله - رحمه الله - وهو من آخر ما قال :

الْمَوْتُ حَقٌّ فَاسْتَعِدَّ وَجَدَّ إِنَّ الْأَمْرَ جَدَّ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ حَقًّا مَا يَعِدُ
لَا زَمَ بَنِي الْمُخْتَارِ إِنْ مَنْ يَلَازِمُهُمْ سَعِدَ

(١) في الأصل : الهوى .

وقوله من قصيدة:

مهلأ فإن اللومَ لومُ	حتامَ عن جهل تلومُ
وقلبي المفضى الكليم	طرفي الذي يشكو السهاد
سد العاشقين هو النعيمُ	إن الشَّقَا في الحبِّ عند
عبراءُ أو جسمٌ سقيمُ	ما الحبُّ إلا مقلّة
واللهُ بي وبه علمُ	يا من أكتُمُ حبِّه
نح لا تنام ولا تُنيمُ	وبلا بلّ بين الجوا
أعليك ذو عقل يلومُ	مالي وما للوائمي
بك ذلك الزمنُ القديمُ	يا هل تراه يعود لي
لو أن عيشَ هنا يدومُ	وهنيّ عيش باللوى
وصل الأجرة ما أرومُ	وبرامةٍ إذ نلتُ من
عُ وجبذا تلك الرسومُ	يا جبذا تلك الربو
شرراً يذوب لها الجحيمُ	يا تاركين بمهجتي
بَ لصدقي وعدكم نسيمُ	طال المطال ولم تهبْ
حاشاكم خلقٌ ذميمُ	مطل الغريم غريمه

[٨٩٥] السيد حسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى، وتقدم بقية نسبه في ترجمة ابن عمه محمد بن علي النعمي الحسيني^(١).

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٢/ ٣٤)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٣/ ٤٢٧) (٢٣٠).

من فضلاء القرن الحادي عشر، وأدبائه وعلمائه وشعرائه، له نظمٌ فاخرٌ، يزري بالنجوم السواثر، ولد بـ «صِنْيَا»، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ عن والده علوماً جمة، وقويت في طلب العلوم منه المهمة، إلى أن صار إلى رحمة الله ورضوانه، وواسع كرمه وغفرانه، في مستهل شهر المحرم الحرام، افتتح سنة ثلاث وستين بعد الألف بمكة، ودفن بالشبيكة، بقرب تربة العيدروس.

ومن شعره: ما كتبه إلى القاضي العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، نائباً عن السيد جمال الإسلام محمد بن صلاح يتشوق إليه بقوله:

أعد لي ذكرَ سالفَةِ الليالي	ألا بالله يا نفس الخيال
وما قد مرّ في تلك الحلال	وأتحفني بذكر أهيلِ نجدٍ
بذكرهنّ لي في كلِّ حالٍ	وهاتِ الكأسَ صِرْفاً صرّخدياً
وما قد مرّ من حسن اتصالي	فلإني إن ذكرتُ زمانَ وصلي
وأيامِ حلاها قد حلا لي	بمن أهواه في عيش خصبٍ
وأضربُ باليمين على الشمالِ	أكاد أذوب من ولهي عليه
وأبقى في افتكارٍ واشتغالٍ	وأصبو للربوع وساكنيها
بذاتِ النفس لا طيفِ الخيالِ	وأرجو الله يجمعنا قريباً
لُباناتِ التواصل والوصالِ	ونقضي للصبابة والتصابي
قلوصك باهتمامٍ واحتفالٍ	وبعدُ فحثّ يا حادي المطايا
وجوّزها الحضيضَ مع الرمالِ	وسر عَجلاً هُديت ولا تأنّي
وعَرَسَ بالمعرّس لا تبالي	إلى البدوي مع حَرَضٍ وعَجَلٍ

وميلها عن اللحب اعتماداً
وأطلعها إلى الخيل امتثالاً
أخلاءً وأحباباً وأهل
وفيهم ناصر الدين المرجى
تراه مذ نشأ كلفاً بجمع
وإن أملى تدفق مثل بحر
وإن مثل اللبيب لديه أروى
فتى قد فاق في حلم وعلم
ففي المعنى وفي المغنى عظيم
حباه الله منه بكل خير
وأرجو الله يحبوني قريباً
وهي رائقة سائرة.

ومن شعره - أيضاً -: قوله يخاطب السيد مساعد بن سعد الحسني،
وقد قدم من مكة المشرفة والياً على عتود، ويش، وأعمالهما، بأمر الشريف
زيد بن محسن - رحمه الله -:

شمس المكارم قد لاحت من الحي
وقد بسمن ثغور العشب من عجب
وغنت الوزق في أفنانها طرباً
نجل الذين سما في المجد مفخرهم
فأشرق الكون نوراً غير محتجب
وماست القصب فوق الكلب من طرب
والزهر يفتّر عن طلع وعن حب
حتى علا فوق هام السبعة الشهب

مُسَاعِدَ الْإِسْمِ مِمُّونُ الصِّفَاتِ وَمَنْ
صَافِي النَّضَارِ وَمَشْهُورُ الْفَخَارِ وَعَدَ
لَنْ يَعْرِفَ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ أَبَوْتُهُ
حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ وَآ
أَهْلًا وَسَهْلًا أَقَرَّ الْعَيْنَ مَقْدُمُكُمْ
تَعَطَّرَتْ أَرْضُنَا وَاخْضَرَّ يَابِسُهَا
وَمَاسٍ مِخْلَافُنَا فِي بُرْدِهِ وَزَهَا
وَفَاحٍ مِنْهُ شَمِيمُ الْوَرْدِ وَابْتَهَجَتْ
وَافَيْتَ لِلْعَدْلِ فِيمَا قَدْ نُدِبْتَ لَهُ
مَا كَانَ ذَا الْمَلِكِ الْمَنْصُورُ مُتَنْضِيًا
لَا يَبْرَحُ الْيَمَنُ وَالتَّوْفِيقُ خَادِمَهُ
وُفِّقَتْ فِي كُلِّ مَا قَدْ رَمَتْ مَرْتَقِيًا
وَاسْلَمَ وَدَمٌ فِي نَعِيمٍ لَا يَكْدُرُهُ
بَسَقْنَ أَعْرَاقُهُ مِنْ مَغْرَسِ الْأَدَبِ
وَيُؤِي النَّجَارِ وَسَامِي النَّفْسِ وَالرَّتَبِ
مَعْنَعْنَا مَا حَوَاهِ عَنْ أَبِي وَأَبِ
لُ اللَّهِ وَالْأَنْبَا مَعَ الْكُتُبِ
وَمَرْحَبًا يَا سَلِيلَ السَّادَةِ النَّجْبِ
وَافْتَرَّ مَبَسْمُهَا عَنْ لَوْلُؤِ شَنِيبِ
تِيهًا عَلَى الْغَوَاطِ الْغَرَاءِ مَعَ حَلَبِ
مِنْهُ النَّفُوسُ لِمَرَايِ الْبَدْرِ فِي الْكُتُبِ
لِلَّهِ مُتَدَبِّيًا مِنْ خَيْرِ مُتَدَبِّ
مِنْ غَمْدِ دَوْلَتِهِ إِلَّا الَّذِي شَطَبِ
وَلَا بَرَحَتْ لَجْمَعِ الْمَجْدِ لَا النَّشَبِ
مَرَاتِبَ الْعِزِّ وَالْعِلْيَاءِ وَالْحَسَبِ
صَرَفَ الزَّمَانَ بِمَا يَبْدُو مِنَ النُّوَبِ

[٨٩٦] حسن بن عمار بن علي بن يوسف الشرنبلالي الحنفي^(١).

والشرنبلالي: نسبة لشبرا بلولة، وهذا غلطٌ شائعٌ ذائع، والأصل: شبرا بلولي؛ نسبةً لبلدة تجاه مدينة منف العلياء، بإقليم المنوفية، بسواد مصر، يقال لها: شبرا بلولا، واشتهرت النسبة إليها بلفظ الشرنبلالي.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحيي (٣٨ / ٢)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١ / ١٣٥)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٠٨).

مولده بها قريباً من وسط العشر الأخير من تمام الألف .

ثم جاء به والده منها إلى مصر، وسنه يقرب من ست سنين، ونشأ بها، وحفظ القرآن وجوّده، كان فقيهاً عالماً، عاملاً صالحاً مشهوراً، كبير القدر عند الناس، متقشفاً متواضعاً، وإليه كانت الإشارة في عصره، بإقليم مصر في الفقه، وكان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع .

روى الفقه والحديث، وغيرهما من العلوم الدينية عن الشيخ عبدالله النحريري، ومحمد الحموي، وعبد الرحمن المسيري الحنفي، والشمس محمد المحبي، والنور الحلبي، وعلي الأجهوري، وغيرهم، وأجازه شيوخه، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر، وكان له العناية التامة بقراءة الفقه، وكان مستحضراً لأحكامه استحضاراً عجيباً، أخذ عنه أكابر الشيوخ الحنفية؛ كالسيد أحمد الحموي، وشاهين الأرمنائي، وغيرهما .

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة عن الشيخ العارف بالله المعمر، خاتمة أكابر العلماء الآخذين عن الشمس محمد الرملي، محفوظ بن أبي السعود المتفهمي السكندري الشافعي، تلميذ سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وكان له في علوم الفقه الباع الطويل .

وكان معتقداً للصالحين والمجدوبين، وله معهم إشارات ووقائع أحوال كثيرة، منها: أن بعضهم قال له: يا حسن! من هذا اليوم لا تشتري لك ولا لأهلك وأولادك كسوة، فكانت تأتيه من ذلك الحين الكساوى والثياب الفاخرة، ولم يشتر بعدها شيئاً منها إلى أن مات - نفع الله به - .

وله مؤلفات كثيرة، تدل على سعة اطلاعه، وطول طوله وباعه، منها:

«حاشية على الدرر والغرر» في مجلدات، و«شرح على منظومة ابن الشحنة» في الفقه، وغيرهما من الرسائل المفيدة.

ولم يزل متواصل المدد والإمداد، حتى قضى نحبه، ولقي رب العباد، فتوفي عصر يوم الجمعة، حادي وعشري رمضان، سنة تسع - بتقديم التاء - وستين بعد الألف بمصر، عن خمس وسبعين سنة، ودفن بتربة المجاورين - رحمه الله تعالى -.

[٨٩٧] حسن بن محمد البوريني الشافعي^(١).

قال النجم الغزي في «الذيل»: الشيخ الإمام العلامة المحقق، والحبر الفهامة المدقق، بدر الدين، كان أبوه منجداً، ثم صار عطاراً، ثم انقطع عن الكسب والاحتراف، ولازم مجالس ولده، وقرأت بخطه: أنه ولد بقرية صفورية، وأبوه من بورين، ولد بها، وهي قرية من قرى نابلس، وقطن به أبوه محلة ميدان الحصى، خارج دمشق.

وقرأ القرآن العظيم على الشيخ قريحة، بجامع منجك، ثم طلب العلم، فقرأ في الفقه على أحمد العيثاوي، والعماد الحنفي، وإسماعيل النابلسي، والشمس بن المنقار، وغيرهم، ولازم الشهاب الغزي، وكان في خدمته، وهو من أعظم شيوخه، وكان يحضر معه دروس والده البدر الغزي، وحمل عنه فوائد، وأخبرني: أنه دخل مرة عليه مع بعض الأعيان، فأراد النهوض

(١) «ريحانة الألباء» للخفاجي (١/ ٤٢) (٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٥١)، «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٥) (١٤١)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٣٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١٩).

لهم، فلم يستطع، فأنشد:

علّة واسمها ثمانون عاما منعني للأصدقاء القياما

وبرع في العربية، وغيرها من المعقولات، وكان فصيح العبارة، طلق اللسان، متين الحفظ، حسن الفهم، لطيف المحاور، تعلم اللغة الفارسية، حتى صار يتكلم بها كأنه أعجمي، ثم تعلم التركية في آخر أمره، وكان في الفارسية أبرع، ونظم ونثر، وكان محسوداً، ويصبر على أذى غيره له، وأكثر من يؤذيه إنما يؤذيه حسداً لفضيلته؛ لأنه لم يكن في مجلس علم إلا كان بلبله، وله إنصاف في البحث، واعتراف لأهل العلم بالفضيلة، وليس في مباحثه غيظ ولا حقد ولا تغليظ، بل مباحثة صافية نظيفة، لا تخلو من فائدة، ولا تنتهي إلا بعائدة.

وكان بَرّاً بوالده، وكان والده عبداً صالحاً، واتفق أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه، وقال له: قل لولدك اقرأ في «الشفاء»، فامثل وأقرأه، وكان كثير التعظيم لوالده، منوهاً بمقامه في المجالس العامة، وكان له برٌّ زائدٌ بمشايقه، وإكرامٌ لأحيائهم وأمواتهم، وكان يقبل أيديهم، وربما قبل أرجلهم.

ودرس سنين، وأفاد الطلبة، وانتفع به كثير، وممن برع وتخرج به: عبد الرحمن العمادي الحنفي مفتي دمشق، والخطيب أحمد بن يحيى البهنسي، في جماعة لا يحصون، وآخرهم العلامة يوسف بن أبي الفتح السقيفي، ومحمد بن أحمد الصلتي، وأحمد بن شاهين.

وكان في أول أمره قليل الحظ في الدنيا، ثم ولي خطابة جامع جراح، سنة أربع وتسعين - بتقديم التاء المشناة - وتسع مئة، وكان يخطب من إنشائه،

وولي تدريس «العادلية الصغرى»، ثم وجهت إليه «الشامية البرانية»، و«الناصرية»، وتدريس الشافعية بالدرويشية.

وكان يفتي على مذهبه، وله فطنة قوية، ويدرك بالمطالعة ما لا يدركه غيره، وما أشكل عليه، راجع فيه مشافهةً شيوخه وأقرانه، ولا يستنكف من المراجعة، مع عظم صيته، ورزق من الحظ في التدريس والمناصب، والتقدم في المجالس، وإقبال الحكام عليه، ما لم يُرزقه غيره من أقرانه. وشعره متوسط، والغالب عليه الحسن، ومن مقاطيعه قوله:

إلهي بتقديس النفوس الزكيّة وتجريدها من عالم البشريّة
أزل عن فؤادي ما يعاني من العنا فلإني ضعيفُ الصبر عند البليّة

ولعل قوله: وتجريدها عن عالم البشرية، مبنيٌّ على اعتقاد من يعتقد من الصوفية: أن الإنسان إذا ارتاض، وجاهد في العبادة، قد يلتحق بالملائكة الكرام، حتى يطير في الهواء، ويمشي على الماء، لا على اعتقاد من يعتقد أنه: بالرياضة ينسلخ بالكلية عن الحظوظ البشرية، وهو اعتقاد البراهمة والملاحدة، ومن يقول: إن النبوة تأتي بالاكْتِسَاب، وهو ضلال.

وقوله:

إذا كنتَ عني يا مُنى النفسِ راضياً أرى كلّ من في الكون لي يتبسم
وإن لم تلاحظني بعين عنايةٍ تنكّر لي في الدهر ما كنتُ أعلمُ

ومن لطائف قوله:

يا من إذا تبدّى وجهه سجدتُ له الشمسُ وغارت منه أقمارُ

إليك أشكو فؤاداً لا قرار له في طيه منك يا روضَ المنى نارُ
أبيتُ أرعى نجوم الليل منفرداً ولي مع النجم في ذكراك أسمارُ
حتى إذا ما بدا ضوءُ الصباح شدتُ كما شدوتَ على الأشجار أطيّارُ
خاطرتُ يا سيدي بالروح أبدلها وقد تهون على المشتاق أخطارُ
هدمتُ بيت اصطباري بعد ما عمرت من المحبة في وسط الحشا دارُ
فاحكم فديتك يا شمسَ الملاح بما ترضاه لي فالذي تختارُ أختارُ

وله:

سَلِّمْ إِلَى اللَّهِ تَسْلِمٌ وَلَا تَخْشَافُ فِتْنَدُم
وَلَا تَشَاوِرْ حَكِيمًا فَخَالِقُ الْخَلْقِ أَحْكَمُ

قلت: وفي بيته الأخير نقد؛ لأن الله تعالى يقول لسيد المرسلين:
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ يعني: أصحابه.

وقد قلتُ مناقضاً له:

إِنْ رَمَيْتَ أَمْرًا فَشَاوِرْ فَاللَّهُ أَوْلَى وَأَعْلَمُ
وَقَدْ هَدَانَا لِهَذَا فِي آلِ عِمْرَانَ فَاعْلَمْ
لَا تَسْتَبِدُّ بِرَأْيِ مَنْ لَا يَشَاوِرُ يَنْدُمُ

وأورد في درسه حديثاً، أورده القاضي عياض في «الشفاء»: «أشد الناس
بلاء الأنبياء»، وفيه: «لقد كان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله»، فقال الشيخ
حسن: ضمير الفاعل فيه للنبي، وضمير المفعول للقمل، ونزه الأنبياء عن
قتل القمل لهم، ثم كتب إليّ في اليوم الثاني هذه القصيدة:

أمولاي يا نجم الهدى وابن بدره
سألتك أرجو أن تجيب معوذاً
وأنت لهذا الدرّ بحرٌ وإنما
أشاهدت في خط الأب الكامل الذي
بأن نبياً سلط الله قلمه
وهل نقلُ هذا القول يُعزى لكامل
وما ذاك إلا قولٌ من صنف الشفا
أشار إلى قتلٍ وقملٍ وأنه
فكن سيدي تبدي الإفادة راوياً
وها أنا يا مولاي أنظرُ لطفكم
فدونه لي نظماً وإن شئت فانشرن
فإنّ اعتمادِي بالذي أنت ناقلُ
وكان غرامي قبل ذاك بعزةٍ
ومن أجلكم أضحي بعزة هاشمٍ
فعجلْ وأسرع بالذي أنت مانحُ
ودمت ترى ما ترتجيه ميسراً
مدى الدهر ما أبدى محبّ رسالةً

قال : فكتبت إليه مجيئاً :

ومن هو في جمع العلا سرُّ صدره
على أخذ عِقْدِ الدرّ من جيد بحره
دليلُ مقالِي واضحٌ عند ذكره
أضاء به أفقُ العلا مثلَ بدره
عليه إلى أن مات في قيد قهره
فتنقل عنه ما أفاد بسطره
جباه إلهُ العرش غايةً أجره
يسلّطه فوق النبي لبّره
حديثُ المعالي واضحاً مثلَ نحره
بإبداء نقلٍ صحَّ عن أهل خبره
عقوداً تفوق الروضَ زينَ بزهرة
يوازي اعتماد النصّ من لفظ ذكره
كثيّرُها أبدى لها دُرّ شِعْره
سقاها وحيّاها الوليَ بقطره
ففضلك عندي لا أقومُ بشكره
تبدل عسر الدهر منك بيسره
تبيّنُ شوقاً بان من وصف صبره

لك الحمد يا من عمّنا فيضُ برّه
على كلِّ فضلٍ لا نقومُ بشكره

وهذا جوابُ الجامع الفرد ناظماً
 وما كان ذا قدرٍ لأنِّي مقصّرٌ
 فإيا فاضلاً العصر المفيد وفوده
 لقد جاء في نص الشفاء وإنه
 حديثٌ عن الخدريّ أن نبينا
 يقول بأن الأنبياء أشدُّنا
 وفي ذاك إن كان النبيُّ لِيُتلى
 فيقتلُه من غير إضمارٍ فاعلٍ
 فحاولتَ يا بحر الذكاء متزهاً
 فقلتَ النبيُّ القاتلُ القملَ لم يكنْ
 ولكنَّ هذا كان لو لم يَرِدْ بما
 بلى ابنُ أبي الدنيا الإمامُ رواية
 يصرِّحُ أن قد كانَ في الأنبياء مَنْ
 فصرِّحُ أن القاتلَ القملَ آتياً
 وقد جاء في الأخبار أن برملةٍ
 مقابرُ قومٍ خُصِّصوا بنبوةٍ
 بقملٍ وجوعٍ مفرطٍ كان موتُهُم
 يضاعفُ ما قد يشا من أجر مَنْ يشا

عقود اللآلي في بدائع شعره
 ولكنه مني امثالٌ لأمره
 فوائدٌ علمٍ كالسحاب وقطره
 لألطف من أنوارِ روضٍ وزهره
 عليه صلاةُ الله مع طيبِ نشره
 بلاءٌ لإكرامِ الإله وبره
 بقملٍ كثير لا يُطاق لكثيره
 ولكنه يروى بإضمارٍ ذكره
 مقامَ نبيٍّ حقٍّ تنزيه سره
 بمقتوله فالقتلُ أولى بصغره
 يخالفه نصٌّ صريحٌ بغيره
 عن المصطفى المختارٍ أعظم بقدره^(١)
 لقد مات بالقملِ الكثير لأجره
 بمُظهِر لفظِ القملِ يا زينَ عصره
 بمسجدها المشهورٍ تقديسُ جدره
 وعدَّتْهم سبعون ماتوا بأسره
 فسبحانَ من يُفني العبادَ بقهره
 بما شاء من شيءٍ لتعظيم بره

(١) في الأصل: قدره، والصواب ما أثبت.

وما كان هذا ناقصاً قدره ولا قلى بل لتضعيف الأجور بصبره
وهذا جوابُ النجمِ يرجو قبوله عسى اللهُ يمحو الذنب عنه بغفره
فسامحْ أديبَ الوقتِ واقبلْ هديةً تليقُ بمن يُهدي على حسن قدره
بقيتَ لطلابِ العلومِ مؤملاً يطيبُ آفاقَ الوجودِ بعطره

قال: ولنا مع صاحب الترجمة مطارحات لطيفة، ومراسلات علمية مقبولة، تحتل الأفراد بالتأليف، وقد كان من أعاجيب الدهر، وأفراد العصر، مقبول الخاصة والعامة، مخالطاً لأهل الأدب، مرجعاً لهم، يعرضون عليه أشعارهم، فيبين محاسنها ومساوئها ونكاتها، فيعودون إلى قوله.
ومن غريب ما اتفق له: أنه كان ينكر على أهل الكيف، حتى قال شعراً في ذلك:

عمَّ البلاءُ بأكلِ البرشِ فانتقصت مخايلُ الناس في خلق وأخلاقِ
ولو تصور هذا الدهرُ في رجلٍ لأبصرته الورى في شكل تريقِ
ثم ابتلي بأكله، حتى مات، قبل عصر يوم الأربعاء، ثالث عشر جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وصلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي، بعد صلاة العصر إماماً بالناس، ودفن بمقبرة الفراديس، وكانت جنازته حافلة.
وقلت أرثيه:

صابراً إن كنتَ أو جزعاً لا يردُّ الموتُ ما فجَّعا
كل دهر مرَّ ما خلدت أهله فيه وما رجعا
ولكنم خطبِ المِّمِّ وقد بثُّ من أحزانه وجعا

سَاهراً مَا كَانَ مَنْطِقاً	جَفَنُ عَيْنٍ لِي وَمَا هَجَعَا
لَوْ أَبْتُ الْحَزْنَ مَا نَفَعَا	أَوْ بَكَى لِي الْقَلْبُ مَا نَجَعَا
يَا خَلِيلاً كُنْتَ أَذْخَرُهُ	أَشْتَكِيهِ الْهَمُّ وَالْجَزَعَا
هَلْ أَرَى لِي عِنْدَهُ جَزَعاً	إِنْ غَمِّي زَادَ وَاجْتَمَعَا
مَنْ غَرَامِي أَشْتَكِي لَهْباً	خَالِطَ الْأَحْشَاءِ وَانْقَطَعَا
فِرْقَةً الْأَحْبَابِ مَوْلَمَةً	لَوْ تَصِيبُ الصَّلْدَ لَانْصَدَعَا
أَعْلَمُ الدُّنْيَا وَإِنْ بَسَطْتَ	لَفَتَّى يَزْهُولُ لَهُ خَدَعَا
صَفْوَهَا قَدْ شَابَهُ كَدْرُ	عَرُشُهَا بِالْحَزَنِ قَدْ شَفَعَا
إِنْ هَذَا الْمَوْتُ لَمْ يَرْعَى	مَنْ تَعَلَّى أَوْ مِنْ أَتَضَعَا
مَنْ دَعَاهُ الْمَوْتُ لَيْسَ لَهُ	مُتَزَاخٌ عَنْهُ حَيْثُ دَعَا
سُوقَةٌ إِنْ يَدْعُ أَوْ مَلِكاً	تُلْفِيهِ لَبَّى وَقَدْ سَمِعَا
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى رَجَلاً	بِنَوَاهِي الْعَقْلِ مُرْتَدِعَا
كَمْ لَنَا رِزْءٌ بِمَوْتِ فَتَى	كَانَ مِنْهُ الْقَلْبُ مَنْصَدِعَا
قَلِّ لِبُورِينَ أَنْدَبِي حَسَناً	جَهَبَذا فِي الْعِلْمِ مُذْ بَرَعَا
فِي فَنُونٍ مَا لَهَا عَدْدُ	شَأْنُهُ قَدْ جَلَّ وَارْتَفَعَا
فَدَمَشَقُ الشَّامِ تَنْدُبُهُ	فَقْدُهُ لِلْقَلْبِ قَدْ نَزَعَا
بَحْرُ عِلْمٍ يَرْتَوِي ظَمْئِي	مِنْ حَيَا أَفْضَالِهِ جُرْعَا
مَنْ أَتَاهُ نَالَ مَطْلَبَهُ	طَالَمَا لِلنَّاسِ قَدْ نَفَعَا
أَسَدُ فِي الدَّرْسِ صَوْلَتُهُ	رَاحَ مِنْهَا الْقِرْنُ مَنْقَطِعَا

كان بالإنصاف مُدْرِعا	كان بالإنصاف مرتدياً
قد حلا في ذوق من سمعا	أي منطبقٍ ومنطقُهُ
زَكَنَ الأعياد والجُمعا	مِصْفَعٌ من حسن خطبته
معرباً عن وصفه ونعى	قد بكاه النحو في ندبٍ
ببحور الدمع إذ سجعاً	ويكاه الشعر من شجنٍ
كُفُّه من حسن ما جمعا	ويكى التاريخ ما كتبت
قد وعى أنواعه ورعى	ويكى التفسيرُ منه فُتًى
مثله قد عَزَّ وامتنعا	ماله في العصر من شَبِّهٍ
لا يكن في مثله طمعا	ما أظن الدهر يُخلفه
غيث عفوَ سَحٍّ وانهمعا	فسقى الرحمنُ تربته
وإليه الكلُّ قد رجعا	أنت [يا] الله خالقُنا

ونظم المترجم ونثر، وكان من عادته الإطراء في مدائحه، وإذا كتب على محضر، أطال وأوسع، واتفق: أنه كتب على محضر، فوقف عليه شيخنا العيثاوي، فقال: سبحانه الله! ما ترك الشيخ حسن في البراني شراباً، ولمح بما اشتهر عنه؛ من نسبته إلى شرب الراح.

ووقع لقاضي مصر يحيى بن زكريا، الذي صار مفتي التخت العثماني: أن المترجم لما عمل مجلس الحديث، بعد صلاة المغرب بالجامع الأموي، وكان يقرئ «الشفاء»، يوضع له الفانوس؛ تقليداً للبكرين بمصر، وطلب المترجم من يحيى أفندي حضور مجلسه، فحضر مرة، فلما دار الكلام عنده في تدريس المترجم، قال: الشيخ حسن بكري دمشق، موزياً في لفظة بكري؛

فإنه في اللغة الرومية: المدمن للشراب، وإنما شاع ذلك عن المذكور؛ لأنه كان يعاشر الدولة كثيراً، ويبيت عندهم، فاتهم بذلك، ولعله منه بريء.

وحج قاضياً بالحج، سنة اثنتين وعشرين وألف، وكان مقبولاً عند الخاصة والعامة؛ لتواضعه، وبخالط أهل الأدب، ويحضر جموعهم، ويعرضون عليه أزجالهم وأشعارهم، فيبين محاسنها من مساوئها ونكاتها، فيعودون لقوله.

قال النجم: ويتعلق بموت الشيخ حسن قصةٌ ينبغي ذكرها؛ لما فيها من الاعتبار، وذلك: أنه لما تحقق موته، فرغ من الشامية البرانية، لشيخنا أحمد العشاوي، فلم يقبل قاضي الشام - إذ ذاك - محمد أفندي المعروف بحوي زاده؛ لأنها طلبت لعبد الحي بن الملا يوسف بمالٍ جزيلٍ دفع، فوجهها القاضي إليه، وعوض شيخنا بالوعظ في التكية، ووجه بقية وظائفه لآخرين بنظره.

فلما كان بعد أيام، اجتمع جماعةٌ منهم: أحمد بن شاهين، وأحمد بن الملا زين الدين العجمي، وحسين بن عبد النبي الشعال، وكان هؤلاء قياديم القوم، والشيخ رمضان العكاري، والشيخ كمال العشاوي، والشيخ سليمان الحمصي، والشيخ إبراهيم العمادي الواعظ، والشيخ أحمد الفرعاني، وكان اجتماعهم بالجامع الأموي، ثم أحاطوا بالشمس محمد الميداني، ورأسوه عليهم، وقالوا: نجتمع إلى القاضي والباشا، ونطلب توزيع وظائف البوريني علينا.

ثم ذهب طائفةٌ منهم إلى شيخنا أحمد العشاوي، وسألوه أن يذهب، ويذهبوا في خدمته إلى القاضي، فقال لهم: لا تليق هذه الجمعية، ولكني

أذهب إلى القاضي وأنصحته، فذهب إليه، وتكلم معه أن يعطي الحديث لابن الإيجي، وتكون الناصرية شركة بين الملا عبد الرحمن، وآخر، فأجابه لذلك، فبينما هم كذلك، إذ اندفع القوم، ومعهم آخرون، فدخلوا على القاضي، وأجلبوا عليه، فبادر القاضي، وقال لهم: اقعدوا وتقاسموا الوظائف، فقعدوا خارج المجلس يقتسمون، والكاتب يكتب ما يتفقون عليه، ثم خرجوا من عنده بناءً على أن يكتب التقارير على ما رتبوه.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، جمع القاضي إليه شيخنا العيثاوي، وعبد الحي ابن الملا يوسف، والخطيب يحيى البهنسي، وولده أحمد، والقاضي أبا البقاء الصالحي، والقاضي رمضان بن مغيزل القسّام العسكري، وذهب بهم إلى نائب الشام - إذ ذاك - محمد باشا الجركسي، الذي صار بعد ذلك وزيراً أعظم.

وصور له الدعوى القاضي المذكور، عند القسام بالمجلس من الديوان، بإذن الباشا على أحمد بن شاهين، وحسين الشعال، وأحمد بن الملا زين الدين، ورمضان العكاري، بالهجوم عليه، وقلة الأدب معه، وأثبت ذلك عليهم، وكتب بذلك صك، فتقدم الملا زين الدين، وقال للقاضي: أنت مرتشٍ، وتكلم بكلام آخر، وسجل عليهم كل ذلك، إلا أحمد بن شاهين، فإنه استثنى من الكتابة سرّاً؛ لمكان أبيه من الجند، ثم شفع شيخنا والحاضرون عند القاضي، في العفو عنهم من التعزير بالضرب.

وبعث الباشا جاويشيته لإزالة باب الحجرة، التي أحدثها حسين تحت السلم الخشب، الذي يصعد منها إلى الدكة، التي يجلس عليها المؤذنون للإقامة والأذكار بالمقصورة، وتحجيرها، فأزالوها، وانفصل المجلس، قال النجم: فلما بلغني ذلك، قلت:

رُويَ ذلكَ إنَّ الفضلَ للمرءِ نافعٌ
متى قلَّ عقلُ المرءِ ضلَّ طريقَه
ومن ساءت الأخلاقُ منه معرَّضٌ
ومن رامَ بينَ الناسِ يرفعَ نفسَه
ألم ترَ رهطًا حاولوا رفعَ قدرهم
بغوا نحوَ قاضي الشامِ صينَ حياتَه
قضى الحسنُ العلامَةُ النَّدْبُ فاغتدوا
يقولونَ وجَّهَتِ الجهاتُ لغيرنا
وعن آداب^(١) زاحوا فراحوا بنعمةٍ
وقد كانَ لولا عفوُه وسماحُه
وقد عَزُّروا في مشهَدٍ ثمَّ أسمعوا
أيجمُلُ منهم ما أتوا وتهوَّروا
وهل حسنٌ من قومٍ حسرَ حسينهم
تعرَّضَ من قاضي القضاةِ بما عسى
أحلَّ به من بعدِ رضوانِ سخطه
إذا قارعَ الضرغامَ جديَّ لجهله
إذا ركبَ الإنسانُ في غيرِ سرجه

ولكن على قدر العقول المنافعُ
وليس له عن وهدة الجهل مانعُ
إلى كل مكروه من الناس واقعُ
فليس له إلا من الناس واضعُ
بأنفسهم والله ما شاء صانعُ
وكل امرئ غادٍ للنفس بائعُ
وكلُّ له بالاشتغال تنازعُ
أبى الله معطي من يشاء ومانعُ
وقد ذلَّ بين الناس من هو طامعُ
ثمَّ أسسُهم منه العصا والمقارعُ
لما كرهوا والقول للحرِّ رادعُ
هنالك إنَّ العقلَ للمرءِ وازعُ
مطاولَةُ الأعلام إنك بارعُ
تعاد عليه مكرُه وهو خاضعُ
كذلك حال الخرق للمرء قارع^(٢)
بصولته فالليثُ للجذِّي قارعُ
أُتيح له عن ذلك السرج صارعُ

(١) كذا في الأصل، والصواب: أدب؛ ليستقيم الوزن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: راقع.

ومن لم تؤدِّبه العلوم وخَفَّ في هو اه نهاه أدبته الوقائع
وقد هُدَّ منه عرشه وهو ناظر وقد قُدَّ منه عرضه وهو سامعُ
تعجبت من تلك القضية إنها لعَمري وعظُّ وهي للقلب صاعدُ
جرت بعد ألفٍ ثم عشرين حَجَّةً بذا العام حيثُ العامُ من بعدُ رابعُ
تأمل رعاك الله في فعل ربِّنا فليس لما يقضيه في الكون دافعُ
ولا ترجُ إلا الله في نيل مقصدٍ تبارك إن الفضل منه لواسعُ
وبعدُ فإن الله جلَّ جلاله لكلِّ الورى يوم القيامة جامعُ

انتهى كلام الغزي في «الذيل».

[٨٩٨] الحسن بن محمد بن صلاح الحجاف الجبوري^(١).

سيدٌ حسن الأخلاق، طيب الأردن والأعراق، حذا حذو آبائه الكرام،
ونهج منهج أولئك السابقين الفخام، وعمر أوقاته بالقراءات، وأقبل على إحياء
رسوم الأدب بالمكاتبات، له بلاغاتٌ يقصر عن مجاراته فيها عبدُ الحميد
وابنُ العميد، ونظمٌ يغنيك عن التشبيب بقول الوليد.

فمن ذلك: ما كتبه إلى السيد الفاضل الأديب إبراهيم ابن السيد زيد بن
علي الحجاف، من ضروران، فقال:

يا حلاوى سكرية ومذاقاتٌ هنيئة
وثنايا نابتات فسي عقيق لؤلؤية

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٨٢)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٥٧) (٦٢)،
«نشر العرف» لزيارة الصنعاني (١/ ٦٢٣) (٢٠٣).

وصفَاتُ مُزَجَّتْ	بالروح والأحشا مرَّية
وثَغْوَرُ رَشْنُفُهَا	يا صاحِ عِنْدِي قَرْقَفِيَّةُ
وقَدُوذُ مَثَلُ بَانٍ	وعِيُونُ مَشْرِفِيَّةُ
سَحَرُهَا يَفْعَلُ بِاللُّبِّ	سَبِّ كَفْعَلِ الْبَابِلِيَّةُ
إِنْ سَرَى الْبَرْقُ صَبَاحًا	بَعْتُ يَوْمِي بِالْعَشِيَّةُ
وَتَرَأُ يُصْمَى فَوَادِي	عَنْ قِسِي حَاجِيَّةُ
عَرَفُهُ أَعْلَى ذَكَاءَ	فَوْقَ عَطْرِ الْمُنْشِمِيَّةُ
مَالِكُ الْحَسَنِ تَرْفُقُ	وَأَعْمَلِ الْعَرْفِ بَنِيَّةُ
فَتَرَى جَمْعَ ضُلُوعِي	قَدْحُهَا نَارًا وَرِّيَّةُ
وَاصِلِ الْمَمْلُوكِ حَقًّا	فَلِيَالِي نَابِغِيَّةُ
حَبُّكُمْ دَاءٌ قَدِيمٌ	لَيْتَ شَعْرِي مَا الْقَضِيَّةُ
لَيْسَ لِي قَطُّ مَعِينٌ	أَبْدَأُ فِي ذِي الْبَلِيَّةُ
غَيْرُ صَنُوفِ فَاطِمِي	ذِي سَمَاتِ هَاشِمِيَّةُ

فأجابه بقوله :

يا مليحاً في البرِّيَّةُ	ذا خَدُودِ عَسْجَدِيَّةُ
ولِحَاطِ تَسْحَرِ اللَّبِّ	سَبِّ وَتَأْتِي بِالْمَنِيَّةُ
وقَوَامِ سَمَهْرِي	حَبْذَا مِنْ سَمَهْرِيَّةُ
وشَفَاهِ مِنْ عَقِيْقِ	صَاغَهَا رَبُّ الْبَرِّيَّةُ

منها:

جاءني من غير وعدٍ ثم أحيى بالتحية
ليس لي منك مجيرٌ غيرُ مولى في البرية
[٨٩٩] الحسن بن محمد بن أحمد البوريني الدمشقي الحنفي^(١).

هو بحرٌ متلاطمٌ بأمواج العلوم، تقذف أمواجه جواهر المشور والمنظوم،
ودوحةٌ يتفرع عنها للفنون أفنان، وينفتق منها للأدب كل وردة دهان، حتى
قيل: الحسنُ في الشام كالشامة في الوجه الحسن:

لا أبصرتُ مقلتي محاسنه إن كنتُ أبصرتُ مثله حسنا
ذكره الإمام الخفاجي في «ريحانته»، وأثنى عليه، والسيد الأديب محمد
ابن عمر العرضي الحلبي في «مجموعته»، وذكر: أنه قدم حلب سنة ست
عشرة وألف.

قلت: ومن شيوخه: العلامة الملا أسد، وشيخ الإسلام عماد الدين
الحنفي، والعلامة الشهاب أحمد الطيبي المقرئ، والشرف يونس العيثاوي،
ومحمد الشام البدر محمد بن الغزي، ومنصور بن المحب، وإسماعيل
النايلسي.

وذكر الإمام المحدث محمد بن علان المكي الصديقي: أن صاحب
الترجمة قدم مكة حاجاً، عام عشرين بعد الألف، وأنه روى عنه «صحيح
البخاري»، وبقية السنن، وأجازه بروايتها، وله من الآثار المخلدة في

(١) جاء في الحاشية: «مكررٌ وفيه زيادة».

الطروس، ما يفوح منها عطر القبول، ولا عطرَ بعد عروس.

منها: «تعليقة على تفسير القاضي البيضاوي»، و«تاريخ مشتمل على طبقات من لقيهم من علماء وقته»، و«شرح على ديوان سيدي عمر بن الفارض» ما عدا تائيته؛ فإنه اعتذر عن عدم شرحه لها، بما هو مسطور في خطبته، و«ديوان شعر» في مجلد كامل، وسبعة مجاميع مشتملة على كل طرفة ونتفة، وشذرة وتحفة، سماها بـ: «الشهب السيارة»، وقفت على مجموع منها بخطه، ونقلت منه ما نصه:

كان المرحوم الفاضل تاج الدين الشهير بالقطان يقرأ «مغني اللبيب» على شيخنا العلامة الكامل الفهامة، من كان في زمانه واسطة عقد الأفاضل، وصدر صدور أرياب الفضائل، العماد الحنفي، في المدرسة النورية، بدمشق المحمية، في سنة اثنتين وثمانين وتسع مئة، فوصلت نوبة القراءة إلى مبحث العرض، وقرأ شاهده المشهور، وهو قول الشاعر: يا بن الكرام... إلخ، فأمر الأستاذ العماد بتضمين البيت المذكور، فقلت مرتجلاً، ورقمته خجلاً:

يا معرضاً عن محبٍ للودادِ رعى	تعذيب قلبي بنار الهجر من شرعا
وحق عينيك لا أشكو الهوى أبداً	إلا إليك ولو قطعنتني قطعاً
قد كنت أبصر ضوء الود من قدم	فالיום قد غاب عن عيني وما طلعا
جمعت صبراً ليوم البين يسعدني	ففرق الهجر قبل البين ما جمعا
بالله يا متلفي رفقا برب جوى	إليك قصة هذا الحال قد رفعا
قد حدثوك على بعد المزار بما	قد أودع السقم في جسمي وما صنعا
يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما	قد حدثوك فما راء كمن سمعا

أقول : وقد أكثر شعراء العصر من تضمين هذا البيت ، ومن ذلك قول صاحبنا الأديب علي السنجاري المكي :

ناديتُ من مرّبي كالظبي ملتفتاً مذ أخبروه بما فيّ الهوى صنعا
يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا
وقول الأديب قرط الحلبي :

يا بن الحسيب الذي من نجل فاطمة بنت النبي الذي للدين قد شرعا
ما لي أراك تعاملني الصدودَ وذا عن حسن شيمتك الحسناء ما سُمعا
بالله إن دخل الواشون أو نقلوا عني فلا تسمع البهتان والبيدعا
وارحمْ لنأشد بيتَ في القريض حكى درأَ يضمّنه والقلب قد صدعا
يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

[٩٠٠] القاضي حسن بن العفيف الحضرمي^(١).

من شعراء عصرنا المجيدين باليمن المأمون الأمين .

من شعره مادحاً للإمام المتوكل :

هو الربع سلّه أو فقّف لي أسائله أنزألّه نزألّه أم نزائله
فإن هُدوّ القلب يؤذن أنّ ما به غيرهم والدمعُ أشكل سائله
أرى القلب أهدى لي الصواب وربما غدا وهو ذو علمٍ بما الطرف جاهله
فيا ربّع نبشنا أنزالك الألى عهدنا فإن الحقّ ما أنت قائله

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٩٠) (٢٤٥).

فقال أجل من قد عهدنا وذا الحمى الـ
وتلك لبينا حيث تقضى لبانة الـ
فقلت سقيت الغيث لم أجهل الذي
وليل تحاميل المشيب أرقته
كان به جفني لجفني عاشق
إذا ما سها وقتاً كلا وكذا وشى
لي الله من ثاوب بجسم وطئه
أفكر أي اليد بالقود أرتمي
وأي خضم بالسنين أخوضه
وعاذلة بين الجوانح راعها
تقول على ماذا الترامي على النوى
أقول لها قول امرئ لم يطب له
ذريني على أخلاقي الصملي التي
فلم أر عذراً للكريم بدون ما
سأسري كما يسري الهلال بأفقه
وحقق نيلني للمنى ووسيلة
فلا فضل إلا دون فضل ابن قاسم
إذا قيل إسماعيل أبلغ جنده الـ

سمي وذاك المنحنى وخمائله
محب ومال^(١) الصب تهذا بلابله
علمت ولكن لاق عندي تجاهله
لهم وليل لهم سار يطاؤه
وطرفي رقيب حارس لا يواصله
من الدمع نكأ على السهور عادله
طعين فؤاد راحل الفكر قافلته
إلى منزل بالعز طابت منازلته
إلى مثله جوداً تطامت جداولته
محاول حال في عنا من يحاوله
ومد التوى والرزق فالله كافله
على دعة من طيب العيش خامله
هي الوفرة أو شرب ترن ثواكله
ينال المنى أو بازديار يزاولته
هو الخطأ ما محقه أو تكاملته
دعاء أمير المؤمنين ونائلته
ولا بذل إلا دون ما هو باذله
هدى عدة والويل طالت أناملته

(١) كذا في الأصل، والصواب: وبأل.

إمام وعاء الكون يطفح مترعاً
فضائل قد ضاق الزمان بكنهها
شمائل خير المرسلين وصنوه
رأينا به ما قد سمعناه عنهم
إذا ما دعانا الخطب لُذنا بيمنه
وإن جالَ فرسان العلوم فإنه
فعما تشا سلّه فإنك سائل
تأمل إذا أملى دقائق فكره
فمسألة كالشمس يزهر ضوءها
به قام دين الله أعدل قامة
ودين الولا رمح السماك لواؤه
إذا النصب لا تطمع برفعك والخف
له دعوة الحق التي عز شأنها
وبالحق لا بالخلق شاد زعيمها
ومن كان بالله الشديد محاله
أقول مقالاً قيل قبلي وإنما
جواد يُنيل الحمد جذلان مابها
علامة جود المرء بالطبع بشره
أجلتُ افتكاري في الكرام فما بهم

به وكذا كانت قديماً أوائله
وفاضت على طُرُق الزمان فواضله
وسبّطيه والآل الكرام شمائله
ففضلهم فيه وفيهم فضائله
فتجلى به في الحال عنا جلائله
يحاذر منه فارسُ القوم راجله
لحيدرة في علمه إذ تسائله
وما ضمته كتبه ورسائله
كبدٍ وكالزهر النجوم دلائله
على العدل والتوحيد فينا يعادله
ومنه له المريعُ بالزوع حامله
ض لجزمك فالقاضي به فيك عامله
وناصر داعيها وذلّ مخاذله
ودان له حافي الأنام وناعله
يبيد الأعادي حوله ومحاوله
إلى خيرها عن شرها أنا ناقله
ويزداد بشرًا كلما ازداد آمله
كجود الحيا لمع البروق مخايله
سواه كريمٌ كاملُ الجود شامله

وكاملُ جود جودُهُ غيرُ شامل
فله بَرٌّ بسطةُ البحر كُفُه
بلغتَ بأفق الجود أفضلَ رتبة
كأنك في الدنيا بجسمك كائنُ
تأملت إنسي تاركُ فيكمُ وما
فأنتَ به المقصودُ في العصر الذي
على طبقِ أمر الله فعلك كلُّه
كلاكَ والاك امرؤ^(١) فاز ناجيًا
وخذ شكرَ إحسان تواليه دائماً
فكم كربيةً عني فرجتَ وشدةً
وقمتَ بنصري والزمانُ محاربي
أذمُّ كشريكَ الزمانَ وأهلَه
أسأله فيه الأعالي وشرُّ ما
إذا شئتَ رفعي شاءَ خفصي فدائماً
فيا ليتَ شعري والعجائبُ جمّةٌ
وعيّ كذبُ خُصٍّ بالخفض عيشه
لحا الله دهرًا باقِلٌ فيه قُسُه
وما قلتُ هذا جازعاً من صروفه

وشاملة لكن ما هو كامله
سماحاً وبحرٌ ساحةُ البر ساحله
فقف ثم لا أعلى لما أنت طائله
وبالزهد فيها بائنُ القلب آفله
يُضاهيه عن خير الورى ويشاكله
يحثُّ عليك في اتباعك حاصله
فله فعلٌ أنت الله فاعله
وعنك تولّى من أتيتَ مقاتله
عليّ ومن لي أن شكري يقابله
كشفتَ وحالي ما حلّ الحال حائله
وأهونُ به خصماً إذا أنت جادلُه
فساءَ وساؤوا فالقليلُ أمائله
لقيتُ زماناً والأعالي أسأله
يماطلني عما أشا وأماطلُه
لأية معنى غاض في الدهر فاضله
ونذبُ أديبٍ أبرضته مأكله
وقبحاله إذ قُسُه فيه باقلُه
ولكن ليدي عن منه ما هو غافله

(١) في الأصل: امرؤ.

ويعلم أني بالإمام مظفر وإن ظافرت من بنيه أراذله^(١)
هو الغوث مهما الخطب صوّح ضوعه هو الغيث مهما الجذب صوّح ماحله
تباركت مولى لم يخب منك سائل عظيماً ولم تعظم عليك مسائله
وحسب امرئ وافاك رأيك بالندى وأن صفات الجود فيك وسائله
وصلى عليك الله بعد نبيه وعترته ما المزن أسبل وأبله

[٩٠١] الحسن بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي^(٢).

العلامة الذي تفرد في وقته بالفضل، والعلم والورع، والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، كان - رحمه الله - وصولاً للرحم، كثير الصدقة على ذوي الفاقة، حريصاً على فعل الخير والمعروف، أخذ عن أبيه وجده، وسمع على أخيه شيخنا الحسين كثيراً من العلوم، مع كونه أسنّ منه بنحو سبع سنين.

وكان له الخط الحسن، الراقى المضبوط، والنظم والشر الفائقان، ولقي جماعة من أكابر العلماء، وأخذ عنهم كثيراً، وحوى علماً غزيراً، وله ارتحالات كثيرة، من جملتها: ارتحاله مع إخوته إلى شهارة المحروسة، أيام دعوة القاسم ابن الإمام محمد المؤيد، وأقاموا بها ثلاثة أشهر، بداره الميمونة بالناصرية من شهارة، وفي خلال الإقامة شارك السيد أحمد ابن الإمام المتوكل إسماعيل في قراءة «التيسير» للربيع، وغيره من الكتب الحديثية.

وكانت وفاته - رحمه الله - في سابع عشر ربيع الآخر، سنة تسع وثمانين

(١) كذا في الأصل، فالشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٦٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٧٦) (٢١٦).

بعد الألف، بمدينة صنعاء، وحضر تجهيزه والصلاة عليه جمعٌ كثيرٌ من علماء صنعاء وفضلائها، وأولاد الأئمة، وغيرهم.

وكان - رَوْحُ الله روحه - في زمنِ حدائِته مجدداً في الاشتغال بالعلم وطلبه، على أبيه وجده، مع مشاركة أخيه الحسين المذكور، وكان إذا قرأ شيئاً في غيبة أخيه الحسين، تتأثر نفس أخيه الحسين، فيعاتبه في ذلك، فيعتذر صاحب الترجمة إليه، ويعيد ما قرأه عليه، فقال في ذلك صنوه الحسين أبياتاً رائيةً معاتباً، وجعل أول كل بيتٍ منها حرفاً من حروف المعجم، أولها:

أَذَابَ فَوَادِي بَارِقُ الْغُورِ إِذْ سَرَى	بِنَفْحَةِ مَسْكِ مِنْ حَدَائِقِهَا سَرَى
بَحَقِّكَ خَبَرْنِي عَنِ الْغُورِ إِنَّهُ	حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَيْسَ فِي الْقَوْلِ مَنَكْرًا
تَأَمَّلْ بِهِ تِلْكَ الْمَعَانِي تَلَقَّ لِي	لَطَائِفَ فَاقَتْ فِي الْمَحَاسِنِ مَخْبِرًا
ثَمَلْتُ وَقَدْ دَارَتْ رَحِيقُهُ وَصِفِهِ	فَأَنهَلْنَا التَّسْنِيمُ مِنْ تِلْكَ سُكْرًا
جَرَى ذِكْرُ أَحِبَابِي بِرَوْضَةِ قَدْسِهَا	وَقَدْ كُسِيتُ بُرْدًا مِنَ الْوَشْيِ أَخْضَرًا
حَوَى مِنْ مَلِيحِ الْوَصْفِ كُلِّ غَرِيبَةٍ	كَزْهَرِ سَمَاءِ الْأَرْضِ فِي حُسْنِهَا تَرَى
خَلِيلِيَّ مَا وَافٍ بَعَهْدِي أَنْتَمَا	إِذَا لَمْ تَقْصَا وَصْفَهَا لِي وَتُخَبِّرَا
دَعَوْتُكُمَا كَيْ تَفْهَمَانِي حَقِيقَةَ الْـ	أَحِبَّةٍ فِيهَا مَفْرَقَيْنِ وَتَحْضُرَا
ذَكَرْتُ لَهُمْ ذِكْرَ الصِّفَاتِ فَهَاجَ لِي	مِنْ الشُّوقِ مَا أَلْفَيْتُهُ مَتَذَكَّرَا
رَأَيْنَا بِهَا مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ قَرَّةً	فَرُوْحَتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ حَسَنِ مَا نَرَى
زِيَارَتُهُمْ فِيهَا لِقَلْبِي مَسْرَةً	غَدَتْ مَوْرَدًا لِلصَّالِحَاتِ وَمَصْدَرَا

سلي إن أردت النوم عني وعنهم
شَفَتْنَا وأولتنا فوائدَ عندها
صفت عندنا تلك الصفاتُ التي علت
طوينا لدى الأحباب كلَّ مقالة
ظفرنا بما نرجو من الحَسَن الذي
علِمَ بأعقاب الأمور كأنما
غدوتُ عليه عاتبًا حين أهملَ الـ
فواعجبا من فعله حين غبتُ عن
قرأتَ حماكَ الله لم تنتظر لنا
كفى حجةَ برهانها مشرقُ بما
لويتَ عِنانَ الودِّ عني عامداً
محلُّكَ فوقَ الشمسِ عندي وإنني
نحوْتُكم لما تقشَّعَ سحُبُها
وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى
هو الصنعُ إن تعجلَ فخيرٌ وإن برت
يقول لي القلب الذي ترك الهوى
لأعظم من أولى ووالى صنيعة
ألستَ من القوم الذين وليدُهم
بلغنا السما مجداً وعزاً وسؤدداً

تَري ما يسرُّ الأولياءَ بلا مِرا
يُسَهِّلُ للأحباب ما قد تعسَّرا
ففاقت وراقت للقلوب بلا امتِرا
وقد كان في نفسي مقالٌ تكثرا
يفيدك إن أَقرا الفوائدَ أو قَرا
لما في غدٍ من قبل يأتِيهِ أبصرا
أخوةَ لما ينتظرُنِي ويذكرا
محافلِهِ هلاًَّ لحقِّي آثرا
وعذري أن السحبَ بالغيثَ أمطرا
فعلتَ على إهمالِ حقِّي بما عرا
وأنسيتَ حقّاً للإخاء مؤثراً
لأبني له فوق المجرة معمرا
وسرتَ إلى سُوح المعالي مبكِّرا
كعنفود ملاحية حينَ نَوَّرا
لعذرٍ فكم ريبٌ به عاد أكثرا
إذا انت راعيت الإخاء المقررا
وحاز من الخيرات سهماً موفِّرا
يُرَجِّى لإقراء العلوم وللقرى
وإنا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهرَا

تَجَرَّدَ لَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْهُمْ فَلَانَهُمْ
ثَبَاتُهُمْ فِيهَا عَظِيمٌ رَسُوخُهُ
جَزَى اللَّهُ آبَائِي عَنِ الْكُلِّ خَيْرَهُ
حَمَوْا بِعَوَالِيهِمْ حَمَى الدِّينِ وَاسْتَوَوْا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا انْهَلَتْ السَّمَاءُ
أُثْمِتْنَا وَارْحَلْ إِلَيْهِمْ مَشْمُرًا
وَذَاكَرُهُ يُولِي الشَّاءَ مَعْبُرًا
وَأَبْقَاهُمْ مَا قِيلَ نَظْمٌ وَسُيْرًا
عَلَى فَلَكِ الْعِلْيَاءِ لَمَّا تَنَوَّرَا
بَوَدِّقٍ عَلَى رَوْضٍ أَرِيضٍ فَازْهَرَا

فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

أُسْرُ إِذَا حَقَّقْتُ فِي الْيَوْمِ مَعْشَرَا
بِنَاءَ عَلَى أَنْ أَمْرًا بِأَدَّ عَمْرِهِ
تَبَيَّنَتْ أَنْ الْعِزَّ فِي الْعِلْمِ وَالْعِلَّا
ثَنَائِي عَلَيْهِمْ لَا عَلَى كُلِّ مَهْمَلٍ
جَنَوْنَا ثَمْرًا مِنْ رَوْضِ كُلِّ فَنُونِهِ
حَرِثُونَ بِالتَّقْدِيمِ أَقْدَامُهُمْ عَلَى الثَّرِيَا
خَلَا مِنْ غَدَا فِي دَهْرِهِ مَتَعَلَّمَا
دَنَا مِنْهُمْ فَازْدَادَ فَضْلًا وَرَفْعَةً
ذَكَرْتُ خِلَالًا لِلْحَسَنِ فَسَرَّنِي
رَضِيَتْ لَهُ هَذَا طَرِيقًا وَمَسْلَكًا
زِيَادَةً مِنْ فَوْقِ الْبَسِيطَةِ لَمْ تَكُنْ
سَمَا مِنْ لَهُ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ وَسِيلَةً
شَرَى نَفْسَهُ يَبْغِي الرِّضَا مِنْ إِلَهِهِ
وَتَكْثُرُ أَفْرَاحِي إِذَا كَانَ أَكْثَرَا
إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ الْعُلُومِ مَكْثَرَا
وَأَنْ بَحَارَ الْعِلْمِ هُمْ خَيْرُهُ الْوَرَى
يَجَانِبُهُمْ مِمَّا عَتَا وَتَكَبَّرَا
وَأَعْطَاهُمْ الرَّحْمَنُ حَظًّا مَوْفَرًا
وَأَهْلُ الْجَهْلِ فِي أَسْفَلِ الثَّرَى
وَمَسْتَمَعَا مَا فَاقَ دَرَا وَجَوْهَرَا
وَعَاشَ حَمِيدًا فِي الْوَرَى مَتَبَصَّرَا
بَأَنْ أَخِي لِلْعِلْمِ أَضْحَى مَشْمُرَا
وَصَاحِبُهُ فَوْقَ النُّجُومِ كَمَا تَرَى
مِنْ الْعِلْمِ نَقْصَانٌ وَخُسْرٌ بِلَا مِرَا
وَمَا فَازَ ذُو جَهْلٍ وَخَابَ مِنْ افْتَرَى
فِيَا فَوْزَهُ بِالرَّبْحِ مِنْ خَيْرِ مَا شَرَى

صبورٌ على درس الدفاتر مقبلٌ
طويلٌ عليه الليلُ إن بات مهملاً
ضجيجُ كتابٍ لا يفارقه ولا
ظفرتَ بما أملتَ فاشكرْ ولا تكنْ
على أنه وافى نظامك عاتباً
غدوتَ به في نعمة لبلاغة
فواعجباً من عاتب كان حقّه
قوافيك أولئنا محاسنَ عندها
كانك لم تعلم بمن سار أشهراً
له رحلةٌ معروفة أنت أهلها
مدى الدهر لا تبرح على الدرس عاكفاً
نبئك لم يترك سوى العلمِ فاغتنم
وأنت بحمد الله قد صرتَ عالماً
هدانا إله الخلق نهجاً مبلغاً
لئن كنتَ ترعى للحقوق فلإنني
يريد أخي قلبَ العتاب فقل له
إذا أنا لم أحملْ على النفس ضيمها
بدا لي عذرُ الصُّنُو بعد جفائه
توالثَ بذات الأسبوع فضلاً ونعمة

سريُّ سرى والصبح قد يُحمد السرى
قصيرٌ إذا للدرس بات مؤثرا
يرافقُ إلا عالماً متبحراً
ملولاً فإن الصيدَ في باطنِ الفِرا
علينا ومنظوماً نظاماً محبّراً
حواها وألفاظُ له قد تخيّرا
بأن يتدي بالعُتب فيما تحررا
نقول وقد خاطبت من كان قصّرا
ليحظى بعلم ثم عاد مطهّرا
فواصلُ دروساً درسها لك يُسّرا
فما العلمُ في الأسواق بالمال يُشترى
ورائته بالدرس عن سيد الورى
ولكنْ نظمنا ما تراه مذكّرا
إلى جنة الفردوس فضلاً ويسّرا
لأرعى لها واسألُ بذلك من درى
يحقُّ لمثلي أن يُعَض ويصبرا
سدّدتُ طريقاً للثناء منوّرا
وذلك أن السحبَ دام وأمطرا
فرام لهذا أن يُقال ويُغذرا

ثلاثاً هجرتُم ثم زدْتُم كمثْلِها لك الله أرجو أن يُعْزِرَا
جرى ما جرى منكم من الهجر والقلَى وفوق ثلاثٍ حرَّم الطهرُ ما جرى
عليك سلامُ الله ما ذر شارِق وما سار ذو عزم لعلم وما سرى

ولصاحب الترجمة نظم التلقين، والوظائف المروية عن جعفر الصادق
وآبائه، وهو قوله:

تلقَّنْ يا فتى طُرُقَ السعادة فتلك إذا وصلت هي السيادة
وجنَّبْ نفسَكَ الشبهاتِ واصْبِرْ وفيما حلَّ الزمها الزمادة
وحبُّ الله أثره وأحْسِنْ وقم بالواجبات من العبادة
تفكَّرْ في خلائقه وحاذِرْ تصوِّرْ ذاته واعرف مرادة
وقم بحوائج الإخوان فيه لتحرز فضله وارحم عبادة
ولازم ذكره والجا إليه تنل منه مع الحسنَى زيادة
وعظَّمْ أمره تعظيمَ عبدٍ تيقن رحلة فأعد زادة
ولا تفرخ بما أوتيت واندم على التفريط عن طلب السعادة
وأبق بشكره النعماء واجعلْ تدبُّرها لنفسك كالقلادة
تجنَّبْ ما نهاك الله عنه وما يعينك لا تهدم مُشادة
تأملْ عاجلَ الأحوال وانظرْ عواقبها على حسب الإرادة
تصوِّرْ بعد موتك ما تُلاقي فمُبدي الأمر تمكنه الإعادة
وجنَّبْ نفسَكَ الدنيا فمن لم يحاذرها فقد ملكَتْ قيادة

ومهما آذنتُ بِصَلاحِ أمرٍ تراه صالِحاً فاحذُرْ فسادَهُ
ورَجِّ الخيرَ في الأحوالِ إلّا لدى ذنبٍ فخفْ واقدَحْ زنادَهُ
وأخلصَ نيةً في كلِّ فعلٍ لعالمٍ غيبٍ أمرِكَ والشهادةُ
وحاذِرْ عَدُوَّ نفسِكَ ذاتَ فضلٍ وأنكَ بالغَ رتبِ السعادةِ
فتركَ ما به كلفتَ إذ قد وصلتَ كزعم أربابِ البلاةِ
أتأمنُ من لها بالسوءِ أمرٌ به تُعمى لذي لبٍّ فؤادَهُ
حذارِ الجبرِ والتشبيهِ واحذِرْ من الإرجاءِ يا علمَ الإفادةِ
وحاذِرْ من أمورٍ زَنّوها بها حُرّموا ثوابِ ذوي العبادَةِ
حلّولُهم ولوْماً عن فسادٍ لدفعِ الحجبِ مع حملِ القلادةِ
وعن رقصِ سماعِهم ووجدٍ مشاهدةِ الجنانِ وخرقِ عادةِ
فما قالوه من هذا ضلالٌ تنزّهْ عنه أربابُ السيادةِ
ومهما أمكنتك خصالُ خيرٍ فآثرها تفزْ وحُذِ الإجادةِ

[٩٠٢] الحسن بن مسعود اليوسفي المغربي المالكي^(١).

عالمٌ نحري، له في المغرب ذكرٌ كبير، كان ذا باعٍ مديدٍ في الكلام والنحو، والفنون المتداولة في المغرب، وأخلاقٌ كريمةٌ وتواضع، وكان عظيم الوقار، كثير العبادة، صبوراً على الإفادة، قدم مكة حاجاً، سنة ألف ومئة واثنين، ولم يقدر لي الاجتماع به.

(١) «نفحة الريحانة» للمحمي (٤٣ / ٥) (٣٧٩)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٨٠١)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١ / ١٢٠)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٢٣).

له مؤلفات في فنون، منها: «حاشية على شرح مختصر السنوسي في المنطق»، ولما رجع من الحج إلى المغرب، توفي بها، وأنشدني بعض أصحابنا، قال: أنشدني المترجم لأحمد بن الحسن الكلاعي المالقي قوله:

يقال خصال أهل العلم ألفٌ ومن جمع الخصال ألف سادا
ويجمعها الصلاحُ فمن تعدَّى مذهبَه فقد جمعَ الفسادا
توفي سنة ألف ومئة وإحدى عشرة ببلده، بعد رجوعه من الحج
- رحمه الله -.

[٩٠٣] حسن الماوردي الشافعي الشامي.

ماجدٌ صيغ من معدن السماح، وابتسمت في جبينه غرة الصباح، اللطف
حشو إهابه، والفضل لا يلبس غير جلبابه. شعر:

لو مثل اللطفُ جسماً لكان للطف روحاً
لم يزل إذا نزل بنادٍ، انحلت الهموم، وارتضع من أخلاقه نبت الكروم،
حتى أدركه أجله المحتوم، فتوفي بمصر، يوم الأربعاء، خامس عشري شهر
صفر، سنة اثنتين وثلاثين بعد ألف.

ومن شعره قوله:

مصرٌ تفوق على البلاد بحسنيها وينيلها العالي ورقة ناسيها
من كان ينكرُ فالتحاكمُ بيننا في روضة والجمعُ في مقياسها

أخذه من قول الصلاح الصفدي:

إن مصرأً لأطيبُ الأرض عندي ليس في حسنِها البديع التباسُ

وإذا قستَهَا بأَرْضٍ سِوَاهَا كان بيني وبينك المقياسُ

[٩٠٤] حسن المسكاتي .

كان أديباً ماهراً، وكاتباً شاعراً، له شعرٌ أنيقٌ، حسنُ السبك رقيقه،
قدم من بلاده إلى اليمن، فتوطن المخا، وامتزج بأهلها، امتزاج الروح
بالجسد، وتوفي بها سنة خمس وسبعين وألف .

ومن شعره قوله : ...^(١) .

[٩٠٥] الدرويش حبيب الرومي الحنفي^(٢) .

كان فاضلاً طويلاً الصمت، نظيف الذات والأثواب، متواضعاً صوفياً،
له ذوقٌ في المعارف والحقائق وآداب، وكان يمتهن نفسه في الخدمة لأقرانه،
وللناس فيه مزيدٌ اعتقاد، وعليه نورانيةٌ ظاهرة .

وكان ملازماً للجماعة، في الجامع الأموي، ساكناً في حجرة بالسميمصائية،
قانعاً باليسير من الرزق، وأقام بدمشق أكثر من عشرين سنة، وهو على سمت
حسن، واشتغال بالعلم، إلى أن توفي يوم الجمعة، عاشر شعبان، سنة أربع
وعشرين بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

[٩٠٦] حسن ابن الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سراج باجمال^(٣) .

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر، وترك نصف صفحة بياض» .

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٣٥٣) (١٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(١ / ٥٠١) .

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦٦) .

وُلد بالغرفة، من بلاد حضرموت، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم وغيره، واشتغل على والده ولأزمه، حتى حصل طرفاً صالحاً من العلم، ثم ارتحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بطيبة - على ساكنها الصلاة والسلام - .
كان ذكياً، حسن الحفظ والنظم، قانعاً صابراً، ملازماً للروضة الشريفة، وتخلّى عن جميع أسباب الدنيا، وجدّ في العبادة والتلاوة، حتى صار من الأولياء الصالحين، والأفاضل المشهورين، ولم يزل على الحال المرضية، معرضاً عن الدنيا بالكلية، حتى انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى بالمدينة، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف، ودفن بالبقيع الغرق.





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
حرف الهمزة	٥
حرف الباء الموحدة	٣٥٧
حرف التاء المثناة الفوقية	٣٧٣
حرف الجيم	٤١١
حرف الحاء المهملة	٤٤٣
فهرس الموضوعات	٥٨٣



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>